

الذكرة أحمد ونبه

تصنيف

ابن حمدون

محمد بن الحسن بن محمد بن علي

تحقيق

احسان عباس و بكر عباس

المجلد السادس

دار صادر

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1996

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



COPYRIGHT © DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

دار صادر للطباعة والنشر

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

هاتف وفاكس 1-448827 / 4-922714 / 4-920978 (961) Tel & Fax

الذكرة أحمد وسنة

البَابُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ
فِي الشَّيْبِ وَالنَّخْضَابِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله مُحيي الأمواتِ ، وجامعِ الرُّفَاتِ ، مقدِّرِ الآجالِ ، ومقرَّبِ
الآمالِ ، خالقِ الموتِ والحياةِ ليلو أحسنَ الأعمالِ ، وجاعلِ الشَّيبِ نذيراً
بالزَّوالِ ، نقلِ الإنسانِ في عمره أطواراً ، وجعلِ حالَّتِيهِ من قوَّةٍ وضعفِ ذكْرِى له
واعتباراً ، فكان الشَّبابُ ليلاً يغطي على جهله واستتاراً ، والشَّيبُ نهاراً يستضيءُ
به^١ ووقاراً. أحمده على ما أسبغ من إنعامه فغمر ، وأسأله توفيقَ مَنْ عُمِّرَ فتذكَّرَ ،
وأن يعفو عما جنته سَكَراتُ الصُّبا وَعَرَائِهِ ، وجَرَّتُهُ حوادثُ الهوى ونزعاته ، وأن
يُنْبِهَنَا لبوادرِ الشَّيبِ وفجآته ، ويوقظَنَا لنوازلِهِ وفجعاته ، ويُلهِمَنَا استعداداً
يقضي بحسنِ الخاتمةِ ، ويُفضي إلى كَرَمِ رحمته الواسعةِ ، وصلواته على محمد سيِّدِ
البشرِ ، المكرَّمِ بالشفاعةِ في المحشرِ ، الذي سبقت بمبعثه النُّذُرُ والآياتِ ، ودلَّتْ
عليه قبل وجودِهِ المعجزاتِ ، وامتدَّتْ الأعناقُ وهو في المهدِ لنبوِّته ، وبُشِّرْ شَيْبَةً
الحمدِ أنه من ولده وذريَّته ، وعلى آله الأكرمين وصحابته .

١ فوقها في الأصل : بنوره .

الباب الثامن والعشرون

باب الشَّيب

ويشتمل على خمسة فصول :

- ١ - الفجیعة بالشَّيب وحلوله .
- ٢ - والرضى به والتسلِّي عن نزوله .
- ٣ - الخضاب .
- ٤ - أخبار المُعَمَّرین .
- ٥ - النوادر .

الفصل الأول الفجعة بالشيب وحلوله

- ١ - يُقَالُ : إِنَّ أَوَّلَ مَنْ شَابَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَتَمَيَّزَ بِهِ عَنْ إِسْحَاقَ فَإِنَّهُ كَانَ شَدِيدَ الشَّبهِ بِهِ ، فَلَمَّا وَخَطَهُ الشَّيْبُ قَالَ : يَا رَبُّ مَا هَذَا ؟ ! قَالَ : هُوَ الْوَقَارُ ، قَالَ : يَا رَبُّ زِدْنِي وَقَاراً ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ رَأَى الشَّيْبَ قَبْلَهُ .
- ٢ - وَالشَّيْبُ رَائِدُ الْمَوْتِ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿أَوَلَمْ نَعْمُرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ (فاطر : ٣٧) . جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ : أَنَّهُ الشَّيْبُ .
- ٣ - وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لَوْ لَمْ يُوَكَّلْ بَابَنِ آدَمَ إِلَّا الصَّحَّةُ وَالسَّلَامَةُ لِأَوْشَكَ أَنْ يَرُدَّاهُ إِلَى أَرْضِ الْعَمْرِ .
- ٤ - وَقَالَ ﷺ : كَفَى بِالسَّلَامَةِ دَاءً .
- ٥ - وَقَالَ النَّمْرُ بْنُ تَوَلْبٍ : [مِنْ الطَّوِيلِ]
يَسْرُ الْفَتَى طَوْلَ السَّلَامَةِ جَاهِداً فَكَيْفَ تَرَى طَوْلَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ
- ٦ - وَمِثْلُهُ لِحَمِيدِ بْنِ ثَوْرٍ : [مِنْ الطَّوِيلِ]

-
- ١ محاضرات الراغب ٣ : ٣٢٣ .
 - ٢ ربيع الأبرار ٢ : ٦١١ .
 - ٤ الجامع الصغير ٢ : ٩٠ .
 - ٥ التشبيهات : ٢١٧ والمعمرون : ٨٠ وزهر الآداب : ٢٢٣ والتمثيل والمحاضرة : ٥٦ وبهجة المجالس ٢ : ٢٣٧ .
 - ٦ التشبيهات : ٢١٧ وزهر الآداب : ٢٢٣ والشعر والشعراء : ١٣ وطبقات فحول الشعراء (حاشية : ٦٧٧) ومصورة ابن عساكر ٥ : ٣٤١ وبهجة المجالس : ٢٣٨ ودويان حميد بن ثور : ٧ .

أرى بصري قد رابني بعد صحبة وحسبك داء أن تصح وتسلما

٧ - وقال عبد الرحمن بن سويد المرِّي : [من الكامل]

كانت قناتي لا تلين لغامز فألأنها الإصباح والإمساء
ودعوتُ ربي بالسلامة جاهدًا ليُصِحِّحني فإذا السلامة داء

٨ - كعب بن زهير : [من البسيط]

كلُّ ابنِ أُنثى وإن طالَتْ سلامتُهُ يوماً على آلهِ حذباء محمولُ

٩ - بعض المعمرين : [من الكامل]

وإذا رأيتَ عجيبةً فاصبرْ لها فالدهرُ قد يأتي بما هو أعجبُ
ولقد أراني والأسودُ تخافني وأخافني من بعد ذلك الثعلبُ

١٠ - قال ابن عباس : ما آتى الله عبدهُ علماً إلا شاباً ، والخير كله في الشباب ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ (الأنبياء : ٦٠) وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ (الكهف : ١٣) وقوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ (مريم : ١٢) .

١١ - وكان أنس يقول : قبض رسول الله ﷺ وفي رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء ، فقيل له : يا أبا حمزة وقد أسنَّ؟ فقال : لم يشنه الله تعالى بالشيب ، فقيل : أو شين هو؟ قال : كلُّكم يكرهه .

١٢ - قال بعض الزهاد : الشيبُ للجاهل نذير ، وللعاقل بشير .

٧ عيون الأخبار ١ : ٢٠١ (لعمر بن قميئة) وديوانه : ٧٧ والتشبيهات : ٢١٧ وزهر الآداب :

٢٢٣ والفاضل : ٧٠ (للنمر بن تولب) وبهجة المجالس : ٢٣٨ (للبيد) وربع الأبرار : ٢ :

٦١٢ .

٨ ديوان كعب : ١٩ .

١٣ - وقال آخر : الشَّيبُ تَبَسُّمُ المنايا .

١٤ - كان عيسى عليه السلام إذا مرَّ على الشباب قال لهم : كم من زرع لم يُدرك الحصاد ، وإذا مرَّ على الشيوخ قال : ما يُتَظَرُّ بالزرع إذا أدرك إلا أن يحصد .

١٥ - وقال مسروق : إذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله .

١٦ - أنسٌ رفعه : مَنْ أتى عليه أربعون سنةً ولم يَغْلِبْ خيره شره فليتهجَّزْ

إلى النار .

١٧ - محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام : إذا بلغ الرجلُ أربعين سنة نادى مُنادٍ من السماء : دنا الرحيلُ فاتخذُ زاداً .

١٨ - قال النخعي : كانوا يطلبون الدنيا فإذا بلغوا الأربعين طلبوا الآخرة .

١٩ - وقال الشعبيّ : الشَّيبُ عِلَّةٌ لا يُعادُ عنها ، ومصيبةٌ لا يُعزَّى عليها .

٢٠ - وقال عمرو بن قميئة : [من الطويل]

كأني وقد جاوزت تسعين حجّةً
على الرَّاحِتين مرّةً وعلى العصا
رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى
فلو أنها نبلٌ إذاً لا تُقَيِّهَتها
إذا ما رأني الناسُ قالوا ألم يكنْ
وأفنى وما أفنى من الدهر ليلةً
خلعتُ بها عني عِدَارَ لجامي
أنوءُ ثلاثاً بعدهنَّ قِيامي
فكيف بمن يُرمي وليس برامٍ
ولكنني أرمي بغيرِ سهامٍ
حديثاً حديدَ الطرفِ غيرِ كهامٍ
ولم يُغنِ ما أفنيتُ سلكَ نظامٍ

١٤ ربيع الأبرار ٢ : ٤٤٩ .

١٥ ربيع الأبرار ٢ : ٤٢٣ .

١٧ ربيع الأبرار ٢ : ٤٢٥ .

١٨ ربيع الأبرار ٢ : ٤٢٥ .

١٩ ربيع الأبرار ٢ : ٤٤١ .

٢٠ العمرون : ١١٣ وحمامة البحري : ٢٠٠-٢٠١ والهفوات : ٨٠ وأمالى المرتضى ١ : ٤٥

والمختار من شعر بشار : ٢٧٩ وديوان عمرو : ٣٨-٣٩ وهي من قصائد منتهى الطلب .

وأهلكني تأمیلُ يومٍ وليلةٍ وتأمیلُ عامٍ بعد ذاك وعامٍ

٢١ - وأنشد الفراء : [من الوافر]

حنتني حانياتُ الدهرِ حتى كآتي حابلٌ يدنو لصيدٍ
قصيرُ الخطوٍ يحسبُ من رآني ولستُ مقيداً أني بقيدٍ

٢٢ - الأخطل : [من البسيط]

وقد لبستُ لهذا الدهرِ أعصره حتى تجلَّلَ رأسي الشيبُ واشتعلأ
فبانَ مني شبابي بعد لذته كأنما كان ضيفاً طارقاً نزلاً
وبينما المرءُ مغبوطٌ بعيشته إذ خانه الدهرُ عما كان فانتقلأ

٢٣ - وقال أيضاً : [من البسيط]

أعرضنَ عن شَمَطِ في الرأسِ لاح به منهنَّ منه إذا أبصرني^٢ جيدُ
يا قلَّ خيرُ الغواني كيف رُعنَ به فشرُّه^١ وشلَّ منهنَّ تصريدُ
قد كنَّ يعهدنَ مني منظرًا^٣ حسناً ومفرقاً حسرتُ عنه العناقيدُ
إنَّ الشبابَ لمحمودٌ لذاذته^٤ والشيبُ مُنصرفٌ عنه ومصدودُ

٢١ أمالي القالي ١ : ١١٠ وديوان المعاني ١٦١/٢ ومحاضرات الراغب ٣ : ٣٢٩ وحلية المحاضرة

١ : ٤٢٠ ومجموعة المعاني : ١٢٣ والتشبيهات : ٢١٨ وستردي في الفقرة (رقم : ١١٣)

منسوبة لأبي الطمحان القيني .

٢٢ ديوان الأخطل : ١٤٢ وبهجة المجالس ٢ : ٢١٩ (بيتان) .

٢٣ ديوان الأخطل : ١٤٦-١٤٧ .

١ الديوان : بمأمنه .

٢ الديوان : أبصرنه .

٣ الديوان : مضحكاً .

٤ الديوان : بشاشته .

٢٤ - وقال بعض العرب ، بل هي للتمي : [من الطويل]

إذا كانت السبعون سنك لم يكن لدائك إلا أن تموت طيباً
وإن امرأة قد عاش سبعين حجةً إلى منهلٍ من ورده لقريب
إذا ما مضى القرن الذي أنت فيهم وخلفت في قرنٍ فأنت غريب

٢٥ - رأى إياس بن قتادة العبشمي شبية في لحيته فقال : أرى الموت يطلبني
وأراني لا أفوته ، أعوذ بك من فجآت الأمور ، يا بني سعد قد وهبت لكم شبابي
فهبوا لي شبيبي ، ولزم بيته ، فقال أهله : تموت هزلاً ، قال : لأن أموت مهزولاً
مؤمناً أحب إلي من أن أموت منافقاً سميناً .

٢٦ - وقال غسان خال الفرار : [من الكامل]

ابيضٌ مني الرأسُ بعد سوادِ ودعا المشيب حليلتي لبعادِ
واستحصد القرن الذي أنا منهم وكفى بذاك علامةً لحصادِ

٢٧ - وقال نافع بن لقيط الفقعسي : [من الكامل]

فلئن بليتُ لقد عُمِرْتُ كأنني غصنٌ تُثنيه الرياحُ رطيبُ
وكذاك حقاً مَنْ يُعَمَّرُ يُبْلِه كَرُّ الزمانِ عليه والتقليبُ
حتى يعودَ من البلى وكأنه في الكفِّ أفوقُ ناصلِ معصوبُ
مَرَطَ القَذاذِ فليس فيه مُصنَعُ لا الريشُ ينفعُه ولا التعقيبُ

٢٤ مختلف في نسبتها وقد استقصى تخريجها الدكتور المعيد في حماسة الظرفاء ؛ وأدرجت في ديوان الخوارج : ٢٥٩-٢٦١ وفيه تخريج كثير ، وانظر ربيع الأبرار ٢ : ٤٢٣ (ففيه بيتان منها) .

٢٥ بهجة المجالس ٢ : ٢١١ وربيع الأبرار ٢ : ٤٤٠ .

٢٦ مجموعة المعاني : ١٢٣ .

٢٧ في الألفاظ «ابن ملقط» والأول والثاني من أبياته في التشبيهات : ٢١٤ .

٢٨ - وقال النابغة الجعدي : [من المتقارب]

وما البغيُّ إلا على أهلهِ وما الناسُ إلا كهذي الشجرِ
ترى المرءَ في عنفوانِ الشبابِ يهتزُّ في بهجاتِ خضرِ
زماناً من الدهرِ ثم التوى وعاد إلى صفرةٍ فانكسرُ

٢٩ - وقال آخر : [من الرجز]

من عاش دهرًا فسيأتيه الأجلُ والمرءُ تواقٌ إلى ما لم ينلُ
والمرءُ يبلوهُ ويلهيه الأملُ

٣٠ - وقال لييد : [من الطويل]

وما المرءُ إلا كالشهابِ وضوئه يحورُ رماداً بعد إذ هو ساطعُ

نظر ابن الرومي إلى المعنى فقال : [من الطويل]

حارُّ الفتى شيخوخةً أو مينةً ومرجوعٌ وهاج المصايح رمدُ

٣١ - آخر : [من الطويل]

لعمري لئن حُلْتُ عن منهلِ الصبا لقد كنتُ ورّاداً لمشربه العذبِ
لياليَ أغدو بين بُرْدَيِّ لاهياً أُميسُ كغصنِ البانةِ الناعمِ الرطبِ
سلامٌ على سَيْرِ القلاصِ مع الركبِ ووصل الغواني والمدامةِ والشربِ
سلامٌ امرئٍ لم تَبَقَ منه بقيةٌ سوى نَظَرِ العينينِ أو شهوةِ القلبِ

٢٨ التشبيهات : ٢١٤ والمختار من شعر بشار : ٣٣٥ واللسان (عسر) وديوان الجعدي : ٢١٩ .

٣٠ الشعر والشعراء : ١٥١ وأمالى المرتضى ٢ : ١٠٧ والتشبيهات : ٢١٦ وديوانه : ١٦٩ وبيت

ابن الرومي في التشبيهات : ٢١٦ وديوانه : ٥٨٧ .

٣١ أمالي المرتضى ١ : ٦٠٦ وربيع الأبرار ٢ : ٤٦٢ .

٣٢ - ابن مُقبل : [من البسيط]

يا حُرَّ إن سوادَ الرأسِ خالطُهُ شيبُ القَدالِ اختلاطَ الصَّفوِّ بالكَدْرِ
يا حُرَّ من يعتذرُ من أن يُلِمَّ به رَبُّ الزمانِ فإني غيرُ مُعتذِرِ

٣٣ - وقال منصور النمرى : [من البسيط]

ما تنقضي حسرةٌ مني ولا جَزَعُ إذا ذكرتُ شباباً ليس يُرتجعُ
بانَ الشبابُ وفاتني بشرَّتهِ صُروفُ دهرٍ وأيامٌ لها خُدَعُ
ما كنتُ أوفى شبابي كُنهَ غرَّتِه حتى انقضى فإذا الدنيا له تبعُ
أبكي شباباً رزيناؤه وكان ولا تُوفى بقيمتهِ الدنيا ولا تسعُ
ما واجه الشيب من عينٍ وإن ومقتُ إلا لها نبوةٌ عنه ومُرتدَعُ

٣٤ - محمد بن خازم : [من البسيط]

لا تُكذِّبنَّ فما الدنيا بأجمعها من الشبابِ بيومٍ واحدٍ بدلُ
كفكك بالشَّيبِ ذنباً عند غائتِه وبالشبابِ شفيحاً أيها الرجلُ

٣٥ - وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : [من الطويل]

إذا المرءُ قاسى الدهرَ وبيضَ رأسه وتلَمَّ تثليمَ الإناءِ جوائنه
فليس له في العيشِ خيرٍ وإن بكى على العيشِ أوجى الذي هو كاذبه

٣٢ التشبيهاً : ٢١٩ وديوان ابن مقبل : ٧٣ والأول في حلية المحاضرة ١ : ٤١٥ وينسب الشعر إلى سلامة بن جندل أيضاً .

٣٣ حماسة ابن الشجري : ٢٣٩ وبهجة المجالس ٣ : ٢١٨ ، ٢٣٥ وأمالى المرتضى ١ : ٦٠٦ وديوان المعاني ٢ : ١٥٣ وحلية المحاضرة ١ : ٤١١ والزهرة ١ : ٤٥١ وديوانه : ٩٥-٩٧ .

٣٤ حماسة ابن الشجري : ٢٣٩ وديوان المعاني ٢ : ١٥٢ . وأمالى المرتضى ١ : ٦٠٦ والزهرة ١ :

٣٦ - وقال أبو دلف العجلي : [من البسيط]

في كلِّ يومٍ أرى بيضاءً قد طلَّعتْ كأنما نبتتْ في ناظرِ البَصْرِ
لئن قصصتْك بالمقراضِ عن بصري لما قصصتْك عن همِّي ولا فكري

٣٧ - وقال يحيى بن خالد بن برمك : [من الكامل]

[الليل شيبَ والنهارُ كلاهما رأسي بكثرة ما تدور رحاهما]
الشيبُ إحدى الميتين تقدَّمتْ أولاهما وتأخَّرتْ أخراهما

٣٨ - أبو تمام : [من الطويل]

غدا الشيبُ مختطاً بفوديَّ خطةً طريقُ الردى منها إلى النفسِ مهيعُ
هو الزورُ يُجفَى والمعاشرُ يُجتوى وذو الإلفِ يُقلَى والجديدُ يُرَّقِعُ
له منظرٌ في العينِ أبيضُ ناصعُ ولكنه في القلبِ أسودُ أسْفَعُ
ونحنُ نرَجِّيه على الكرهِ والرَضَى وأنفُ الفتى من وجْهِهِ وهو أجْدَعُ

٣٩ - وقال : [من الخفيف]

لو رأى الله أنَّ في الشيبِ فضلاً جاورتُهُ الأبرارُ في الخلدِ شيبا

٤٠ - وقال : [من الخفيف]

- ٣٦ عيون الأخبار ٢ : ٣٢٥ ومعجم الشعراء : ٢١٦ وسمط اللآلي ١ : ٣١١ والزهرة ٢ : ٧٠
وأمالى المرتضى ١ : ٦٠٨ ومحاضرات الراغب ٢ : ٣١٦ وشعراء عباسيون ٢ : ٧٠ .
- ٣٧ أمالى المرتضى ١ : ٦٠٩ وربيع الأبرار ٢ : ٤١١ .
- ٣٨ أمالى المرتضى ١ : ٦٠٩ وحامسة ابن الشجري : ٢٤١-٢٤٢ ونهاية الأرب ٢ : ٢٥ (ثلاثة
أبيات) ومجموعة المعاني : ١٢٥ وديوان أبي تمام ٣ : ٣٢٤ .
- ٣٩ أمالى المرتضى ١ : ٦١٠ والزهرة ١ : ٤٤٨ ومحاضرات الراغب ٣ : ٣٢٤ وديوان أبي تمام
١ : ١٦٨ .
- ٤٠ أمالى المرتضى ١ : ٦١٢ والزهرة ١ : ٤٤٧ وزهر الآداب : ٨٩٧ ومجموعة المعاني : ١٢٥
وديوانه ١ : ٣٦٠ .

شاب رأسي وما رأيت مشيب الرز
وكذاك القلوب في كل بوئس
طال إنكارِي البياض وإن عمُد
راسٍ إلا من فضل شيبِ الفؤادِ
ونعيمِ طلائعِ الأجسادِ
حمرت شيئاً أنكرت لونَ السوادِ

٤١ - البحتري : [من الطويل]

وكنتُ أُرَجِّي في الشبابِ شفاعَةً
مشيبٌ كبثُ السرِّ عَيِّ بحمله
تلاحقَ حتى كاد يأتي بطيئُهُ
فكيف لباغي حاجةٍ بشفيعه
مُحدِّثُهُ أو ضاقَ صدرُهُ مذيعه
بحثُ الليالي قبل أتى سرِّيعه

٤٢ - وقال : [من البسيط]

جاوزتُ حدَّ الشبابِ النَّضْرُ مُلتفتاً
والشيبُ مهْرَبُ من جارَى منيَّته
والمرءُ لو كانت الشَّعْرَى له وطناً
إلى بناتِ الصِّبا يركضنَ في طلبي
ولا نجاهُ له من ذلك الهَرَبِ
صَبَّتْ عليه صروفُ الدهرِ من كَثِبِ

٤٣ - وقال : [من الخفيف]

حَلِيَاهُ وَجَدَّةُ اللّهُو ما دا
إِنْ أَيامُهُ من البِيضِ بِيضُ
م رداي الشبابِ غضّاً جديدا
ما رأينَ المِفارِقَ السَّودَ سُودا

٤٤ - ابن الرومي : [من الخفيف]

لو يدومُ الشبابُ مُدَّةَ عمري
كلُّ شيءٍ له تَناءٍ وَحَدُّ
لم تدمَ لي بشاشةُ الأوطارِ
كلُّ شيءٍ يجري إلى مِقْدارِ

٤١ أمالي المرتضى ١ : ٦١٨ والشهاب : ١٣ وديوان البحتري : ١٢٧٩ .

٤٢ أمالي المرتضى ١ : ٦١٩ والشهاب : ١٤ وديوانه : ١١٩ .

٤٣ ديوان البحتري : ٥٩٠ .

٤٤ مجموعة المعاني : ١٢٦ وديوان ابن الرومي ٣ : ١١٠٥ .

٤٥ - أبو العتاهية : [من الوافر]

ألا يا موتُ لم أرَ منكُ بدءاً أتيتَ فما تحيفُ ولا تحابي
كأنك قد هَجَمْتَ على مشيبي كما هجم المشيبُ على شبابي

٤٦ - دخل أبو الأسود الدؤلي على عبيدالله بن زياد وقد أسَنَّ ، فقال له
عبيدالله يهزأُ به : يا أبا الأسود إنك لجميلٌ فلو عَلَّقْتَ تميمَةً ، فقال أبو الأسود :
[من البسيط]

أفنى الشبابَ الذي أفنيتُ جدَّتهُ كَرُّ الجديدينِ من آتٍ ومنطلقٍ
لم يتركَا لي في طولِ اختلافهما شيئاً أخافُ عليه لَدَعَةَ الحَدَقِ

٤٧ - قيل لشيخ : ما صنَعَ الدهرُ بك ؟ فقال : فقدتَ المطعمَ وكان
المنعم ، وأجمتُ النساءَ وكنَّ الشفاءَ ، فنومي سُبَاتٌ ، وسمعي خُفَاتٌ ،
وعقلي تارات .

٤٨ - وسئل آخر فقال : ضعضع فَنَاتِي ، وأوهنَ شهواتي ، وجرأُ عليَّ
عداتي .

٤٩ - ابن الرومي : [من الطويل]

كفى بِسِرَاجِ الشَّيْبِ في الرَّأسِ هادياً إلى من أَضَلَّتْهُ المنايا لياليا
أمن بَعْدِ إيداءِ المشيبِ مقاتلي لرامي المنايا تحسبيني ناجيا
وكان كرامي الليل يرمي ولا يَرَى فلما أضاءَ الشَّيْبُ شخصي رمانيا

٤٥ ديوان أبي العتاهية : ٢٨ .

٤٦ نور القبس : ١٠ والفاضل : ٧٢ والإمتاع والمؤانسة : ٣ : ١٧٧ وأمالِي المرتضى : ١ : ٢٩٣

وديوان أبي الأسود : ١٦١ .

٤٨ محاضرات الراغب : ٣ : ٣٢٩ .

٤٩ أمالي المرتضى : ١ : ٦٢٧ وديوان ابن الرومي : ٦ : ٢٦٤٥ .

٥٠ - عبد العزيز الطارقي المغربي : [من الطويل]

سقى الله أيام الصِّبا كلَّ رَيْقٍ إذا جادها صَوْبُ البشاشةِ أَرْزَمًا
فلا زالَ يرتادُ الزَّمانَ لرجعها رقيبٌ متى غُمَّتْ عن اللّحظِ رَجْمًا
فما هي إلا بهجة العيشِ قُوِّضَتْ هناك وإلا نور عيني أظلما

٥١ - ضرار بن عمرو ، وتروى للعتبي : [من البسيط]

من عاش أُخْلِقَتْ الأيَّامُ جِدَّتُهُ وخانه الثقتان السمعُ والبصرُ
قالتْ عهدتك مجنوناً فقلتُ لها إن الشبابَ جنونٌ بُرُوهُ الكبرُ

٥٢ - المخارق البشكري : [من الطويل]

وكنْتُ أباهي الرّائحين بلمّتي فأصبح باقي نبتها قد تقصّبا
فقد ذهبت إلا شكيراً كأنه على ناهضٍ لم ييرح العشُّ أزغبا

٥٣ - أبو حيّة النميري : [من الوافر]

ترحلَّ بالشبابِ الشَّيبُ عَنَّا فليت الشَّيبَ كان به الرحيلُ
وقد كان الشبابُ لنا خليلاً فقد قَضَى مآرِبُهُ الخليلُ
لَعَمْرُ أبي الشبابِ لقد تَوَلَّى حميداً ما يُرادُ به بديلُ
إذ الأيَّامُ مقبلةٌ علينا وظلُّ أراكةِ الدنيا ظليلُ

٥٤ - ابن الرومي : [من الطويل]

أعزَّ طرفكِ المرأةَ فانظر فإن نبا بعينيك عنك الشَّيبُ فالبيضُ أعذرُ

٥١ مجموعة المعاني : ١٢٤ .

٥٢ مجموعة المعاني : ١٢٤ وبيع الأبرار ١ : ٨٤٧ .

٥٣ أمالي المرتضى ١ : ٦٠٥ وحماسة ابن الشجري : ٢٣٩ وبيع الأبرار ٢ : ٤٣٤ .

٥٤ أمالي المرتضى ١ : ٦٢٠ وزهر الآداب : ٨٩٥ .

إِذَا شَيْتَ وَجْهَ الْفَتَى عَيْنُ نَفْسِهِ فَعَيْنُ سِوَاهُ بِالشَّنَاءِ أَجْدَرُ

٥٥ - وقال العتبي : [من الطويل]

رَأَيْنَ الْغَوَانِي الشَّيْبَ لَاحَ بِمُفْرَقِي فَأَعْرَضَنَ عَنِّي بِالْخُدُودِ الْنَوَاضِرِ
وَكَنَّ إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَوْ سَمَعَنَ بِي سَعَيْنَ فَرَقَّعَنَ الْكُؤَى بِالْمَحَاجِرِ
فَصِرْنَ إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَوْ سَمَعْنِي نَهَضْنَ فَرَقَّعَنَ الْكُؤَى بِالْمَعَاجِرِ

٥٦ - الحماني : [من الوافر]

لَعْمُرْكَ لِلْمَشَيْبِ أَشَدُّ مِمَّا فَقَدْتُ مِنَ الشَّبَابِ أَشَدُّ فَوْتَا
تَمَلَّيْتُ الشَّبَابَ فَصَارَ شَيْبًا وَأَبْلَيْتُ الْمَشَيْبَ فَصَارَ مَوْتَا

٥٧ - أبو العتاهية : [من الوافر]

عَرَيْتُ مِنَ الشَّبَابِ وَكَانَ غَضًّا كَمَا يَعْرَى مِنَ الْوَرَقِ الْقَضِيْبُ
فِيَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرَهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشَيْبُ

٥٨ - الحماني : [من الكامل المجزوء]

وَاهَاً لِمَنْزِلَةٍ وَطِيبِ بَيْنَ الْأَجَارِعِ وَالْكَثِيبِ
وَاهَاً لِأَيَّامِ الشَّبَا بَ وَعَيْشِهِ الْغَضُّ الرُّطِيبِ
وَاهَاً لِأَيَّامِ الشَّبَا بَ بَعْدُنَ عَنْ عَهْدِ قَرِيبِ
أَيَّامَ كُنْتُ مِنَ الْغَوَا نِي فِي السَّوَادِ مِنَ الْقُلُوبِ

٥٥ حلية المحاضرة ١ : ٤٢٠ و ربيع الأبرار ٢ : ١٣٩ (الأول والثاني) وكذلك نهاية الأرب ٤ : ٢٨ ونسبا لمحمد بن أمية .

٥٦ ديوان المعاني ٢ : ١٥٨ و ربيع الأبرار ٢ : ٤٤٢ وحلية المحاضرة ١ : ٤١٧ .

٥٧ ديوان المعاني ٢ : ١٥٥ و ربيع الأبرار ٢ : ٤٥٦ ونهاية الأرب ٤ : ٢٦ وديوان أبي العتاهية :

٣٢

٥٨ ربيع الأبرار ٢ : ٤٦٩ (أربعة أبيات) وديوان المعاني ٢ : ١٥٤ (الرابع والخامس) .

لو يَسْتَطِيعَنَّ حَبَانَتِي بين المخانِقِ والجيوبِ

٥٩ - مزرد : [الطويل]

فلا مرحباً بالشَّيبِ من وفْدِ زائرٍ متى يأت لا تُحجَبَ عليه المداخلُ
وسَقِيّاً لريعانِ الشبابِ فإنه أخو ثقةٍ في الدهرِ إذ أنا جاهلُ

٦٠ - أبو نواس : [الكامل المرفل]

كان الشبابُ مطيَّةَ الجهلِ ومُحسِّنَ الضَّحِكَاتِ والهَزَلِ
كان الجميلَ إذا ارتديتُ به ومَشَيْتُ أخطرُ صَيِّتِ النعلِ
كان الفصيحَ إذا نطقتُ به وأصاحتِ الآذانُ للمملي
كان المُشَفَّعَ في مآرِبِهِ عند الفتاةِ ومُدْرِكَ التُّبَلِ
والباعثي والناسُ قد رقدوا حتى أبيتَ خليفةَ البَعْلِ
والآمري حتى إذا عَزَفْتُ نفسي أعانَ يديَّ بالبخلِ
فالآن صرتُ إلى مقاربةٍ وحططتُ عن ظَهْرِ الصِّبَا رَحْلِي

٥٩ هما من المفضلية السابعة عشرة ، وانظر مجموعة المعاني : ١٢٤ وديوان مزرد : ٣٣ .
٦٠ أمالي المرتضى ١ : ٦٠٧ وديوان أبي نواس : ١٩١-١٩٢ .

الفصل الثاني الرضى بالشيب والتسلي عن جدته

٦١ - جاء في الأثر أن الشيب وقار ، ومنه قول الشاعر : [من الخفيف]

لا يرْعك المشيبُ يا ابنة عبد الـ له فالشيبُ حليةٌ ووقارُ
إنما تحسنُ الرياضُ إذا ما ضحكتُ في خلالها الأنوارُ

٦٢ - وقال طريح بن إسماعيل الثقفي : [من الكامل]

والشيبُ للحكماء من سفَه الصبا بدّلُ تكونُ له الفضيلةُ مَقْنَعُ
والشيبُ غايةٌ من تأخرَ حينه لا يستطيعُ دفاعه من يجزَعُ
إن الشبابَ له لذادةٌ جدّة والشيبُ منه في المغبّة أنفعُ
لا يبعُدُ اللهُ الشبابَ ومرحباً بالشيبِ حين أرى إليه المرجعُ

٦٣ - وقال بشار ، ويروى لمسلم : [من البسيط]

الشيب كُرّةٌ وكُرّةٌ أن يفارقني أعجبُ بشيءٍ على البغضاء مودودِ

- ٦١ ديوان المعاني ٢ : ١٥٦ لأبي عبد الله الأسباطي ، وكذلك في نهاية الأرب ٢ : ٢٤ وانظر :
أمالي القالي ١ : ١١٢ وحلية المحاضرة ١ : ٤١٩ وبهجة المجالس ٢ : ٢٠٩ وأمالي المرتضى
١ : ٦٠٢ والشهاب ٢٦ والأول في ربيع الأبرار ٢ : ٤٤٦ .
- ٦٢ أمالي المرتضى ١ : ٦٠٢ ومجموعة المعاني : ١٢٤ والثالث والرابع في حماسة البحري : ١٨٧
١٩٤ (مع أبيات أخرى) وشعراء أمويون ٣ : ٣٠٧ .
- ٦٣ المختار من شعر بشار : ٣٣٧ وديوان بشار (جمع العلوي) ٩٢-٩٣ وديوان مسلم : ٣١١
وتاريخ بغداد للخطيب ١٣ : ٩٨ وزهر الآداب : ٩٠١ وحلية المحاضرة ١ : ٤١٧
والتشبيهات ٢٢١ وحماسة ابن الشجري : ٢٤٥ ومجموعة المعاني : ١٢٤ والأول في ديوان
المعاني ٢ : ١٥٨ وفي نهاية الأرب ٢ : ٢٢ .

يمضي الشبابُ ويأتي بعده خَلْفٌ والشَّيبُ يذهبُ مفقوداً بمفقودِ

٦٤ - بعض العرب : [من الطويل]

ألا قالت الحسناءُ يومَ لقيتها كبرتَ ولم تجزَعِ من الشَّيبِ مَجْزَعًا
رَأَتْ ذَا عَصَا يَمْشِي عَلَيْهَا وَشَيْبَةً تَقْنَعُ مِنْهَا رَأْسُهُ مَا تَقْنَعَا
فَقُلْتُ لَهَا لَا تَهْزِي بِي فَقَلَّمَا يَسْوَدُ الْفَتَى حَتَّى يَشِيبَ وَيَصْلَعَا
وَلِلْقَارِحِ الْيَعُوبُوبُ خَيْرٌ عُلَاةً مِنْ الْجَدْعِ الْمَجْرَى وَأَبْعَدُ مَنْزَعَا

٦٥ - دعبل : [من الكامل]

أهلاً وسهلاً بالمشيبِ فَإِنَّهُ سِمَةٌ الْعَفِيفِ وَحَلِيَّةُ الْمُتَحَرِّجِ
وَكَانَ شَيْبِي نَظْمٌ دُرٌّ زَاهِرٍ فِي تَاجِ ذِي مُلْكٍ أَعْرَ مَتَوَجِّجِ

٦٦ - والجيد في ذلك قول الآخر : [من الكامل]

والشَّيبُ إِنْ يَحْلُلُ فَإِنَّ وِرَاءَهُ عَمْرًا يَكُونُ خِلَالَهُ مُتَنَفِّسُ
لَمْ يَنْتَقِصْ مِنْي الْمَشِيبُ قَلَامَةً الْآنَ حِينَ بَدَا أَلْبُ وَأَكَيْسُ

٦٧ - أبو تمام : [من البسيط]

فلا يُورِّقُكَ إِيْمَاضُ الْقَتِيرِ بِهِ فَإِنَّ ذَاكَ ابْتِسَامُ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ

٦٨ - وقد اعتذر البحتري للشَّيبِ وكرَّرَ ذلك في مواضع من شعره فقال :

- ٦٤ مجموعة المعاني : ١٢٤ .
٦٥ التشبيهات : ٢٢١ والبصائر ٥ : ٥٥ (رقم : ١٨٢) وحلية المحاضرة ١ : ٤١٨ ومحاضرات
الراغب ٣ : ٣٢٣ وأمالى القالي ١ : ١١٠ ، ٢ : ٢٠٦ وبهجة المجالس ١ : ٢٠٩ وريح
الأبرار ٢ : ٤٦٨ وديوان دعبل (نجم) : ٥٣ .
٦٦ أمالي القالي ١ : ١١٢ وعيون الأخبار ٤ : ٥٢ والتشبيهات : ٢٢٢ وحلية المحاضرة ٣ : ٤١٥
وريح الأبرار ٢ : ٤٣٢ (لغيلان بن سلمة الثقفي) .
٦٧ محاضرات الراغب ٣ : ٣٢٣ والشهاب ١٠ : ١٢٥ وديوان أبي تمام ١ : ١١٦ .
٦٨ أمالي المرتضى ١ : ٦٠٠ والشهاب ٢٥ : ٢٥ وديوان البحتري ١ : ٨٤ .

[من الخفيف]

عَيْرْتَنِي المَشِيبَ وهي بَدَتْهُ في عِذاري بالصدِّ والاجتنابِ
لا تَرِيهِ عاراً فما هو بالشَّيبِ ب ولكنّه جلاءُ الشَّبابِ
وبياضُ البازيِّ أَصْدَقُ حُسْناً إن تَأَمَّلْتَ من سوادِ الغرابِ

٦٩ - وقال : [من الخفيف]

ورأت لَمَّةً أَلَمَ بها الشَّيبُ بُ فَرِيَعَتْ من ظُلْمَةٍ في شروقِ
ولعمري لولا الأفاحي لأبصر ت أنيقَ الرياضِ غيرَ أنيقي
وسوادُ العيونِ لو لم يُحَسِّنْ بيباضٍ ما كان بالموموقِ
ومزاج الصهباءِ بالماءِ أَملى بصبوحِ مُسْتَحَسَنِ وَعَبُوقِ
أَيَّ ليلٍ يُنْهَى بغيرِ نجومِ أو سحابٍ يُبْدى بغيرِ بروقِ

وهذا من قول الآخر : [من الطويل]

تفاريقُ شيبٍ في الشَّبابِ لوامعٌ وما حُسْنُ ليلٍ ليس فيه نجومٌ

٧٠ - البحري أيضاً : [من الخفيف]

طبتَ نفساً عن الشَّبابِ وما سُوِّ حودٌ من صينغٍ بُرِّدِهِ الفضفاضِ
فهل الحادثاتُ يا ابنَ عُوَيْفٍ تاركاتي وليسَ هذا البياضِ

٧١ - وقال : [من الطويل]

٦٩ أمالي المرتضى ١ : ٦٠١ والشهاب : ٢٥ والزهرة ١ : ٤٥٠ وديوان البحري :

١٤٨٥-١٤٨٦ . أما قول الآخر فينسب إلى الفرزدق في بهجة المجالس ٢ : ٢٠٨ وانظر أمالي

المرتضى ١ : ٦٠١ وديوان المعاني ٢ : ١٥٦ وعيون الأخبار ٤ : ٥٢ .

٧٠ أمالي المرتضى ١ : ٦٢٠ والشهاب : ١٤ ومجموعة المعاني : ١٢٦ وديوان البحري :

١٢٠٩ .

٧١ أمالي المرتضى ١ : ٦٢١ والشهاب : ١٧ وديوان البحري : ٧٧١-٧٧٢ .

رَأَتْ فَلَتَاتِ الشَّيْبِ فابْتَسَمَتْ لَهَا وَقَالَتْ نُجُومٌ لَوْ طَلَعْنَ بِأَسْعَدِ
أَعَادِلِ مَا كَانَ الشَّبَابُ مُقَرَّبِي إِلَيْكَ فَالْحَى الشَّيْبَ إِذْ كَانَ مُبْعِدِي

٧٢ - فأما ما ورد في الأثر من رافة الله عز وجل بالشيخ ، وما أعَدَّ له من صنوف الرحمة والعتو ، فتلك حالٌ مقترنةٌ بالطاعات ، ويوجبها التقلُّبُ في العبادات ، وإلا فهو كلُّما أسَنَّ في المعاصي كان أبعد له عن الله ، وأناى مما أمَّله ورجاه ، وليس هذا موضعَ ذكرها ، ولا يليق بإيرادها ؛ وقد روي أن النبي ﷺ قال : إنَّ الله تعالى عزَّ ذكره يقول : «وعزَّتِي وجلالِي وفاقةٌ خلَّقني إليَّ إني لأستحي من عبدي وأمتي يشيبان في الإسلام أن أُعَدَّبَهُمَا» . ثم بكى ، فقيل له : ما يبكيك يا رسول الله ؟ فقال : أبكي ممَّن يستحي الله منه وهو لا يستحي من الله .

٧٣ - وقال أبو الفرج حمد بن خلف الهمداني : [من الطويل]

تَعَيَّرَنِي وَخَطَّ الشَّيْبِ بَعَارِضِي وَلَوْلَا الْحُجُولُ الْبِيضُ لَمْ تَحْسُنِ الدُّهْمُ
حَنِ الدَّهْرِ قَوْسِي فَاسْتَمَرَّتْ عَزِيمَتِي وَلَوْلَا انْحِنَاءُ الْقَوْسِ لَمْ يَنْفِذِ السَّهْمُ

٧٤ - وقال النمر بن تولب : [من الطويل]

فَإِنْ تَكْ أَثْوَابِي تَمَزَّقُ عَنْ بِلِيٍّ فَإِنِّي كَنْصَلِ السَّيْفِ فِي خَلْقِ الْعَمْدِ

٧٥ - لبيد : [من الطويل]

فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ السَّيْفِ أَخْلَقَ جَفْنَهُ تَقَادُمُ عَهْدِ الْقَيْنِ وَالنَّصْلُ قَاطِعُ

٧٦ - ومثله للعبير السُّلُولِي : [من الطويل]

لَقَدْ آذَنْتُ بِالْهَجْرِ هَيْفَاءَ لَيْتَهَا بِهِ آذَنْتُنَا وَالْفَوَادُ جَمِيعُ
وَأِنِّي وَإِنْ وَاجِهَن شَيْئاً كَرِهْنَهُ لِكَالسَيْفِ يَبْلِي الْجَفْنَ وَهُوَ قَطُوعُ

٧٢ الحديث في ربيع الأبرار ٢ : ٤١٨ .

٧٥ التشبيهات : ٢٨٢ والأغاني ١٧ : ٢٢ ومجموعة المعاني : ١٢٣ وديوان لبيد : ١٧١ .

٧٧ - المتنبّي : [من الطويل]

وشى بالمشيبِ الشيبُ عند الكواعبِ فهنَّ وإنِ واصلنَّ ميلُ الحواجبِ
رأينَ بياضاً في سوادِ كأنه بياضُ العطايا في سوادِ المطالبِ
هو الليلُ لا يُزري عليه بأن ترى جوائبهُ محفوفةً بالكواكبِ

٧٨ - بلغ أبو بكر هبة الله بن الحسن الشيرازي تسعين سنة ولم تبيض له
شعرة فقال يتبرم بالشباب من قصيدة : [من الوافر]

إلامَ وفيهمَ يظلمني شبابي وتليسُ لمتي حلكَ الغرابِ
وآملُ شعرةً بيبضاء تبدو بدوُ البدرِ من خللِ السحابِ
وأدعى الشيخَ ممتلكاً شباباً كذي ظمإٍ يُعللُ بالشرابِ
وكفورُ المشيبِ أجلُّ عندي وفي فوديَّ من مسكِ الشبابِ
وأين من الصباحِ ظلامُ ليلٍ وأين من الربابِ دُجى ضبابِ

٧٩ - قال أفلاطون : هرّمُ النفسِ شبابُ العقل ؛ أخذ ذلك ابن المعتز ونظمه
فقال : [من المتقارب]

وما يُنتقصُ من شبابِ الرجالِ يُزدُ في نهاها وألبابها

٨٠ - قال أبو مجيب الأعرابي ، وقد رأى قوماً يعذلون شاباً : لا تعذّوه
فقد رأيتني وأنا شابٌ أعضُّ على الملامِ عَضَّ الجموحِ على اللّجامِ ، حتى أخذ
الشيبُ بعنانِ شبابي .

٨١ - روي عن النبي ﷺ أنه قال : الا أنبئكم بخياركم ، قالوا : بلى يا

٧٧ هذه النسبة خطأ ؛ وربما تصحف لفظ المتنبّي عن العتبي أو ما أشبه ذلك .

٨١ ربيع الأبرار ٢ : ٤١٩ .

رسول الله ، قال : أطولُكمُ أعماراً في الإسلام إذا سدّدوا .

٨٢ - وقال الحسن : أفضلُ الناسِ ثواباً يومَ القيامةِ المؤمنُ المُعَمَّرُ .

٨٣ - رأى حكيمٌ طارياً شبيبةً فقال : مرحباً بثمرَةِ الحكمة ، وجنّتي

التجربة ، ولباسِ التقوى .

٨٤ - وكان المأمون يتمثل : [من الطويل]

رَأَتْ وَصَحّاً فِي الرَّأْسِ مَنِّي فِرَاعَهَا فَرِيقَانِ مُبَيِّضٌ بِهِ وَبِهِمُ
تَفَارِيقُ شَيْبٍ فِي السَّوَادِ لَوَامِعُ وَمَا حُسْنُ لَيْلٍ لَيْسَ فِيهِ نَجْمُ

٨٥ - العكوك : [من الكامل]

وَأَرَى اللَّيَالِي مَا طَوَّتْ مِنْ قَوْتِي رَدَّتْهُ فِي عِظْتِي وَفِي أَفْهَامِي
وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَرْءَ مِنْ سِنَّ الرَّدَى حَيْثُ الرَّمِيَّةُ مِنْ سِيْهَامِ الرَّامِي

٨٦ - عبدالله بن محمد الأزدي المعروف بالعطارد المغربي : [الكامل]

سَلَّنِي بِوَقَعَاتِ الزَّمَانِ فَإِنَّمَا هَذَا الْقَتِيرُ غَبَارُ ذَلِكَ الْمَوْكِبِ
وَلَقَدْ عَدَلْتُ الدَّهْرَ ثُمَّ عَدَرْتُهُ وَرَأَيْتُ ظِلْمًا عَدَلَّ مَنْ لَمْ يُذْنِبِ
وَحَمَدْتُهُ لَمَّا عَلِمْتُ بِأَنَّهُ يَسِمُ الْمَجْرَبَ بِالْعَذَارِ الْأَشِيبِ
وَعَجِبْتُ أَنْ طَلَعَ الْمَشِيبَ بِلَمَّتِي فَفَكَرْتُهُ وَاللَّيْلُ ثَوْبُ الْكَوْكَبِ

٨٢ ربيع الأبرار ٢ : ٤٤٠ .

٨٣ ربيع الأبرار ٢ : ٤٤٢ .

٨٤ ربيع الأبرار ٢ : ٤٤٦ والثاني مرّ في رقم : ٦٩ .

٨٥ حلية المحاضرة ١ : ٤١٦ وربيع الأبرار ٢ : ٤٦٩ والتمثيل والمحاضرة : ٨٧ ونهاية الأرب ٣ :

٨٦ ومجموعة المعاني : ١٢٥ وديوان العكوك المجموع : ١٠٤ .

١ الديوان : زادته في عقلي .

الفصل الثالث

ما جاء في الخضاب

٨٧ - أول من خضب من أهل مكة بالسواد عبد المطلب بن هاشم ، خضبه بذلك مَلِكٌ من ملوك حمير وزوَّده ، وأقبل عبد المطلب من عنده ، فلما قرب من مكة اختضبَ ودخلها فقالت نُثَيْلَةُ بنت جَنَابِ بن كلب أمِّ العباسِ بن عبد المطلب : يا شَيْبَةَ الحمدِ ما أحسن هذا الخضابَ لو دام ، فقال لها عبد المطلب :
[من الطويل]

فلو دامَ هذا يا نُثَيْلَ حَمِدَتُهُ ولكن بديلٌ من شبابٍ قد انصَرَمَ
تمتعتُ منه والحياةُ قصيرةٌ ولا بدَّ من موتٍ ثيَلَةٌ أو هَرَمَ
وما ذا الذي يُجِدِّي على المرءِ خَفْضُهُ ونعمتُهُ يوماً إذا عَرَشُهُ انهدَمَ
فموتٌ جهيزٌ عاجلٌ لا شَوَى له أحبُّ إلينا من مقالكم حُطَمُ

٨٨ - وقد قال رسول الله ﷺ : غَيِّروا الشَّيْبَ ولا تَشَبَّهُوا باليهودِ .

٨٩ - وكان جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم يخضبون ، وسُئِلَ عليٌّ عليه السلام عن خبر النبي ﷺ هذا فقال : إنما قال ﷺ ذلك والدينُ قُلٌّ ، فأما

٨٧ المنق: ١٢٣-١٢٤ وطبقات ابن سعد ١: ٨٦، ٨٧ وانظر الأوائل لابن قتيبة: ٣١ وما يلي
الفقرة: ٩٧ .

١ المنق: حكم (أي انتهى سنه) .

الآن وقد اتسع نطاقه وضربَ بجرائه فامرؤٌ وما اختار .

٩٠ - وقد أحسن ابن الرومي في قوله : [من الطويل]

إذا دامَ للمرءِ الشبابُ ولم تدمْ غَضَارَتُهُ ظَنَّ الشَّبَابَ خضابا
فكيف يظنُّ المرءُ أنَّ خضابَهُ يُخالُ سواداً أو يُظنُّ شبابا

٩١ - الخضاب بالسواد مكروه ، قال رسول الله ﷺ : خيرُ شبابكم مَنْ تَشَبَهَ بشيوخكم ، وشرُّ شيوخكم مَنْ تَشَبَهَ بشبابكم ، ونهى عن الخضاب بالسواد وقال : هو خضابُ أهلِ النار ، وفي لفظ آخر : الخضابُ بالسواد خضابُ الكفار ، والخضاب بالحمره والصفرة جائزٌ تليساً للشيب على الكفار في الغزو والجهاد . وقال ﷺ : الصُّفْرَةُ خضابُ المؤمنين ، وكانوا يخضبون بالحناء للحمرة ، وبالخلوقِ والكتَمِ للصفرة ، وخَضَبَ بعضُ العلماءِ بالسَّواد ، وذلك لا بأسَ به إذا صَحَّتِ النِّيَّةُ ، ولم يكن فيه هوىٌّ وشهرة .

٩٢ - قال محمود الوراق في إنكار الخضاب : [من مجزوء الكامل]

يا خاضبَ الشَّيبِ الذي في كلِّ ثالثةٍ يعودُ
إنَّ النُّصُولَ إذا بدا فكأنه شيبٌ جديدُ
فَدَعِ المشيبَ لما تريدُ فد فلن يعودَ كما تريدُ

٩٣ - ولاين المعتز يعتذر عن ذلك : [من المتقارب]

- ٩٠ تاريخ بغداد للخطيب ١٢ : ٢٤ ومعاهد التنخيص ١ : ١١٥ ومجموعة المعاني : ١٢٦ وديوان ابن الرومي : ٢٤٣ .
- ٩١ الحديث «خير شبابكم . . .» في الجامع الصغير ٢ : ١٠ وبهجة المجالس ٢ : ٢١١ وحديث «الصفرة صبغة المؤمن» في الجامع الصغير ٢ : ٥٠ .
- ٩٢ التشبيهات : ٢٢٣ (بيتان فقط) وحماسة ابن الشجري : ٢١٧ وبهجة المجالس ٢ : ٢١٦ ونهاية الأرب ٢ : ٣٠ .
- ٩٣ التشبيهات : ٢٢٣ وأمالي القالي ١ : ١١٠ ومحاضرات الراغب ٣ : ٣٣٤ ونهاية الأرب ٢ : ٢٩ وديوان ابن المعتز (ليون) ٤ : ٢٠٤ .

وقالوا النصولُ مشيبٌ جديدٌ فقلتُ الخضابُ شبابٌ جديدٌ
إساءةٌ هذا بإحسانٍ ذا فإن عادَ هذا فهذا يُعودُ

٩٤ - وقال أبو الفرج حمد بن خلف الهمداني: [من الطويل]

وأنكرَ جاراتي خضابَ ذوائي وهنَّ به سوَّدنَ بيضَ الأناملِ
فواعجبا منهنَّ ينكرنَ باطلاً عليّ ولم يجلبنَ قلبي باطلِ
فَسَلَّ مشيبي من خضابي كأنما تُسَلُّ من الأغمادِ بيضُ المناصلِ
وكتت متى أبدى النصولُ بياضها رأيتُ نصولاً رُكِّبتُ في مقاتلي

٩٥ - حَدَّثَ بعضهم قال : خرجتُ إلى ناحيةِ الطفاوةِ فإذا أنا بامرأةٍ لم أرَ
أحسنَ منها فقلتُ : أيتها المرأةُ إن كانَ لكِ زوجٌ فبارك اللهُ لكِ فيه ، وإلا
فأعلميني ، قال فقالت : وما تصنع بي وفيّ شيءٌ لا أراكِ ترتضيه ، قلتُ : وما
هو؟ قالت : مشيبٌ في رأسي ، قال : فثنيتُ عِنانَ دابَّتِي راجعاً ، فصاحت بي :
على رسلك أخبرك بشيءٍ ، فوقفتُ وقلتُ : ما هو يرحمك اللهُ ؟ قالت : والله ما
بلغتِ العشرين بعد وهذا رأسي (وكشفتُ عن عناقيدِ كالحُمم) وما رأيتُ في
رأسي بياضاً قط ، ولكن أحببتُ أن تعلمَ أنا نكرهُ منكم ما تكرهونَ منا
وأنشدت : [من الوافر]

أرى شيبَ الرجالِ من الغواني بموضعِ شيبهنَّ من الرجالِ

قال : فرجعتُ خجلاً كاسفَ البالِ .

٩٦ - قال الأصمعي : بلغني عن بعض العرب فصاحةٌ ، فأتيته لأسمعَ من

٩٥ نهاية الأرب ٢ : ٢٥ وقارن بربيع الأبرار ٢ : ٤٤٥ والبيت «أرى شيب الرجال» ورد في عيون
الأخبار ٤ : ٤٥ ومحاضرات الراغب ٣ : ٣٢٥ (ونسب للمنتهي) وربيع الأبرار ٢ : ٤٤٥
(ونسب للنميري) .

٩٦ ورد هذا الخبر في المجلس الصالح (المجلس : ٨٧) وفيه بيتان ، والأول من الأبيات مع آخر في
التشبيهات : ٢١٦ .

كلامه ، فصادفته وهو يخضب ، فلما رآني قال : إِنَّ الخضابَ لمن مقدّمات
الضعف ، ولئن كنتُ قد ضعفتُ فطالما مشيتُ أمامَ الجيوش ، وعودتُ على
الوحوش ، ولهوتُ بالنساء ، واختلّتُ في الرّداء ، وأرويتُ السيف ، وقريتُ
الضيّف ، وأبّيتُ العارَ ، وحميتُ الجار ، وغلبتُ القُروم ، وعاركتُ الخصوم ،
وشربتُ الرّاح ، ونادمتُ الجحجاج ، فاليوم قد حناني الكبير ، وَضَعَفَ البصر ،
وجاءني بعد الصّفو الكدّر ، ثم أنشد : [من البسيط]

شيبٌ نعللُهُ كيما ندلّسُهُ كهيئةِ الثوبِ مطويّاً على حُرْقِ
قد كنتُ كالغصنِ تترأخُ الرّياحُ له فصرتُ عوداً بلا ماءٍ ولا ورقِ
صبراً على الدهرِ إنّ الدهرَ ذو غيرِ وأهلُهُ فيه بين الصّفو والرّثقِ

٩٧ - يقال : إنّ أولَ مَنْ خضبَ بالسوادِ فرعون ؛ وتزوِّج رجلٌ على عهد
عمر رضي الله عنه فكان يخضبُ بالسواد ، فنصل خضابُهُ وظهرتُ شيبتهُ ،
فرفعه أهلُ المرأةِ إلى عمر فردّ نكاحه وأوجعه ضرباً ، وقال غَزَرَتَ القومَ
بالشباب ، وَكَبَسَتْ عليهم بشيبتك .

٩٨ - سئل الحسن عن الخضاب فقال : هو جَزَعٌ قبيح .

٩٩ - قال أسماء بن خارجة لجاريته اخضيني ، قالت : حتى متى أرفّعكَ ،

فقال : [من البسيط]

عَيَّرْتَنِي خَلَقاً أبلتُ جدّتهُ وهل رأيتُ جديداً لم يُعدْ خَلَقاً

١٠٠ - المتنبي : [من الطويل]

وما خَضَبَ الناسُ البياضَ لأنّه قبيحٌ ولكن أحسنُ الشّعْرِ فاحمُهُ
مُشِبُّ الذي ييكي الشبابَ مُشيبُهُ فكيفَ تَوَقَّيهِ وبانيهِ هادِمُهُ

١٠٠ ديوان المتنبي : ٢٤٦ والأول في نهاية الأرب ٢ : ٢٩ .

الفصل الرابع أخبار المُعَمَّرِينَ

١٠١ - زعموا أنَّ الربيع بن ضبع الفزاري كان من المُعَمَّرِينَ ، وأنه دخل على بعض خلفاء بني أمية فقال له : وأبيك يا ربيعُ لقد طلبك جدُّ غيرِ عاشر ، ثم قال : فَصَلِّ لي عمرُك ، قال : عشتُ مائتي سنة في الفترة ، فترة عيسى بن مريم ، وعشرين ومائة سنة في الجاهلية ، وستين في الإسلام ، فقال : أخبرني عن الفتية من قريش المتواطئي الأسماء ، قال : سَلْ عن أيَّهم شئت ، قال : أخبرني عن عبدالله بن عباس ، قال : فَهَمُّ وعلم وعطاء جذم ، ومقرىء ضخم ، قال : فأخبرني عن عبدالله بن عمر ، قال : حلمٌ وعلمٌ وطولٌ كظمٌ وبعدٌ عن الظلم ، قال : فأخبرني عن عبدالله بن جعفر ، قال : ريحانةٌ طيبٌ ريحها ، لئن مسَّها ، قليل على المسلمين ضرُّها ، قال : فأخبرني عن عبدالله بن الزبير ، قال : جَبَلٌ وَعَرٌّ ينحدر منه الصخر ، قال : لله دَرَكٌ يا ربيع ما أَخْبَرَكَ بهم ! قال : يا أمير المؤمنين قُرَبَ جوارِي وَكَثْرَ استخبارِي .

١٠٢ - أتني معاويةُ برجلٍ من جُرْهُمٍ قد أتت عليه الدهور ، فقال له : أخبرني عما رأيت في سالفِ عُمرِك ، قال : رأيتُ مثلَ ما رأيت ، رأيت الدنيا ليلة في إثر ليلة ، ويوماً في إثر يوم ، ورأيتُ الناسَ بين جامعٍ مَلاً مُفَرَّقاً ، ومفَرَّقٍ مَلاً مجموعاً ، وبين قويٍّ يُظَلِّم ، وضعيفٍ يُظَلَّم ، وصغيرٍ يكبر ، وكبيرٍ يَهْرَم ، وحيٍّ يموت ، وجنين يولد ، وكلُّهم بين مسرورٍ بموجود ، ومحزونٍ بمفقود .

والعرب لا تَعُدُّ مُعَمَّرًا إلا من بلغ مائةً وعشرين سنة فصاعداً .

١٠١ هناك طرف من أخباره في المعمرين ، ولكنه لم يورد النصَّ المثبت هنا .

١٠٣ - ومن المعمرين المستوغر بن ربيعة ، وهو عمر بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مرّ ، قيل إنه أدرك الإسلام أو كادَ يدركُ أوله ، ونسبه إلى تميم ، وبقاؤه إلى الإسلام أو قبله يدلُّ على طول بقائه ، قيل إنه عاش ثلاثمائة وعشرين سنة حتى قال : [من الكامل]

ولقد سمعتُ من الحياة وطولها وعمرتُ من عددِ السنين مئينا
مائةٌ أتت من بعدها مائتان لي وازددتُ من عددِ الشهور سنينا
هل ما بقي إلا كما قد فاتنا يومٌ يكرُّ وليلةٌ تحُدونا
وإنما سُمِّي المستوغر لبيتِ قاله وهو : [من الوافر]

يَنيشُ الماءُ في الرِّبَلاتِ منها نشيشَ الرضفِ في اللبنِ الوغيرِ

الرِّبَلات : واحدها رِبَلَةٌ بفتح الباء وإسكانها ، وهي لحمَةٌ غليظة ، والرِّضْف : الحجارة المحماة ، والوغير : لبنٌ تُلقَى فيه حجارة محماة ثم يُشْرَب ، أُخِذَ من وغيره الظهيرة ، وهي أشدُّ ما يكونُ من الحرِّ ، ومنه وَغَرَ صدرُ فلانٍ يَغْرُ وغراً إذا التهب من الغيظ من غضب أو حقد .

١٠٤ - ومنهم دويد^١ بن زيد بن نهد بن زيد بن أسلم بن الحلاف بن قضاة : قال أبو حاتم : عاش دويد بن زيد أربعمئة سنة وستاً وخمسين سنة .

وقال ابن دريد : لما حَضَرَتْ دويد بن زيد الوفاة قال لبنيه : أوصيكم بالناس شراً ، لا ترحموا لهم عبْرَةً ، ولا تُقِيلُوا لهم عَثْرَةً ، قَصْرُوا الأَعِنَّةَ ، وَطَوَّلُوا الأَسِنَّةَ ،

١٠٣ المعمرون : ١٢-١٣ وأمالي المرتضى ١ : ٢٣٤-٢٣٥ والشعر في طبقات ابن سلام : ٣٣ .
١٠٤ دويد وشعره في المعمرون : ٢٥-٢٦ وأمالي المرتضى ١ : ٢٣٦-٢٣٧ وقوله : «اليوم بيني ودويد ...» في طبقات ابن سلام : ٣٢ وكذلك قوله : «ألقي عليّ الدهر» .

١ في الأصل : دريد ، حيثما ورد .

واطعنوا شزراً ، واضربوا هبراً ، وإذا أردتم المحاجزة فقبل المناجزة ؛ والمرء يعجز لا
 المحالة ، بالجد لا بالكد ، التجلد ولا التبلد ، المية ولا الدنية ، لا تأسوا على فائت
 وإن عزَّ فقده ، ولا تحنوا إلى ظاعن وإن أُلِفَ قُرْبُهُ ، ولا تطمعوا ، ولا تهنؤا
 فتجزعوا ، ولا يكون لكم المثلُ السوء ، إن الموصين بنو سهوان ، إذا مُتُّ
 فأرجبوا حطاً مضجعي ولا تصبوا عليَّ برحب الأرض ، وما ذاك بموؤدٍ إليَّ نفعاً ،
 ولكن حاجةً نفسٍ خامرها الإشفاق . ثم مات ؛ وهو القائل عند موته :
 [من الرجز]

اليوم يُننى لدويدِ يئنه يا رُبَّ نهبٍ صالحٍ حوئنه
 ورُبَّ قرينٍ بطلٍ أرذئنه ومعصمٍ مُخضِبٍ ثئنه
 لو كان للدهرِ بليُّ أبلئنه

[من الرجز] ومن قوله أيضاً :

ألقى عليَّ الدهرُ رجلاً ويدًا والدهرُ ما أصلح يوماً أفسداً
 يُفسدُ ما أصلحه اليوم غداً

قوله : الموصون بنو سهوان مثلٌ ، أي لا تكونوا كمن تقدم إليهم فسهوا
 وأعرضوا عن الوصية .

١٠٥ - ومن المعمرين عبيد بن شريفة ، أتى عليه مائتان وعشرون سنة ، سأله
 معاوية عمّن رأى من القرون ، فقال : أدركتُ الناسَ يقولون : ذهبَ الناسُ .

١٠٦ - وممن عمّر عدي بن حاتم الطائي ، ولما غلبَ المختارُ بن أبي عبيد
 على الكوفة وقع بينهما ، فهَمَّ عدي بالخروج عليه ، ثم عجزَ لكبيرِ سنّه ، وكان
 قد بلغ مائة وعشرين سنة وقال : [من المنسرح]

١٠٥ المعمرون : ٥٠ .

١٠٦ المعمرون : ٤٦ .

أصبحتُ لا أنفعُ الصديقَ ولا أمليكَ ضرراً للشانئِ الشرسِ
وإن جرى بي الجوادُ منطلقاً لم تملك الكفُّ رجعةَ الفرسِ

١٠٧ - وعُمَرُ زهير بن أبي سلمى المزني مائةً وثمانين سنين فقال :
[من الطويل]

بدا لي أني عشت تسعينَ حجةً خلعتُ بها عن منكبِي ردايئا
بدا لي أني لستُ مُدركُ ما مضى ولا سابقاً شيئاً إذا كان جايئا
وما إن أرى نفسي تقيها كريمتي وما إن تقي نفسي كريمةَ ماليا

١٠٨ - وروي أن أكنم بن صيفي طال عمره فقال : [من الطويل]

وإن امرءاً قد عاش تسعينَ حجةً إلى مائةٍ لم يسأم العيش جاهلُ
مضت مائتان غيرَ ستٍّ وأربعٍ وذلك من عدِّ الليالي قلائلُ

١٠٩ - وقيل إن رجلاً من جرهم وفد على معاوية بن أبي سفيان وقد أتتْ
عليه مائتان وأربعون سنة ، فقال له معاوية : ممّن الرجل ؟ قال : من جرهم ،
قال : وهل بقي من جرهم باقٍ ؟ ! قال : بقيت ولو لم أبق لم ترني ، فقال له
معاوية : صِف لي الدنيا وأوجِز ، قال : نعم سُنَيَاتِ رخاءٍ وسُنَيَاتِ بلاءٍ ، يُولَدُ
مولودٌ ويَهْلِكُ هالكٌ ، ولولا المولودُ لباد الخلق ، ولولا الهالكُ لضاقَتِ الأرضُ
بأهلها ، ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

وما الدهرُ إلا صَدْرُ يومٍ وليلةٍ ويولَدُ مولودٌ وَيَفْقَدُ فاقدُ
وساعٍ لرزقٍ ليس يُدْرِكُ رِزْقَهُ ومهدىً إليه رِزْقُهُ وهو قاعدُ

١٠٧ المعمرون : ٨٣-٨٤ .

١٠٩ المعمرون : ١٠-١١ .

١١٠ - ومنهم زهير بن جناب بن هبل بن عبدالله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان ابن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك ابن عمرو بن زيد بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير .

قال أبو حاتم : عاش زهير بن جناب مائتي سنة وعشرين سنة ، وأوقع مائتي وقعة ، وكان سيداً مطاعاً شريفاً في قومه ، ويقال : كان فيه عَشْرُ خصال لم تجتمع في غيره من أهل زمانه ، كان سيداً قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم وقائدهم إلى الملوك وطبيهم ، والطبُّ في ذلك الزمانِ شرف ، وحَازي قومه : أي كاهنهم ، وكان فارسَ قومه ، وله البيتُ فيهم والعدد منهم . وأوصى بنيه فقال : يا بني إني قد كبرت سني ، وبلَّغتُ حرساً من دهري ، فأحكمتني التجاربُ والأمور تجربةً واختباراً ، فاحفظوا عني ما أقولُ وعوا ، وإياكم والخورُ عند المصائب ، والتواكلُ عند النوائب ، فإن ذلك داعيةٌ للغمِّ وشماتةُ العدوِّ وسوء الظنِّ بالربِّ . وإياكم أن تكونوا بالأحداثِ مغترِّين ، ولها آمين ، ومنها ساخرين ، فإنه ما سخِرَ قومٌ قط إلا ابتلوا ، ولكن توقَّعوها ، فإنما الإنسانُ في الدنيا غرض تَعَاوَرَهُ الرماةُ ، فمقصرٌ دونه ومجاوِزٌ موضعه ، وواقعٌ عن يمينه وشماله ، ثم لا بدُّ أنه مُصيبةٌ .

وكان زهير بن جنابٍ على عهدِ كليبٍ وائلٍ ، ولم تجتمعَ قُضاعةٌ إلا عليه وعلى رزاح بن ربيعة . وسمع زهير بعضَ نساته تتكلمُ بما لا ينبغي أن تتكلمَ به امرأةٌ عند زوجها فناهاها ، فقالت : اسكتْ عني وإلا ضربتك بهذا العمود ، فوالله ما كنتُ أراكُ تسمع شيئاً وتعقله فقال : [من الطويل]

١١٠ أخبار زهير بن جناب وأشعاره في أمالي المرتضى ١ : ٢٣٨-٢٤١ وقوله «ابني إن أهلك فقد» في العمرون : ٣٣ وطبقات ابن سلام ٣٦-٣٧ ؛ وقوله «لقد عمرت حتى ما أبالي . . . » في العمرون : ٣٤ .

ألا يا لَقَوْمِي لا أَرَى النَجْمَ طالِعاً
 معزيتي عند الفقا بعمودها
 أمينٌ على سرِّ النساءِ وربما
 أكونُ على الأسرارِ غيرَ أمينِ
 فللموتُ خيرٌ من جداجٍ مُوطأٍ
 مع الظَّعنِ لا يأتي المحلَّ حينِ
 وهو القائل : [من الكامل المجزوء]

أُبنيَّ إنَّ أَهْلِكَ فَقَدْ أَوْرَثْتَكُمْ مَجْداً بَيْنَهُ
 وَتَرَكْتُمْ أَبْناءَ ساءِ داتِ زِناذُكُمْ وَرِيَهُ
 مِنْ كُلِّ ما نالَ الفَتى قَدْ نالَتْهُ إِلا التَّحِيه
 فَالموتُ خَيْرٌ لِلْفَتى فليهلَكَنَّ وَبِهِ بَقِيَهُ
 مِنْ أن يُرَى الشَّيخَ البِجا لَ وَقَدْ تهادى بِالعِشِيه

وقال ، وقد مضت له مائتا سنة من عمره : [من الوافر]

لقد عُمِّرْتُ حتَّى ما أُبالي أحتفي في صباحي أم مسائي
 وحُقَّ لمن أتتْ مائتان عاماً عليه أن يَمَلَّ من الشَّواءِ

١١١ - ومن المُعَمَّرِينَ ذو الإِصْبَعِ العَدوانِي ، واسمه حُرْثان بن مُحَرِّث بن الحارث بن ربيعة بن وهب بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عَتَّاب بن يشكر بن عدوان ، وهو الحارث بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر ، وإنما سمي الحارث عدوان : لأنه عدا على أخيه فهمم بقتله ، وقيل بل فقأ عينيه ، وقيل إن اسم ذي الإصبع حرثان بن حويرث ، وقيل : ابن حرثان بن حارثة ، ويكنى : أبا عدوان ، وسبب لقبه بذِي الإِصْبَعِ : أن حَيَّةً نهسته على إصبعه فَشَلَّتْ فَسَمِّيَ بِذلِكَ ، ويقال : إنه عاش مائة وتسعين سنة .

١١١ أخبار ذي الإصبع في أمالي المرتضى ١ : ٢٤٤-٢٥١ .

وقال أبو حاتم : عاش ثلاثمائة سنة . وهو أحد حكام العرب في الجاهلية ،
وروي أنه كان أثرم ، وروي عنه : [من الكامل المرفل]

لا يبعدنْ عصر الشباب ولا لذاتِهِ ونباتِهِ النضيرِ
لولا أولئك ما حَقَلْتُ متى عُوليتُ في حَرَجِي إلى قَبْرِي
هَزَيْتُ أُثَيْلَةً أَنْ رَأَتْ هَرَمِي وَأَنْ انْحَنَى لتَقَادِمِ ظَهْرِي

وخبر بناته اللواتي زَوَّجَهُنَّ مشهورٌ يرد في موضعه . وهو القائل : [من الوافر]

إذا ما الدهرُ جَرَّ على أناسٍ كلاكله أناخَ بآخرينا
فقلْ للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

١١٢ - ومن المُعَمَّرِينَ معدي كرب من آل ذي رعين ، وهو القائل وقد
طال عمره : [من الوافر]

أراني كلِّما أفنيتُ يوماً أتاني بَعْدَهُ يومٌ جديدُ
يعودُ ضياؤه في كلِّ فجرٍ ويأبى من شبابي لا يعودُ

١١٣ - ومن المُعَمَّرِينَ أبو الطمحان القيني ، واسمه حنظلة بن الشرقي من
بني كنانة بن القين .

قال أبو حاتم : عاش أبو الطمحان القيني مائتي سنة ، وقال في ذلك :
[من الوافر]

حَتَّتَنِي حانِياتُ الدهرِ حتى كَأني خاتِلٌ يدنو لِصَيْدِ
قصير الخطو يحسبُ من رأني ولستُ مقيداً أمشي بقيدِ

١١٢ خبر معدي كرب وشعره في أمالي المرتضى ١ : ٢٥٣ .

١١٣ خبر أبي الطمحان في المعمرين : ٧٢ وأمالي المرتضى ١ : ٢٥٧-٢٦٣ وانظر أمالي القالي ١ :

١١٤ - ومن المُعَمَّرِينَ عبد المسيح بن بُقَيْلَةَ الغَسَّانِي ، وبقيلة اسمه ثعلبة ، وقيل : الحارث ، وإنما سُمِّيَ بقيلة لأنه خرج على قومه في بُرْدَيْنِ أخضرين ، فقالوا له : ما أنت إلا بُقَيْلَةَ فسمِّيَ بذلك . وذكر ابن الكلبي وأبو مخنف وغيرهما أنه عاش ثلاثمائة وخمسين سنة ، وأدرك الإسلامَ ولم يسلم وكان نصرانياً . وروي أن خالد بن الوليد لما نزل الحيرة وتحصَّنَ أهلها منه ، أرسل إليهم : ابعثوا لي رجلاً من عقلائكم وذوي أسنانكم ، فبعثوا إليه عبد المسيح بن بقيلة ، فأقبل يمشي حتى دنا من خالد ، فقال : أنعم صباحاً أيها الشيخ ، قال : قد أغنانا الله عن تحيتك هذه ، فمن أين أقصَى أثركَ أيها الشيخ ؟ قال : من ظَهَرَ أبي ، قال : فمن أين خرجت ؟ قال : من بطنِ أُمِّي ، قال : فعلامَ أنت ؟ قال : على الأرض ، قال : ففيم أنت ؟ قال : في ثيابي ، قال : أتعقلُ لا عقلت ؟ قال : أي والله وأقيد ، قال : ابن كم أنت ؟ قال : ابن رجلٍ واحد ، قال خالد : ما رأيتُ كالِيومِ قط ، إني أسأله عن الشيء وينحوي بي في غيره ، قال : ما أنبأتك إلا عمّاً سألت ، فسل ما بدا لك ، قال : أعربُّ أنتم أم نبط ؟ قال : عربُّ استنبطنا ، ونبطُّ استعربنا ، قال : فحربُّ أنتم أم سلّم ؟ قال : بل سلّم ، قال : فما هذه الحصون ؟ قال : بنيناها لسفيه نحذر منه حتى يجيء الحليمُ بينها ، قال : كم أتى لك ؟ قال : خمسون وثلاثمائة سنة ، قال : فما أدركت ؟ قال : أدركتُ سفنَ البحر ترقى إلينا في هذا الجُرفِ ، ورأيتُ المرأةَ من أهل الحيرة مِكتَلُها على رأسها ، لا تزودُ إلا رغيضاً واحداً حتى تردَ الشام ، ثم قد أصبحت اليومَ خراباً ، وذلك دأبُ الله تعالى في العباد والبلاد . قال : ويده سم ساعة يقبله في كفه ، فقال له خالد : ما هذا في كفك ؟ قال : السمُّ ، قال : وما تصنعُ به ؟ قال : إن كان عندك ما يوافقُ قومي وأهلَ بلدي حمدتُ الله تعالى وقبلته ، وإن كانت الأخرى لم أكن أولَ مَنْ ساق إليهم ذلاً ، أشربه وأستريحُ من الحياة ، فإن ما بقيَ من عمري ليسير ، قال خالد :

١١٤ خبر عبد المسيح في أمالي المرتضى ١ : ٢٦٠ وتاريخ الطبري ١ : ٩٨١-٩٨٤ .

هاتِهِ ، فأخذه وقال : بِسْمِ اللَّهِ وبِاللَّهِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ الَّذِي لَا يَضُرُّهُ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ ثُمَّ أَكَلَهُ ، فَتَجَلَّتْهُ غَشِيَّةٌ ثُمَّ ضَرَبَ بِذَقْنِهِ فِي صَدْرِهِ طَوِيلًا ، ثُمَّ عَرَقَ وَأَفَاقَ فَكَأَنَّمَا نَشَطَ مِنْ عَقَالٍ ، فَرَجَعَ ابْنُ بَقِيلَةَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ : جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ شَيْطَانٍ أَكَلَ سَمًّا سَاعِيَةً فَلَمْ يَضُرَّهُ ، صَانِعُوا الْقَوْمَ وَأَخْرِجُوهُمْ عَنْكُمْ ، فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ مَصْنُوعٌ لَهُمْ ، فَصَالِحُوهُمْ عَلَى مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

وقال عبد المسيح : لما بنى بالحيرة قصره المعروف بقصر بني ببيعة : [من الوافر]

لَقَدْ بَنَيْتُ لِلْحَدَثَانِ حَصْنًا لَوْ أَنَّ الْمَرْءَ تَنَفَعَهُ الْحَصُونُ
طَوِيلَ الرَّأْسِ أَقْعَسَ مَشْمَخْرًا لِأَنْوَاعِ الرِّيَاحِ بِهِ حَتِينُ

وَذَكَرَ أَنَّ بَعْضَ مَشَايِخِ أَهْلِ الْحِيرَةِ خَرَجَ إِلَى ظَهْرِهَا فَخَطَّ دَيْرًا ، فَلَمَّا خَضَرَ مَوْضِعَ الْأَسَاسِ وَأَمَعْنَ فِي الْإِحْتِفَارِ ، أَصَابَ كَهَيْئَةَ الْبَيْتِ ، فَدَخَلَهُ فَإِذَا رَجُلٌ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ زَجَاجٍ ، وَعِنْدَ رَأْسِهِ كِتَابَةٌ : أَنَا عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنِ بَقِيلَةَ : [من الوافر]

حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ حَيَاتِي وَنَلْتُ مِنَ الْمَنَى بُلْغَ الْمَزِيدِ
وَكَافَحْتُ الْأُمُورَ وَكَافَحْتَنِي وَلَمْ أَحْفَلْ بِمَعْضَلَةٍ كَوُودِ
وَكَدْتُ أُنَالَ فِي الشَّرْفِ الثَّرِيًّا وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْخُلُودِ

١١٥ - وَمَنْ الْمُعَمَّرِينَ: النابغة الجعدي ، واسمه قيس بن عبد الله بن ربيعة ابن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، ويكنى : أبا ليلى .
وروى أبو حاتم السجستاني قال : كان النابغة الجعدي أسنَّ من النابغة

١١٥ أخبار النابغة الجعدي في أمالي المرتضى ١ : ٢٦٣-٢٦٤ والجليس الصالح (المجلس : ٩٠) وفيه قطعة من شعره وانظر شعره المجموع : ٣٦-٣٧ ، ١٦١-١٦٢ ، ١٩١ ، ٧٧-٧٨ .
وقوله «المرء يأمل أن يعيش . . .» في بهجة المجالس : ٢٣٣ (ونسب للبيد) وهو في الجليس الصالح (المجلس : ٨٩) وينسب للحارث بن حبيب الباهلي ، وأمالي القالي ٢ : ٨ وشعره في كبره في التشبهات : ٢١٩ أيضاً والمعمرن : ١٠٢ وحماسة البحرني : ٢٠٧ ومجموع شعره : ٢٣٩ (وتنسب الأبيات لغيره) .

الذبياني ، والدليل على ذلك قوله : [من الطويل]

تذكرت والذكرى تهيجُ على الهوى ومن حاجة المحزون أن يتذكراً
ندامايَ عند المنذرِ بن مُحرِّقٍ أرى اليومَ منهم ظاهرَ الأرضِ مقفراً
كهولٌ وشبانٌ كأنَّ وجوهَهُمْ دنائيرُ مما شيفَ في أرضِ قيصرَا

فهذا يدلُّ على أنه كان مع المنذر بن محرق ، والنابعة الذبياني كان مع النعمان بن المنذر بن محرق ، ويقال : إنَّ النابعةَ غير ثلاثين سنةً لا يتكلم ، ثم تكلم بالشعر ، ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة .

وروي عن هشام بن محمد الكلبي : أنه عاش مائة وثمانين سنة ، وروي ابن دريد عن أبي حاتم أنه عاش مائتي سنة ، ووفد النابعة على عبدالله بن الزبير في خلافته ، وروي أنه مات بأصبهان ، وبها كان ديوانه ، ومن شعره : [من الوافر]

ومن يكُ سائلاً عني فإني من الفتیانِ أيامَ الخنانِ

أيام الخنان : كانت للعرب قديمة ، هاج بها فيهم مرضٌ من أنوفهم وحلوقهم . وقال محمد بن حبيب : بل هي وقعةٌ كانت لهم ، قال قائل منهم وقد لقوا عدوهم خنؤهم بالرماح :

مَضَتْ مائةٌ لعامٍ وُلِدْتُ فِيهِ وَعَشْرٌ بَعْدَ ذَاكَ وَحِجَّتَانِ
فَأَبْقَى الدهرُ والأَيامُ مني كما أَبْقَى من السيفِ اليماني
يُفَلِّلُ وهو ماثورٌ جُرَازُ إِذَا جُمِعَتْ بِقائِمِهِ الِيدانِ

قيل : وعُمِّرَ بعد ذلك طويلاً ، ومن ذلك قوله : [من الكامل المجزوء]

المرءُ يأمل أن يعي شَ وطولُ عيشٍ قد يَضُرُّهُ
تفنى بشاشته وييد قى بعدَ حُلُوِّ العيشِ مُرُّهُ
وتسوؤه الأيامُ حت تى لا يَرى شيئاً يسرُّهُ

كم شامتٍ بي إن هلك تـ وقائلٍ للهِ دَرَّةٌ
 وتمثّل المتصورُ بهذه الأبيات عند موته . ومن شعره في المعنى : [من المتقارب]
 لبتُ أناساً فأفنيتهُم وأفنيتُ بعد أناسٍ أناساً
 ثلاثةً أهلين أفنيتهم وكان الإله هو المستأسأ
 ويروى أن النابغة كان يفتخر ويقول : أتيتُ النبي ﷺ وأنشدته :
 [من الطويل]

بلغنا السماءَ مَجْدَنَا وَجُدُونَا وَإِنَّا لَنبغِي فوقَ ذلكَ مظهرها
 فقال عليه السلام : أين المظهرُ يا أبا ليلى ؟ فقلتُ : الجنةُ يا رسولَ الله ، فقال عليه
 السلام : أجلُ إن شاء الله . وأنشده القصيدة ، فقال ﷺ : لا يُفَضُّ اللهُ فاك ،
 وفي روايةٍ أخرى : لا يُفَضُّ فوك ، فيقال : إنه لم يَسْقُطْ من فمه سِنٌّ ولا
 ضِرْسٌ .

ومن شعره في كبره : [من الكامل]

شيخٌ كبيرٌ قد تَخَدَّدَ لحمُهُ أفنَى ثلاثَ عمائمٍ ألوانها
 سوداءٌ داجيةٌ وَسَحَقَ مُفَوِّفٍ ودروسَ مُخَلَّقَةٍ تلوحُ هجانا
 ثم المنيةُ بعدَ ذلكَ كلُّه وكأنما يُعنى بذلكَ سوانا

١١٦ - ويزعمون أن أمانة بن قيس بن الحارث بن شيبان بن العاتك ابن
 معاوية الكندي عاش ثلاثمائة وعشرين ، وفي ذلك يقول المثلث النخعي :

١١٦ شعر المثلث النخعي في حماسة البحرى ٢٠٧-٢٠٨ .

١ المستأسأ : المستعاض .

[من الطويل]

ألا ليتني عُمِرْتُ يا أمَّ خالدٍ كعمرِ أمانةِ بنِ قيسِ بنِ شيبانِ
لقد عاش حتى قيل ليس بميتٍ وأفنى فَمَآماً من كهولِ وشبانِ
فحلَّتْ به من بعدِ حَرَسٍ وحقبةٍ دُوَيْهِيَّةٌ حلَّتْ بنصرِ بنِ دَهْمَانَ

١١٧ - ومنهم عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي ، قال عبد العزيز بن عمران : خرج أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي قبل الإسلام في نفرٍ من قريش يريدون اليمن ، فأصابهم عطشٌ شديدٌ ببعض الطريق ، فأمسوا على الطريق ، فساروا جميعاً فقال لهم أبو سلمة : إني أرى ناقتي تنازعني شقاً ، أفلا أرسلها وأتبعها ؟ قالوا : فافعل ، فأرسلنا ناقته وتبعها فأصبحوا على ماءٍ وحاضر ، فأسقوا وسقوا ، فإنهم لعلى ذلك إذا أقبلَ رجلٌ فقال : من القوم ؟ فقالوا : من قريش ، فرجع إلى شجرة أمام القوم فتكلم عندها بشيء ورجع فقال : لينطلق أحدكم معي إلى رجلٍ يدعوه ، قال أبو سلمة : فانطلقتُ معه ، فوقف بي تحت شجرة ، فإذا وكرٌ مغلق ، فصَوَّتْ يا أبة ، فزعزع شيخٌ رأسه فأجابه ، فقال : هذا الرجل ، فقال لي : ممن الرجل ؟ قلتُ : من قريش ، قال : من أيها ؟ قلتُ : من بني مخزوم بن يقظة ، قال : من أيها ؟ قلتُ : أنا أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة ، قال : ايهاة أنا ويقظة بسن واحد ، أتدري من يقول ؟ [من الطويل]

كَأَن لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجُونِ إِلَى الصِّفَا أُنَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ
بَلَى نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَاثِرُ

قلت : لا ، قال : أنا قائلها ، أنا عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي ،

١١٧ الشعر في هذا الخبر في مادتي «أجباد» و«عقعان» من معجم البلدان لياقوت ، والمنمق : ٣٥٥
والمعمرون : ٨ .

أتدري لم سمي أجياداً؟ قلت: لا، قال: جادت بالدماء يوم التقينا نحن وقطورا،
أتدري لم سمي فعيقان؟ قلت: لا، قال: لتقعقع السلاح على ظهورنا لما طلعتنا
عليهم منه.

١١٨ - دخل سليمان بن عبد الملك مسجد دمشق فرأى شيخاً يزحف
فقال: يا شيخ أيسرك أن تموت؟ قال: لا، قال: ولم، وقد بلغت من السن ما
أرى؟ قال: ذهب الشباب وشبهه، وبقي الكبير وخيره، إذا أنا قعدت ذكرت
الله، وإذا قمت حمدت الله، فأحب أن تدوم [لي] هاتان الخصلتان.

١١٩ - وقد جاءت الأخبار عن القرن الأول دالة على طول العمر المضاعف
على أعمار هذا العصر، فمن الحججة فيها عمر نوح عليه السلام في قومه الذي لا
خلاف فيه، دل عليه كتاب الله تعالى والتوراة وسائر الكتب.

وقال وهب: إن أصغر من مات من ولد آدم عليه السلام ابن مائتي سنة فبكته
الإنس والجن لحداثة سنه.

وقال عبدالله: كان الرجل ممن كان قبلكم لا يحتلم حتى تأتي عليه ثمانون
سنة.

١١٨ ربيع الأبرار ٢: ٤٢٢ .

١١٩ قول عبدالله «كان الرجل ممن كان قبلكم» في ربيع الأبرار ٢: ٤١٩ يليه قول وهب .

الفصل الخامس

نوادير هذا الباب

١٢٠ - قال سهل بن غالب الخزرجي في معاذ بن مسلم جدّ يحيى بن معاذ: [من المنسرح]

إن معاذ بن مسلم رجل
قد شاب رأسُ الزمانِ واكتهل الدُّ
قل لمعاذٍ إذا مررتَ به
يا بِكَرٍّ حواءٍ كم تعيشِ وكم
ليس لميقاتِ عمره أمدُ
دهرٌ وأثوابُ عمره جُدُ
قد ضجَّ من طولِ عمرِكَ الأبدُ
تسحبُ ذيلَ الحياةِ يا لُبُدُ
وَأنتِ فيها كأنَّكَ الودُدُ
كيف يكونُ الصُّداعُ والرمدُ
فاشخصِ ودعنا فإنَّ غايتك الـ

١٢١ - قيل لأعرابي: ألا تُغيِّرُ مشييكَ بالخضابِ؟ قال: ألا بلى! ففعل ذلك مرَّةً ثم لم يُعاوِذهُ، فقيل له: لِمَ لَمْ تُعاوِِدِ الخضابَ؟ فقال: يا هناه لقد تشد لحياي فجعلت إخالني ميتاً.

١٢٢ - نظر يزيد بن مزيّد الشيباني إلى رجلٍ ذي لحيةٍ عظيمةٍ وقد تَلَفَّفَتْ على صَدْرِهِ وإذا هو خاضبٌ، فقال له: إنَّكَ من لحيتك لفي مؤونةٍ؟ قال: أجل! ولذلك أقول: [من الطويل]

١٢٠ الحيوان للجاحظ ٣: ٤٢٣ وعيون الأخبار ٤: ٥٩ والعقد ٢: ٥٢ وثمار القلوب: ٣٧٧
وربيع الأبرار ٢: ٤٢٠ وابن خلكان ٥: ٢١٨-٢١٩.
١٢٢ ربيع الأبرار ١: ٨٤٨-٨٤٩.

لها درهمٌ للزيتِ في كلِّ جُمعةٍ وآخِرُ للحنَّاءِ يبتدرانِ
فلولا نوالٌ من يزيدَ بنِ مزيدٍ لصوتٌ في حافاتِها الجلمانِ

١٢٣ - قيل للجمَّازِ وقد أَسَنَّ: ما بقي من شهوتك للنساءِ؟ قال: القيادةُ
عليهنَّ .

١٢٤ - نظر شابٌ إلى شيخٍ تقارب خطاه فقال له: مَنْ قَيْدُكَ؟ قال: الذي
تركه يَفْتَلُ قَيْدُكَ .

١٢٥ - قال رجلٌ لجاريةٍ أراد شراءها: لا يريكِ شيبي فإنَّ عندي قوةٌ ،
قالت: أيسرُكَ أن عندك عجزواً مُغْتَلِمَةً؟ ! .

١٢٦ - بعض العرب: [من الرجز]

رأت شباباً بان واضمحلاً وفاتها الدهرُ به فولِّي
وصار شيخاً فانياً أنقحلاً فاستعبرتْ تَهْمُرُ سجلاً سجلاً
الإنقحل: المسن الذي تجاوز المائة .

تقولُ لِلْمَوْتِ بهذا أولى بئس امرؤٌ هذا لمثلي بَعْلًا

١٢٧ - مازح شيخٌ جاريةً من الأعراب فقالت: [من البسيط]

يا أيها الشيخُ ما عَنَّاكَ لِلغَزَلِ قد كنتَ في مقعدٍ عن ذا ومُعْتَزَلِ
رُضَّتَ القِلاصَ فلم تُحَكِّمْ رياضَتَها فاعمدْ برحلك نحو الجِلَّةِ الذُّلِّ

١٢٨ - صاح صبيٌّ بشيخٍ قد احدودب: بكم ابتعتَ هذه القوسَ يا عَمَّاهُ؟

١٢٣ نثر الدرِّ ٣: ٢٥٣ .

١٢٤ التشبيهات: ٢١٨ والبصائر ٥: ٦٤ (رقم: ٢٢٧) وبهجة المجالس ٢: ٢٣٠ وريح الأبرار

٢: ٤٤٣ .

١٢٦ انظر الشطر الثالث في اللسان (قحل) .

١٢٨ ربيع الأبرار ٢: ٤٤٤ .

قال : يا بنيّ إن عشتُ أعطيتها بغيرِ ثمن .
١٢٩ - رأى الخليلُ مع رجلٍ دفترًا بخطِّ دقيقٍ فقال : يا هذا أئمتستَ من
طولِ العمرِ ؟

١٣٠ - عبد المحسن الصُّوري : [من البسيط]

أهدى لي الشَّيبُ رجلاً منه ثالثةً وكنْتُ من قبله أمشي برجلين
هديةً كنتُ آباها فصيرها عليّ بالرغمِ مني قرّةَ العينِ

١٣١ - أبو نواس : [من الكامل]

قالوا كبرتَ فقلتُ ما كبرتُ يدي عن أن تُحَثَّ إلى فمي بالكاسِ

١٣٢ - نظر رجلٌ إلى فيلسوفٍ يؤدِّبُ شيخاً فقال : ما تصنع ؟ قال :
أغسلُ مسحاً لعله يبيض .

آخر باب الشَّيب ،

ويتلوه باب النسيب والغزل ،

والحمد لله أولاً وآخراً وحسبنا الله ونعم الوكيل .

١٣٠ لم نجدهما في ديوان عبد المحسن الصوري .

١٣١ ديوان أبي نواس : ١٦٢ .

البَابُ التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ
فِي الْغَزَلِ وَالنَّسِيبِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ الْإِعَانَةُ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَحْمُدُكَ عَلَى مَا سَتَرْتَ مِنَ الْعُيُوبِ ، وَأَسْبَلْتَ دُونَهُ مِنْ ذَنْبٍ لِي عَفْوِكَ
المطلوب ، ونستغفرُكَ مِنْ مُؤَبَّاتِ الذُّنُوبِ ، ونسألكَ عِصْمَةَ الْأَجْسَادِ
والقلوبِ ، حتى لا تسعى تلك إلى هواها ، ولا ترتعُ هذه عن هداها ، وأن تجعلَ
الصَّوْنَ لَنَا شِعَاراً ، والعَفَّةَ سَجِيَّتَنَا إِعْلَاناً وَإِسْرَاراً ، ولا تؤاخذنا بِلُغْوِ الْأَلْسِنَةِ
الناطقةِ عن قُلُوبِ سَلِيمَةٍ ، ولا بطَرْبِ النُّفُوسِ المُرْتَاحَةِ ما لم تكن ذا نِيَّةٍ سَنِيَّةٍ
وعزيمَةٍ ، ونسألكَ الصَّلَاةَ عَلَى نَبِيِّكَ الدَّاعِي إِلَى دَارِ السَّلَامِ ، الناهي عن الرهبانية
في الإسلام ، وعلى آله الأصفياء الكرام .

الباب التاسع والعشرون في النسيب والغزل

وهو اثنان وعشرون نوعاً :

هذا الباب تتداخل معانيه ، ويتضمن كل بيت منه صفة أخيه . فإن فصل
وأضيف كل معنى إلى بابه ، انقطع البيت عن قرينه ، وتبدد نظام تأليفه وترتيبه ،
فذهبت بهجة الكلام وسلب رونقه ، وعلى ذلك فقد أفردت منه عشرين نوعاً
مميزتها لحاجة شاهد إن دعت إليها وهي :

شدة الغرام والوجد ، الإعراض والصد والهجر ، الشوق والنزاع ، ذكر
الوداع ، المسرة باللقاء عند الإياب ، الطيف والخيال ، الرقة والنحول ، البكاء
والهمول ، إحماد المواصلة ولذة العناق ، شكوى البين والفراق واحتمالهما ، الأرق
والشهاد ، تعاطي الصبر والتجلد ، العذول والوشاة والرقيب ، وصف المحبوب ،
طيب الأفواه ، وصف الثغر ، إسرار الهوى وإعلانه ، عشق الحلائل ، غزل العباد
وتسألهم ، أخبار من قتل بالكمد .

وما عدا ذلك على كثرة فنونه وعدد ضروبه جعلته باباً واحداً ، وأبعثه بفصل
من نوادر هذا الباب ، على ما شرطته في أول الكتاب . وقد تجيء أبيات وأخبار
تتضمن عدة معانٍ من الأنواع المفردة ، فلا أرى حللاً نظامها وتفريق الثامها ،
فأضيفها إلى الفصل العام ، وأثبتها في بعض الأنواع إذا كان يتضمن معنى منها ،
محافظة على أن تلج الأسماع متصلة لم تسلب حسن ازدواجها ، وترد على القلوب
مكسوة رونق ألفتها واصطحبها ، والله الموفق للصواب .

النوع الأول شدة الغرام والوجد

١٣٣ - قال جرير : [من الكامل]

لا يستطيع أخو الصباية أن يرى حَجراً أصمَّ ولا يكونُ حديداً
اللهُ يعلمُ لو أردتُ زيادةً في الحبِّ عندي ما وجدتُ مزيداً

١٣٤ - وقال أيضاً : [من الكامل]

أسرى بخالدة الخيالٍ ولا أرى شيئاً أحبَّ من الخيالِ الطارقِ
إنَّ البليَّةَ مَنْ تملُّ حديثه فانشح فؤادك من حديثِ الوامقِ
أهواك فوق هوى النفوس ولم يزلُ ما بنتِ قلبي كالجنحِ الخافقِ

١٣٥ - وقال الصمة بن عبدالله القشيري : [من الطويل]

لعمري لئن كنتم على النأي والقلی بكم مثلُ ما بي إنكم لصديقُ
إذا زفرتُ الحبُّ صعَّدنَ في الحشا رُدْدنَ ولم يُنهجْ هنَّ طريقُ

١٣٣ ديوان جرير : ٣٣٧ .

١٣٤ ديوان جرير : ٣٨٩ .

١٣٥ الأغاني ٦ : ٤ وبهجة المجالس ١ : ٨١٧ ومجموعة المعاني : ٢٠٩ وديوانه : ١١٧ .

١ الديوان : لخالدة . . . طلاً .

١٣٦ - وقال بعض بني طيء : [من الطويل]

هَوَيْتُكَ حَتَّى كَادَ يَقْتَلَنِي الْهُوَى وَزَرْتُكَ حَتَّى مَلَّنِي^١ كُلُّ صَاحِبِ
وَحَتَّى رَأَى مِنِّي أَدَانِيكَ لِينَةً لَدَيْهِمْ^٢ وَلَوْلَا أَنْتَ مَا لَانَ جَانِبِي
أَلَّا حَبْنًا لَوْ مَا الْحَيَاءُ^٣ وَرَبْمَا مَنَحَتْهُ الْهُوَى مَنْ لَيْسَ بِالْمُتَقَارِبِ
بَأَهْلِي ظَبَاءٍ مِنْ رِبِيعَةٍ عَامِرٍ عَذَابُ الثَّنَايَا مُشْرِفَاتُ الذَّوَابِ^٤

١٣٧ - وقال المتنبي : [من الطويل]

وَمَا هِيَ إِلَّا نَظْرَةٌ بَعْدَ نَظْرَةٍ إِذَا نَزَلَتْ فِي قَلْبِهِ رَحَلَ الْعَقْلُ
جَرَى حُبُّهَا مَجْرَى دَمِي فِي مَفَاصِلِي فَأَصْبَحَ لِي عَنْ كُلِّ شُغْلٍ بِهَا شُغْلُ
كَأَنَّ رَقِيبًا مِنْكَ سَدًّا مَسَامِعِي عَنِ الْعَدْلِ حَتَّى لَيْسَ يَدْخُلُهَا الْعَدْلُ

١٣٨ - وقال البحتري : [من الطويل]

رَأَى الْبَرَقَ مَجْتَازًا فَبَاتَ بِلَا لُبِّ وَأَصْبَاهُ مِنْ ذِكْرِ الْبَخِيلَةِ مَا يُصْنِي
وَقَدْ عَاجَ فِي أَطْلَافِهَا غَيْرَ مُمْسِكِ لِدَمْعٍ وَلَا مُصْنَعٍ إِلَى عَدَلِ الرِّكْبِ
وَكَنتُ جَدِيرًا يَوْمَ أُعْرِفُ مَنْزِلًا لَأَلِّ سُلَيْمِي أَنْ يُعَنَّفَنِي صَحْبِي
وَبِي ظَمًا لَا يَمْلِكُ الْمَاءُ دَفْعَهُ إِلَى نَهْلَةٍ مِنْ رَيْقِهَا الْخَصِيرِ الْعَذْبِ

١٣٦ شرح الحماسة للتبريزي ٣ : ١٨٨ .

١٣٧ ديوان المتنبي : ٣٩-٤٠ .

١٣٨ ديوان البحتري : ١٠٤-١٠٥ .

١ فوقها في الأصل : لامني . وكذلك هي رواية التبريزي .

٢ الحماسة : رقة عليهم .

٣ ر : لوم الحياة .

٤ فوقها في (ر) الحقايب ؛ وكذلك هي في الحماسة .

تزوَّدتُ منها نظرةً لم تجدْ بها وقد يُؤخذُ العلقُ الممنعُ بالغصبِ
وما كان حظُّ العينِ من ذاك مذهبي ولكن رأيتُ العينَ باباً إلى القلبِ

١٣٩ - وقال أيضاً : [من الكامل]

شوقٌ إليك تفيضُ منه الأذمُّعُ وجوىٌ عليك تضيقُ عنه الأضلعُ
وهوىٌ تجدُّهُ الليالي كلما قدِّمتُ وترجعهُ السنونَ فيرجعُ
يقتادني طربي إليك فيغتلي وجددي ويدعوني هواك فأتبعُ
كلفاً بجبكٍ مولعاً ويسرُّني أنِّي امرؤٌ كلفٌ بجبكٍ مولعُ

١٤٠ - وقال أيضاً : [من الطويل]

قضى الله أني منك ضامنٌ لوعةٍ تقضى الليالي وهي ثاويٌ مقيمها
أميلُ بقلبي عنك ثم أردُّه وأعذِرُ نفسي فيك ثم ألومها

١٤١ - وقال جميل : [من الطويل]

أظنُّ هواها تاركي بمضيلةٍ من الأرضِ لا مالٌ لدي ولا أهلُ
محا حبُّها حبُّ الأولى كان قبلها وحلَّتْ مكاناً لم يكن حلٌّ من قبلُ

١٤٢ - وقال كثير : [من الطويل]

أريدُ لأنسى ذكرها فكأنما تمثَّلُ لي ليلي بكلِّ سبيلِ
وقالوا نأتُ فاخترتُ من الصبرِ والبكا فقلتُ البكا أشقى إذنُ لغليلِ

١٣٩ ديوان البحري : ١٣١٠-١٣١١ .

١٤٠ ديوانه : ٢٠٢٣ .

١٤١ لم ترد في ديوانه المجموع .

١٤٢ ديوان كثير : ١٠٨-١١٤ .

١٤٣ - وقال ذو الرمة : [من الطويل]

إذا ذكرت عندي أينُ لذكرها كما أنَّ من حرَّ السلاح جريحُ
ولي كبدٌ مقروحةٌ من ييعني بها كبداً ليست بذاتِ قروحِ
أبى الناسُ ويبَ الناسِ لا يشترونها ومنَ يشتري ذا عِلَّةٍ بصحيحِ

١٤٤ - وقال أيضاً : [من الطويل]

وجدتُ بها وَجَدَ الْمُضِلُّ بعيرهُ بمكَّةَ والحجاجُ غادِ ورائحُ
وجدتُ بها ما لم تجدُ أمُّ واحدٍ بواحدِها تُطَوِّى عليه الصفائحُ
وجدتُ بها ما لم يجدُ ذو حرارةٍ يراقبُ جَمَّاتِ الركيِّ البرائحُ

١٤٥ - وقال أيضاً : [من الطويل]

إذا غيَّرَ النَّايُ المحيِّينَ لم أجِدُ رسيسَ الهوى من ذكرِ مَيَّةَ يَبْرَحُ
فلا القُرْبُ يُدْني من هواها ملالةٌ ولا حُبُّها إن تَبْرَحِ الدارُ يَبْرَحُ
تَصَرَّفُ أهواءُ القلوبِ ولا أرى نصيبك من قلبي لغيرك يمنح
إذا خطرت من ذكرِ مَيَّةَ خَطَرَةٌ على القلبِ كادت في فؤادك تجرح
أناةٌ يطيبُ البيتُ من طيبِ نشرها بُعيدَ الكرى زينٌ له حين يصبح

١٤٣ لم يرد في ديوانه .

١٤٤ لم ترد في ديوانه .

١٤٥ ديوان ذي الرمة : ١١٩٢-١٢٠٠ (باختلاف في الترتيب) .

١ البيتان في ديوان المجنون : ٩٥ .

٢ هنا نقص في النسخ .

٣ الديوان : إن تنرح الدار ينرح .

لئن كانت الدنيا عليّ كما أرى تباريح من ذكراكِ لَلْمَوْتِ أَرْوَحُ
ويروى : من مَيُّ فَلَلموتُ أَرْوَحُ

١٤٦ - وقال أعرابي : [من الطويل]

أَيَا مُنْشِرَ الموتى أَعْنِي على التي بها نَهَلَتْ نفسي سَقَاماً وَعَلَّتْ
لقد بَخَلْتُ حتى لو اني سألتها قَدَى العين من سافي التراب لَصُنَّتْ
ألا قاتل الله الحمامة غُدُوَّةً على الغُصْنِ ماذا هَيَّجَتْ حين غَنَّتْ
تَغَنَّتْ بصوتٍ أعجميٍّ فهَيَّجَتْ هَوَايَ الذي كانت ضلوعي أَجَنَّتْ
فلو قَطَرَتْ عينُ امرئٍ من صبايةٍ دَمًا قَطَرَتْ عيني دَمًا وَأَلَمَّتْ
إذا قلتُ هذي زفرةُ اليوم قد مَضَتْ فمن لي بأُخْرَى في غدٍ قد أَطَلَّتْ
حلفتُ لها بالله ما أمُّ واحدٍ إذا ذَكَرْتُهُ آخَرَ الليلِ أَنْتِ
وما وجدُ أعرابيةٍ قذفتُ بها صُرُوفُ النوى من حيثُ لم تُكُ ظَنَّتْ
إذا ذكرتُ ماءَ العُضاهِ وطيبَهُ وَبَرَدَ حِصَاهُ آخَرَ الليلِ حَنَّتْ^٢
بأكثرَ مني لوعةً غيرَ أني أَجمِجُ أحشائي على ما أَجَنَّتْ

١٤٧ - وقال عروة بن حزام : [من الطويل]

وإني لتعروني لذكراكِ فِتْرَةٌ^٣ لها بين جلدي والعظامِ ديبُ

- ١٤٦ الأغاني ٥ : ٣٢٦-٣٢٧-٣٢٨ والحامسة البصرية ٢ : ١٤٣ وفي مجموعة المعاني : ٢٠٥
(الأول والثاني) وفي أمالي القالي ١ : ٢٣ (٤ أبيات) ١ : ١٣١ (٣ أبيات) .
١٤٧ الأغاني ٢٣ : ٣٠٦ والحامسة البصرية ٢ : ٢٠٩ .

- ١ الأغاني : حَنَّتْ .
٢ الأغاني : وبرد الحمى من بطن خبت أرنت .
٣ كعب فوقها في (ر) : عبرة .

وما هو إلا أن أراها فجاءةً فأبتهت حتى ما أكادُ أُجيبُ
 عشيةً لا عفرَاءَ منك بعيدةً فتسلو ولا عفرَاءَ منك قريبُ
 لكن كان بردُ الماءِ حرَّانَ صادياً إليَّ حيباً إنها لحبيبُ

١٤٨ - وقال عمرو بن ضبيعة : [من الطويل]

تضيقُ جفونُ العينِ عن عِبْرَاتِهَا فتسفحُهَا بعد التجلدِ والصبرِ
 وغصة صدرٍ أظهرتها فرقَّتْهُ حرارةٌ حرٌّ في الجوانحِ والصدرِ
 ألا ليقُلْ مَنْ شاءَ ما شاءَ إنما يُلامُ الفتى فيما استطاعَ من الأمرِ
 قضى الله حبَّ المالكيةِ فاصطبرُ عليه فقد تجرَى الأمورُ على قدرِ

١٤٩ - وقال خلف بن خليفة : [من الطويل]

سَلَبَتْ عِظَامِي لِحْمَهَا فَتَرَكْتَهَا مجردةً تضحى إليك وتخصرُ
 وأخلتِهَا من مَخَّهَا فَتَرَكْتَهَا أنابيبَ في أجوافها الريحُ تصفرُ
 إذا سمعتُ باسمِ الفراقِ تَقَعَّقَتْ مفاصلُهَا من هولٍ ما تتنظرُ
 خذي بيدي ثم ارفعي الثوبَ فانظري بي السقمَ إلا أنني أتسترُ
 وليس الذي يجري من العينِ ماؤها ولكنها روحٌ تذوبُ فتقطرُ

١٥٠ - وقال عبدالله بن الدمينه الخثعمي : [من الطويل]

أَقْضِي نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَالْمَنَى ويجمعني والهَمُّ بالليلِ جامعُ
 نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَأَ لي اللَّيْلُ هَزَّتْنِي إِلَيْكَ الْمُضَاجِعُ
 إِذَا نَحْنُ أَنْفَدْنَا الدَّمُوعَ عَشِيَّةً فموعدا قرناً من الشمسِ طالعُ

١٤٨ حماسة التبريزي ٣ : ١٨٧ والثالث والرابع في مجموعة المعاني : ٢٠٥ .

١٤٩ حماسة التبريزي ٣ : ١٩٦-١٩٧ (للحارثي) وأمالي القالي ١ : ١٦٢ .

١٥٠ ديوان ابن الدمينه : ٨٨ ، ٩٠ .

١٥١ - وقال أيضاً : [من الطويل]

يقولون مجنونٌ بسمراءٍ مُولَعٌ نعم زِيدَ في حبِّ لها وولوعُ
وإني لأخفي حبَّ سمراءٍ في الحشا^١ ويعلمُ قلبي أنه سيُشيعُ
أظُلُّ كأني واجمٌ لمصيبةٍ أَلَمَّتْ وأهلي سالمونَ جميعُ

١٥٢ - وقال أيضاً : [من الطويل]

ولما أباي إلا جماحاً فؤادُهُ ولم يَغْنِ^٢ عن ليلٍ بمالٍ ولا أهلٍ
تسلَّى بأخرى غيرها فإذا التي تسلَّى بها تُغري بليلي ولا تسلي

١٥٣ - وقال حسان بن ثابت : [من الطويل]

كأنَّ فؤادي في مخالبِ طائرٍ إذا ذكركِ النفسُ شدَّتْ به قَبْضًا
كأنَّ فجاجَ الأرضِ حلقةٌ خاتمٍ عليَّ فما تزدادُ طولاً ولا عرضاً

١٥٤ - وقال المأمون : [من المديد]

نَفْسٌ تَدْمِي مَسَالِكُهُ وحينئذٍ لستُ أملكُهُ
والذي أخفيه من سقمٍ فلسانُ الدمعِ يهتكُهُ

١٥٥ - وقال ديك الجن : [من الطويل]

كأنَّ على قلبي قطاةٌ تذكرت على ظمأٍ وِرْدًا فَهَزَّتْ جناحها

١٥١ ديوان ابن الدمينية : ٩١-٩٢ .

١٥٢ ديوانه : ٩٤-٩٥ وأما القالي ١ : ٢١٣ والحامسة البصرية ٢ : ١٧٣ .

١٥٣ لم ترد في ديوان حسان .

١٥٥ مجموعة المعاني : ٢١٠ وديوان ديك الجن : ١٦٣ .

١ الديوان : موهناً .

٢ فوقها في (ر) : تسلُّ .

ولي كبدٌ حرّى ونفسٌ كأنها بكفٌ عدوٌّ ما يريدُ سراحها

١٥٦ - وقال بعضُ بني قشيرٍ : [من الطويل]

ولما تبيّنت المنازلَ باللوى ولم تُقْضَ لي تسليمَةُ المتزوّدِ
زفرتُ إليها زفرةً لو حَشَوْتُها سراييلَ أبدانِ الحديدِ المسرّدِ
لَقَصَّتُ حواشيها وظلّلتُ لحرّها تليئُ كما لانت لداودَ في اليدِ

١٥٧ - وقال آخرٌ : [من الطويل]

إذا كنت لا يُسْلِيكَ عَمَّنْ تودّه تناءٍ ولا يشفيكَ طولُ تلاقٍ
فهل أنت إلاّ مستعيرٌ حُشاشَةً لمهجةٍ نفسٍ آذنتُ بفراقٍ

١٥٨ - وقال أبو الشيص الخزاعي : [من الكامل]

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخّرٌ عنه ولا مُتقدّمٌ
أجدُ الملامةَ في هواكٍ لذيدةً حبّاً لذكركِ فليلمني اللومُ
أشبهتُ أعدائي فصرتُ أحبّهم إذ كان حظّي منك حظّي منهم
وأهنتني فأهنتُ نفسي عامداً ما من يهونُ عليكِ ممّن أكرمُ
إن كان عندك قد أدلّني الهوى فبكلّ ناحيةٍ أعزُّ وأكرمُ

١٥٩ - وقال ابن الحجاج : [من الطويل]

بديعةٌ حُسنِ الوجهِ ليس بمنكرٍ عليكِ جوى قلبي ولا بديعِ

١٥٦ مجموعة المعاني : ٢١٠ .

١٥٧ مجموعة المعاني : ٢١٠ .

١٥٨ حماسة التبريزي ٣ : ١٧٤ والزهرة : ٦٠ وأمالى القالي ١ : ١٦٠ والحماسة البصرية ٢ :

١٤٩ .

١ تحتها في (ر) : بكف مليك .

سأبكيك لا أن المنى^١ يستفزني
ولكن نار الشوق لم أر مطفياً
تبدلت بي من لا يكون قنوعه
فعيشكما لا زال إلا منغصاً
لعود ووصل منك أو لرجوع
لها في فوادي مثل فيض دموعي
يسر وما تولينه كقنوعي
وشملكما لا زال غير جميع

١٦٠ - آخر : [من الطويل]

كأن هموم الناس في الأرض كلها
ولي شاهدا عدل سهاد وعبرة
علي وقلبي فيهم قلب واحد
وكم مدع للحب من غير شاهد

١٦١ - وقال أبو نواس : [من مجزوء الخفيف]

دع جناناً وذكرها
لا تذكر بنفسك الـ
عنك إن كنت عاقلاً
موت ما دام غافلاً

١٦٢ - عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي المغربي : [من الطويل]

أواجدة وجدي حمام أيكه
نشأوى وما مالت بخمر رقابها
أعدي حمامات اللوى إن عندنا
وكل غريب الدار يدعو همومه
تميل بها ميل الزيف غصونها
بواك وما فاضت بدمع عيونها
لشجوك أمثلاً يعود حنينها
غرائب محشود عليها شجونها

١٦٣ - أبو إسحاق الحصري الأنصاري المغربي : [من الكامل]

١٦١ ديوان أبي نواس : ٨٧٧ .

١٦٢ الأنموذج : ١٧٦ .

١٦٣ الأنموذج : ٤٧ .

١ في الأصل : المنى ، وكتب فوقها : البكا .

ولقد تَنَسَّمْتُ الرِّيحَ لعلَّني . أرتاحُ أن يعثنَ منكِ نسِما
فأثرنَ من حُرْقِ الصِّبَابِ كامنًا وأذعنَ من سرِّ الهوى مكتوما
وكذا الرِّيحُ إذا مررنَ على لظي نارٍ بدتُ ضرْمَها تَضْرِيما

النوع الثاني
في
الإعراض والصدّ

١٦٤ - قال البحرى : [من الطويل]

علمتك إن منيت منيت موعداً جهاماً وإن أبرقت أبرقت خلباً
فوأسفا حتام أسأل مانعاً وآمنُ خواناً وأُعيبُ مذنباً

١٦٥ - وقال أيضاً : [من الكامل]

أين الغزال المستعير من النقا كفلاً ومن نور الأفاحي مبسماً
تظما مراشفنا إليه ورئها في ذلك اللعس الممنع واللمى
متعّب في غير ما متعّب إن لم يجد جرماً لديّ^٢ تجرماً
ألف الصدود فلو يمر خيالهُ بالصب في سينة الكرى ما سلماً

١٦٦ - وقال عروة بن أذينة : [من الكامل]

إنّ التي زعمت فوادك ملها خلقت هواك كما خلقت هوى لها

١٦٤ ديوان البحرى : ١٩٧ .

١٦٥ ديوان البحرى : ١٩٥٨-١٩٥٩ .

١٦٦ حماسة التبريزى ٣ : ١٢١ وزهر الآداب : ١٦٦ والحماسة البصرية ٢ : ١٤٩ وشعر

عروة : ٣٥٨ .

١ الديوان : في حيث لا .

٢ الديوان : على .

بيضاءُ باكرها النعيمُ فصاغها بلباقيةً فأدقها وأجلها
حجبتُ تحيتها فقلتُ لصاحبي ما كان أكثرها لنا وأقلها
وإذا وجدتَ لها وسواسَ سلوةٍ شفَع الضميرُ إلى الفؤادِ فسألها

١٦٧ - وقال البحرى : [من البسيط]

تصرمَ الدهر لا وصلٌ فيطمعني فيما لديك ولا يأسُ فيسليني
ولستُ أعجبُ من عصيانِ قلبك لي يوماً إذا كان قلبي فيك يعصيني

١٦٨ - وقال آخر : [من الطويل]

إذا كان هذا منك حقاً فإنني مداوي الذي بيني وبينك بالهجر
ومنصرفٌ عنك انصرافَ ابنِ حرةٍ طوى وُدَّهُ والطيُّ أبقى من النشرِ

١٦٩ - وقال عبدالله بن الدُمينة : [من الطويل]

ولما بدا لي منك ميلٌ مع العدى عليّ ولم يحدُثْ سواكِ بديلُ
صددتُ كما صدَّ الرميُّ تطاولتُ به مدةُ الأيامِ وهو قتيلُ
وعزيتُ نفساً عن نوارٍ كريمةٍ عليّ بها من لوعةٍ وغيليلِ

١٧٠ - وقال أيضاً : [من الكامل]

وإذا غضبتِ عليّ بتُّ كأنني بالليلِ مستحرُّ الفؤادِ كليمُ

١٦٧ ديوان البحرى : ٢٢٤٧-٢٢٤٨ ومجموعة المعاني : ٢٠٦ .

١٦٨ حماسة التبريزي ٣ : ١٥٧ والحماسة البصرية ٢ : ١٨٠ .

١٦٩ أمالي القالي ١ : ٢١٧ وديوان ابن الدمينية : ٣٦ .

١٧٠ ديوان ابن الدمينية : ٤٨ ومنها ثلاثة أبيات في حماسة التبريزي ٣ : ١٧٨ .

١ الديوان : عمداً .

٢ الديوان : عتبت .

ولقد أردتُ الصبرَ عنكَ فعاقتني عَلَّقَ بقلبي من هواكِ قديمُ
 يبقى على حَدَثِ الزمانِ ورَّيْبِهِ وعلى جفائكِ إِنَّهُ لكرِيمُ
 واريئُهُ زماً فعادَ بجمِله إِنَّ الحبَّ عن الحبيبِ حلِيمُ
 وعتبتُ حينَ صحوتُ^١ وهو بدائِهِ شتَّى العتابِ مُصَحَّحٌ وسقِيمُ

١٧١ - وقال النظار الفقعسي : [من الطويل]

يقولون هذي أمُّ عمروِ قريةٌ دَنَتْ بِكَ أرضٌ نحوها وسماءُ
 ألا إِنَّمَا قُرْبُ الحبيبِ ويُعدُّهُ إذا هو لم يُوصلْ إليه سواهُ

١٧٢ - وقال ابن نباتة : [من المتقارب]

مَلَأَكَ عَلْمَني في هوا لِكُ أَن أتمنى النوى والصدودا
 وكيف السبيلُ إلى رَقْدَةٍ أَذْكَرُ طيفَكَ فيها العهودا

١٧٣ - وأغرب ابن الرومي فحمد الإعراضَ فقال : [من مجزوء الرجز]

ما ساءَني إِعراضُهُ عَنِّي ولكنَّ سَرَّني
 سالفَتاهُ عِوضٌ عن كلِّ شيءٍ حَسَنُ
 عِوضَني من حُسْنِهِ حَسناً فماذا ضَرَّني
 ما قلتُ أَن قد عَقَّني بالصدِّ إلا بَرَّني

١٧٤ - وقال قيس بن ذريح : [الطويل]

١٧١ حلية المحاضرة ٢ : ٢٢٥ ومجموعة المعاني : ٢٠٦ .

١٧٢ ديوان ابن نباتة : ٢ : ١٤٧ .

١٧٣ ديوان ابن الرومي : ٢٣٣٥ .

١٧٤ لم ترد في ديوانه .

وقد أيقنت نفسي بينك برهةً من الدهر لو يأتي بيأس يقينها
صلي الحبل يحمل ما سواه فإنه يُعفي على غث الأمور سمينها

١٧٥ - وقال إسماعيل بن يسار: [من الكامل]

لو تبدلين لنا دلالك مرةً لم نبيغ منك سوى دلالك محرماً
ما ضرَّ أهلك لو تطوّف عاشقٌ بفناء بيتك أو ألمٌ مُسلماً

١٧٦ - وقال أبو الطيب المتنبي: [من البسيط]

وما صباية مشتاقٍ على أملٍ من اللقاء كمشاقٍ بلا أملٍ
والهجرُ أقتل لي مما أفارقه أنا الغريقُ فما خوفي من البلل

١٧٧ - وقال ابن الحجاج: [من السريع]

يا مولعاً بالهجرٍ مهلاً فقد علّمتني الصبرَ على الهجرِ
وقد تسببت لقلبي إلى سلوّه من حيث لا تدري
صبراً وتسليماً وهل لي إذا جنت سوى التسليم والصبرِ
كم تتجنّى والتجنّي إذا فكّرت فيه أوّل الغدرِ

١٧٨ - عتب المأمونُ على عريبٍ وهجرها أياماً ، ثم اعتلت فعادها فقال :
كيف وجدتِ طعمَ الهجر ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين لولا مرارةُ الهجرِ ما عرفتُ
حلاوةَ الوصل ، ومن دمّ بدءِ الغضبِ حمداً عاقبةَ الرضى ؛ فخرج المأمون إلى
جلسائه فحدثهم بالقصة وقال : أترى لو كان من كلام النّظام لم يكن كثيراً ؟ .

١٧٥ الأغاني ٤ : ٤١٥ .

١٧٦ ديوان المتنبي : ٣٢٨ .

١٧٨ الأغاني ٢١ : ٩٠ .

١٧٩ - وَكَلَّمَهَا دَفْعَةً بِكَلَامٍ أَغْضَبَهَا فَهَجَرْتُهُ ، فَدَخَلَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ
فَقَالَ : يَا أَحْمَدُ اقْضِ بَيْنَنَا ، فَقَالَتْ عَرِيبٌ : لَا حَاجَةَ لِي فِي قِضَائِهِ وَدَخُولِهِ بَيْنَنَا ،
ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ : [مِنَ الْمُنْسَرَحِ]

وَنَخَلْتُ الْهَجَرَ بِالْوَصَالِ وَلَا يَدْخُلُ فِي الصَّلْحِ بَيْنَنَا أَحَدٌ

١٨٠ - وَقَالَ ابْنُ مُقْبِلٍ : [مِنَ الطَّوِيلِ]

فَأَصْبَحَنَ لَا يَسْقِينِنَا مِنْ مَوَدَّةٍ بِلَالاً وَلَوْ سَأَلْتُ بِهِنَّ الْأَبَاطِحُ
إِذَا النَّاسُ قَالُوا كَيْفَ أَنْتِ وَقَدْ بَدَأَ ضَمِيرُ الْهَوَى بِي قَلْتُ لِلنَّاسِ صَالِحُ
أُرِي النَّاسَ أَنِي لَا أَحَبُّ وَأَنْنِي سَلَوْتُ وَفِي قَلْبِي كَلُومٌ جَوَارِحُ

١٨١ - وَقَالَ عَتِيقُ بْنُ مَفْرَجٍ الْمَغْرِبِيُّ : [مِنَ الْكَامِلِ]

خُمْصَانَةٌ مِلءُ الْإِزَارِ إِذَا مَشَتْ تَمْشِي الْهَوِينَا خَطْوُهَا مَقْصُورُ
قَالَتْ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيَّ بِمَقْلَةٍ هَارَوْتُ مِنْ أَجْفَانِهَا مَسْحُورُ
عَرَّضْتُ نَفْسِي فِي الْهَوَى وَتَلَوْتُهَا إِنَّ الْمَحَبَّ عَلَى الْهَوَى لِحَسُورُ
مَا أَنْتِ أَوَّلُ مُغْرَمٍ هَجَرَ الْكِرَى لَمَا تَيَقَّنَ أَنَّهُ مَهْجُورُ

١٧٩ الأغانى ٢١ : ٩١ .

١٨٠ من قصيدة في ديوانه : ٤٠-٤٧ وقد سقط البيت الأول المذكور هنا .

١٨١ عتيق بن مفرج من أبناء تونس ، ترجم له ابن رشيق في الأنموذج : ٢٥٦ ولكن لم ترد أبياته
هنالك .

النوع الثالث

في

الشوق والنزاع

١٨٢ - قال ابن ميادة ، وهو الرماحُ بن أبرد : [من الطويل]

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً بحرّة ليلٍ حيث ربّني أهلي
بلادٌ بها نيطتْ عليّ تئاممي وقُطّعنَ عني حيثُ أدركني عقلي

وروي أن عبد السلام ابن القتال الكلابي أنشد ابن ميادة البيت الثاني فأغار عليه وأدخله شعره . يقال : ربّيته وربّته ، ومنه قول الأحموس : [من الطويل]

* وفي بيته مثلُ الغزال المرّيب *

١٨٣ - وقال آخر : [من الطويل]

لعمرك إني يومَ بانوا ولم أمتْ خفاناً على آثارهم لصبورُ
أهذا ولما تمض للبين ليلةً فكيف إذا مرّت عليك شهورُ

١٨٤ - وقال آخر : [من الطويل]

يقرُّ بعيني أن أرى من بلادها ذرى عقّدت الأجرع المتقاود

١٨٢ حماسة ابن الشجري : ١٦٦ وتنسب في الحماسة البصرية ٢ : ١٣٠ لغيره .

١٨٣ أمالي القالي ٢ : ٢٦٧ وحماسة ابن الشجري : ١٦١-١٦٢ والحماسة البصرية ٢ : ١٢٧ .

١٨٤ أمالي القالي ١ : ٦٣ والحماسة البصرية ٢ : ١٣٤ (لثعلبة الكلابي) وهي في السمط : ٢٢٦
لبنهان العشمي .

وَأَنْ أَرَدَ الْمَاءَ الَّذِي وَرَدَتْ بِهِ سُلِّمِي وَقَدْ مَلَّ السُّرَى كُلُّ وَاحِدٍ
وَأُلْصَقَ أَحْشَائِي بِبَرْدِ تَرَابِهِ وَلَوْ كَانَ مَزْجُجاً بِسَمِّ الْأَسَاوِدِ

١٨٥ - وقال جميل : [من الطويل]

وَمَا صَادِيَاتُ حُمْنٍ يَوْمًا وَلَيْلَةً عَلَى الْمَاءِ يَغْشَيْنَ الْعَصِيَّ حَوَانِي
لَوَابِثٌ لَا يَصْدُرْنَ عَنْهُ لَوْجَهِيَّةٌ وَلَا هُنَّ مِنْ بَرْدِ الْخِيَاضِ دَوَانِي
يَرَيْنَ حَبَابَ الْمَاءِ وَالْمَوْتُ دُونَهُ فَهِنَّ لِأَصْوَاتِ السَّقَاةِ رَوَانِي
بَأَوْجَعٍ مِنِّي جَهْدَ شَوْقٍ وَعُغْلَةٍ إِلَيْكَ وَلَكِنَّ الْعَدُوَّ عِدَانِي

١٨٦ - وقال أبو الطيب المتنبي : [من الطويل]

وَمَا شَرَقِي بِالْمَاءِ إِلَّا تَذَكَّرًا لِمَاءِ بِهِ أَهْلُ الْحَيْبِ نَزُولُ
يُحَرِّمُهُ لَمَعُ الْأَسِنَّةِ فَوْقَهُ فَلَيْسَ لظْمَانٍ إِلَيْهِ سَبِيلُ

١٨٧ - وقال آخر : [من الطويل]

رَعَاكَ ضِمَانُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَالِكِ وَلَلَّهُ عَنِ يَشْتِيكِ أَغْنَى وَأَوْسَعُ
يَذَكِّرُنِيكَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ وَالَّذِي أَخَافُ وَأَرْجُو وَالَّذِي أَتَوَقَّعُ

١٨٨ - وقال عبدالله بن نمير بن حسوسة الثقفي : [من الطويل]

تَعَزَّ بِصَبْرِ لَا وَجَدْتُكَ لَنْ تَرَى عِرَاضَ الْحِمَى إِحْدَى اللَّيَالِي الْغَوَابِرِ
كَأَنَّ فَوَادِي مِنْ تَذَكُّرِهِ الْحِمَى وَأَهْلَ الْحِمَى يَهْفُؤُ بِه رِيشُ طَائِرِ

١٨٥ ديوان جميل : ٢٠١ والمختار من شعر بشار : ٥٤ وزهر الآداب : ١٧٦ .

١٨٦ ديوان المتنبي : ٣٤٨ .

١٨٧ حماسة التبريزي ٣ : ١٥٢ والحماسة البصرية ٢ : ٢٢٢ .

١٨٨ الأغاني ٦ : ٦ (للصمة القشيري) .

١٨٩ - وقال آخر ، وجدتها في ديوان إبراهيم بن العباس : [من الكامل]

بَاتَتْ تُشَوِّقُنِي بِرَجْعِ حَنِينِهَا وَأَبَيْتُ أُسْعِدُهَا بِرَجْعِ حَنِينِي
إِلْفَانٍ مَغْتَرِبَانِ بَيْنَ مَهَامِهِ طَوِيَا الضَّلُوعَ عَلَى هَوَى مَكْنُونِ

١٩٠ - وقال آخر : [من الطويل]

وَلَوْ وَقَفْتُ لِبَلِي بِقَبْرِي وَقَدْ عَفْتُ مَعَالِمُهُ وَاسْتَفْتَحْتُ بِسَلَامِ
لِحْنَتِ إِلَيْهَا بِالتَّحِيَّةِ رِمْتِي وَرَرَّتْ بِتَرْجِيْعِ السَّلَامِ عِظَامِي

١٩١ - وقال آخر : [من الطويل]

لَا تَعْذِلِينَا فِي الزِّيَارَةِ إِنِّي وَإِيَّاكَ كَالظَّمَانِ وَالْمَاءِ بَارِدُ
تَرَاهُ قَرِيبًا دَانِيًا غَيْرَ أَنَّهُ تَحُولُ الْمَنَايَا دُونَهُ وَالرُّوَاصِدُ

١٩٢ - وقال عون الكندي الكاتب : [من الطويل]

سَقَى اللَّهُ أَيَّامًا لَنَا وَلِيَالِيًا مَضِيْنَ فَمَا يُرْجَى لَهْنٌ رَجُوعُ
إِذَ الْعَيْشُ صَافٍ وَالْأَحْبَةُ جِيرَةٌ وَإِذْ كُلُّ أَيَّامِ الزَّمَانِ رَيْعُ
وَإِذْ أَنَا أَمَّا لِلْعَوَازِلِ فِي الصَّبَا فَعَاصٍ وَأَمَّا لِلْهَوَى فَمُطِيعُ

١٩٣ - وقال عمرو بن قميئة : [من الكامل]

لِلَّهِ عَيْشَتُنَا بِجَوْ سُوَيْقَةٍ وَالْعَيْشُ غَضُّ وَالزَّمَانُ غَرِيرُ
طَابَتْ فَقَصَّرَ طَيْبُهَا أَيَّامَهَا فَكَأَنَّمَا فِيهَا السَّنُونَ شَهْرُ

١٨٩ الطرائف الأدبية : ١٥١ (رقم : ٨٤) .

١٩٠ مجموعة المعاني : ٢٠٦ .

١٩١ مجموعة المعاني : ٢٠٦ .

١٩٣ لم ترد في ديوانه .

١٩٤ - وقال يحيى بن طالب الحنفي : [من الطويل]

إذا ارتحلت نحو اليمامة رفقةً دعاني الهوى وارتاح قلبي إلى الذكرِ
كأن فوادي كلما مرَّ راكبٌ جناحُ عقابٍ رامَ نهضاً إلى الوكرِ
أحقاً عبادَ الله أن لستُ ناظراً إلى قرقرى يوماً وأعلامها الغبرِ
يقولون إنَّ الهجرَ يشفي من الجوى ولا ازددتُ إلاَّ ضعفَ ما بي من الهجرِ
تَنَحَّيْتُ عنها كارهاً وتركتُها وهجرانها عندي أمرٌ من الصبرِ

١٩٥ - وقال قيس بن ذريح : [من الطويل]

لقد خفتُ ألاَّ تنفعَ النفسُ بعدها بشيءٍ من الدنيا وإن كان مُقِعِعا
وأعدلُ فيها النفسَ إذ حيلَ دونها وتأيى إليها النفسُ إلاَّ تطلعا

١٩٦ - وقال أيضاً ، ويروى لمزاحم : [من الطويل]

إلى الله أشكو فقد ليلى^١ كما اشتكى إلى الله فقدَ الوالدينِ يتيماً
بكتُ دارهُم من نأيهم وتهللتُ دموعي فأبيُّ الجازعينِ ألومُ
أستعبرُ بيكي من الشوقِ والبلى أم آخراً بيكي شجوةً ويهيمُ

١٩٧ - وقال الصمة بن عبد الله القشيري : [من الطويل]

ألا قاتلَ الله اللوى من محلةٍ وقاتلَ دنيانا بها كيف ولتِ
غَيننا زماناً باللوى كيف^٢ أصبحتُ عراضُ اللوى من أهلها قد تخلَّتِ

١٩٤ الحماسة البصرية ٢ : ١٣٦ وأمالى القالي ١ : ١٢٣ ومعجم البلدان (قرقرى) .

١٩٥ الأغاني ٩ : ١٩٠ ومجموعة المعاني ٢٠٦ .

١٩٦ الأغاني ٩ : ١٩٦ .

١٩٧ ديوان الصمة : ٣٨ .

١ الأغاني : لبنى .

٢ الديوان : بالحمى ثم .

وأول الأبيات وهي من هذا النوع :

لجوجٍ إذا لَجَّتْ بكِيٌّ إذا بَكَتْ ولا أبرقَ الظمَانِ إلاَّ استَهَلَّتْ
ألا مَنْ لِعَيْنٍ ما تَرَى قُللَ الحمى

١٩٨ - أبو بكر الوراق التميمي المغربي : [من الخفيف]

هو يختالُ بين قلبي وعيني هو ذاك الذي يُرى في السوادِ
لست أشكو فعَالَ مَنْ صَدَّ عني أيُّ بعدٍ وقد نَوَى في فوادي
تعبني راحتي وأنسي انفرادي وشفائي الضنَّ ونومي سُهادي

١٩٩ - أنشد الجاحظ : [من الطويل]

عسى أن تحلَّ الحيَّ جرعاء وابل وعلَّ النوى بالظاعنين تريعُ
أني كلُّ عامٍ زفرةٌ مستجدةٌ تضمَّنْها مِنِّي حشاً وضلوعُ

٢٠٠ - وقال جميل : [من الطويل]

لحي الله أقواماً يقولون إننا وجدنا بعيدَ النَّأي للحبِّ شافيا
أشوقاً ولما يمض لي غيرُ ليلةٍ رويدَ الهوى حتى يُغَبَّ لياليا

٢٠١ - ومثله : [من الطويل]

أشوقاً ولما تمض لي غيرُ ليلةٍ فكيف إذا جدَّ المسيرُ بنا عشرا

٢٠٢ - ومثله لكثير : [من الطويل]

لعمرك إنَّ الجزعَ أمسى ترابُهُ من الطيب كافوراً وعيدانُهُ رنِّدا

٢٠٠ لم ترد في ديوان جميل ، والأول في الكامل : ٣٨٥ للمجنون .

٢٠٢ لم ترد في ديوان كثير .

وما ذاك إلا أن مَشَتْ في عراضِهِ
وأصبح ماءُ الشعبِ خمرًا وأصبحتُ
وظلَّت ظبا البيداءِ ترعى خمائلًا
سقتها رياحُ الجوّ من سحبها شهدا
عزيرة في سربٍ وجرت به بردا
جلاميدهُ مسكًا وأوراقهُ وردا

٢٠٣ - وقال آخر : [من الطويل]

فإن تُرجِعِ الأيامُ بيني وبينها
أشدُّ بأعناقِ النوى بعدَ هذه
بذي الأثل صيفًا مثلَ صيفي ومربعي
مرائرَ إن جاذبتُها لم تقطع

٢٠٤ - وقال الصمة القشيري ، ويروى لغيره : [من الطويل]

وأذكرُ أيامَ الحمى ثم أنثني
فليست عشياتُ الحمى برواجعٍ
على كبدي من خشية أن تقطعا
عليك ولكن خلّ عينيك تدمعا

٢٠٥ - وقال آخر : [من الطويل]

سقى بلدًا أمست سُلَيْمى تحلُّهُ
وإن لم أكن من ساكنيه فإنه
ألا حبذا من ليس يعدلُ قرْبهُ
ومن لامني فيه حبيبٌ وصاحبٌ
من المزن ما تروى به وتسيمُ
يحلُّ به شخصٌ عليّ كريمُ
لديّ وإن شطَّ المزارُ نعيمُ
فردُّ بغيظٍ صاحبٌ وحميمُ

٢٠٦ - وقال ابن نباتة : [من البسيط]

يا حبذا أرضُ نجدٍ كيف ما سمحتُ
بها الخطوبُ على يسرٍ وإعسارِ

٢٠٣ حماسة التبريزي ٣ : ١٧٩-١٨٠ .

٢٠٤ حماسة التبريزي ٣ : ١١٣ ، ١١٤ وأمالى القالي ١ : ١٩٠-١٩١ وديوان الصمة : ٩٦ .

٢٠٥ أمالي القالي ١ : ٣٧ والحماسة البصرية ٢ : ١٨٦ .

٢٠٦ مجموعة المعاني : ٢٠٦ (الثالث والرابع) وديوان ابن نباتة ١ : ٥٥٤ .

وَحَبْدًا دَمِيْتُ مِنْ أَرْضِهَا عَيْقُ هَبَّتْ عَلَيْهِ رِيَا حُ غَبَّ أَمْطَارِ
أَحَبَّهَا وَبِلَادُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ حُبُّ الْبَخِيلِ غِنَاهُ بَعْدَ إِقْتَارِ
مَا كُنْتُ أَوْلَ مَنْ حَنَّتْ رَكَائِبُهُ شَوْقًا وَفَارَقَ الْفَأْ غَيْرَ مَخْتَارِ

٢٠٧ - وقال أبو القمقام الأسدي : [من الكامل]

اقْرَأْ عَلَى الْوَشَلِ السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ كُلُّ الْمَشَارِبِ مَذْهُجَتْ دَمِيمُ
سَقِيًّا لَطْلُكَ بِالْعَشِيِّ وَبِالضُّحَى وَلِبَرْدِ مَائِكَ وَالْمِيَاهُ حَمِيمُ
لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ بَرْدَ مَائِكَ لَمْ يَذُقْ مَا فِي قِلَاتِكَ مَا حَيَّتْ لَتِيمُ

٢٠٨ - وقال ابن الحجاج : [من السريع]

يَا لَيْتِي هَلْ لَكَ أَنْ تَرْجِعِي حَتَّى أَرَى فِيكَ حَبِيبِي مَعِي
مَاذَا عَلَى الصَّبْحِ الَّذِي رَاعَنِي لَوْ أَنَّهُ أَبْطَأَ وَلَمْ يُسْرِعِ
إِذَاهُ شَتَّتَ شَمَلَ الْهُوَى لَيْتَ أَذَانَ الصَّبْحِ لَمْ يُسْمَعَ

٢٠٩ - وقال رجل من بني كلاب : [من الطويل]

نَحْنُ إِلَى الرَّمْلِ الْيَمَانِيِّ صِبَابَةٌ وَهَذَا لِعَمْرِي إِنْ رَضِيَتْ كَثِيبُ
فَأَيْنَ الْأَرَاكُ الدَّوْحُ وَالسُّدْرُ وَالْغَضَا وَمَسْتَخْبِرٌ عَمَّنْ نُحِبُّ قَرِيبُ
هَنَّاكَ تَغْنِينَا الْحَمَامُ وَنَجَّتَنِي جَنَى اللَّهِوِ يَحْلُولِي لَنَا وَيَطِيبُ

٢١٠ - وقال خارجة بن فليح : [من الطويل]

أَحْنُ إِلَى لَيْلِي وَقَدْ شَطَّ وَلَيْهَا كَمَا حَنَّ مَجْبُوسٌ عَنِ الْإِلْفِ نَازِعُ

٢٠٧ حماسة التبريزي ٣ : ١٧٦ وأمالى القالي ١ : ١٤١ ومعجم البلدان (وشل).

٢٠٩ أمالي القالي ١ : ١٢٥ .

٢١٠ أمالي القالي ١ : ٢٢٣ ومجموعة المعاني : ٢٠٦ .

إِذَا خَوَّفْتَنِي النَّفْسُ بِالنَّأْيِ تَارَةً
وَبِالصَّرْمِ مِنْهَا كَذَّبَتْهَا الْمَطَامِعُ
أَكَلَّ هَوَاكِ الطَّرْفَ عَنْ كُلِّ بَهْجَةٍ
وَصَمَّتْ عَنِ الدَّاعِي إِلَيْكَ الْمَسَامِعُ

٢١١ - وقال ذو الرمة : [من الطويل]

وَمِنْ حَاجَتِي لَوْلَا التَّنَائِي وَرَبِّمَا
عَطَائِلُ بِيضٌ مِنْ رِبْعَةٍ عَامِرٍ
مَنْحَتُ الْهَوَى مَنْ لَيْسَ بِالْمُتْقَارِبِ
رِقَاقُ الثَّنَايَا مُشْرِفَاتُ الْحَقَائِبِ

٢١٢ - وقال أيضاً : [من البسيط]

تَعْتَادُنِي زَفْرَاتٌ حِينَ أَذْكَرُهَا
هَامُ الْفَوَادِ لَذْكَرَاهَا وَخَامِرَةٌ
تَكَادُ تَنْقُضُ مِنْهُنَّ الْحِيَازِيمُ
فَمَا أَقُولُ أَرَعَوَى إِلَّا تَهَيَّضُهُ
مَنْهَا عَلَى عُدْوَاءِ الدَّارِ تَسْقِيمُ
حَظُّ لَهْ مِنْ خَبَالِ الشُّوقِ مَقْسُومُ

٢١٣ - وله أيضاً : [من الطويل]

أَدَاراً بِحُزْوَى هِجْتِ لِلْعَيْنِ عِبْرَةً
وَقَفْنَا فَسَلَّمْنَا فَكَادَ بِمَشْرِفٍ
فَمَاءُ الْهَوَى يَرْفُضُ أَوْ يَتَرَقُّقُ
لِعِرْفَانِ صَوْتِي دِمْنَةُ الدَّارِ تَنْطِقُ
تَجِيشُ إِلَى النَّفْسِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ
لِمَيِّ وَيِرْتَاخُ الْفَوَادُ الْمَشُوقُ

٢١٤ - وله أيضاً : [من الطويل]

إِذَا ذَكَّرْتِكَ النَّفْسُ مَيًّا فَقَلْ لَهَا
وَمَا ذَكْرُكَ الشَّيْءِ الَّذِي لَيْسَ رَاجِعاً
أَفِيقِي فَأَيْهَاتِ الْهَوَى مِنْ مَزَارِكِ
بِهِ الْوَجْدُ إِلَّا خَفَقَةً مِنْ ضَلَالِكِ

٢١١ ديوان ذي الرمة : ١٩٤ .

٢١٢ ديوان ذي الرمة : ٣٨١ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ .

٢١٣ ديوان ذي الرمة : ٤٥٦ .

٢١٤ ديوان ذي الرمة : ٤٢٠ .

أما والذي حجَّ المُلبُّونَ بيته
لئن قطعَ اليأسُ الحنينَ فإنه
لقد كنتُ أهوى الأرضَ ما يستفزني
شلالاً ومولى كلِّ باقٍ وهالكِ
رُقوةً لتذرافِ الدموعِ السوافكِ
لها الشوقُ إلا أنَّها من دياركِ

النوع الرابع في ذكر الوداع

٢١٥ - وقال الشماخ : [من الطويل]

وَأَعَجَلْنَا وَشَكُّ الْفِرَاقِ وَبَيْنَا حَدِيثٌ كَتَفَيْسِ الْمَرِيضِينَ مُزَعِجٌ
حَدِيثٌ لَوْ أَنَّ اللَّحْمَ يُصَلَّى بِحَرِّهِ غَرِيضاً أَتَى أَصْحَابَهُ وَهُوَ مُنْضَجٌ

٢١٦ - وقال بعض العرب : [من الطويل]

وَمَا شَجَانِي أَنَّهَا يَوْمَ وَدَّعْتُ تَوَلَّتْ وَمَاءِ الْعَيْنِ فِي الْجَفْنِ حَائِرٌ
فَلَمَّا أَشَارَتْ مِنْ بَعِيدٍ بِنَظْرَةٍ إِلَيَّ التَّفَاتَا أَسْلَمَتْهَا الْمُحَاجِرُ
يَقُولُونَ لَا تَنْظُرْ وَتِلْكَ بَلِيَّةٌ أَلَا كُلُّ ذِي عَيْنِينَ لَا بَدَّ نَاطِرُ
أُمُّ بَانَ حَنَّتْ قَلُوصِي مِنَ الْهَوَى وَلَا ذَنْبَ لِي فِي أَنْ تَحَنَّ الْأَبَاعِرُ

٢١٧ - وقال البحري : [من الكامل]

رَحَلُوا فَأَيُّهُ عِبْرَةٌ لَمْ تُسْكَبِ أَسْفَاً وَأَيُّ عَزِيمَةٍ لَمْ تُغْلَبِ
لَوْ كُنْتَ شَاهِدِنَا وَمَا صَنَعَ الْهَوَى بِقُلُوبِنَا لَحَسَدَتْ مِنْ لَمْ يُحِبِّبِ
شِعْلَ الرَّقِيبُ وَأَسْعَدَتْنَا خَلْوَةٌ فِي هَجْرٍ هَجْرٍ وَاجْتِنَابِ تَجُنَّبِ

- ٢١٥ ديوان الشماخ : ٤٣٣ والتشبيهات : ١١٠ ومجموعة المعاني : ١٧٩ ، والبيتان لأم الضحك
المحرارية في الوحشيات : ١٩١ وانظر أمالي القالي ٢ : ٨٦ .
- ٢١٦ حماسة التبريزي ٣ : ١٢٣ . والبيتان الثالث والرابع في مجموعة المعاني : ٢٠٦ .
- ٢١٧ ديوان البحري : ٧٨-٧٩ .

تشكو الفراق إلى قتيل صباية شَرِقِ المدامعِ بالفراقِ مُعَذَّبِ

٢١٨ - وقال المتنبي : [من الكامل]

وجلا الوداعُ من الحبيبِ محاسناً
فَيْدٌ مُسَلِّمَةٌ وطرفٌ شاخصٌ
حَسَنُ العزاءِ وقد جُلِينِ قبيحُ
وحشاً يذوبُ ومدمعٌ مسفوحُ

٢١٩ - وقال جرير : [من الوافر]

أَتَنَسَى إِذْ تُودِّعُنَا سَلِيمِي
بَعُودِ بِشَامِيَةِ سُقَيِّ البِشَامِ
فَلَوْ وَجَدَ الحَمَامُ كَمَا وَجَدْنَا
بِسَلْمَانِينَ لِأَكْتَابِ الحَمَامِ
بِنَفْسِي مِنْ تَجَنُّبِهِ عَزِيزٌ
عَلَيَّ وَمِنْ زيارتهِ لَمَامٌ
وَمَنْ أَمْسَى وَأَصْبَحَ لَا أَرَاهُ
وَيَطْرُقُنِي إِذَا هَجَعَ النِيَامُ

٢٢٠ - وقال البحتري : [من الكامل]

وأنا الفداء لمهفٍ غَضُّ الصبا
فُصِّرَتْ تَحِيَّتُهُ فِجَادُ بَخْدِهِ
يُوهِيهِ حَمَلٌ وشاحِهِ وعقودِهِ
يَوْمَ الوداعِ لَنَا وَضْنَ بجِيدِهِ
ولو استطاعَ لكانَ يَوْمُ وصالِهِ
للمستهامِ مكانَ يَوْمِ صدودِهِ

٢٢١ - وقال ابن الرومي : [من المنسرح]

لو كنتَ يَوْمَ الفراقِ حاضِرنَا
لم تَرَ إِلا دموعَ باكيَةٍ
وهنَّ يُطْفِئِنَ غُلَّةَ الوجدِ
تُسْفِحُ مِنْ مقلَةٍ على خَدِّ
كَأَنَّ تَلِكَ الدموعَ قَطْرُ ندى
يَقْطُرُ مِنْ نرجسٍ على وَرْدِ

٢١٨ ديوان المتنبي : ٦٠ ومجموعة المعاني : ٢٠٦ .

٢١٩ ديوان جرير : ٢٧٩ .

٢٢٠ ديوان البحتري : ٦٩٤ .

٢٢١ مجموعة المعاني : ٢٠٧ وديوان ابن الرومي ١ : ٧٦٧ .

٢٢٢ - وقال أيضاً: [من الوافر]

تلاقينا لقاءً لافتراقٍ كلانا منه ذو قلبٍ مروعٍ
فما افترتُ شفاةً عن ثغورٍ بل افترتُ جفونٌ عن دموعٍ

٢٢٣ - وقال الطائي: [من الكامل]

مَدَّتْ إِلَيْكَ بِنَانَةً أُسْرُوعًا تصفُ الفراقَ ومقلَّةً ينبوعا
كادتُ لعرفانِ النوى ألفاظُها من رقةِ الشكوى تكونُ دموعا

٢٢٤ - وقال البصير: [من الطويل]

أَلَمْتُ بِنَا يَوْمَ الرَّحِيلِ اخْتِلاَسَةً فَأَضْرَمَ نِيرَانَ الْهَوَى النَّظْرُ الْخَلْسُ
تَأَنَّتْ قَلِيلًا وَهِيَ تُرْعِدُ خِيفَةً كَمَا تَتَأَنَّى حِينَ تَعْتَدِلُ الشَّمْسُ
فَخَاطَبَهَا صَمْتِي بِمَا أَنَا مُضْمِرٌ وَأَبْلَسْتُ حَتَّى لَيْسَ يُعَلِّمُ لِي حِسُّ
وَوَلَّتْ كَمَا وَلَّى الشَّبَابُ لِطِيَّةً طَوَّتْ دُونَهَا كَشْحًا عَلَى نَأْيِهَا النَّفْسُ

٢٢٥ - وقال الحسن بن هاني: [من الكامل المرفل]

وَكَأَنَّ سَلَمَى إِذْ تُودِّعُنَا وَقَدْ اشْرَابَ الدَّمْعُ أَنْ يَكْفَا
رِشًا تَوَاصِيْنَ الْقِيَانَ بِهِ حَتَّى عَقَدَنَ بِأُذُنِهِ شِنْفًا

٢٢٦ - وقال المرتضى أبو القاسم الموسوي: [من الطويل]

وَيَوْمَ وَقَفْنَا لِلدَّوَادِعِ وَكَلْنَا يَعْذُ مَطِيعَ الشُّوقِ مَنْ كَانَ أَحْزَمَا

٢٢٢ ديوان ابن الرومي ٤ : ١٤٧٠ .

٢٢٤ التشبيهات : ٣٠١ .

٢٢٦ ديوان المرتضى ٣ : ٢٠١ وأماليه ١ : ١١٦ .

نُصِرْتُ بِقَلْبٍ لَا يُعْتَفُ فِي الْهَوَى وَعَيْنٍ مَتَى اسْتَمَطَرَتْهَا قَطَرَتْ دَمَا

٢٢٧ - وقال أبو المطاع ابن ناصر الدولة بن حمدان : [من الكامل]

لو كنتَ ساعةَ بيننا ما بيننا فشهدتَ حينَ نُكْرِرُ التوديعا
أيقنتَ أنَّ من الدموعِ مُحدِّثاً وَعلمتَ أنَّ من الحديثِ دموعا

٢٢٨ - وقال أبو الحسين بن لنكك البصري : [من الوافر]

وقفنا موقفَ التوديعِ نوطي نجومَ الدمعِ آفاقَ الغروبِ
تعجَّبُ من عناقِ حرِّ دمعاً وتقبيلِ يُشِيْعُ بالنحيبِ
وقد ضاقَ العناقُ فلو فطِننا دخلنا في المخاتقِ والجيوبِ

٢٢٩ - وقال جعفر بن علبة الحارثي : [من الطويل]

أشارتُ بطرفِ العينِ وهي حزينةٌ تُودِّعنا إذ لم يُيَسِّنْ كلامُها
فلو كنتُ أبكي للفرقِ صبايةً شفى بعضَ وجدي من جفوني انسجامُها
ولكنها عينٌ كتومٌ لدمعها إذا ما حبالُ الوصلِ جدَّ انصرامُها
وخبَّرتُها تهدي السلامَ ودونها جبالُ السرى تثليثها وإكامُها
فإنَّ التي أهدتْ على نأيِ دارها سلاماً لمردودٌ عليَّ سلامُها

٢٣٠ - وقال ذو الرمة : [من الطويل]

عدَوْنٌ فأحسنَ الوداعَ فلم نُقلْ كما قلنَ إلا ما تشيرُ الأصابعُ
ولما تلاحقنا ولا مثلَ ما بنا من الوجدِ لا تنقضُ منه الأضالعُ
تخللنَ أبوابَ الخدورِ بأعينِ غرابيبَ والألوانُ بيضٌ صوادعُ

٢٢٧ ابن خلكان ٢ : ٢٨٠ : ٣٤٢٠٧ .

٢٣٠ ديوان ذي الرمة : ١٢٨٥ .

وخالَسَنَ تَبَسَاماً إِلَيْنَا كَأَنَّمَا تَصِيبُ بِهِ حَبَّ الْقُلُوبِ الْقَوَاعُ
٢٣١ - وقال آخر : [من الطويل]

وَلَا أُنْسِي مِنْ أَسْمَاءَ بِالْأَمْسِ قَوْلَهَا وَأَدْمَعُهَا يُذْرَيْنَ حَشَوُ الْمَكَامِلِ
تَمَتَّعَ بِذَا الْيَوْمِ الْقَصِيرِ فَإِنَّهُ رَهِينٌ بِأَيَّامِ الشُّهُورِ الْأَطْوَالِ
٢٣٢ - وقال البحري : [من السريع]

إِنْ أَنْتِ وَدَّعْتِ بِتَقْبِيلَةٍ كَانَتْ يَدًا مَشْكُورَةً لِلْفِرَاقِ
أَحَازِرُ الْبَيْنِ مِنْ أَجْلِ النَّوَى طَوْرًا وَأَهْوَاهُ مِنْ أَجْلِ الْعِنَاقِ

٢٣٣ - وقال أبو ذهبل : [من الطويل]

فَوَا نَدْمًا إِذْ لَمْ أُعْجِ إِذْ تَقُولُ لِي تَقَدَّمَ فَشَيْعِنَا إِلَى ضَحْوَةِ الْغَدِ
فَأَصْبَحْتُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سِوَى ذِكْرِهَا مِنْ قَابِضِ الْمَاءِ بِالْيَدِ

وَأَنْشِدَ أَبُو السَّائِبِ ذَلِكَ فَقَالَ : مَا صَنَعَ شَيْئًا ، أَكْتَرَى حَمَارًا يَشِيْعُهُمْ وَلَا
يَقُولُ : فَوَانْدَمِي ، وَأُظَنُّهُ قَدْ كَانَ لَهُ عُذْرٌ وَلَا يَقْدِرُ يَذْكُرُهُ ، وَقَالَ لِلرَّجُلِ : مَا
تَقُولُ أَنْتِ ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ : وَأَنَا أَظَنُّهُ قَدْ كَانَ لَهُ عَذْرٌ ، قَالَ : وَمَا هُوَ ، قَالَ
الرَّجُلُ : لَا أَدْرِي ، قَالَ : أَظَنُّهُ قَدْ كَانَ مِثْلِي لَا يَجِدُ شَيْئًا .

٢٣٤ - الحسين بن الضحاك : [من الكامل]

نَفْسِي الْفِدَاءِ لِحَافِي مُتَرَقِّبٍ جَعَلَ الْوِدَاعَ إِشَارَةً بَعْنَاقِ
إِذْ لَا جَوَابَ لِمَفْحَمٍ مَتَحْيِيرٍ إِلَّا الدَّمُوعَ تُصَانُ بِالْإِطْرَاقِ

٢٣١ . أمالي القاضي ١ : ١٦١ والحمامسة البصرية ٢ : ١١٠ .

٢٣٢ . ديوان البحري : ١٥١٤ .

٢٣٣ . ديوان أبي ذهبل : ١١٥ .

٢٣٤ . أشعار الحسين : ٨٤ .

٢٣٥ - المتنبي : [من الطويل]

ولم أرَ كالألحاظِ يومَ رحيلهم
عشيّةً يَعدُّونَا عن النظرِ البكا
نودّعهم والبينُ فينا كأنه
بعثن بكلِّ القتلِ من كلِّ مُشْفِقِ
وعن لذّةِ التوديعِ خوْفُ التفرُّقِ
قنا ابن أبي الهيجاءِ في قلبِ قَيْلَقِ

٢٣٥ ديوان المتنبي : ٣٣٦ والأول والثاني في مجموعة المعاني : ٢٠٧ .

النوع الخامس في المسرة واللقاء عند الإياب

٢٣٦ - قال البحتري: [من الطويل]

وقد ضمنا وشك التلاقي ولفنا عناق على أعناقنا ثم ضيق
فلم نر إلا مخبراً عن صباية بشكوى وإلا عبرة تترقرق
فأحسن بنا والدمع بالدمع واشج يمازجُه والخذ بالخذ ملصق
ومن قبل قبل التشاكي وبعده نكادُ بها من شدة الوجد نشرق
فلو فهم الناس التلاقي وحسنه لحبب من أجل التلاقي التفرق

٢٣٧ - وقال أيضاً: [من الطويل]

ولما التقينا والنقا موعد لنا تعجب رامي الدر حسناً ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

٢٣٨ - وقال الأخطل: [من الطويل]

وأي وإياها إذا ما لقيتها لكالماء من بين الغمامة والخمر

٢٣٩ - وقال عمرو بن حكيم بن معية: [من الطويل]

خليلي أمسى حب خرقاء عامدي ففي القلب منه زفرة وصدوع
ولو جاورتنا الآن خرقاء لم نبل على جدبنا إلا يصوب ربيع

٢٣٦ ديوان البحتري: ١٥٣٥ ومجموعة المعاني: ٢٠٧ (الأول والثاني والخامس).

٢٣٧ ديوان البحتري: ١٢٣ ومجموعة المعاني: ٢١٢.

٢٣٨ ديوان الأخطل: ٢١٢.

٢٣٩ حماسة التبريزي ٣: ١٩٤.

النوع السادس في ذكر الطِّيفِ والخيال

٢٤٠ - من أحسن ما قيل في الخيال قول قيس بن الخطيم : [من الكامل]

أَنْتَى سَرَبْتِ وَكُنْتَ غَيْرَ سَرُوبِ وَتَقَرَّبُ الْأَحْلَامُ غَيْرَ قَرِيبِ
ما تمنعي يَقْظَى فقد تَوْتِينِه في النومِ غَيْرَ مُصَرِّدٍ مَحْسُوبِ

٢٤١ - وتبعه البحرى فقال : [من الخفيف]

ما نَقْضَى لُبَانَةً عند لبني والمعنى بالغانياتِ مُعْنَى
هَجَرْتَنَا يَقْظَى وكادت على مذ هبها في الصدودِ تهجرُ وَهَنَا

وقال أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي : أخطأ البحرى في قوله : هجرتنا يقظى ، قال : لأنَّ خيالها يتمثل له في كل أحوالها ، أيقظى كانت أو وَسْنَى ؛ قال : والجيد في هذا المعنى قوله : [من البسيط]

أَرَدُّ دُونَكَ يَقْظَانًا وَيَأْذَنُ لِي عَلَيْكَ سُكْرُ الْكِرَى إِنْ جِئْتُ وَسَنَانَا

قال : والذي أوقعه في ذلك قولُ قيس بن الخطيم ، وكان الأجود أن يقول : ما تمنعي في اليقظة فقد توتينه في النوم ، أي ما تمنعني في يقظتي فقد توتينه في

٢٤٠ التشبيهات : ١٥ و طيف الخيال : ٤٥ و أمالي القالي ٢ : ٢٧٣ و حلية المحاضرة ١ : ٢٠٧
ومجموعة المعاني : ١٤٥ ونهاية الأرب ٢ : ٢٣٧ وديوان قيس : ١٥-١٦ .
٢٤١ ديوان البحرى : ٢١٤٣ و طيف الخيال : ٣٩ (ومعه التعليق) وانظر الموازنة ١ : ٣٥٣-
٣٥٥ .

حال نومي ، حتى يكون النوم واليقظة منسويين إليه ، لأنَّ خيالَ المحبوب يتمثل في حال نومه ويقظته جميعاً ، إلا أنه يتسع من التأويل في هذا لقيسٍ ما لا يتسع للبحثري ، لأنَّ قيساً قال : فقد توتئنه في النوم ، ولم يقل : توتئنه نائمةً ، وقد يجوز أن يُحمَلَ على أنه أراد ما تمنعي يقظي أي وأنا يقظان ، فقد توتئنه في النوم ، أي : في نومي ، ولا يسوغ مثل ذلك في بيت البحتري لأنه قال : وَسَنَى ، ولم يقل : في الوسن .

٢٤٢ - وقال عمرو بن مالك الجعدي : [من الطويل]

ألاً طرقتنا أم أوسٍ ودونها من القفِّ أعلامٍ له وجنودٌ
فلما اتبهنَّا للخيالِ الذي سرى إذا الأرضُ قفرٌ والمزارُ بعيدُ
فقلتُ لعيني عاودي النومِ واهجعي لعلَّ خيالاً طارقاً سيعودُ

٢٤٣ - وقال البحتري : [من الطويل]

ألَمَّت بنا بعد الهدوِّ فسامحتُ بوصلي متى نطلُّه في الجدِّ تمنع
وربَّ لقاءٍ لم يؤمِّلُ ، وفرقةٍ لأسماءٍ لم تُحذِرْ ولم تُتَوَقَّع
أسرُّ بقربٍ من مُلِمٍّ مُسَلِّمٍ وأشجى بيني من حبيبٍ مودِّع
فكائنٌ لنا بعد النوى من تفرُّقٍ تزجيه أحلامُ الكرى ، وتجمُّع

٢٤٤ - وقال أيضاً : [من الطويل]

وإني وإن ضنَّتُ عليَّ بودِّها لأرتاحُ منها للخيالِ المؤرِّقِ
يعزُّ على الواشين لو يعلمونها ليالٍ لنا نَزْدَارُ فيها وثلثي
فكم غلَّةٍ للشوقِ أطفأتُ حرَّها بطيفٍ متى يطرقُ دُجَى الليلِ يطرقِ

٢٤٣ ديوان البحتري : ١٢٣٧-١٢٣٨ ومجموعة المعاني : ١٤٥ (الأول والرابع) والأول مع آخر في أمالي القالي ١ : ٢٢٨-٢٢٩ .

٢٤٤ ديوان البحتري : ١٥٠٨-١٥٠٩ ومجموعة المعاني : ١٤٥ (الثالث والرابع) .

أضْمُ عليه جَفَنَ عيني تمسكاً به عند إجلاءِ النعاسِ المرتقِ
٢٤٥ - وقال أيضاً : [من الطويل]

ولم أرَ مثليتنا ولا مثلَ شائِنَا نُعَدِّبُ أيقاظاً وننعمُ هُجْدَا
٢٤٦ - وقال أيضاً : [من الطويل]

وليلةَ هومنا على العيسِ أرسلتُ بطيفِ خيالٍ يشبهُ الحقَّ باطلُهُ
فلولا بياضُ الصبحِ طال تشبُّي بِعِطْفِي غزالٍ بتُ وهنا أغازلُهُ
٢٤٧ - وقال العباس بن الأحنف : [من الوافر]

خيالكِ حينَ أرقدُ نُصِبَ عيني إلى وقتِ انتباهي لا يزولُ
وليس يزورني صِلَةٌ ولكنْ حديثُ النفسِ عنكِ به الوصولُ
وتبعه أبو تمام في هذا المعنى فقال : [من البسيط]

زار الخيالُ بها لا بل أزارَكُهُ فكَرُّ إذا نام فكَرُّ الخلقِ لم ينمِ
ظبيُّ تقنَّصتُهُ لما نصبتُ له في آخرِ الليلِ أشراكاً من الحلمِ
وقال أيضاً في المعنى : [من الخفيف]

نَمَ فما زاركِ الخيالُ ولكنْ أنتِ بالفكرِ زُرْتِ طيفَ الخيالِ

٢٤٨ - وقال علي بن يحيى : [من المديد]

٢٤٥ ديوان البحرني : ٦٧١ وطيف الخيال : ٣٨ .

٢٤٦ ديوان البحرني : ١٦١١ وطيف الخيال : ٣٨ والتشبيهات : ٧٨ .

٢٤٧ أمالي القالي ١ : ٢٢٩ (وفيه شعر أبي تمام) والتشبيهات : ٧٦ ونهاية الأرب ١ : ٢٤٠ وديوان

العباس : ٢٣١ وبيننا أبي تمام في طيف الخيال : ٧-٨ والحامسة البصرية ٢ : ١٦٤

والتشبيهات : ٧٦ ونهاية الأرب ١ : ٢٤٠ ، والبيت بعدهما في طيف الخيال : ١٣ .

٢٤٨ أمالي القالي ١ : ٢٢٩ والتشبيهات : ٧٨ ؛ وأبيات أحمد بن يوسف في التشبيهات : ٧٨ أيضاً .

بأبي والله من طرقتا كابتسام البرق إذ خفقتا
زارني طيف الحبيب فما زاد أن أغرى بي الأرقا

ومثله لأحمد بن يوسف الكاتب : [من الرمل]

في سبيل الله ود حسن دام من قلبي لوجه حسن
وهوى ضيغته في سكن ليس حظي منه غير الحزن
يرقد الليل ويستعذبه فإذا استعذبت طيب الوسن
زارني منه خيال ما له أرب في غير أن يوقظني

٢٤٩ - وأنشد أبو القاسم ابن الفضل لنفسه بيتاً ألم فيه بهذا المعنى وزاد

عليه : [من البسيط]

ما زارني طيفه إلا موافقةً على الكرى ثم ينفيه وينصرف
في قوله : موافقة معنى لطيف لم أعثر عليه لمن تقدم .

النوع السابع في الرقّة والنحول

- ٢٥٠ - قال أعرابي : [من الطويل]
ولو أنّ ما أبقيت مني مُعلّقٌ بعودٍ تُمامٍ ما تأوّدَ عودُها
- ٢٥١ - وقال المجنون : [من الطويل]
ألا إنّما غادرتِ يا أمّ مالكٍ صدىً أينما تذهبُ به الريحُ يذهبُ
- ٢٥٢ - وقال المتنبي : [من الطويل]
ولو قلّمَ ألقىتُ في شقِّ رأسِهِ من السُّقْمِ ما عَيَّرتُ من خطِّ كاتبِ
- ٢٥٣ - وقال أيضاً : [من الخفيف]
حُلّتِ دونَ المزارِ فاليومَ لو زرَ تِ لحالِ النحولِ دونَ العناقِ
- ٢٥٤ - وقال العلوي : [من البسيط]
أبقى الهوى فيه جسماً كالهواءِ ضنّىً تنسّمُ الريحُ فيه وهو مفقودُ

-
- ٢٥٠ الكامل للمبرد : ١ : ١٤٠ وأمالي القالي : ١ : ٤٣ وحلية المحاضرة : ٢ : ٢١٤ ومجموعة المعاني :
٢١٠ .
- ٢٥١ ديوان المجنون : ٨٠ وحلية المحاضرة : ٢ : ٢١٤ ومجموعة المعاني : ٢١٠ .
- ٢٥٢ ديوان المتنبي : ٢٠٩ .
- ٢٥٣ ديوان المتنبي : ٢٢٤ ومجموعة المعاني : ٢١٠ .

أَتَبِعْتَهَا نَفْسًا تَدْمَى مَسَالِكُهُ كَأَنَّهُ مِنْ حَمِي الْأَحْشَاءِ مَقْدُودٌ
٢٥٥ - وأشار المتنبي إلى النحول فأحسن في قوله : [من الكامل]

أَمَرَ الْفَوَازِدُ جَفَوْنَهُ وَلِسَانَهُ فَكْتَمْنَهُ وَكَفَى بِجَسْمِكَ مُخْبِرًا
٢٥٦ - وقال أبو الحسن السلامي : [من البسيط]

مَا ضَنَّ عَنْكَ بِمَوْجِدٍ وَلَا بَخِيلًا أَعَزُّ مَا عِنْدَهُ النَّفْسُ الَّتِي بَدَلَا
يُحْكِي الْمَطَايَا حَنِينًا وَالْهَجِيرَ جَوَى وَالْمَزْنَ دَمْعًا وَأَطْلَالَ الدِّيَارِ بِلَى
٢٥٧ - وقال الماهر : [من الوافر]

وَمَا أَبْقَى الْهُوَى وَالشُّوقُ مِنْي سِوَى رُوحٍ تَرَدَّدُ فِي خِيَالِ
خَفِيَتْ عَلَى النَّوَابِ أَنْ تَرَانِي كَأَنَّ الرُّوحَ مَنِّي فِي مَحَالِ

٢٥٨ - وقال ديك الجن : [من الهزج]

كَلَانَا غُصْنٌ شَطْبُ فَذَا بَالٍ وَذَا رَطْبُ
إِذَا مَا هَبَتِ الرِّيحُ وَمَالَ الْمِرْطُ وَالْإِتْبُ
أَبَانَتْ مِنْهُ مَا طَابَ وَمَنِي مَا بَرَى الْحَبُّ

٢٥٩ - وقال أبو عثمان الخالدي : [من الطويل]

بِنَفْسِي حَبِيبٌ بَانَ صَبْرِي لِبَيْنِهِ وَأَوْدَعَنِي الْأَحْزَانَ سَاعَةً وَدَعَا
وَأَنَحَلَنِي بِالْهَجْرِ حَتَّى لَوْ أَنَّنِي قَدَى بَيْنَ جَفَنِي أَرْمِدٍ مَا تَوَجَّعَا

٢٥٥ ديوان المتنبي : ٥٣٨ ومجموعة المعاني : ٢١٠ .

٢٥٦ بيتمة الدهر : ٢ : ٤٠٧ .

٢٥٧ مجموعة المعاني : ٢١٠ .

٢٥٨ ديوان ديك الجن : ٢١٠ عن شرح مقصورة حازم : ١ : ٥٧ .

٢٥٩ ديوان الخالدين : ١٣٩ .

٢٦٠ - وقال ابن دريد : [من السريع]

إِنَّ الَّذِي أَبْقَيْتَ مِنْ جَسْمِهِ يَا مَتَلَفَ الصَّبِّ وَلَمْ تَشْعُرِ
صُبَابَةً لَوْ أَنَّهَا دَمْعَةٌ تَجُولُ فِي جَفْنِكَ لَمْ تُقْطِرِ

٢٦٠ ديوان ابن دريد : ٣٩ وأمالي القالي ١ : ٢٠٧ .

النوع الثامن في البكاء والهمول

٢٦١ - قال ذو الرمة ، وهو قدوة في البكاء على الطلول : [من البسيط]

ما بال عينك منها الماء ينسكبُ كأنه من كلى مفريّة سربُ

٢٦٢ - وقال أيضاً : [من الطويل]

وما شئتَا خرقاءَ واهيتَا الكلى سقى بهما ساق ولما تبلّلا
بأضيعَ من عينيك للدمعِ كلما تذكّرتَ ربعاً أو توهمتَ منزلا

٢٦٣ - وقال أيضاً : [من الطويل]

قف العيسَ في أطلالِ ميةَ فاسألِ رسوماً كأخلاقِ الرداءِ المسلسلِ
أظنُّ الذي يُجدي عليك سؤلها دموعاً كتبديدِ الجمانِ المفصلِ

٢٦٤ - وقال آخر : [من البسيط]

استبقِ دمعك لا يودي البكاءُ به واكففُ بوادرَ من عينيك تَسْتَبِقُ
ليس الشؤنُ وإنْ جادتْ بياقيةَ ولا الجفونُ على هذا ولا الحدقُ

٢٦٥ - وقال أحمد بن يوسف : [الكامل]

عَدَبَ الفراقُ لنا قبيلَ وداعِهِ ثم اجتَدَحْنَاهُ بِسْمِ ناعِ

٢٦١ التشبيهات : ٨٠ وديوان ذي الرمة : ٩ .

٢٦٢ التشبيهات : ٨١ وأمالي القالي ١ : ٢٠٨ وديوان ذي الرمة : ١٨٩٧ .

٢٦٣ ديوان ذي الرمة : ١٤٥١ .

٢٦٥ التشبيهات : ٨٣ وقول الناشء الأوسط في التشبيهات : ٨٣ ؛ وبيتا السري الرفاء في ديوانه :

٢٨٣ وبيت البحترى ليس في ديوانه .

وكأنما أترُّ الدموعَ بخدِّها طلُّ سقيطٍ فوقَ وردٍ يانعٍ
وقريبٌ منه قولُ الناشئِ الأوسطِ : [من المتقارب]

بكت للفرّاقِ فقد راعني بكاءُ الحبيبِ لقربِ الديارِ
كأنَّ الدموعَ على خدِّها بقيةُ طلٍّ على جُنَّارِ
ومثله للسريِّ الرِّفَاءِ : [من الوافر]

وقفنا نحمدُ العبراتِ لما رأينا البينَ مذمومَ السجايا
كأنَّ حدودَهنَّ إذا التقينا شقيقٌ فيه من طلٍّ بقايا

وهذه كلّها مأخوذة من قول البحرّي في عكسه لأحمد بن يوسف فإنه في
عصره متقدّم عليهم : [من الطويل]

شقائقُ يحملنَ الندى فكأنها دموعُ التصابي في حدودِ الخرائدِ
٢٦٦ - وقال الطائي : [من الكامل]

ظعنوا فكان بكايَ حولاً كاملاً ثم ارعويتُ وذاك حكمٌ لبيدِ
أجدرُ بلوغةِ جمرةِ إطفائها بالدمعِ أن تزدادَ طولَ وقودِ
٢٦٧ - وقال أيضاً : [من الكامل]

نثرتُ فريداً مدامعٍ لم تُنظَمِ والدمعُ يحملُ بعضَ ثقلِ المغرمِ
وصلّتُ دموعاً بالنجيعِ فخدُّها في مثلِ حاشيةِ الرداءِ المعلمِ
٢٦٨ - وقال أيضاً : [من الكامل]

٢٦٦ ديوان أبي تمام ١ : ٣٩٢ .

٢٦٧ التشبيهات : ٨٢ وديوان أبي تمام ٣ : ٢٤٨ .

٢٦٨ التشبيهات : ٨٥ وديوان أبي تمام ٤ : ١٤٨ .

مَطَّرَ من العبراتِ خَدَيِ أرضُهُ حتى الصباحِ ومقلتايَ سَماوُهُ
أحبابه ما يفعلونَ بقلبيهِ ما ليس يفعلُهُ به أعداؤُهُ

٢٦٩ - وقال مسلم بن الوليد : [من الطويل]

فَآهٍ من الأحزانِ إنَّ أسْفَرَ الضحى وفي كبدي من بينهنَّ حريقُ
مزجنا دماً بالدمعِ حتى كأنَّما يُذابُ بعيني لؤلؤٌ وعقيقُ

٢٧٠ - وقال العباس بن الأحنف : [من المتقارب]

بكتَ غيرَ آنسٍ بالبكا ترى الدمعَ في مقلتيها غريبا
وأسعدُها بالبكا نسوة جعلنَ مغيضَ الدموعِ الجيوباً

٢٧١ - وقال أيضاً : [من الكامل]

نزف البكاءَ دموعَ عينكَ فاستعزُ عيناً لغيركَ دمعُها مِدْرَارُ
مَنْ ذا يعيرُكَ عينُهُ تبكي بها أَرَأيتَ عيناً للبكاءِ تُعارُ

٢٧٢ - وقال دعبيل : [من الكامل المرفل]

لا أبتغي سُقيا السحابِ لها في مقلتي خَلْفٌ من السقيا

٢٧٣ - وقال أبو نُوَاسٍ : [من الخفيف]

لا جزى الله دمعَ عيني خيراً وجزى الله كلَّ خيرٍ لساني
نَمَّ دمعِي فليس يكتُمُ شيئاً ووجدتُ اللسانَ ذا كتمانِ

٢٦٩ التشبيهات : ٨٣ ولم يردا في ديوانه .

٢٧٠ التشبيهات : ٨٥ وديوان العباس : ٥١ .

٢٧١ التشبيهات : ٨٦ وأمالي القالي ١ : ٢٠٩ وديوان العباس : ١١٦ .

٢٧٢ أمالي القالي ١ : ٢٠٩ ولم يرد في ديوانه (نجم) .

٢٧٣ التشبيهات : ٨٦ وأمالي القالي ١ : ٢٠٩ .

كنتُ مثلَ الكتابِ أخفاه طيُّ فاستدلُّوا عليه بالعنوانِ

٢٧٤ - وقال الصُّولي : [من الطويل]

فلا تنكرنَ لونَ الدموعِ فإنها يُبيِّضُها تصعيدها من دمِ القلبِ

ومثله لأبي العباس الضبي : [من البسيط]

لا تحسبنَ دموعي البيضَ غيرَ دمي وإنما نفسي الحامي يُصعِّدهُ

٢٧٥ - وقال البحري : [من الكامل]

سالتَ مقدمةَ الدموعِ وحلَّفتُ حُرْقاً توقدُ في الحشا ما ترَحَلُ
إنَّ الفراقَ كما علمتَ فخلَّني ومدامعاً تسعُ الفراقَ وتفضلُ
إلا يكنُ صبرٌ جميلٌ فالهوى نشوانٌ يحملُ فيه ما لا يجملُ

٢٧٦ - وقال أيضاً : [من الوافر]

وقفنا والعيونُ مُشعَّلاتٌ يُغالبُ دمعها نظراً كليلُ
نهتهُ رقبَةُ الواشينَ حتى تعلقَ لا يغيضُ ولا يسيلُ

ونحوه قول ابن طاهر عبيدالله بن عبدالله : [من الطويل]

ولا مقلتي من غامرِ الماءِ تنجلي ولا مدمعي من مُكمدِ الوجدِ يَقطُرُ

وهذا البيتُ أجاز به قول الأول أبي حية : [من الطويل]

وقفتُ كأني من وراءِ زجاجةٍ إلى الدارِ من فرطِ الصبابةِ أنظُرُ

٢٧٥ ديوان البحري : ١٧٥٣ .

٢٧٦ التشبيهات : ٨٠ . وأمالي القالي ١ : ٢٠٩ . وديوانه : ١٨٢٢ . وشعر أبي حية في التشبيهات :

٧٩ وأمالي القالي ١ : ٢٠٨ . والحماسة البصرية ٢ : ١٢٠ .

فَعَيْنَايَ طَوْرًا تَغْرِقَانِ مِنَ الْبُكَاءِ
فَأَعَشَى وَطَوْرًا تَحْسِرَانِ فَأَبْصُرُ
٢٧٧ - وقال آخر : [من الطويل]

رعى الله عيناً من بكائها على الحمى
تجفُّ ضروعُ المزنِ وهي حَلُوبُ
بكتْ وغدير الحمى طاماً فأصبحتُ
عليه الجمالُ الحائِثاتُ تلُوبُ
وما كنت أدري أنّ عيناً زكيةً
ولا أنّ ماءَ المقلتينِ شروبُ
٢٧٨ - وقال رجل من بني نهشل : [من الطويل]

أُلامٌ على فيضِ الدموعِ وإنني
بفيضِ الدموعِ الجارياتِ جديرُ
أيكي حمامُ الأيِّك من فَقَدِ إِيَّه
وأصبرُ عنها إنني لصبورُ
٢٧٩ - وقال آخر : [من الطويل]

مررنا بأعلى العِزِّع من قَلَّةِ الحمى
على طَلَلٍ لم تَبِقَ إلاَّ معالمُه
وددتُ وقد عُجنا نُحْيِيه أنَّ لي
دموعَ الورى دمعٌ وأنِّي ساجمُه
٢٨٠ - أبو حبيب المغربي ، وقد أبدع : [من البسيط]

تجري جفوني دماءً وهو ناظرها
ومتلفُ القلبِ وجداً وهو مرْتَعُه
إذا بدا حالَ دمعي دونَ رؤيتِه
يغارُ منِّي عليه فهو بُرْقَعُه

٢٧٧ مجموعة المعاني : ٢٠٧ .

٢٧٨ أمالي القاضي ١ : ١٣١ ومجموعة المعاني : ٢٠٧ .

٢٨٠ اسمه عبد الرحمن بن أحمد ولد بالمحمدية وتآدب بالأندلس ومدح محمد بن هشام بن عبد الجبار

القائم بقرطبة . انظر الأنموذج : ١٤١ والبيتان فيه ص : ١٤٣ .

النوع التاسع في إحمادِ المواصلةِ والعناقِ

٢٨١ - قال البحرى : [من البسيط]

قد أطرقُ الغادةَ البيضاءَ مُتقدراً على الشبابِ فتصيني وأصبيها
في ليلةٍ لا ينالُ الصبحَ آخرها علقت بالراحِ أسقاها وأسقيها
عاطيتها غضةً الأطرافَ مرهفةً شربت من يدها خمراً ومن فيها

٢٨٢ - وقال الحاتمي : [من الطويل]

وعيشٍ كنوارِ الرياضِ استرقتهُ اختلاصاً وأحداثُ الليالي غوافلُ
لماماً وأغصانُ الشبيبةِ رطبةٌ وماءِ الصبا في وردِ حَدَيِّ جائلُ
ويومٍ كحليِّ الغانياتِ سلبتهُ حليِّ الرّبي حتى انثنى وهو عاطلُ
سبقتُ إليه الصبحَ والشمسُ غضةً وصبغِ الدجى من مفرقِ الصبحِ ناصلُ
ونشوانَ من خمرِ الدلالِ سقيتهُ شمولاً فنمتَ عن هواه الشمائلُ
إذ العيشُ مخضرُّ الأصائلِ ناعمٌ وإذ زبرجُ الدنيا خليلُ مواصلُ

٢٨١ ديوان البحرى : ٢٤١٥-٢٤١٦ .

٢٨٢ اليتيمة ٣ : ١١٠ .

١ اليتيمة : الفجر .

٢٨٣ - وقال ابن الرومي : [من الطويل]

أعانقها والنفس بعد مشوّقةٌ إليها وهل بعد العناق تَدَانِ
كأنّ فوّادي ليس يشفي غليله سوى أن يرى الروحين يمتزجان

٢٨٤ - وقال أبو فراس ابن حمدان : [من الطويل]

وكم ليلةٍ ماشيتُ بدرَ تمامها إلى الصبح لم يشعرَ بأمرِي شاعرُ
ولا ريةً إلا الحديثُ كأنه جمانٌ وهى أو لؤلؤٌ متناثرُ
أقولُ وقد ضجَّ الحَلِيّ وأشرفت ولم أرَ منها للصبحِ بشائرُ
أيّا ربّ حتى الحَلِيّ مما أخافهُ وحتى يياضُ الصبحِ مما أحاذرُ
فيا نفسُ ما لاقيتِ من لاعجِ الهوى ويا قلبُ ما جرّتَ عليك النواظرُ

٢٨٥ - وقال البحري : [من الخفيف]

تلك نُعمٌ لو أنعمتُ بوصولٍ لشكرنا في الوصلِ إنعامٌ نُعمُ
نسيتُ موقفَ الجمارِ وشخصاً نا كشخصٍ أرمي الجمارَ وترمي

٢٨٦ - وقال أيضاً : [من المتقارب]

ولم أنسَ ليلتنا في الودا ع لَفَّ الصِّبا بقضيبٍ قضيبا

٢٨٧ - وقال بكر بن خارجة : [من البسيط]

رأيتُ شخصك في ليلي يعانقني كما يعانقُ لأمُ الكاتبِ الألفا

٢٨٣ أمالي القالي ١ : ٢٢٦ ومجموعة المعاني : ٢٠٧ وديوان المعاني ١ : ٢٢٣ وديوان ابن الرومي

. ٢٤٧٥

٢٨٤ ديوان أبي فراس : ١٠٥-١٠٦ .

٢٨٥ ديوان البحري : ١٩٤٠ .

٢٨٦ ديوان البحري : ١٥٠ .

٢٨٧ هو لبكر بن النطاح في الأغاني ١٩ : ٤١ .

٢٨٨ - وقال ابن المعتز: [من السريع]

كَأَنِّي عَانَقْتُ رِيحَانَةً تَنْفَسْتُ فِي لَيْلِهَا الْبَارِدِ
فَلَوْ تَرَانَا فِي قَمِيصِ الدَّجَى حَسَيْتَنَا فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ

٢٨٩ - وقال علي بن الجهم: [من الطويل]

سَقَى اللَّهُ لَيْلًا ضَمَّنَا بَعْدَ هَجْعَةٍ وَأَدْنَى فُوَادًا مِنْ فُوَادٍ مَعَذَّبِ
فَبِتْنَا جَمِيعًا لَوْ تُرَاقُ زَجَاجَةٌ مِنْ الرَّاحِ فِيمَا بَيْنَنَا لَمْ تَسْرَبِ

٢٩٠ - وقال أيضاً: [من الطويل]

فَبِتْنَا مَعًا لَا يَخْلَصُ الْمَاءُ بَيْنَنَا إِلَى الصُّبْحِ دُونِي حَاجِبٌ وَسُتُورُ

٢٩١ - وقال البحتري: [من الطويل]

وَلَمْ أَنْسَهُ إِذْ قَامَ ثَانِيَ جِيدِهِ إِلَيَّ وَإِذْ مَالَتْ عَلَيَّ ذَوَائِبُهُ
عَنَاقٌ يَهْدُ الصَّبْرَ وَشَكُّ انْقِضَائِهِ وَيُذَكِّي الْجَوَى أَوْ يَسْكَبُ الدَّمْعَ سَاكِبُهُ

٢٩٢ - وقال آخر: [من الطويل]

فَبِتْنَا عَلَى رَغْمِ الْحَسُودِ وَبَيْنَنَا حَدِيثٌ كَنَشْرِ الْمَسْكِ شَيْبٌ بِهِ الْخَمْرُ
حَدِيثٌ لَوْ أَنَّ الْمَيْتَ نُوجِي بَعْضُهُ لِأَصْبَحَ حَيًّا بَعْدَ مَا ضَمَّهُ الْقَبْرُ

٢٨٨ ديوان ابن المعتز (السامرائي) ١ : ٢٤٨ وأمالى القالي ١ : ٢٢٦ .

٢٨٩ ديوان ابن الجهم : ٩٥ والذخيرة لابن بسام ١ : ٣١٥ والمحِبُّ والمحَبُوبُ ١ : ٣١٦ .

٢٩٠ لم نجده في ديوانه ؛ والبيت في أمالي القالي ١ : ٢٢٦ (لبشار) وبعده البيت الثاني في القطعة
رقم : ٢٨٩ .

٢٩١ ديوان البحتري : ٢١٤ .

٢٩٢ مجموعة المعاني : ٢٠٧ .

٢٩٣ - وقال مزاحم بن الحارث العقيلي : [من الطويل]

فبتنا ندامى ليلة لم نذُق بها حراماً ولم ييخلُ بجلِّ ضنينها
صفاحاً بأيمانٍ ترى أنّ مسّها شفاء الصّدَى من علّة طال حينها

النوع العاشر
في
شكوى الفراق واحتماله

٢٩٤ - قال جميل : [من الطويل]

وما مرَّ يومٌ مُدِّ تراخت^١ بنا النوى ولا ليلةٌ إلا هوىً منكٍ رادفُ
أهمُّ بشكوى منكٍ ثم تردُّني إليك وتثبني عليكِ العواطفُ
فلا تحسبنَّ النَّأيَ أسلى مودتي ولا أنَّ عيني رَدَّها عنك طارفُ^٢

٢٩٥ - وقال آخر : [من البسيط]

يا قلب ويحك ما سلمى بذى سلمٍ ولا الزمانُ الذي قد فات يُرتجعُ
أكلِّمنا مرَّ ركبٌ لا يلائمُهُ ولا يباليون أن يشتاقَ من فجعوا
عَلَّقْتَنِي بهوىٍ منهم فقد جَعَلْتِ من الفراقِ حِصاةً القلبِ تنصدِّعُ
لما دنا البينُ بينَ الحَيِّ واقتسموا حَبَلَ النوى وهي في أيديهم قطعُ
جَادَتْ بِأدمعها سلمى وعاجلني وشكُّ الفراقِ فمن أبكي ومن أدعُ

٢٩٦ - وقال ذو الرمة : [من الطويل]

نظرتُ إلى أظعانِ مَيِّ كأنها مُؤَلِّيةٌ مَيِّسٌ تميلُ ذوائبُهُ

٢٩٤ مجموعة المعاني : ٢١١ وديوانه : ١٢٦ .

٢٩٦ ديوان ذي الرمة : ٨٢٥ .

١ الديوان : ترامت .

٢ الديوان : عاطف .

فأبدتُ منِّي الدمعَ والدمعُ كاتمٍ
 فلما عرفنا آيةَ البينِ بَغْتَةً
 ولم يستطعْ إلفٌ لإلفِ تحيةٍ
 تراءى لنا ما بين سِجْفَيْنِ لِحَّةٍ
 بمغرورٍ نَمَّتْ عليَّ سواكِبُهُ
 وَرُدَّتْ لأحداجِ الفراقِ رَكائِبُهُ
 من الناسِ إلا أن يُسَلِّمَ حاجبُهُ
 غزالٌ أحمُّ العينِ بيضٌ ترائِبُهُ

٢٩٧ - وقال قيس بن ذريح ، ويروى لعبدالله بن مصعب الزبيري :

[من الطويل]

فإن يجبوها أو يجلُ دون وصلها
 فلن يمنعوا عينيَّ من دائم البكا
 وكنا جميعاً قبل أن يظهر الهوى
 فما برح الواشون حتى بدت لنا
 لقد كان حسبَ النفسِ لودام وصلها
 مقالته واشٍ أو وعيد أميرٍ
 ولن يُذهبوا ما قد أُجِنَّ ضميري
 بأنعمِ حالي غبطةٍ وسرورٍ
 بطونُ الهوى مقلوبةً لظهورٍ
 ولكننا الدنيا متاعُ غرورٍ

٢٩٨ - وقال أيضاً : [من الوافر]

بكيْتُ نعم بكيْتُ وكلُّ إلفٍ
 وما فارقتُ لبينى عن تقالٍ
 إذا بانَتْ قريبتُهُ بكاهها
 ولكن شقوةٌ بلغت مداها

٢٩٩ - وقال أيضاً : [من الطويل]

مضى زَمَنٌ والناسُ يستشفعون بي
 يقولون صبُّ بالنساءِ مُوَكَّلٌ
 فهل لي إلى لبينى الغداة شفيعُ
 وما ذاك من فعلِ الرجالِ بديعُ
 إلى الله أشكو أُمَّةً شَقَّتِ العصا
 هي اليومَ شَتَّى وهي أمسِ جميعُ

٢٩٧ الأغاني ٩ : ١٩٣-١٩٤ والأول والثاني في مجموعة المعاني : ٢٠٨ .

٢٩٨ الأغاني ٥ : ١٩٢ .

٢٩٩ الأغاني ٩ : ٢٠٦ وديوان المجنون : ١٩٠-١٩٢ .

لعمرك إني يومَ جرعاءِ مالكٍ لعاصِرٍ لأمرِ المرشدينَ مطيعُ
ندمتُ على ما كان مني ومنكمُ كما ندم المغبون حينَ يبيعُ

٣٠٠ - وقال آخر : [من الطويل]

وكلُّ مصيباتِ الزمانِ عرفتها سوى فرقةِ الأحبابِ هينةُ الخطبِ
وقلت لقلبي حينَ لجَّ به الهوى وكلفني ما لا أطيحُ من الحبِّ
ألا أيُّها القلبُ الذي قاده الهوى أفقُ لا أقرُّ الله عينك من قلبِ

٣٠١ - وقال أبو العباس النامي ، وأحسن في قوله : [من الخفيف]

سألتُ بالفراقِ صَباً وما يندبئها بالفراقِ مثلُ خبيرِ
هو بين الحشا صدوغٌ وفي الأعين ماءٌ وجمرةٌ في الصدورِ

٣٠٢ - وقال علي بن الجهم : [من الكامل المرفل]

فارقنكم وأعيشُ بعدكم ما هكذا كان الذي يجبُ
إني لألقى الناسَ معتذراً من أن أعيشَ وأنتم عُيبُ

٣٠٣ - وقال ابن المعتز : [من الكامل]

ومتيمٌ جرحُ الفراقِ فؤادهُ فالدمعُ من أجفانهِ يترقرقُ
هزتهُ فرقةٌ ساعةٍ فكأنما في كلِّ عضوٍ منه قلبٌ يخفقُ

٣٠٤ - وقال أيضاً : [من الطويل]

٣٠١ القيمة ١ : ٢٤٥ ومجموعة المعاني : ٢٠٨ .

٣٠٢ مصارع العشاق ٢ : ٢٦٠ .

٣٠٣ التشبيهات : ٣٠٣ وديوان ابن المعتز ١ : ٣١٢ .

٣٠٤ التشبيهات : ٢٧٦ وديوان ابن المعتز ١ : ٢١٧ .

١ فوقها في الأصل : وحملني .

يقولون لي والبعْدُ بيني وبينها نأتُ عنك ليلي وانطوى سببُ القربِ
فقلت لهم والحبُّ يفضحُه البكا لكن فارقتُ عيني لقد سكنتُ قلبي
يُوهمُنِيكَ الشوق حتى كأنما أناجيك من قرب وإن لم تكن قربي

٣٠٥ - وقال أبو العتاهية : [من الطويل]

أما والذي لو شاء لم يخلقِ النوى لكن غبتِ عن عيني لما غبتِ عن قلبي

٣٠٦ - وقال ابن المعتز : [من مجزوء الرمل]

ما أبالي بظنونٍ وعيونٍ أتقيها
لي من ذكراك مرآة أرى وجهك فيها

٣٠٧ - وقال آخر : [من البسيط]

إن كنتَ لستَ معي فالذكرُ منك معي يراك قلبي وإن غيبتُ عن بصري
العينُ تبصرُ من تهوى وتفقدُه وناظرُ القلبِ لا يخلو من النظرِ

٣٠٨ - وقال الناجم : [من الطويل]

لكن راح عن عينيَّ أحمدُ غائباً لما هوَ عن عينِ الفؤادِ بغائبِ
له صورةٌ في القلبِ لم يُقصِها النوى ولا تتخطأها أكفُ النوائِبِ
إذا ساءني منه شحوطُ ديارِهِ فضاقت عليَّ في هواه مذهبِي
عظفتُ على شخصٍ له ، غيرِ نازِحِ منازلُهُ بين الحشا والترائبِ

٣٠٩ - وكتب المستظهر بالله أبو العباس إلى يوسف بن أحمد الجزري

٣٠٥ التشبيهات : ٢٧٩ وأمالى القالي ٢ : ١٩٦ وديوان أبي العتاهية : ٤٩١ .

٣٠٦ التشبيهات : ٢٧٩ وديوان ابن المعتز : ١ : ٣٧٠ .

٣٠٧ التشبيهات : ٢٨٠ ومعجم الأدباء : ٨٢٤ (تحقيق عباس) .

٣٠٨ التشبيهات : ٢٨٠ .

وكيله في سَفَرِها سافرَها مَتمثلاً : [من السريـع]

قلت وقالوا بان أحبابه وَبَدَلُوهُ البعدَ بالقربِ
والله ما شطَّتْ نوى نازحِ سار عن العينِ إلى القلبِ

٣١٠ - وقال البحري : [من الكامل]

وأبي الطعائن يوم رُحِنَ لقد مضى فيهنَّ مجدولُ القوامِ قضيْفُهُ
شمسٌ تَأَلَّقُ بالفراقِ غروبها عَنَّا وبدرٌ والرحيلُ كسوفُهُ

٣١١ - وقال العلوي : [من الكامل]

ولقد نظرتُ إلى الفراقِ فلم أجدُ للموتِ لو فُقِدَ الفراقُ سبيلاً
إنَّ المصائبَ لو تُصَوِّرُ ما عَدَّتْ مترحِّلاً بالبينِ أو مرحولاً
يا ساعةَ البينِ انبري فكأنما وُصِلتْ بساعاتِ القيامةِ طولاً

٣١٢ - وقال بعض العرب : [من البسيط]

رَوَّعت بالبينِ حتى ما أراع له وبالمصائبِ في أهلي وجيراني
لم يترك الدهر لي عِلْقاً أضنَّ به إلا اصطفاه بنأيٍ أو بهجرانٍ

٣١٣ - وقال ابن نباتة : [من الطويل]

فزعتُ إلى يَأْسِي فلم أَسْلُ عنهمُ إذا اليأسُ لم يُسَلِّ المحبَّ فما يُسلي
تلافيت فيها قسوةَ الهجرِ بالبكا وداويتُ فيها عزَّةَ الحبِّ بالذلِّ

٣١٠ التشبيهات : ٣٠١ وديوان البحري : ١٤٢٢-١٤٢٣ .

٣١١ التشبيهات : ٣٠٢ .

٣١٣ ديوان ابن نباتة : ١ : ٣٠٢ .

١ التشبيهات : رسولا .

عشية أستعدي على البين مُسْعِداً فينصرني دمعي ويخذلني أهلي
فيا بَيْنُ حُلِّ بيني وبين عواذلي إذا لم تحلُ بين المطية والرحل
ويا دمعُ لا تهتك عليَّ سرائري فلو شئتُ يومَ البين كذبتُ ما تُملي

٣١٤ - وقال المتنبي : [من الكامل]

كم غرَّ صبرُك وابتسامُك صاحباً لما رآه وفي الحشا ما لا يرى
قد كنتُ أحذرُ بَيْنَهُم من قبله لو كان ينفعُ حائناً أن يحذرا

٣١٥ - وأنشد ثعلب : [من المنسرح]

ولتُ بهم عنك نيةٌ قدفٌ غادرتِ الشعبَ غيرَ مُلتئمٍ
واستودعت نَشْرَهَا الديارَ فما تزدادُ طيباً إلا على القدمِ

٣١٦ - وقال ابن الحجاج : [من الخفيف]

إنَّ يومَ الفراقِ مذ بُعدتُ فيه ه وشطتُ دارُ الحبيبِ القريبِ
شَرَّدَ النومَ عن جفوني كما أُلِّ لفَ ما بين مقلتي والنحيبِ

٣١٧ - وقال أيضاً : [من البسيط]

يا مزعجَ النومِ عن أجفانِ مغتبقِ على السهادِ وبالأحزانِ مصطبِحِ
بينني وبينك وعدٌ ليس يُخلفُهُ بُعدُ المزارِ وعهدٌ غيرُ مُطرحِ
فما ذكركُ والأقداحُ دائرةٌ إلا مزجتُ بدمعي باكياً قدحي
ولا سمعتُ بصوتٍ فيه ذكرُ نوى إلا عصبتُ عليه كلَّ مقترحي

٣١٨ - وقال أيضاً : [من البسيط]

أما الغزالُ الذي نهوى فقد ظعنا فاستشعرِ الصبرَ أو مُتْ بعده حزننا

٣١٤ ديوان المتنبي : ٥٣٧-٥٣٨ .

٣١٥ زهر الآداب : ٧٤٢ (لأعرابي) .

ما لي وللين لم يترك على كبدي إلفاً تقرُّ به عيني ولا سكتنا
قد كنتُ أكتُمُ وجدي بعدَ بَيْنِكُمُ فاليوم يا حادي الأظعانِ قد علنا
حمى جفوني الكرى شوقاً إلى سكتني يحرك الوجدَ فينا كلُّما سكتنا

٣١٩ - وأنشد الجاحظ : [من الخفيف]

أنا أبكي خوفَ الفراقِ لأني بالذي يفعلُ الفراقُ عليمُ

النوع الحادي عشر في الأرق والسهاد

٣٢٠ - وقال ابن الرومي : [من المنسرح]

حارب أجفانهُ الرقادُ فما
لم يُخلقِ الدمعُ لامرئٍ عبثاً
اللهُ أدري بلوعةِ الحزنِ
إليَّ في ما مضى من الزمنِ
منعتني بَعْدَكَ العزاءُ به
يا ليتَ ما كان منك لم يكن

٣٢١ - وقال آخر : [من الوافر]

جَفَّتْ عيني عن التغميضِ حتى
كأنَّ جفونها عنها قصارُ

٣٢٢ - وقال ابن الحجاج : [من البسيط]

يا مَنْ رَضِيتُ بها رزقاً أعيشُ به
أسلمتُ طرفي إلى شوقٍ يُعلِّمُهُ السُّدُ
وحدي وليس يفوتُ المرءُ ما رُزِقا
سُهادَ فامتحتته كيف قد حَلِقا
نامي هنيئاً لعينيكِ الرقادُ فما
أمسيتُ أعلم إلا الهَمَّ والأرقا
إن فَرَّقَ الدهرُ شَخْصِينا مراغمةً
فتمَّ قلبانِ لا والله ما افترقا

٣٢٣ - وقال ابن المعتز : [الطويل]

كَلِيبِي لعينِ بالدموعِ شَعَلَتْها
وقد كنتُ أرعى النجمَ أنسبها به
كما جاد يوماً ذو أهاضيبَ ماطرُ
ولكن جفوني مُطْرقاتٌ سواهرُ

٣٢٠ ديوان ابن الرومي : ٢٤٤١ .

٣٢١ التشبيهات : ٢٠٩ (لبشار) وديوانه (العلوي) : ١١٠ وزهر الآداب : ٩٤٦ .

النوع الثاني عشر في تعاطي الصبر والتجلد

٣٢٤ - قال غلام من بني فزارة : [من الطويل]

فأعرضُ كيما يحسبُ الناسُ أنما بي الهجرُ لا والله ما بي لك الهجرُ
ولكن أروضُ النفسَ أنظر هل لها إذا فقدت يوماً أحيَّتها صبرُ

٣٢٥ - وأنشد التوزي : [من الطويل]

فلو كنتُ أدري أن ما كان كائنُ هجرتكُ أيامَ الفؤادِ سليمُ
تُقاضيكُ عينكُ الدموعَ كما لنا كما يتقاضاكُ الديونَ غريمُ
ولكن حسبتُ الهجر شيئاً أطيَّقهُ وما كان لي فيما حسبتُ عزيمُ

٣٢٦ - وقال آخر : [من الطويل]

وإن أكُ عن ليلي سلوتُ فإنما تسلَّيتُ عن يأسٍ ولم أسلُ عن صبرِ
وإن يكُ عن ليلي غنيٌّ وتجلَّدُ فربُّ غنيٍّ نفسٍ قريبٍ من الفقرِ
فيا ربِّ إن أهلكُ ولم تروِّ هامتي بليلي أمتٌ لا قبرَ أعطشُ من قبري

٣٢٤ مجموعة المعاني : ٢١١ .

٣٢٥ الأول والثالث في أمالي القالي ٢ : ٣٣ .

٣٢٦ مجموعة المعاني : ٢١١ وحماسة المرزوقي : ١٢٢٤ . وهي للمجنون في ديوانه : ١٦٥ .

١ الأمالي : حذرتك .

٣٢٧ - وقال نصيبٌ : [من الطويل]

أهابك إجلالاً وما بك قدرة عليّ ولكن ملء عين حبيبها
وما هجرتك النفسُ يا مميُّ أنها قلتك ولكن قلّ منك نصيبها
ولكنهم يا أحسنَ الناسِ أولعوا بقولٍ إذا ما جيتُ هذا حبيبها

٣٢٨ - وقالت ظبية الخُضْريّة : [من الطويل]

فلا يفرح الواشون بالهجر ربما أطل الحبيبُ الهجرَ والحبُ ناصحُ
ويغدو النوى بين المحيين والهوى مع القلبِ مطويّ عليه الجواحُ

٣٢٩ - وقال ذو الرمة : [من الطويل]

وقد كنتُ أبكي والنوى مطمئنّةٌ بنا وبكم من علم ما البينُ صانعُ
وأشفقُ من هجرانكم وتشفني مخافةٌ وشكُ البينِ والشملُ جامعُ
وأعمدُ للأمرِ الذي لا أريدُهُ لترجعني يوماً إليك الرواجعُ
وأهجركم هجرَ البغيضِ وحبكم على كبدي منه شوونٌ صوادعُ

٣٣٠ - ويروي للمجنون وغيره : [من الطويل]

وأحبسُ عنك النفسَ والنفسُ صبّةٌ بذكراكِ والممشى إليك قريبُ
مخافةٌ أن يسعى الوشاةُ بظنّةٍ وأكرمكم أن يستريبَ مريبُ
لقد جعلتُ نفسي وأنتِ اخترمتها وكنتِ أعزّ الناسِ عنك تطيبُ
ولو شئتُ لم أغضبُ عليك ولم يزلُ لك الدهرُ مني ما حييتِ نصيبُ
أما والذي ييلو السرائرَ كلّها ويعلمُ ما ييلو به ويغيبُ

٣٢٧ شعر نصيب (سلوم) : ٦٨ .

٣٢٨ بلاغات النساء : ١٩٧ .

٣٢٩ ديوان ذي الرمة : ١٢٨٦ .

٣٣٠ ديوان المجنون : ٥١ .

لقد كنت ممن تصطفي النفس خلة لها دون خلان الصفاء حجب

٣٣١ - وقال الصمة القشيري ، ويروى للأقرع بن معاذ وغيره :
[من الطويل]

أتبكي على ليلى ونفسك باعدت مزارك من ليلى وشعبا كما معا
فما حسن أن تأتي الأمر طائعا وتجزع أن داعي الصباية أسما
بكت عيني اليسرى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم أسبلنا معا

٣٣٢ - وقال أبو دهبيل : [من الطويل]

أترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة إني إذا لصبور
عفا الله عن ليلى الغداة فإنها إذا وليت حكماً علي تجور
ويا عطشي والماء عذب أخوضه ويا وحشتا والمؤنسون كثير
ويا حسرة في القلب يوم رحيلهم وليلى على ظهر البعير تسيّر

وقال أبو القاسم بن المعتمر الزهري : أنشدت أبا السائب أبيات أبي دهبيل
هذه فقال لي : وأبائي ، كنت والله أحبك وتثقل علي ، وأنا الآن أحبك
وتخف علي .

٣٣٣ - وقال أبو عبدالله ابن الحجاج : [من الطويل]

هجرتك لا أن البعاد أفادني سلواً ولا أني بعهدك غادر

٣٣١ الحماسة البصرية ٢ : ١٣٨ وحماسة التبريزي ٣ : ١١٢ وديوان الصمة : ٩٣ .
٣٣٢ ديوان أبي دهبيل : ٧٧-٧٨ (ولم يرد فيه الثالث والرابع والأغاني ٧ : ١٤٠) (وفيه خبر أبي
السائب) وينسب للمجنون وهو في ديوانه : ١٣٩ .

ولكن هو المهجر الذي كل كائنٍ لمدته فيه وإن طال آخرُ

٣٣٤ - غضبت متمم المشامية على مولاها علي بن هشام ، فتمادى عتبها فكتب إليها : الإدلال يدعو إلى الإملال ، وربُّ هجرٍ دعا إلى صبر ، وإنما سمي القلب قلباً لتقلبه ، ولقد صدق العباس بن الأحنف حيث يقول : [من الخفيف]

لا أراني إلا ساهجر من لي س يراني أقوى على المهجران
ملني واثقاً بحسن وفائي ما أضرَّ الوفاء بالإنسان

قال : فخرجت إليه من وقتها [ورضيت]

٣٣٥ - عبدالله بن مصعب : [من الطويل]

وإني وإن قصرتُ عن غيرِ بغضَةٍ لراعٍ لأسبابِ المودّةِ حافظُ
وأتظر العُتبي وأغضي عن القدي الأينُ طوراً مرةً وأغالظُ
وإني ليدعوني إلى الصرمِ ما أرى وأبي وتشيني إليك الحفائظ
وأتظر الإقبالَ بالودِّ منكم وأصبرُ حتى أوجعتني المغائظُ
وجربتُ ما يُسلي المُحبَّ من الهوى فأقصرتُ والتجربُ للمرءِ واعظُ

٣٣٦ - أم فروة : [من الطويل]

وما ماء مزنٍ أي ماءٍ تقوله تحدرُ من عرِّ طوالِ الذوائبِ
بمنعرجٍ أو بطنٍ وادٍ تقابلت عليه رياحُ المزنِ من كلِّ جانبِ

٣٣٤ الأغاني ٧ : ٢٨٥ .

٣٣٥ أمالي القالي ١ : ٢٥٤ .

٣٣٦ زهر الآداب : ١٨٥ (لعاتكة المرية) والزهرة ١ : ١٢١ (لزيب بنت فروة) .

نفى نَسَمُ الرِّيحِ القذى عن متونه
بأطيب مَمَّنْ يقصرُ الطرفُ دونَه
فما إن به عيبٌ يكونُ لشاربٍ^٢
تقى الله واستحياءُ ما في العواقبِ

٣٣٧ - وقال آخر: [من الطويل]

ألا رُبَّ همٍّ يمنعُ النومَ برَّحُه
وشوقٍ كأطرافِ الأسنَّةِ في الحشا
أقامَ كقبضِ الراحتين على الجمرِ
ملكْتُ عليه طاعةَ الدمعِ أن يجري

١ الزهرة : نقت جرية الماء .

٢ الزهرة : فما إن ترى فيه معاباً لعائب .

النوع الثالث عشر في ذكر العذول والرقيب

٣٣٨ - وقال بعض العرب : [من الطويل]

يقولون مجنونٌ بسمراءٍ مولعٌ بنفسي جنون في هوى^١ وولوعٌ
إذا أمرتني العاذلاتُ بهجرها أبت كبدٌ عما يقلنَ صديقُ
وكيف أطيعُ العاذلاتِ وحبّها يؤرقني والعاذلاتُ هجوعُ

٣٣٩ - وقال أحمد بن سليمان بن وهب ، قال لي أبي : قد عزمت على معاينة

عمك ، يعني الحسن بن وهب ، في حبه لبنات ، فقد شُهرَ بها وافتضح ، فكن معي
وأعني عليه ، وكان هوأي مع عمي ، فمضيت معه فقال له أبي وقد طال عتابه : يا
أخي جعلتُ فذاك الهوى ألدُّ وأمتع ، والرأي أصوب وأنفع ، فقال عمي متمثلاً :

إذا أمرتني العاذلات . . . البيت

فالتفت إليَّ أبي ينظر ما عندي فتمثلت : [من الطويل]

وإني ليلحاني على قرطِ حبِّها رجالٌ أطاعتهم قلوبٌ صحائحُ

فنهض أبي مغضباً وضممني عمي إليه وقبّلني وانصرفت إلى بنات فحدثتها بما

٣٣٨ أمالي القالي ٢ : ٦٠ (للضحك) واختلفت رواية البيتين الثاني والثالث . والثاني والثالث في

الأغاني ٢٢ : ٥٤٢ وقارن برقم : ١٥١ .

٣٣٩ الأغاني ٢٢ : ٥٤١-٥٤٢ .

١ القالي : ألا حبذا جن بنا .

جرى وعمي يسمع ، فأخذت العود وغنّت : [من الوافر]

يلومك في محبتها رجال لو انهم يرأيك^٢ لم يلوموا

٣٤٠ - وقال ابن الرومي : [من الكامل]

وشكى الشجي من الخلي ملامةً وشكى^٣ الوفي تلوّن المذاق
فدع المحب من الملامة إنها بئس الدواء لموجع مقلّق
لا تطفئن جوى بلوم إنه كالريح تُغري النار بالإحراق

٣٤١ - وقال الحسن بن هانئ : [من السريع]

ما حطك الواشون من رتبة عندي وما ضرّك مُغتابُ
كأنما أثنوا ولم يعلموا عليك عندي بالذي عابوا

٣٤٢ - وقال محمد بن وهيب الحميري : [من المتقارب]

ونظرة عين تلافيتها غرّاراً كما نظر الأحوال
مقسمة بين وجه الحبيب ولحظ الرقيب متى يغفل

٣٤٣ - وقال البحتري : [من الطويل]

ولا بدّ من واش يُتأخ على النوى وقد يجلب الشيء البعيد جوالبه

٣٤٠ ديوان ابن الرومي ٤ : ١٦٦٣ .

٣٤١ ديوان أبي نواس : ٧٢١ .

٣٤٢ الأغاني ١٩ : ٦ .

٣٤٣ ديوان البحتري : ٢١٣ .

١ الأغاني : مودتها .

٢ الأغاني : بدائك .

٣ الديوان : فشكى .

٤ الديوان : عندي يوماً بالذي .

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ كَاشِحٌ مُتَكَلِّفٌ^١ يَنِمُّ عَلَيْنَا أَوْ رَقِيبٌ نَرَاقِبُهُ
٣٤٤ - وقال عبدالله بن المعتز: [من الخفيف]

وابلائي من مَحْضَرٍ وَمَغِيبٍ^٢ وحيب منِّي بعيدٍ قَرِيبٍ
لم تَرِدْ ماءً وجهه العينُ إِلَّا شَرِقَتْ قَبْلَ رِيْهَا بِرَقِيبٍ

٣٤٥ - وكان للمراكبي جارية يقال لها مظلومة ، مليحة الوجه يعيها مع
عريب ترقيها ، وكانت أجمل منها ، فقال فيها الشاعر: [من الوافر]

لقد ظلموك يا مظلومٌ لما أقاموك الرقيبَ على عريبٍ
ولو أولوك إنصافاً وعدلاً لما أخلوك أنت مع الرقيبِ
أَتَهَيْنَ المريبَ عن المعاصي فكيف وأنت من شأن المريبِ
وكيف يفارقُ الجاني ذنوباً لديك وأنت داعيةُ الذنوبِ

٣٤٦ - وقال آخر في مثله: [من المتقارب]

فديتك لو أنهم أنصفوا لما منعوا العينَ عن ناظريكِ
ألم يقرأوا ويحهم ما يرو ن من وحي طرفك في مقلتيكِ
وقد جعلوك رقيباً لنا فمن ذا يكون رقيباً عليكِ

٣٤٤ ديوان ابن المعتز ١ : ٢١٣ .

٣٤٥ الأغاني : ٢١ : ٧٢ .

٣٤٦ الأغاني ٢١ : ٧٢ (قال : وأظنه للناسي) والبصائر ٩ : ٢٦ (رقم : ٦٤) وديوان المعاني ٢ :
٢٢٨-٢٢٩ وإنباه الرواة ٢ : ١٢٩ وابن خلكان ٣ : ٩٢ وأدرجت في مجموع شعر الناسي
في مجلة المورد (وفي البصائر تخريج كثير) .

١ الديوان : يصب .

٢ الديوان : محضري ومغيب .

٣ الأغاني : يجانب .

٤ الأغاني : بعثوك .

تَصُدِّينَ أَعْيُنَنَا عَنْ سِوَاكِ وَهَلْ تَنْظُرُ الْعَيْنُ إِلَّا إِلَيْكِ

٣٤٧ - وَالْجَيْدُ فِي قَوْلِ الْوَشَاةِ قَوْلُ أَبِي دَهْبِيلَ : [مِنْ الطَّوِيلِ]

لَقَدْ قَطَعَ الْوَأَشُونَ مَا كَانَ بَيْنَنَا وَنَحْنُ إِلَى أَنْ يُوصَلَ الْجَبَلُ أَحْوَجُ
هُمْ مَنَعُونَا مَا نَحَبُّ وَأَوْقَدُوا عَلَيْنَا وَشَبُّوا نَارَ صَرْمٍ تَأَجَّجُ
وَلَوْ تَرَكُونَا لَا هَدَى اللَّهُ هَدِيَهُمْ لَأَوْشَكَ صَرْفُ الدَّهْرِ تَفْرِيقَ بَيْنَنَا
وَإِنِّي لَمَحْزُونٌ عَشِيَّةَ زَرْتِهَا وَلَا يَسْتَقِيمُ الدَّهْرُ وَالِدَّهْرُ أَعْوَجُ
فَلَمَّا التَّقِينَا لَجَلَجْتُ فِي حَدِيثِهَا وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُهَا لَا أُعْرَجُ
وَمِنْ آيَةِ الصَّدِّ الْحَدِيثُ الْمَلْجَلَجُ وَمِنْ آيَةِ الصَّدِّ الْحَدِيثُ الْمَلْجَلَجُ

٣٤٨ - وَقَالَ الْعَرَجِيُّ : [مِنْ الْكَامِلِ]

وَأَطَعْتُ فِيهَا الْكَاشِحِينَ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْمَقَالَةَ شَامِتًا وَمُعَرِّضًا
وَسَفَاهَةً بِالْمَرْءِ صَرْمٌ حَبِيْبِهِ يُرْضِي بِهِجْرَتَهُ الْعَدُوَّ الْمُبْغِضًا

٣٤٩ - وَقَالَ ذُو الرِّمَّةِ : [مِنْ الطَّوِيلِ]

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ مِيًّا مَسْلَمًا أَتَوْنِي وَفُودًا بَيْنَ سَاعٍ وَجَالِسٍ
غَضَابًا إِذَا مَا جِئْتُ مِيًّا أَزُورُهَا عَلِيٌّ أَلَا رُغْمًا لَتَلِكِ الْمَعَاطِسِ
فَإِنَّا عَلَى مَا يَزْعَمُ النَّاسُ بَيْنَنَا مِنْ الْوُدِّ لَا نَهْوَى دَنِيَّ الْمَجَالِسِ
كَلَانَا أَبِي أَنْ يَقْرِي السُّوءَ نَفْسَهُ وَفِي النَّفْسِ لِلْإِنْسَانِ أَحْرَسُ حَارِسِ

٣٤٧ ديوان أبي دهبيل : ٥٤-٥٧ .

٣٤٨ لم نجد هذا الشعر في ديوانه .

٣٤٩ لم ترد الأبيات في ديوان ذي الرمة .

١ في رواية : سعيهم ؛ أمرهم .

٢ الديوان : الصرم .

النوع الرابع عشر في وصف المحبوب

٣٥٠ - وقال حميد بن ثور الهلالي : [من الطويل]

ولما استقلَّ الحيُّ في رَوْنَقِ الضَّحَى قضينا الوصايا والحديثَ المكتماً
من البيضِ عاشت بين أمِّ عزيزةٍ وبين أبِ بَرِّ أطابَ وأكرماً
منعمةً لو يَدْرُجُ الذرُّ سارياً على جلدها بَضَّتْ مدارجُهُ دماً
رقودُ الضحى لا تقربُ الجيرةَ القُصَى ولا الجيرةَ الأدينِ إلا تجشُّماً

٣٥١ - وقال الأخطل : [من الطويل]

نواعمُ لم يَلْقَيْنَ في العيشِ تَرَحَّةً ولا عثرةً من حدِّ سوءٍ يزيلها
ولو بات يسري الذرُّ فوق جلودها لأثَّرَ في أبشارهنَّ محيلها

٣٥٢ - وقال تميم بن أبي بن مقبل : [من البسيط]

ومأتمَّ كالدمى حورٍ مدامعها لم تَبْأَسِ العيشَ أبكاراً ولا عُوناً

٣٥٠ مجموعة المعاني : ٢١٣ وديوان حميد : ٢٠ ، ١٧ .

٣٥١ مجموعة المعاني : ٢١٣ وديوان الأخطل : ٢٤٢ .

٣٥٢ التشبيهات : ١٠٠ (٦ ، ٧ ، ٤) وكذلك أمالي القالي ١ : ٢٢٩ وانظر ديوان ابن مقبل :

٣٢٥ - ٣٣٠ .

١ الديوان : قبصن . . . المجمعما .

٢ الديوان : أطاع .

شُمُّ مُخَصَّرَةٍ هَيْفٍ مُنْعَمَةٍ من كلِّ داءٍ بإذنِ الله يشفينا
 كأنهنَّ الظباءُ الأُدُمُ أُسْكَنَها ضالٌّ بِغُرَّةٍ أو ضالٌّ بدارينا
 يمشينَ هَيْلَ النَّقا لانتِ^١ جوانبُهُ يَنهالُ حيناً وينهالُ الثرى حيناً
 من رملِ عرزانٍ أو من رملِ أُسْنَمَةٍ جعدِ الثرى بات في الأمطارِ مدجوناً
 يهززن للمشي أوصالاً مُنْعَمَةً هزَّ الجنوبِ ضحىَّ عيدانٍ ييرينا
 أو كاهتزازِ رُدَيْنيِّ تعاوَرَهُ^٢ أيدي التُّجارِ فزادوا مَتْنَهُ لينا
 نازعَ ألبابها لُبيِّ بمختزِنٍ من الأحاديثِ حتى ازدددن لي لينا
 في ليلة من ليالي الدهرِ صالحَةٍ لو كان بعد انصرافِ الدهرِ مأمونا

٣٥٣ - وقال سحيم : [من الطويل]

كأنَّ الثريا عَلَّقَتْ فوقَ نحرها وجمراً غَضاً هَبَّتْ له الرِيحُ ذاكيا
 تريك غداةَ البينِ كَفًّا ومِعْصَمًا ووجهاً كدينارِ الأَعْرَةِ صافيا

٣٥٤ - وقال عمرو بن شأس : [من الطويل]

إذا نحن أدلجنا وأنتِ أماننا كفى للمطايا نورٌ وجهك^٣ هاديا
 أليس يزيد العيسُ خفةً أذرعٍ إذا كنَّ حَسْرَى أن تكوني أماميا

٣٥٥ - وقال بشر بن عقبة العدوي : [من الطويل]

رأيتك فوقَ الناسِ يا أمَّ مالكِ بجملةِ حُسْنِ أُخرستُ مَنْ يَعْبِيها

٣٥٣ ديوان سحيم عبد بني الحسحاس : ١٧ ، ١٨ .

٣٥٤ ديوان المعاني ١ : ٢٢٤ والحماسة البصرية ٢ : ١٤٥-١٤٦ .

١ فوقها في ر : مالت (وكذلك الديوان) .

٢ الديوان : تداوله .

٣ البصرية : كفى لمطايانا بريك .

فوالله ما أدري أنتِ كما أرى أم العينُ مزهوٌ إليها حبيها

٣٥٦ - وقال آخر: [من الطويل]

أحبُّ اللواتي في صباهنَّ غرَّةٌ وفيهنَّ عن أزواجهنَّ طماحُ
مُسراتُ حبِّ مظهراتٍ عداوةٌ تراهنَّ كالمرضى وهنَّ صحاحُ

٣٥٧ - وقال ذو الرمة: [من البسيط]

زينُ الثيابِ وإنْ أثابها استلبتُ فوقَ الحشيةِ يوماً زانها السلبُ
تريكُ سنَّةٍ وجهٍ غيرِ مُقرِّفةٍ ملساءٍ ليس بها خالٌ ولا ندبُ
إذا أخو لذةِ الدنيا تبطنها والبيتُ فوقهما بالليلِ محتجبُ
سافتُ بطيبةِ العرينِ مآرئها بالمسكِ والعنبرِ الهنديِّ مُختضبُ

٣٥٨ - وقال أيضاً: [من الطويل]

إذا نازعتك القولَ مئةً أو بدا لكَ الوجهُ منها أو نضا الدرعَ سالبه
فيا لكَ من خدِّ أسيلٍ ومنطقٍ رخيماً ومن خلقٍ تعلَّلَ جادبه

٣٥٩ - وقال آخر: [من الكامل]

أبتِ الروادفُ والثديُّ لِقْمِصِها مسُّ البطونِ وأن تمسَّ ظهورا
وإذا الرياحُ مع العشيِّ تناوحتْ نبَّهنَ حاسدةً وهجنَ غيورا

٣٥٦ الحماسة البصرية ٢ : ١٨٢ ومصارع العشاق ٢ : ١١٣ ، ١٧٩ .

٣٥٧ ديوان ذي الرمة : ٢٩-٣١ .

٣٥٨ ديوان ذي الرمة : ٨٣٤ .

٣٥٩ حماسة التبريزي ٣ : ١٣٩ والمرزوقي ١٢٨٤ (رقم : ٤٩٠) وأمالي القالي ١ : ٢٤ والحماسة

البصرية ٢ : ٩١ والمحج والمحبوب ١ : ٢٥٣ .

٣٦٠ - وقال آخر : [من الطويل]

تأملتُها مغترةً فكأنما
إذا ما ملأتُ العينَ منها ملأتها
رأيتُ بها من سنّةِ البدرِ مطلعا
من الدمعِ حتى أنزفَ الدمعَ أجمعا

٣٦١ - وقال آخر : [من الكامل]

بيضاء آتسة الحديث كأنها
موسومة بالحسن ذات حواسد
قمرٌ توسّطَ جُنْحَ ليلٍ مبرِدٍ
إنَّ الحسانَ مَظَنَّةٌ للحُسَدِ
وترى مدامعها تترققُ مقلّةً
سوداءَ ترغَبُ عن سوادِ الإثمِدِ

٣٦٢ - وقال تميم بن مُقبل : [من الطويل]

ألم ترَ أنَّ القلبَ ثاب وأقصرأ
وُبدلَ حلماً بعد جهلي ومنَ يعيشُ
وجلى عَمَايَاتِ الشبابِ وأبصرأ
يُجربُ وييصِرُ شأنُهُ ان تبصرأ
وكنا اجتنينا مرّةً ثَمَرَ الصبأ
فلم يُبقِ منه الدهرُ إلاّ تذكراً
وعَمداً تصدّتُ يومَ شاكلةِ الحمى
لتنكأ قلباً قد صحا وتوقراً
عشيةً أبَدتُ جيدَ أدماءِ مُغزِلِ
وطرفاً يُريكَ الإثمِدَ الجَوْنَ أحورا
وأسحَمَ مجاحِ الدّهانِ كأنه
عناقيدُ من كرمِ دنا فتَهصراً
وأشنبَ تجلوهُ بعودِ أراكيةٍ
وَرَخِصاً عَلَتُهُ بالخضابِ مُسَيِّراً
فيا لكَ من شوقِ بقلبِ متيمِ
يُجنُّ الهوى منها ويا لكَ منظراً

٣٦٣ - وقال الحسن بن هانئ : [من السريع]

لو مَسَّ مَيِّتاً عادَ حياً ولم
يَضُمَّهُ من بعديه قبرُ

٣٦٠ الزهرة ١ : ٧٣ .

٣٦٢ ديوان ابن مقبل : ١٤٢-١٤٤ .

٣٦٣ ديوان أبي نواس (شولر) ٢ : ٢١٤ .

أو مرّ ذرٌّ فوق سرباله يوماً لأدْمَى جلدَهُ الذرُّ

٣٦٤ - وقال أيضاً : [من الكامل المرفل]

في مثل وجهك يحسنُ الشعرُ ويكونُ فيه لذي الهوى عُدْرُ
تزيّن الدنيا بطلعته ويكونُ بدرًا حينَ لا بدرُ

٣٦٥ - وقال أيضاً : [من المديد]

ما هوى إلا له سببٌ يبتدي منه وينشعبُ
فتنت قلبي مُحجَّبةٌ برداء الحسن تتقبُّ^١
خلّيتُ والحسن تأخذهُ تنتقي منه وتتخبُّ^٢
فاكتست منه طرائفه واستزادت فضلَ ما تهبُّ^٣
صار جدًّا ما مزحتُ به ربُّ جدُّ جرّة اللعبُ

٣٦٦ - وقال أبو ذؤيب : [من الطويل]

وإنّ حديثاً منك لو تعلمينه^٢ جنّى النحل في ألبانِ عودِ مطافِلِ
مطافيلَ أباكِرِ حديثِ نتاجها تُشابُّ بماءٍ مثل ماءِ المفاصلِ

المفاصل : مُنفصلُ السهل من الجبل حيث يكون الرضراض ، فالماء الذي يستنقع فيه أطيبُ ماء .

٣٦٤ ديوان أبي نواس (شولر) ٢ : ٣٩٢ .

٣٦٥ ديوان أبي نواس (شولر) ٢ : ١٤ .

٣٦٦ شرح أشعار الهذليين ١ : ١٤١ .

١ الديوان : وجهها بالحسن منتقب .

٢ الديوان : لو تبدلينه .

٣٦٧ - وقال البحرى : [من الكامل]

وراءِ تَسْدِيَّةِ الوِشَاةِ مَلِيَّةٌ بالحسنِ تَمَلُّحٌ فى القلوبِ وتعذبُ
كالبدْرِ إِلاَّ أَنَّها لا تُجْتَلَى كالشمسِ إِلاَّ أَنَّها لا تغربُ

٣٦٨ - وقال أيضاً : [من الخفيف]

ذاتِ حُسْنٍ لو استزادت من الحسد من إِليه لما أَصابَتْ مزيدا
فهى كالشمسِ بهجَةً والقضيبِ الـ غَضٌّ ليناٌ والرِّيمِ طرفاً وجيدا

٣٦٩ - وقال أيضاً : [من السريع]

لا تَلَحْنِي إِذْ عَزَّنِي الصبرُ فَوَجَّهُ مَنْ أَهْواهُ لِي عَذْرُ
غائِبَةٌ لم أَغْنِ عَنْ حُبِّها يَقتلُ فى أَجفانِها السحرُ
إِنْ نَظَرْتُ قَلْتُ بِها ذِلَّةٌ أَوْ خَطَرْتُ قَلْتُ بِها كِبَرُ
يَهْتزُّ أَعلاها فَتَعْتاقُهُ رادفةٌ يَعيَا بِها الخِصرُ
أصبحتُ لا أَطعمُ فى وَصْلِها حَسْبِي أَنْ يَبْقَى لِي الهَجْرُ

٣٧٠ - وقال أيضاً : [من الطويل]

غريراً تراءاهُ العيونُ كأنما أضاءَ لها من تحتِ داجيةٍ فَجَرُ
إِذا انصرفتُ يوماً بعطفيةٍ لفتةً أَوْ اعترضتُ من لحظهِ نظرةٍ شَرُ
رأيتَ هوى قلبٍ بطيءٍ نزوعُهُ وحاجةَ نفسٍ ليسَ عن مثلها صبرُ

٣٧١ - وقال أيضاً : [من الوافر]

٣٦٧ ديوان البحرى ١ : ٧٢ .

٣٦٨ ديوان البحرى ١ : ٥٩١ .

٣٦٩ ديوان البحرى ٢ : ٩٦٦ .

٣٧٠ ديوان البحرى ٢ : ١٠٦٧ .

٣٧١ ديوان البحرى ٣ : ١٨٢٢ .

إِذَا خَطَرَتْ تَارُجَ جَانِبَاهَا كَمَا خَطَرَتْ عَلَى الرَّوْضِ الْقَبُولُ
وَيَحْسُنُ دَلَّهَا وَالْمَوْتُ فِيهِ وَقَدْ يُسْتَحْسَنُ السِّيفُ الصَّقِيلُ

٣٧٢ - وقال أيضاً: [من الطويل]

ضِمَانٌ عَلَى عَيْنِكَ أَنِّي لَا أَسْلُو وَأَنَّ فَوَادِي مِنْ جَوَى بَلْ لَا يَخْلُو
أَلَا إِنَّ وَرْدًا لَوْ يَذَادُ بِهِ الصَّدَى وَإِنَّ شِفَاءً لَوْ يُصَابُ بِهِ الْخَبْلُ
أَطَاعَ لَهَا دَلٌّ غَرِيرٌ وَوَضَحٌ شَتِيَةٌ وَقَدْ مُرْهَفٌ وَشَوَى خَدْلُ
وَالْحَاظُ عَيْنٍ مَا عَلِقْنَ بِفَارِغٍ فَخَلَّيْنَهُ حَتَّى يَكُونَ لَهُ الشَّغْلُ

٣٧٣ - وقال أيضاً: [من الطويل]

وَأَهْيَفَ مَأْخُودٍ مِنَ النَّفْسِ شَكْلُهُ تَرَى الْعَيْنُ مَا تَخْتَارُ أَجْمَعُ فِيهِ
وَلَمْ تَنْسَ نَفْسِي مَا سَقَيْتُ بِكَفِّهِ مِنْ الرَّاحِ إِلَّا مَا سَقَيْتُ بِفِيهِ

٣٧٤ - وقال أيضاً: [من البسيط]

بِيضَاءُ أَوْقَدَ خَدْيَيْهَا الصَّبَا وَسَقَى أَجْفَانَهَا مِنْ سُلَافِ الرَّاحِ سَاقِيهَا
فِي حَمْرَةِ الْوَرْدِ شَكْلٌ مِنْ تَلَهَّبَهَا وَلِلْقَضِيبِ نَصِيبٌ مِنْ تَشْنِيهَا
قَدْ عَلِمْتُ أَنِّي لَمْ أُرِضْ كَاشِحَهَا فِيهَا وَلَمْ أُسْتَمِعْ مِنْ قَوْلِ وَاشِيهَا

٣٧٥ - وقال أبو تمام: [من الكامل]

عَنْتَ لَهُ سَكَنٌ فَهَامَ بِذِكْرِهَا أَيُّ الدَّمُوعِ وَقَدْ بَدَّتْ لَمْ يُجْرِهَا

٣٧٢ ديوان البحرني ٣ : ١٦١٥ .

٣٧٣ ديوان البحرني ٤ : ٢٣٩٨ .

٣٧٤ ديوان البحرني ٤ : ٢٤٠٩ .

٣٧٥ ديوان أبي تمام ٤ : ٢١١-٢١٢ .

١ الديوان : ما تحتاج .

٢ الديوان : أيقنت .

بيضاء يُحَسَّبُ شعرها من وجهها لما بدا أو وجهها من شعرها
 تعطيك مَطَقَهَا فتحسبُ أنه لِحَنِي عذوبته يَمُرُّ بثغرها
 وأظنُّ حَبْلَ وصالها لِحَبِّها أوْهَى وَأضعفَ قوَّةً من خصيرها
 ٣٧٦ - وقال ابن الرومي : [من الخفيف]

وغزالٍ تَرَى على وجنتيه قَطَرَ سَهْمِيهِ من دماءِ القلوبِ
 جرحته العيونُ فاقتصَّ منها بجوىِّ في القلوبِ دامي الندوبِ
 ٣٧٧ - وقال أيضاً : [من السريع]

يا عُصْنًا من لؤلؤٍ رَطَبِ فيه سُرورُ العينِ والقلبِ
 أحسنَ بي يومٌ أَرَانِيكُمْ وما على المحسنِ من عتبِ

٣٧٨ - وقال أيضاً : [من الخفيف]

من جَوَارٍ كأنهنَّ جوارٍ يتسلسلن من مياهِ عذابِ
 لابساتٍ من الشفوفِ لبوساً كالهواءِ الرقراقِ أو كالسرابِ
 يورسُ الليلَ ذكرهنَّ فينجا بٌ وإن كان حالكَ الجلبابِ
 عن وجوهِ كأنهنَّ شمسٌ وبدورٍ طلعتْ غبَّ سحابِ
 سألته الأندابُ وهي من الرقدِ قةً أولى الوجوهِ بالأندابِ
 لو ترى القومَ بينهنَّ لأخبر تَ صُراحاً ولم تقلُ باكتسابِ
 وإذا ما تعجَّبَ الناسَ قالوا هل يصيدُ الظباءُ غيرَ الكلابِ

٣٧٩ - وقال أيضاً : [من المنسرح]

يا وجنتيه اللتين من بهج في صُدُغِيهِ اللذين من دَعَجِ

٣٧٦ ديوان ابن الرومي ١ : ١٧٢-١٧٣ .

٣٧٧ ديوان ابن الرومي ١ : ٢٤٨ .

٣٧٩ ديوان ابن الرومي ٢ : ٤٧٥ .

ما حمرة فيكما أمن خجل
خدان فينا لظى حريقهما
أم صبغة الله أم دم المهج
ونوره فيهما بلا وهج
ما إن تزال القلوب في حرق
عليهما والعيون في لجاج

٣٨٠ - وقال أيضاً: [من المنسرح]

ظبي وما الظبي بالشبيه له
وحسن أجياده ومقلته
في الحسن إلا استراقه حورة
ونفرة فيه من رقى السحرة
محاسن كلهن مسترق
منه وكل رآه فاغتفرة
ولحظ عينين لو أدارهما
لفارس في سلاحه أسرة
وخت جفنيهما وغنجهما
تعلم السحر ماهر السحرة
ومضحك واضح به شنب
يعرف من شام برفه مطرة
وصحن خد حيقه ضرم
يقذف في القلب دائماً شره
أعاره الورد حسن صبغته
كأنما الله حين صوره
يكفيه رعي الخلاء أن له
من كل قلب ممنع ثمره

٣٨١ - وقال أيضاً: [من الكامل المرفل]

ومهفهف تمت محاسنه
تصبو الكؤوس إلى مراشفه
حتى تجاوز منية النفس
وتهش في يده إلى الحبس
منه وبين أنامل خمس
أبصرته والكأس بين فم

٣٨٠ ديوان ابن الرومي ٣: ٩٣٥، ٩٣٧، ٩٣٩.

٣٨١ ديوان ابن الرومي ٣: ١١٧٥.

١ الديوان: الفجره.

فكأنها وكأنَّ شاربها قَمَرٌ يُقَبِّلُ عَارِضَ الشَّمْسِ

٣٨٢ - وقال أبو فراس ابن حمدان : [من الوافر]

مُسيءٌ مُحَسِّنٌ طَوْرًا وَطَوْرًا فما أدري عدوي أم حبيبي
يَقْلُبُ مَقْلَةً وَيَدِيرُ لِحْظًا به عُرِفَ البريءُ من المريبِ
وَبَعْضُ الظَّالِمِينَ وَإِنْ تَبَاهَى شهىُّ الظلمِ مُعْتَفَرُ الذنوبِ

٣٨٣ - وقال ابن نباتة : [من الطويل]

وَكَمْ بِالْحَمَى وَدَعْتُ مِنْ وَصَلِ خَلَّةٍ وَغَانِيَةٌ يَنَائِي مِنَ الْقُرْطِ جِيدُهَا
أَلَذُّ مِنَ النَّيْلِ الْمَعْجَلِ وَعَدُّهَا وَأَنْفَعُ مِنْ وَصَلِ الْغَوَانِي صَدُودُهَا
مَنْعَةٌ يَرَوَى مِنَ الدَّمْعِ جَفْنُهَا وَلَمْ يَرَوْا مِنْ مَاءِ الشَّيْبَةِ عَوْدُهَا

٣٨٤ - وقال ابن الرومي : [من مجزوء الرمل]

يَا شَبِيهَةَ الْبَدْرِ فِي الْحُسِّ نِ فِي بُعْدِ الْمَنَالِ
جُدُّ فَقَدْ تَنْفَجِرُ الصَّخْرُ رَةً بِالْمَاءِ الزَّلَالِ

٣٨٥ - وقال أبو الحسن السلامي : [من الطويل]

وَفِيهِنَّ سَكْرَى اللَّحْظِ سَكْرَى مِنَ الصَّبَا تَعَاتَبُ حَلَوَ اللَّفْظِ حَلَوَ الشَّمَائِلِ
أَدَارَتْ عَلَيْنَا مِنْ كَوْوسٍ حَدِيثُهَا سُلَافًا وَغَنَّتْنَا بِصَوْتِ الْخَلَاحِلِ

٣٨٢ ديوان أبي فراس : ٣٨ .

٣٨٣ ديوان ابن نباتة : ١ : ٤٦٧ .

٣٨٤ ديوان ابن الرومي : ٥ : ١٩١٠ .

٣٨٥ يتيمة الدهر : ٢ : ٤٠٣ .

١ اليتيمة : كؤوساً .

٣٨٦ - وقال أبو الخطاب الجبلي : [من الكامل]

دمتُ يكادُ من الحياءِ يذبيهُ لحظي وليس يُلينُهُ استعطافي
هيهات تُسلي عن هواهُ ذنوبُهُ ظلمُ الهوى أحملي من الإنصافِ

٣٨٧ - وقال علي بن جبلة العكوك : [من الوافر]

أغرُّ تولَّدُ الشهواتُ منه فما تعدوه أهواءُ القلوبِ
وما اكتحلتُ به عينٌ فتبقى مُسلمةً الضميرِ من الذنوبِ

٣٨٨ - وقال السري الرفاء : [من الكامل]

ضُعفتُ معاقدُ خصرِهِ وعقودهٗ فكأنَّ عقَدَ الخصرِ عقْدُ وفائِهِ

٣٨٩ - وقال الرشيد في ماردة أم المعتصم : [من الكامل المرفل]

وإذا نظرتُ إلى محاسنها فبكلِّ موقعٍ نظرةٌ نبَلُ
وتنالُ منك بحدِّ مقلتها ما لا ينالُ بحدِّه النصلُ
ولقلبها حلمٌ يياعدها عن ذي الهوى ولطرفها جهلُ
ولوجهها من وجهها قمرٌ ولعينها من عينها كحلُّ

٣٩٠ - وقال عبد الله بن الحجاج : [من الكامل]

ومدللي أما القضيْبُ فقدهُ شكلاً وأما ردفُهُ فكثيبُ

٣٨٧ شعر علي بن جبلة : ٣٧ .

٣٨٨ ديوان السري الرفاء : ٥ .

٣٨٩ الديارات للشابشتي : ٢٢٦ .

١ الديوان : وعهوده .

٢ الديارات : ناظرها .

يمشي وقد فعل الصبا بقوامه
أرمني مقاتلَهُ فتخطي أسهمي
نفسى فداؤك إن نفسى لم تزل
ما لي وما لك لا أراك تزورني

٣٩١ - وقال : [من السريع]

فديتُ من نادمتُهُ ليلةً
أجفانُهُ في مجلسي نرجسي
مزجتُ كأسى من جنى ريقهِ

٣٩٢ - وقال : [من السريع]

يا مَنْ إذا قابلَ شمسَ الضحى
كيف احتيالي في جحودي هوى

٣٩٣ - وقال : [من السريع]

فديتُ إنساناً على وصيلهِ
لما احتوى الوردُ على خدِّهِ
مزجتُ كأسى من جنى ريقهِ

٣٩٤ - وقال : [من مixel البسيط]

وشادن خلَّقهُ دليل
يفعلُ بالشمس في ضحاها
مَرَّ بنا والصبحُ منه

فينا على قدرة الحكيم
ما تفعل الشمسُ بالنجوم
يشرقُ تحت الدجى البهيم

١ فوقها في الأصل : حابس .

يَعْلَمُ الْغَصْنَ وَهُوَ يَمْشِي تَثْنِي الْغَصْنَ فِي النَّسِيمِ

٣٩٥ - وقال : [من مجزوء الرمل]

قل لمن ريقته مسكٌ وشهدٌ ومدامٌ
والذي حلل قتلِي وهو محظورٌ حرامٌ
أيها النائم عمّن عينه ليس تنامُ
كلُّ نارٍ غير ناري فيك بردٌ وسلامٌ

٣٩٦ - أنشد أبو حاتم لرجل من كلب : [من الطويل]

لقد منعت بردَ المقيّل وقطعتُ برمّانَ أنفاسِ المطيِّ صعودُ
قصيرةٌ همُّ الروحِ أمّا شتاؤها فسخنٌ وأمّا قيظها فبرودُ
من ها هنا أخذ عمر بن أبي ربيعة قوله فزاد وأحسن : [من الخفيف]
سخنةٌ في الشتاء باردة الصيِّف سراجٌ في الليلة الظلماءِ

٣٩٧ - وقال أعرابي : [من الوافر]

مُنْعَمَةٌ يَحَارُ الطَّرْفُ فِيهَا كَأَنَّ حَدِيثَهَا سُكْرُ الشَّبَابِ
مِنَ الْمُتَصَدِّياتِ لغيرِ سَوْءٍ تَسِيلُ إِذَا مَشَتْ مَشْيَ الْحَبَابِ

٣٩٦ بيت عمر بن أبي ربيعة لم يرد في ديوانه .

٣٩٧ أمالي القالي ١ : ٨٤ ومجموعة المعاني : ٢١٤ .

النوع الخامس عشر

في

طيب الأفواه

٣٩٨ - وقال امرؤ القيس : [من المتقارب]

كَأَنَّ الْمِدَامَ وَصَوَّبَ الْغَمَامَ وَرِيحَ الْخَزَامَى وَنَشَرَ الْقَطْرُ
يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا إِذَا طَرَّبَ الطَّائِرَ الْمُسْتَحِرَّ

٣٩٩ - وقال جميل : [من الكامل]

وَكَأَنَّ طَارِقَهَا عَلَى غَلَلِ الْكُرَى وَالنَّجْمُ وَهَنَا قَدْ بَدَأَ لَتَغْوِرُ
يَسْتَأْفُ رِيحَ مَدَامَةٍ مَعْلُولَةٍ بِذَكِيٍّ مُسَكٍّ أَوْ سَحِيقِ الْعَنْبِرِ

٤٠٠ - وقال آخر : [من الطويل]

كَأَنَّ عَلَى أَنْيَابِهَا الْخَمْرَ شَابِهَا بِمَاءِ النَّدى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ غَابِقُ
وَمَا ذَقْتُهُ إِلَّا بَعِينِي تَفْرُسًا كَمَا شِيمَ فِي أَعْلَى السَّحَابَةِ بَارِقُ

٤٠١ - وقال أبو صعتره البولاني : [من الطويل]

فَمَا نُظْفَةً مِنْ حَبِّ مُزْنٍ تَقَاذَفَتْ بِهَا جَنَبَتَا الْجُودِيِّ وَاللَّيْلُ دَامِسُ

٣٩٨ التشبيهات : ١٠٤ وزهر الآداب : ٢٣٧ وحماسة ابن الشجري : ١٩٢ والمحجوب ١ :

١٤٨ وديوان امرئ القيس : ١٥٧-١٥٨ واللسان (قطر) .

٣٩٩ ديوان جميل : ١٠٧-١٠٨ وزهر الآداب : ٢٣٥ .

٤٠٠ التشبيهات : ١٠٧ وحماسة ابن الشجري : ١٩٢ وهما لابن ميادة في المحجوب ١ : ١٤٢

وتنسب لغيره (انظر التخريج) .

٤٠١ حماسة التبريزي ٣ : ١٣٨ وسمط اللآلي : ٥٢٢ .

فلما أقرته اللصابُ تنفستُ شمالاً لأعلى مائه فهو قارسُ
بأطيبَ من فيها وما ذقتُ طعمهُ ولكنني في ما ترى العينُ فارسُ

٤٠٢ - وقال حرمله بن مقاتل : [من الطويل]

وما ضربتُ في رأسِ نيقٍ مُمنعٍ بتيهَاءٍ قد يستنزِلُ العصمَ نيقها
بأطيبَ من فيها وما ذقتُ طعمهُ وقد جَفَّ بعد النومِ للنومِ ريقها
إذا اعتلتِ الأفواه واستمكن الكرى وقد حان من نجم الثريا خفوقها
وما ذقتُ فاهها غير شيء رجوتُه ألا رُبَّ راجي شربةٍ لا يذوقها

٤٠٣ - وقال أبو ذؤيب : [من الطويل]

عصاني إليها القلبُ إني لأمره مطيعٌ فما أدري أُرشدُ طلابُها

أراد أُرشدُ طلابها أم غي فحذف ، وفي الكتاب العزيز : ﴿سرايل تقيمكم
الحر﴾ (النحل : ٨١) ولم يقل : وتقيمكم البرد ، وعادة العرب الحذف إذا كان
فيما بقي دليلاً على ما حذف ، ويرون ذلك من الفصاحة ؛ وقال الشاعر : «تمرُّ
بها رياحُ الصيفِ دوني» .

فقلتُ لقلبي يا لكَ الخيرُ إنما يُدليكَ للموتِ الجديدِ حبابُها
فأقسمُ ما إنْ بالةٌ^٢ لَطَمِيَّةٌ تفتح باب الفارسيين بابها
ولا الراحُ راحُ الشَّامِ جاءت سيئةٌ لها رايةٌ تهدي الكرامَ عُقابُها

٤٠٢ مجموعة المعاني : ٢١٤ .

٤٠٣ شرح أشعار الهدليين ١ : ٤٣-٤٥ ، ٥٤ .

١ الديوان : سميع .
٢ البالة : وعاء المسك .

عقارٌ كماءِ النبيءِ ليستُ بخطمةٍ ولا حَلَّةٍ يكوي الشروبَ شهابُها
بأطيبَ من فيها إذا جئتُ طارقاً من الليلِ والتفتُ عليَّ ثيابُها
٤٠٤ - وقال بَشَّارُ : [من البسيط]

يا أطيَّبَ الناسِ ريقاً غيرَ مختبرٍ إلا شهادةَ أطرافِ المساويكِ
٤٠٥ - وقال ابن الرومي : [من الطويل]

وما تعترِبها آفةٌ بشريَّةٌ من النومِ إلا أنها تتخَرُّ
كذلك أنفاسُ الرياضِ بسُحرَةٍ تطيبُ وأنفاسُ الأنامِ تَعْيِرُ
وما ذقتُهُ إلا بِشِيمِ ابتسامِها وكم مخيرٍ بيديه للعينِ منظرُ
وغيرُ عَجيبِ طيبِ أنفاسِ روضةٍ مُنَوَّرَةٍ باتتُ تراخُ وتُمطرُ
٤٠٦ - وقال أيضاً : [من البسيط]

هي الفتاةُ إذا اعتلَّتْ مَقاصِبُها بالنومِ واعتلَّتْ الأفواهُ بالسحرِ
طابت هناكِ حينٍ لا يطيبُ له إلا الرياضُ كأنَّ ليستُ من البشرِ
٤٠٧ - وقال القطامي : [من الطويل]

وما رِيحُ قاعِ ذي خزامى وحنوِّه له أَرَجُّ من طيبِ النبتِ عازِبِ

- ٤٠٤ أمالي القتالي ١ : ٢٢٨ وديوان المعاني ١ : ٢٤١ والتشبيهات : ١٠٧ وحماسة ابن الشجري :
١٩٣ وديوان بشار (العلوي) : ١٧٣ (وفيه تخريج كثير) .
٤٠٥ ديوان المعاني ١ : ٢٣٩ والأول والثاني في التشبيهات : ١٠٤ وفي مجموعة المعاني : ٢١٤
والأول والرابع والثاني في حماسة ابن الشجري : ١٩٢ وديوان ابن الرومي ٣ : ٩٠٧ .
٤٠٦ ديوان ابن الرومي ٣ : ١١٦ .
٤٠٧ ديوان المعاني ١ : ٢٥٩ وديوان القطامي : ٤٤-٤٥ .

١ أي صافية كالماء الذي يقطر من اللحم ؛ الشروب : جمع شارب ؛ شهابها : حدتها .

بأطيب من فيها إذا ما تَقَلَّبَتْ من الليل وسنى جانباً بعد جانبٍ

٤٠٨ - وقال جرير : [من الطويل]

سقينَ البشامَ المسكَ حينَ رَشَقْنَهُ رشيفَ الغُرَيَّاتِ ماءَ الوقائعِ
إذا ما رجا الظمانُ وِرْدَ شريعةٍ ضربنَ حبالَ الموتِ دونَ الشرائعِ

٤٠٩ - وقال ابن الدمينة : [من الطويل]

وما نُظْفَةُ صهباءُ صافيةُ القذى بحجلاء تجري تحت نيقِ حبابها
سقاها من الأشراطِ ساقٍ فأصبحت تسيلُ مجاري سِيلِها وشعابُها
يخومُ بها صاِدِ يَرَى دونها الردى محيطاً فيهوى وِرْدَها ويهابُها
بأطيب من فيها ولا قَرَفِيَّةٌ يُشابُ بماءِ الزنجبيلِ رضابُها

٤٠٨ مجموعة المعاني : ٢١٤ وديوان جرير (الصاوي) : ٣٦٠ .

٤٠٩ مجموعة المعاني : ٢١٤ وديوان ابن الدمينة : ٦٢-٦٣ .

١ حجلاء : موضع ؛ النيق : العجل . الحباب : طرائق الماء .

النوع السادس عشر في وصف الثغر

٤١٠ - وقال القطامي : [من الطويل]

مُنْعَمَةٌ تجلو بعودِ أراكة ذرى بَرْدٍ عذبٍ شَنِيبِ المناصبِ
كَأَنَّ فُضِيضاً من عريضِ غمامَةٍ على ظمأً جادت به أمُّ غالبِ

٤١١ - وقال آخر : [من البسيط]

كَأَنَّمَا ثغرها من حُسْنِهِ بَرْدٌ مما تُهَادِيهِ أيدي الريحِ مصقولُ
كَأَنَّهُ أَقْحَوَانٌ غِبَّ ساريةٍ مديمٍ واجهته الريحُ مشمولُ

٤١٢ - وقال مسلم : [من الطويل]

تَبَسَّمُ عن مثل الأفاحي تَبَسَّمَتْ له مُزْنَةٌ صَيْفِيَّةٌ فتبَسَّمَا

٤١٣ - وقال آخر : [من الطويل]

حَازِرٌ في الظلماءِ أن تستشفني عيونُ الغيارى في وميضِ المضاحكِ

٤١٤ - وقال السمهري : [من الطويل]

وبيضاءٍ مكسالٍ لعوبٍ خريدةٍ لذيذٍ لدى ليلِ التمامِ شامها

٤١٠ مجموعة المعاني : ٢١٤ وديوان القطامي : ٤٣ .

٤١١ مجموعة المعاني : ٢١٥ .

٤١٢ ديوان مسلم : ٣٤٠ .

٤١٤ حماسة ابن الشجري : ١٩٣ (للنميري) .

كَأَنَّ وَمِيضَ الْبَرْقِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا إِذَا حَانَ مِنْ بَعْضِ الْبُيُوتِ ابْتِسَامُهَا

٤١٥ - وقال جميل : [من الطويل]

وَقَامَتْ تَرَاءَى بَعْدَ مَا نَامَ صَحْبَتِي لَنَا وَسَوَادُ اللَّيْلِ قَدْ كَادَ يَجْلَحُ
بِذِي أَشْرٍ كَالْأَفْحَوَانِ يَزِينُهُ نَدَى الطَّلِّ إِلَّا أَنَّهُ هُوَ أَمْلَحُ

النوع السابع عشر
في
إسرار الهوى وإعلانه

٤١٦ - وقال نُصَيْبُ : [من الطويل]

وما زال كتمانك حتى كأنني برجع جواب السائل عنك أعجم
لأسلم من قول الوشاة وتسلمي سلمت وهل حي من الناس يسلم

٤١٧ - وقال الأخطل : [من الطويل]

ولما تلاحقنا نبذنا تحية إلهن فالتد الحديث أصيلها
فكان لدينا السر بيني وبينها ولمع غضضات العيون رسولها

٤١٨ - وقال آخر : [من الطويل]

بنفسي الذي إن قال خيراً وفى به وإن قال شراً قاله وهو مازح
ومن قد رماه الناس حتى اتقاهم ببغضي إلا ما تكن الجوانح

٤١٩ - وقال أعرابي : [من الطويل]

وما بحت يوماً بالذي كان بيننا كما يستباح الهدريان الميخ

٤١٦ شعر نصيب (سلم) : ١٢٣ .

٤١٧ ديوان الأخطل : ٢٤٢ .

٤١٩ المحب والمحبوب ٢ : ٣٢ .

سوى أنني قد قلتُ والعيسُ ترتمي بنا عَرَصاتٍ في الأزمةِ جنحُ
 هنيئاً لمسواك الأراكِ فإنه بخمراً ثنايا أم عمرو يُصَبِّحُ
 وللطوقِ مجراه وللقرطِ إنه على نَفَنَفٍ من جيدها يَتَطَوَّحُ

٤٢٠ - وقال ابن سماعة الأسدي فيما رواه أبو هلال العسكري :

[من الطويل]

بنفسي مَنْ لا بدَّ أنِّي هاجِرُهُ ومن أنا في الميسورِ والعُسْرِ ذا كِرُهُ
 ومَنْ قد رماهُ الناسُ حتى اتقاهمُ بيغضِي إلا ما تُجِنُّ ضمائرُهُ
 أحبك يا ليلي على غيرِ رِيبةٍ ولا خيرٍ في حبِّ تُذَمُّ سرائرُهُ
 أكفكفُ دمعي أن يكونَ طليعةً على سرِّ نفسي حين ينهلُّ قاطرُهُ

والبيتان الأولان الأصح أنهما ليزيد بن الطثرية من قصيدة طويلة من هذا النوع ، وأنا أذكر مستحسنها ومختارها هاهنا لثلا ينقطع :

ألا يا شفاءَ النفسي لو يسعفُ الهوى ونجوى فؤادٍ لا تُباحُ سرائرُهُ
 أثيبي أخوا ضارورة أصفق العدى عليه وقلَّت في الصديق معاذرُهُ
 بنفسي مَنْ إن يدنُ ينفعُ دنوهُ وإن يناً لا تخزِ الصديق جرائرُهُ
 ومستخبرٍ عنها ليعلمَ ما الذي لها في فوادي ودَّ أني أحاذرُهُ
 تركت على عمياء منه ولم أكنْ إذا ما وشى واشٍ بليلى أناظرُهُ
 أتتهجر بيتاً بالحجاز تَكَنَّفَتْ جوانبُهُ الأعداء أم أنت زائرُهُ

٤٢٠ انظر القصيدة رقم : ١٢ في مجموع شعر يزيد بن الطثرية (ص : ٧٦-٧٧) ثم القصيدة رقم :
 ١١ ثم شعر الحسين بن مطير (غياض) ٥٤-٥٧ .

١ المحب والمحبوب : هنيئاً لقضبان بذى الضرو إنها بيرد ...

فإن آتِه لا أنج إلا بظنِّه وإن يأتِه غيري تُنطُّ بي جرائره
ولا بأسَ بالهجر الذي ليس عن قلى إذا شجرتُ عند الحبيبِ شواجره

وقد روي شطر هذه الأبيات للحسين بن مطير ، ومنها قوله :

ألا حُبَّ بالبيتِ الذي أنتِ هاجره وأنتِ بتلماحٍ من الطرفِ زائره
لأنك من بيتٍ لعينيَّ معجبٍ وأملحُ في عيني من البيتِ عامره
أصدُّ حياءً أن يُلجَّ بي الهوى وفيك المنى لولا عدوُّ أهازره
وفيك حبيبُ النفسِ لو تستطيعه لمت هوى والشوقُ حين تجاوره
وكان حبيبُ النفسِ للقلبِ واتراً وكيف يحبُّ القلبُ من هو واتره
فإن يكن الأعداءُ أمحوا كلامه علينا فلن تحمى علينا مناظره
أحبك حباً لن أعنفَ بعده محبباً ولكني إذا ليمَ عاذره
لقد مات قلبي أول الحبِّ فانقضى ولو مت أضحى الحبُّ قد مات آخره

٤٢١ - وقال ابن ميادة : [من الخفيف]

يا خليلي هجرًا كي ترُوحًا هجتما للروح قلباً قريحاً
إن تريغا لتعلمنا سرُّ سعدى تجداني بسرُّ سعدى شحيحاً
إن سعدى لمُنِيَّةُ المتمني جمعت عِفَّةً ووجهاً صبيحاً

٤٢٢ - وقال جميل : [من الطويل]

سأمنحُ طرفي غيركم إن لقيتكم لكي يحسبوا أن الهوى حيث أنظرُ
وأكني بأسماءِ سواكٍ وأتقي زيارتكم والحبُّ لا يتغيَّرُ

٤٢١ شعر ابن ميادة (حنا حداد) : ٩٨ .

٤٢٢ ديوان جميل : ٩٢ .

٤٢٣ - وقال الحسن بن هانئ: [من الخفيف]

لأبيحن حُرْمَةً الكتمانِ راحةَ المستهامِ في الإعلانِ
قد تعزَّيتُ بالسكوتِ وبالإطراقِ جهدي فنَمَّتِ العينانِ
تركتني الوشاةُ نُصَبَ المشيرِ من وأحدوثه بكلِّ مكانِ
ما أرى خالين في السرِّ إلا قلتُ ما يخلوانِ إلا لثنائي

٤٢٤ - وقال البحرى: [من الطويل]

إذا العينُ راحتْ وهي عينٌ على الجوى فليس بسرُّ ما تُسرُّ الأضالعُ

٤٢٥ - وقال تميم بن أبي بن مقبل: [من الطويل]

لقد طال ما أخفيتُ حُبَّكَ في الحشا وفي القلبِ حتى كاد في القلبِ يجرحُ
قديماً ولم يعلمْ بذلكِ عالمٌ وإن كان موثقاً يودُّ وينصحُ
فردِّي فؤادي أو أثيبي ثوابه فقد يملك المرءُ الكريمُ فَيُسجِحُ
سبَّكَ بمأشورِ الثنايا كأنه أقاحي غداً بات بالذجنِ يُنضحُ

٤٢٦ - وقال ابن الدمينه: [من الطويل]

هجرتك أياماً بذى الغمرِ إنني على هجرِ أيامِ بذى الغمرِ نادمُ
هجرتك إشفاقاً عليكِ من الردى وخوفِ الأعادي واجتنابِ النمامِ
وإني وذاك الهجر لو تعلمينه كعازيةٍ عن طفلها وهي رائمُ

٤٢٣ ديوان أبي نواس (شولر) ٢ : ١٢١ .

٤٢٤ ديوان البحرى ٢ : ١٣٠٣ .

٤٢٥ ديوان ابن مقبل : ٤٨ .

٤٢٦ في أمالي القالي ١ : ١٨٧ الأول والثالث ؛ وأبيات في ٣ : ٨٤ مختلفة في الرواية ما عدا الأول ،

وديوان ابن الدمينه : ٢١-٢٣ .

فما أعلمَ الواشينَ بالسرِّ بيننا ونحن كلانا للمودة كاتمٌ

٤٢٧ - ويستحسن قول أبي الطيب في المعنى : [من الخفيف]

وإذا خامر الهوى قلبَ صَبٍّ فعليه لكلِّ عينٍ دليلٌ

٤٢٨ - وأحسن ما قيل في ذلك قول قيس بن ذريح : [من الطويل]

لو أنّ امرءاً أخفى الهوى عن ضميره لمتّ ولم يعلمْ بذاك ضميرُ
ولكنْ سألقى الله والنفسُ لم تُبْحُ بسرِّكِ والمستخبرون كثيرُ

٤٢٩ - وقال آخر : [من الطويل]

يقولون ليلى بالمغيبِ أمانةٌ له وهو راعٍ سرّها وأمينها
فإن تكُ ليلى استودعتني أمانةً فلا وأبي ليلى^٢ إذاً لا أخونها
أرضي بليلى الكاشحين وأبتغي كرامةَ أعدائي لها وأهينها
معاذة وجهِ الله أن أُشِمِتَ العدى بليلى وإن لم تجزني ما أدِينها
سأجعلُ ديني^٣ جنةً دون دينها^٤ وعرضي ليقى عرضُ ليلى ودينها

٤٢٧ ديوان المتنبي : ٤٢٧ .

٤٢٨ أمالي القالي ٢ : ١٧٦ .

٤٢٩ أمالي القالي ١ : ٧٠-٧١ .

١ أمالي القالي : عهدها .

٢ أمالي القالي : وأبي أعدائها .

٣ أمالي القالي : عرضي

٤ عرضها .

النوع الثامن عشر في عشق الحلائل

٤٣٠ - وقال القحيف : [من الطويل]

لقد أرسلتُ خرقاءَ نحوي رسولها لتجعلني خرقاءَ ممن أضلَّتْ
وخرقاءَ لا تزدادُ إلا ملاحَةً ولو عُمرتُ تعميرَ نوحٍ وجَلَّتْ

٤٣١ - وقال أبو الأسود الدؤلي : [من الطويل]

أبى القلبُ إلا أمَّ عمروٍ وحبَّها عجزواً ومن يُحبِّبُ عجزواً يُفندِ
كسحقِ اليماني قد تقادمَ عهدُهُ ورقعته ما شئتَ في العينِ واليدِ

٤٣٢ - وقال آخر : [من الطويل]

تقولُ العدى لا بارك الله في العدى قد أقصر عن ليلي ورثتُ وسائلُهُ
ولو أصبحتُ ليلي تدبُّ على العصا لكان هوى ليلي جديداً أوائلُهُ

٤٣٣ - وقال أبو وجزة السعدي : [من الكامل]

حتامَ أنتِ موكلٌ بقديمةٍ أمستِ تُجددُ كاليماني الجيِّدِ
زاد الجلالُ كإلها ووشى بها عقلٌ وفاضلةٌ وشيمةٌ سيِّدِ
ضننتُ بنائلها عليك وأنتما غرآنٌ في طلبِ الشبابِ الأغيِّدِ
فالآنَ ترجو أن تشيك نائلاً هيهات نائلها مكانَ الفرقِ

٤٣٠ الأغاني ٢٣ : ٢٤٥ .

٤٣١ البيان والتبيين ١ : ٢٢٤ وعميون الأخبار ٤ : ٤٣ وديوان أبي الأسود : ٨٧ .

٤٣٢ هي الحماسية رقم : ٥٣٦ (ص : ١٣٣٥) عند المرزوقي .

٤٣٣ الأغاني ١٢ : ٢٤٢ والشعر والشعراء : ٥٩٢ .

النوع التاسع عشر في غزل العباد وتساؤلهم فيه

٤٣٤ - كان عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار من بني جشم بن معاوية فقيهاً عابداً من عبّاد مكة ، يسمّى القسّ من عبادته ، وكان يُشَبَّهُ بعبّاء بن أبي رباح ، وكانت بمكة لسهيل بن عبد الرحمن مغنية محسنة ، فسمعها القس من غير تعمّد منه لذلك ، فبلغ غناؤها منه كلّ مبلغ ، فرآه مولاها فقال له : هل لك أن تدخل فتسمع ؟ فأبى . فقال له مولاها : أنا أقعدُها تسمعُ غناءها ولا تراها ولا تراك ، فأبى ، فلم يزلْ به حتى دخل فأسمعه غناءها ، فأعجبته فقال : هل لك أن أخرجها إليك ؟ فأبى ، فلم يزلْ حتى أخرجها ، فأقعدها بين يديه فغنت ، فشغفَ بها وشغفت به ، وعرف ذلك أهلُ مكة حتى سميت به ، فصارت تعرف : بسلامة القس ، فقالت له يوماً : أنا والله أحبك ، فقال : وأنا والله أحبك ، قالت : وأحبُّ أن أضعَ فمي على فمك ، قال : وأنا والله أحبُّ ذلك ، قالت : وألصقُ بطني ببطنك ، قال : وأنا والله أحبُّ ذلك ، قالت : فما يمنعك ؟ فوالله إنَّ الموضوعَ لخال ، قال : إني سمعتُ الله عزَّ وجلَّ يقول : ﴿الأخلاءُ يومئذٍ بعضهم لبعضٍ عدوٌّ إلاَّ المتقين﴾ (الزخرف : ٦٧) وإني أكرهُ أن تكون خلةٌ ما بيني وبينك تؤوُلُ إلى عداوة . ثم قام فانصرف ، وعاد إلى ما كان عليه من النسك .

٤٣٤ ب - وله فيها أشعارٌ كثيرة فمنها : [من الكامل]

قد كنتُ أعدلُ في السفاهة أهلها فآعجبُ لما تأتي به الأيامُ

٤٣٤ الأغاني ٨ : ٣٣٧ وما بعدها .

٤٣٤ ب الأغاني ٨ : ٣٣٨ .

فاليوم أعذرهم وأعلم إنَّما سبيل الضلالة والهدى أقسامُ

٤٣٤ ج - ومنها : [من الكامل]

أسلامٌ هل لمتيمٍ تنوِيلُ أم هل صرمتِ وغالِ وُدِّكَ غُولُ
لا تصرفني عني دلالِكِ إنه حَسَنٌ إليَّ وإنِ بخلتِ جميلُ

٤٣٤ د - ومنها : [من الكامل]

أسلامٌ إنك قد ملكتِ فاسجحي قد يملكُ الحرُّ الكريمُ فيسجحُ

٤٣٥ - وقال أبو السائب المخزومي لجريير المغني : ما معك من مرقصاتِ

ابن سريج ؟ فغناه شعر عمر بن أبي ربيعة : [من الطويل]

فلم أرَ كالتجمير منظر ناظر ولا كليلالي الحج أفتن ذا هوى
وكم من قتيل لا ينال به دم ومن غلق رهناً إذا ضمّه منى
وكم مالىء من عينيه من شيء غيره إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى
يسحبين أذيال المروط بأسوق خدال وأعجاز مآكمها روى
أوانس يسلبن الحليم فواده فيا طول ما شوق ويا حسن مجتلى

قال أبو السائب : كما أنت حتى أتحمم لهذا بركعتين .

٤٣٦ - وحدث بعضهم قال : أنشدت أبا السائب المخزومي قول قيس بن

٤٣٤ ج الأغاني ٨ : ٣٣٩ .

٤٣٤ د الأغاني ٨ : ٣٤٠ .

٤٣٥ الأغاني ١ : ٢٥٩ .

٤٣٦ الأغاني ٩ : ١٨٣ .

١ الأغاني : مبيكات .

ذريح ، هكذا وفي الخبر الصحيح أن الأبيات لعبيدالله بن عتبة بن مسعود : [من الوافر]

صَدَعَتِ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَرَتْ فِيهِ هَوَاكِ فَلَيْمَ فَالتَّامَ الْفَطُورُ
تَغْلَغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَا حَزْنَ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورُ

فصاح بجارية له سندية تسمى زبدة : أي زبدة عجلي ، فقالت : إني أعجن ، فقال لها : ويحك تعالي ودعي العجين ، فجاءت ، فقال لها أنشدي بيتي قيس ، فأعادتهما ، فقال لها : يا زبدة أحسن قيس ، وإلا فأنت حرة ، ارجعي الآن إلى عجينك ، أدركيه لا يبرد .

٤٣٧ - وكان عبيدالله هذا فقيهاً عالماً ورعاً ، وهو أحدُ الفقهاء المشهورين ، وهو الذي قال فيه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : وددت أن لي ليلة من عبيدالله بألف دينار من بيت المال ، فقيل له يا أمير المؤمنين : مثلك يقول هذا مع تخوفك ! فقال : إنكم لا تدرون ، إني أرجع منه بأضعاف ذلك فيما أنتفع به منه ، أو نحو هذا الكلام .

٤٣٧ ب - وكان عبيدالله مع هذا غزلاً وله أشعار معروفة رقيقة في النسيب ، فمن ذلك قوله : [من الطويل]

أَلَا مَنْ لِنَفْسٍ مَا تَمُوتُ فَيَنْقُضِي عَنَّاهَا وَلَا تَحْيَا حَيَاةً لَهَا طَعْمُ
أَتَرَكُ إِتْيَانَ الْحَبِيبِ تَأْتِمًا أَلَا إِنَّ هَجْرَانَ الْحَبِيبِ هُوَ الْإِثْمُ
فَذُقْ هَجْرَهَا قَدْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّهُ رِشَادٌ أَلَا يَا رَبِّمَا كَذَبَ الزَّعْمُ

٤٣٧ ج - ومنه قوله : [من الطويل]

- ٤٣٧ الأغانى ٩ : ١٣٦ وما بعدها .
٤٣٧ ب الأغانى ٩ : ١٤٦ .
٤٣٧ ج الأغانى ٩ : ١٤٦ .

لعمرى لمن شَطَّتْ بعثمةَ دارها لقد كدتُ من وشكِ الفراقِ أليحُ
أروحُ بهمٍ ثم أغدو بمثله وتحسبُ أني في الثيابِ صحيحُ

٤٣٧ د - وقال أبو الزناد : قَدِمَتِ المدينةَ امرأةٌ من هذيل ، وكانت جميلةً
فرغب الناس فيها ، فخطبوها وكادت تذهب بعقول أكثرهم ، فقال فيها عبيدالله
ابن عبدالله : [من الطويل]

أحبك حباً لا يحبك مثله قريبٌ ولا في العاشقين بعيدُ
أحبك حباً لو شعرت ببعضه لجدت ولم يصعب عليك شديدُ
وحبك يا أم الصبيِّ مُدلهي شهيدي أبو بكر فنعم شهيدُ
ويعرفُ وجدي قاسمُ بن محمدٍ وعروة ما ألقى بكم وسعيدُ
ويعلم ما أخفى سليمانُ علمه وخارجةٌ ييدي بنا ويعيدُ

أبو بكر : عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر ،
وعروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيب بن حزن ، وسليمان بن يسار مولى ميمونة
بنت الحارث الهلالية ، وخارجة بن زيد بن ثابت ، وسابعهم عبيدالله قائل
الآيات ، هم الفقهاء السبعة ، فقهاء المدينة الذين أُخِذَ عنهم الرأي والسنن .

٤٣٨ - قال الخليل بن سعيد : مررت بسوق الطير فإذا الناس يركبُ
بعضهم بعضاً ، فإذا أبو السائب المخزومي قائمٌ على غراب يباع وهو آخذٌ طَرَفَ
ردائه ، وهو يقول للغراب : أيقول لك قيس بن ذريح : [من الطويل]

ألا يا غرابَ البين قد طرتَ بالذي أحاذرُ من لبنى فهل أنت واقعُ

ثم لا تقع ؟ ! ثم يضربه بردائه والغرابُ يصيح ، قال : فقال له قائل : يا أبا

٤٣٧ د الأغاني ٩ : ١٤٤ .

٤٣٨ الأغاني ٩ : ٢٠٨ .

السائب ليس هذا ذاك الغراب ، فقال : قد علمتُ ، ولكنني آخذ البريء حتى يقع النطْفُ .

٤٣٩ - وكان أبو السائب هذا مع زهده وعفافه مشغولاً بالغزل والغناء ، وكذلك كان ابن أبي عتيق ؛ أنشد كثير ابن أبي عتيق كلمته التي يقول فيها :
[من الطويل]

ولست براضٍ من خليلٍ بنائلٍ قليلٍ ولا أرضى له بقليلٍ

فقال له هذا كلام مكافئ ليس بعاشق ؛ القرشيان أصدق وأقنع منك ، ابن أبي ربيعة حيث يقول : [من الخفيف]

ليت حظي كطرفة العين منها وكثيرٌ منها القليلُ المهناً

وقوله : [من الخفيف]

فَعِدِي نائلاً وإن لم تُنبلي إنه ينفع المحبَّ الرجاءُ

وابن قيس الرقيّات حيث يقول : [من الوافر]

رُقِيَّ بعيشكم لا تَصْرَمِينَا وَمَنِينَا المنى ثم امطينا
عدينا من غدٍ ما شئتِ إنا نحبّ وإن مطلتِ الواعدينا

وذكر ذلك لأبي السائب المخزومي ومعه ابن المولى فقال : صدق ابن أبي عتيق وفقه الله ، ألا قال المديون كثير كما قال هذا حين يقول : [من الطويل]
وأبكي فلا ليلي بكتٍ من صبايةٍ لباكٍ ولا ليلي لذي الودِّ تبدلُ

٤٣٩ الأغاني ٥ : ٨٥-٨٦ .

١ الأغاني : الجريء .

وَأَخْنَعُ بِالْعُتْبَى إِذَا كُنْتُ مَذْنِباً وَإِنْ أَذْنِبْتُ كُنْتُ الَّذِي أَتَنْصَلُ

٤٤٠ - نظر أبو حازم المدايني^١ ، وكان من أعبد الناس وأزهدهم ، إلى امرأة تطوف بالبيت مسفرةً أحسن خلق الله تعالى وجهاً ، فقال : أيتها المرأة اتقي الله ، لقد شغلت الناس عن الطواف ، فقالت : أما تعرفني ؟ قال : من أنت ؟ فقالت : [من الطويل]

من اللائي لم يحججنَ ييغينَ حسبةً ولكن ليقتلنَ البريء المغفلاً

فقال : إني أسأل الله أن لا يعذبَ هذا الوجه الحسنَ بالنار ، فبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال رحمه الله : أما لو كان بعض عبَادِ العراق لقال : اغربي يا عدوةَ الله ، ولكنه ظرّفُ عبَادِ أهل الحجاز .

٤٤١ - قال سائب راويةً كثيرةً : قال لي كثير يوماً ونحن بالمدينة : اذهب بنا إلى ابن أبي عتيق نتحدثُ معه ، فذهبت إليه معه ، فاستنشده ابن أبي عتيق فأنشد قوله : [من الطويل]

أَبَائِنَةُ سُعْدَى نَعَم سَبْتِينَ

حتى بلغ إلى قوله :

وَأَخْلَفَنَ مِيعَادِي وَخُنُّ أَمَانَتِي وَليْسَ لِمَنْ خَانَ الْأَمَانَةَ دِينُ

قال ابن أبي عتيق : أعلى الأمانة تبعثها ؟ فانكف واستغضب نفسه وصاح وقال :

٤٤٠ الأغاني ١٩ : ١٦٢ .

٤٤١ الأغاني ٥ : ٨٨-٨٩ .

١ في الأغاني : عبدالله بن عمر العمري (وقال : وقد رويت هذه الحكاية عن أبي حازم) .

كَذَبَنَ صَفَاءَ الْوَدِّ يَوْمَ مَحَلِّهِ وَأَدْرَكَنِي مِنْ عَهْدِهِنَّ رَهُونًا

فقال ابن أبي عتيق : ويحك فذاك أملحُ لمنْ وأدعى للقلوبِ إليهنَّ ؛ سيدك ابن قيس الرقيّات كان أعلمَ منك وأوضعَ للصواب موضعَه فيهنَّ ، أما سمعت قوله :
[من المديد]

حبّ ذاك الدلُّ والغنَجُ والتي في طرفها دَعَجُ
والتي إن حَدَّثْتُ كَذَبْتُ والتي في وعدها خَلَجُ
وترى في البيت صورتها مثل ما في البيعةِ السُّرْحُ
خبروني هل على رجل عاشقٍ في قبلةٍ حرجُ

فسكن كثير واستحلى ذلك وقال : لا إن شاء الله ، فضحك ابن أبي عتيق حتى ذهبَ به . ولأبي السائب في ابن أبي عتيق في هذا الفن أخبار كثيرة كرهتُ الإطالة في إيرادها .

٤٤٢ - وروي أن سعيد بن المسيب ، وهو من العلم بالمكان المشهور ، مرَّ في بعض أزقة مكة ، فسمع الأخضر الحربي يتغنّى في دار العاص بن وائل ، والشعر لمحمد بن عبدالله النميري : [من الطويل]

تضوَعُ مسكاً بطنُ نَعْمَانٍ إذ مشَتْ به زينبُ في نسوةٍ عطرَاتِ
فضرب برجله فقال : هذا والله مما يلدّ استماعه ثم قال :

وليستْ كأخرى وسَّعتْ جَيْبَ دِرْعِهَا وَأَبَدَتْ بِنَانَ الْكِفِّ لِلجَمْرَاتِ
وَعَلَّتْ بِنَانَ الْمَسْكِ وَحَفًّا مُرَجَّلًا عَلَى مِثْلِ بَدْرِ لَاحٍ فِي الظُّلْمَاتِ
وقامت تراءى يومَ جمعٍ فأفتنت بروئيتها من راح من عرفاتِ

٤٤٢ الأغاني ٦ : ١٩٢ .

١ الأغاني : ديون .

فكانوا يرون أنّ هذا الشعر لسعيد بن المسيب .

٤٤٣ - أنشد إنسان قول الأحوص : [من البسيط]

سقياً لربك من ربيعٍ بذى سلمٍ وللزمانِ به إذ ذاك من زمن
إذ أنتِ فينا لمن ينهك عاصيةً وإذ أُجرُّ إليكم سادراً رسني

فوثب أبو عبيدة بن عمّار بن ياسر قائماً ثم أرخى رداءه ومضى يمشي على تلك الحال ويجرّه حتى بلغ العرّضَ ثم رجع ، وكان ذلك بمحضر إبراهيم بن هشام المخزومي ، وهو والي المدينة ، فقال إبراهيم حين جلس أبو عبيدة : ما شأنك ؟ فقال : أيها الأمير : إني سمعتُ هذا البيت مرةً فأعجبني ، فحلفت ألا أسمعه إلا جرتُ رسني .

٤٤٤ - قال عبد الملك بن عبد العزيز : أنشدت أبا السائب المخزومي شعر الأحوص : [من الطويل]

لقد منعت معروفها أمّ جعفرٍ [وإني إلى معروفها لفقير]

حتى انتهيت إلى قوله :

[أزور على أن لست أنفك] كلما أتيت عدواً بالبنانٍ يشيرُ

فأعجبه ذلك وطرب وقال : أتدري يا ابن أخي كيف كانوا يقولون ؟ قلت : لا ، قال : كانوا يقولون : الساعة دخل ، الساعة خرج ، [الساعة] مرّ ، الساعة رجع ، وجعل يوميء بإبهامه إلى وراء منكبيه ، وسبّته إلى حيال وجهه ، ويقلبها ، يحكي ذهابه ورجوعه .

٤٤٣ الأغاني ٤ : ٢٦٣-٢٦٤ .

٤٤٤ الأغاني ٦ : ٢٤٤ .

٤٤٥ - وسمع أبو السائب رجلاً ينشد قول أبي دَهَبِل : [من الطويل]

أليس عظيماً أن نكون ببلدةٍ كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلم

فقال له : قف يا حبيبي ، فوقف ، فصاح بجارية له : [يا سلامة] اخرجي ، فخرجت ، فقال له : أعد بأبي أنت البيت ، فأعاده ، فقال : بلى والله إنه لعجيب عظيم وإلا فسلامة حرة لوجه الله ، اذهب فديتك مُصَاحِباً ، ثم دخل وجعلت الجارية تقول : ما لقيت منك ، لا تزال تقطعني عن شغلي فيما لا ينفعك ولا ينفعني .

٤٤٦ - قال عروة بن عبيدالله بن عروة بن الزبير : جاءني أبو السائب المخزومي يوماً فسلم وجلس إليّ ، فقلتُ له بعد الترحيب به : ألك حاجة يا أبا السائب ؟ قال : وكما تكون الحاجة ، أبيات لعروة بن أذينة ، بلغني أنك سمعتها منه ، قلت : أيّ أبيات ، قال : وهل يخفى القمر ؟ [قوله] : [من الكامل]

إن التي زعمتُ فؤادك مَلَّها

فأنشدته إياها [فلما بلغت إلى قوله : فقلت لعلها قال : أحسن والله] ، ما يروم هذا إلا أهل المعرفة والفضل ، هذا والله الصادقُ الودّ ، الدائم العهد ، لا الهذلي الذي يقول : [من الكامل]

إن كان أهلك يمنعونك رغبةً عني فأهلي بي أضنُّ وأرغبُ

لقد عدا الأعرابيُّ طوره ، وإني لأرجو أن يغفر الله لابن أذينة في طلب العذر لها ، وحسن الظنِّ بها ، فدعوت له بطعام فقال : لا والله حتى أروي هذه الأبيات ، فلما رواها وثب ، فقلت له : كما أنت يغفر الله لك حتى تأكل ، فقال : والله ما

٤٤٥ الأغاني ٧ : ١١٨ .

٤٤٦ الأغاني ١٨ : ٢٤٧-٢٤٨ .

كنت لأخلط بمحبتتي لها وأخذني إياها غيرها ، وانصرف .
٤٤٧ - وكان أبو السائب واقفاً على رأس بئر فأنشده ابن جُنْدَب :
[من الكامل]

غيضن من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا
فرمى بنفسه في البئر بثيابه فبعد لأي ما أخرجوه^١ .

٤٤٧ الأغاني ١٦ : ٢٤٧ .

١ كُتِبَ بجانبها في الهامش : بلغ .

النوع العشرون في أخبار من قتله الكمد

٤٤٨ - مَمَّن ادعي له ذلك الصمة بن عبدالله القشيري وكان يهوى ابنة عمِّ له فخطبها إلى عمه ، فاشتطَّ عليه في المهر ، فسأل أباه أن يعاونهُ ، وكان كثير المال ، فلم يُعنه بشيء ، فسأل عشيرته فأطاعوه^١ ، فأتى عمه بالإبل ، فقال له : لا أقبل هذه في مهر ابنتي ، فسل أبك أن يُبدلها لك ، فسأل أباه فأبى عليه ، فلما رأى فعلهما قطع عقلها وخلأها ، فعاد كلُّ بعيرٍ منها إلى الأُفهِ ، وتحمل الصمة [راحلاً] ، فقالت له ابنة عمه حين رأته : تالله ما رأيت كاليوم رجلاً باعته عشيرته بأبصرة ، ومضى لوجهه حتى لحق بشعر الديلم^٢ ، فمات به كمداً وقال : [من الطويل]

أُتْبِكِي عَلَى رِيًّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَرَّارَكَ مِنْ رِيًّا وَشَعْبَاكَ مَعَا

وَحَدَّثَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ طَبْرِسْتَانَ قَالَ : بَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي ضَيْعَةٍ لِي فِيهَا أَلْوَانٌ مِنَ الْفَاكِهِةِ وَالزَّعْفَرَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْجَارِ إِذَا أَنَا بِإِنْسَانٍ فِي الْبِسْتَانِ مَطْرُوحٍ عَلَيْهِ أَثْوَابٌ خَلْقَانِ ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَإِذَا هُوَ يَتَحَرَّكُ وَلَا يَتَكَلَّمُ ، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ يَقُولُ بِصَوْتٍ خَفِيِّ : [من الطويل]

٤٤٨ الأغاني ٦ : ٨ ، وقارن بتزيين الأسواق : ١٦٧ .

١ فوقها في الأصل : فأعطوه (وكذلك الأغاني) .

٢ الأغاني : بالشعر .

تَعَزُّ بِبَصِيرٍ لَا وَجَدَكَ لَا تَرَى بِشَامَ الْحَمَى إِحْدَى اللَّيَالِي الْغَوَابِرِ
كَأَنَّ فَوَادِي مِنْ تَذَكَّرِهِ الْحَمَى وَأَهْلَ الْحَمَى يَهْفُو بِهِ رِيشُ طَائِرٍ

فما زال يرددُ هذين البيتين حتى فاضت نفسه ، فسألتُ عنه ، فقيل لي : هذا الصمّة بن عبدالله القشيري .

٤٤٩ - وقال بعض بني عقيل : مررتُ بالصمّة يوماً وهو وحده جالسٌ يبكي ويخاطب نفسه ويقول : لا والله ما صدقتك فيما قالت ، قلت : من تعني بهذا ويحك ؛ أجننت ؟ قال [أعني] التي أقول فيها : [من الطويل]

أما وجلالِ الله لو تذكّرني كذكراكِ ما كفكفتِ للعينِ مدمعا
فقالت :

بلى وجلالِ الله ذكراً لو أنه يُصَبُّ على صُمِّ الصَّفَا لتصدّعا

أسلي نفسي وأخبرها أنها لو ذكرتني كما قالت لكنت في مثل حالي .

٤٥٠ - وقال محمد بن معن الغفاري : أقحمتِ السنّة ناساً من الأعراب ، فخلّوا المذار وأبرقوا ، وإذا غلام منهم قد صار جلدأً وعظماً ، فرفع عقيرته يتغنى بأبيات وهي : [من الطويل]

ألا يا سنا برق على قللِ الحمى لَهْنَكُ مِنْ بَرَقِ عَلِيٍّ كَرِيمٍ
لمعت اقتداء الطير والقوم هُجَّعٌ فَهَيَّجَتْ أَحْزَانًا وَأَنْتَ سَلِيمٌ
فبتُ بحدِّ المرفقين أشيمُهُ كَأَنِّي لِبَرَقِ بَالِنَسَارِ رَحِيمٍ
فهل من معيرٍ طرفَ عينِ خَلِيَّةٍ فإِنْسَانُ طَرَفِ الْعَامِرِيِّ كَلِيمٍ
رمى قلبُهُ البرقُ اليمانيُّ رَمِيَةً بِذَكَرِ الْحَمَى وَهَنًا فَكَادَ يَهِيمُ

٤٤٩ الأغاني : ٦ : ٨ .

٤٥٠ أمالي القاضي : ١ : ٢٢٠-٢٢١ .

فقلت : يا غلام ، دون ما بك ما يفحم عن الشعر ، قال : أجل ، ولكن البرق
أنطقني ، فما مكث يومه حتى مات .

٤٥١ - وممن روي أنه مات كمداً كعب بن مالك المعروف بالمُخَبَّل ،
وهو من بني لُأي بن شَمَّاس ، وكان عنده ابنة عمّ له يقال لها : أم عمرو ، وكان
إليها مائلاً ، وبها معجباً ، فنظر إليها متجردةً من ثيابها ، فقال لها : يا أم عمرو هل
تعرفين أجمل منك وأكمل ؟ قالت : نعم أختي ميلاء ، قال لها : فإني أشتهي أن
أراها ، فقالت : إن علمت بمكانك لم تجيء ، ولكني أحتال وأحضرها ، ففعلت
ذلك ، فلما حضرت ورآها علقها وغلبت على قلبه ، ووجدت هي به كوجده
بها ، فأخبرت أم عمرو بشأنهما ، وصادفتها وهما يتحدثان ، فانصرفت إلى
إخوتها ، وهم سبعة ، فقالت : إما أن تزوجوا هذا الرجل من ميلاء وتفرقوا
بيني وبينه ، وإما أن تغيبوا عني ، فلما وقف على ذلك هرب إلى الشام
وأنشأ يقول : [من الطويل]

أفي كلِّ يومٍ أنت من بارح الهوى إلى الشمِّ من أعلامِ ميلاء ناظرٌ

وكان مقيماً بالحجاز ، فروى هذا البيت رجل من أهل الشام ثم خرج [الشامي]
إلى الحجاز لحاجة له فاجتاز بأم عمرو وميلاء ، فاستدل أم عمرو على الطريق
فقالت : يا ميلاء صفي له [الطريق] ، فلما سمع ذكر ميلاء ذكر الأعرابي ،
وأنشد البيت الذي أخذه عنه ، فارتاحت ميلاء ورحبت بالرجل ، وقالت له :
اجلس حتى يجيء إخوتي فيكرموك ويقفوك على الطريق ، فلما جاءوا
وأخبرتهم ميلاء بما سمعت منه ، وقد كانوا يحبون أن يعرفوا خبر كعب ،
فعرّفهم أنه نزل عليه وسمع هذا الشعر منه وشعراً آخر ، فقالوا أنشدناه ،
فأنشدهم : [من الطويل]

٤٥١ هو المخبل القيسي ، الأغاني ٢٣ : ٥١١ (مع بعض اختلاف) وتزيين الأسواق : ١٧٠ .

خليلي قد رُضتُ الأمورَ وقستها
 فلم أخفَ لوماً للصدیق ولم أجِدْ
 من الناس إنسانان دَينِي عليهما
 ممنوعان ظلّمان لا ينصفانني
 خليليّ أما أم عمرو فمنهما
 بلينا بهجرانٍ ولم نرَ مثلنا
 أشدَّ مصافاةً وأبعدَ عن قلىّ
 يبيّن طرفانا الذي في ضميرنا
 فوالله ما أدري ، أكلُ ذوي الهوى
 وكنا كريميّ معشرٍ حمّ بيننا
 نذودُ النفوسَ الحائِثاتِ عن الهوى
 بنفسي وبالفتيان كلّ مكانٍ
 خليّاً ولا ذا البثّ يستويان
 مليان لولا الناسُ قد قضيان
 بدلّهما والحسن قد خلباني
 وأما عن الأخرى فلا تسلاني
 من الناس إنسانين يهتجران
 وأعصى لواشٍ حين يُكْتَفان
 إذا استعجمت بالمنطقِ الشفتان
 على ما بنا أم نحن مبتليان
 هوى فحفظناه بكلّ صيان
 وهنّ بأعناقٍ إليه ثوانٍ

فأكرموا الرجل ، ووقفوه على الطريق ، وخرجوا إلى الشام إلى كعب بن مالك فأقدموه ، فلما دخل الحيّ جلس ناحيةً فرأى مجمعاً للحي وغليماً ، فدعا الغليم فقال له : من أبوك ؟ فقال كعب بن مالك ، وقد كان خلف ابنه صغيراً فعرفه ، فقال : ما هذا الجمع ؟ فقال : لخالتي ميلاء ماتت الساعة ، فراه ذلك وقام منه وقعد ، وشهق شهقةً مات ، فدفنت ميلاء ثم دفن إلى جانب قبرها .

٤٥٢ - وممن نسب إلى العشق ومات كمداً محمد بن داود الأصفهاني صاحب المذهب . روي عن أبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي نبطويه ، قال : دخلت على محمد بن داود في مرضه الذي مات فيه ، فقلت له :

٤٥٢ تاريخ بغداد ٥ : ٢٦٢ وسير أعلام النبلاء ١٣ : ١١٢-١١٣ .

١ الأغاني : كل زمان .

كيف تَجِدُكَ ؟ قال : حُبُّ من تعلم أورشني ما ترى ، فقلت : ما منعك عن الاستمتاع به مع القدرة عليه ؟ فقال : الاستمتاع علي وجهين ، أحدهما النظر المباح ، والثاني اللذة المحظورة ، أمّا النظر المباح فأورشني ما ترى ، وأمّا اللذة المحظورة فإنه منعني عنها ما حَدَّثَنِي أَبِي قال ، حدثنا سويد بن سعيد قال ، حدثنا علي بن مسهر عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : من عشق وكرم وعفَّ وصبر غفر الله له وأدخله الجنة . ثم أنشد لنفسه : [من البسيط]

انظر إلى السحر يجري من لواحظه وانظر إلى دَعَجٍ في طرفه الساجي
وانظر إلى شَعْرَاتٍ فوق عارضه كأنهنَّ نمال دَبٌّ في عاجر
وأنشد لنفسه : [من الخفيف]

ما لهم أنكروا سواداً بخدي ولا ينكرون وردَ الغصون
إن يكنْ عيبُ خده بدءَ ذا الشع ر فعيبُ العيونِ شعر الجفون

فقلت له : نفيت القياس في الفقه وأثبتته في الشعر ، فقال : غلبة الهوى ومملكة النفوس دعوا إليه ، قال : ومات من ليلته ، أو في اليوم الثاني .

٤٥٣ - ومنهم حبيشة بنت حبيش إحدى بني عامر بن عبد مناة بن كنانة ، كانت تهوى ابن عمها عبد الله بن علقمة ويهاها ، تواردا في الهوى وهما طفلان ، وبعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني عامر بن عبد مناة وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ، فإن أجابوه وإلا قاتلهم ، فصبَّحهم خالد بالغميضاء وقد سمعوا به فخافوه ، وكانوا قتلوا أخاه الفاكه بن الوليد ، وعمه الفاكه بن المغيرة في الجاهلية ، وكانوا من أشد حبي في كنانة بأساً ، كانوا يُسمَّون لَعَقَةَ الدم ، فلما

٤٥٣ الأغاني ٧ : ٢٧١-٢٧٤ وتزيين الأسواق : ١٥٣ .

صَبَّحَهُمْ خَالِدٌ وَمَعَهُ بَنُو سَلِيمٍ ، وَكَانَتْ بَنُو سَلِيمٍ تَطْلُبُهُمْ بِمَالِكِ بْنِ خَالِدِ بْنِ صَخْرٍ الشَّرِيدِ وَإِخْوَتِهِ كَرَزٍ وَعَمْرُو وَالْحَارِثِ ، وَكَانُوا قَتَلُوهُمْ فِي مَوْطِنٍ وَاحِدٍ ، فَلَمَّا صَبَّحَهُمْ خَالِدٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَرَأَوْا مَعَهُ بَنِي سَلِيمٍ زَادَهُمْ ذَلِكَ نَفْرًا ، فَقَالَ لَهُمْ خَالِدٌ : أَسْلَمُوا ، فَقَالُوا : نَحْنُ قَوْمٌ مُسْلِمُونَ ، قَالَ : فَأَلْقُوا سِلَاحَكُمْ وَأَنْزِلُوا ، قَالُوا : لَا وَاللَّهِ مَا نُنْقِي سِلَاحَنَا ، وَلَا نَحْنُ لَكَ وَلَا لِمَنْ مَعَكَ آمِنِينَ ، قَالَ خَالِدٌ : فَلَا أَمَانَ لَكُمْ إِلَّا أَنْ تَنْزِلُوا ، فَنَزَلَتْ فِرْقَةٌ [مِنْهُمْ فَأَسْرَهُمْ ، وَتَفَرَّقَ بَقِيَّةُ الْقَوْمِ فِرْقَتَيْنِ ، فَأَصْعَدَتْ فِرْقَةٌ] وَسَفَلَتْ أُخْرَى ، فَبَعَثَ خَالِدٌ جُنْدًا فِي أَثَرِ ظُعْنٍ مُصْعَدَةٍ يَسُوقُ بِهِنَّ فِتْيَةً ، فَقَالَ : أَدْرِكُوا أَوْلَئِكَ ؛ فَخَرَجُوا فِي أَثَرِهِمْ ، فَلَمَّا أَدْرِكُوهُمْ وَقَفَ لَهُمْ غَلَامٌ شَابٌّ عَلَى الطَّرِيقِ ، فَجَعَلَ يِقَاتِلُهُمْ وَيَرْتَجِزُ وَيَقُولُ : [مِنْ الرَّجْزِ]

أَرْحِينَ أَذْيَالَ المَرُوطِ وَارْتَعَنُ مَشِيَّ حَيَّاتٍ كَأَنَّ لَمْ يَفْزَعُنْ
إِنْ يُمْنَعِ اليَوْمَ نَسَاءً تَمْنَعُنْ

فَقَاتَلَهُمْ قَلِيلًا فَقَتَلُوهُ وَمَضُوا حَتَّى لَحِقُوا الظُّعْنَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ غَلَامٌ كَأَنَّهُ الْأَوَّلُ فَجَعَلَ يِقَاتِلُهُمْ وَيَقُولُ : [مِنْ الرَّجْزِ]

أَقْسَمُ مَا إِنْ خَادِرٌ ذُو لَيْدَةٍ يَدْرِمُ^١ بَيْنَ أَيْكَةٍ وَوَهْدَةٍ
يَفْرِسُ^٢ ثِيَابَ الرِّجَالِ وَحَدَّهُ بِأَصْدَقِ الغَدَاةِ مَنَا نَجْدَهُ

فَقَتَلُوهُ وَأَدْرِكُوا الظُّعْنَ فَأَخَذُوهُمْ ، فَإِذَا فِيهِمْ غَلَامٌ وَضِيَ بِهِ صَفْرَةٌ فِي لَوْنِهِ كَالْمَنْهوكِ ، رَبَطُوهُ بِحَبْلِ وَقَدَمُوهُ لِيَقْتَلُوهُ ، فَقَالَ لَهُمْ : هَلْ لَكُمْ فِي خَيْرٍ ؟ قَالُوا : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : تَدْرِكُونَ بِي الظُّعْنَ أَسْفَلَ الوَادِيِ ثُمَّ تَقْتُلُونِي ، فَلَمَّا كَانَ بِحَيْثُ يُسْمِعُهُنَّ الصَّوْتُ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ : اسْمِعِي حُبَيْشَ عِنْدَ نَفَادِ العَيْشِ ، فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ جَارِيَةٌ حَسَنَاءٌ بِيضَاءُ وَقَالَتْ : وَأَنْتِ فَاسْلِمِي عَلَى كَثْرَةِ الأَعْدَاءِ وَشِدَّةِ البَلَاءِ ،

١ الأغاني : يرأر .

٢ الأغاني : شيان .

قال : سلام عليك دهرأ ، وإن بنت^١ عصرأ ، قالت : وأنت سلام عليك عشرأ
وشفعأ تترى ، وثلاثا وترا فقال : [من الطويل]

إن يقتلوني يا حبيش فلم يدع هواك لهم مني سوى غلّة الصدر

فقلت : [من الطويل]

وأنت فلا تبعدُ فنعمة أخو الهوى جميلُ العفافِ والمودةِ في سترِ

وقال لها : [من الطويل]

ألم يكُ حقاً أن يُنوّلَ عاشقٌ تكلفَ أدلاجَ السرى والودائقِ

فقلت : بلى والله فقال :

فلا ذنب لي قد قلت إذ نحن جيرةٌ أثيبني بودٌ قبل إحدى الصفائق^٢
أثيبني بودٌ قبل أن تشحطَ النوى وينأى الخليطُ بالحبیبِ المفارقِ

قال : فضربوا عنقه ، فتقتحم الجارية من خدرها حتى أهوت^٣ نحوه فالتقمت
فاه ، فنزعوا منها رأسه ، وإنها لتنشع^٤ بنفسها حتى ماتت مكانها .

وروي أن رسول الله ﷺ ودَى القتلى ، بعث علياً عليه السلام فوداهم ، قال
علي عليه السلام : قدمتُ عليهم فقلتُ لهم : هل لكم أن تقبلوا هذا بما أُصيبَ
منكم من القتلى والجرحى ، وتُحلّلوا رسولَ الله قالوا : نعم ، فقلتُ لهم : هل لكم
في أن تقبلوا الثاني بما دخلكم من الروح والفرع ؟ قالوا : نعم ، فقلتُ لهم : فهل
لكم في أن تقبلوا الثالث وتحللوا رسولَ الله ﷺ مما علم ومما لم يعلم ؟ قالوا : نعم ،

١ الأغاني : بقيت .

٢ الأغاني : البوائق .

٣ الأغاني : أتت .

٤ الأغاني : لتكسع .

٥ هذا يعني ما حملة من الورق وصحبه من الإبل (وفي النص حذف) .

فدفعته إليهم ، وجعلت أديهم ، حتى إني لأدي مِيلَغ الكلب ، وفضلت فضلةً فدفعتها إليهم ، فقال رسول الله ﷺ : أقبلوها ؟ قال : نعم ، قال : فوالذي أنا عبده لهي أحبُّ إليَّ من حُمْرِ النَّعَمِ .

٤٥٤ - روي أن رجلاً من بني تميم يقال له الخضر ، أبق له غلامان ، قال : فخرجتُ في طلبهما وأنا على ناقة لي عيساء كَوْماء أريدُ اليمامة ، فلما صرتُ في ماءٍ لبني حنيفة يقال له الصَّرَصْران ، ارتفعت سحابة فرعدت وبرقت وأرخت عزاليها ، فعدلتُ إلى بعض ديارهم ، وسألت القرى فأجابوا . فدخلت داراً لهم ، وأنختُ الناقةَ وجلست تحت ظلِّ لهم من جريد النخل ، وفي الدار جويرية لهم سوداء ، إذ دخلت جارية كأنها سبيكة فضة ، وكأن عينها كوكبانِ دريَّان ، فسألت الجارية : لمن هذه العيساء ؟ تعني ناقتي ، فقيل : لضيفكم هذا ، فعدلتُ إليَّ وقالت : السلامُ عليكم ، فرددتُ عليها السلام ، فقالت لي : ممن الرجل ؟ فقلت : من بني حنظلة ، فقالت : من أيُّهم ؟ فقلت : من بني نهشل ، فتبسمت وقالت : أنت إذن ممن عناه الفرزدق بقوله : [من الكامل]

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعزُّ وأطولُ
بيتاً بناه لنا المليكُ وما بنى ملك السماء فإنه لا يُنقلُ
بيتاً زرارةً مُحْتَبٍ بِفِنائِهِ ومجاشعٌ وأبو الفوارس نهشلُ

قال فقلت : نعم جُعِلتُ فداك ، وأعجبني ما سمعت منها ، فضحكتُ وقالت : فإن ابن الخَطْفَى قد هدم عليكم بيتكم هذا الذي فخرتم به حيث يقول :
[من الكامل]

أخزى الذي رفع السماء مجاشعاً وبنى بناء بالحضيض الأسفل

بيتاً يُحَمِّمُ قِينَكُمُ بِفِنَائِهِ دَنِسًا مَقَاعِدُهُ خَبِيثُ الْمَدْخَلِ

قال : فوجمت ، فلما رأته في وجهي قالت : لا عليك ، فإن الناس يقال فيهم ويقولون ، ثم قالت : أين تؤمّ ؟ قلت : اليمامة ، فتنفست الصعداء ثم قالت : ها هي تلك أمامك ثم أنشأت تقول : [من الوافر]

تذكرني بلاداً خيرُ أهلي بها أهلُ المروعةِ والكرامةِ
ألا فسقى إلهه أجشُّ صوباً يَسُحُّ بِدَرِّهِ بِلَدَ الْيَمَامَةِ
وحياً بالسلام أبا نُجَيْدٍ فَأَهْلُ لِلتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامَةِ

قال : فأنتست بها وقلت : أذاتُ حِدْنٍ أم ذاتُ بَعْلٍ ؟ فأنشأت تقول :
[من الوافر]

إذا رقد النيامُ فإنَّ عمراً تَوَرَّقُهُ الْهَمُومُ إِلَى الصَّبَاحِ
تُقَطِّعُ قَلْبَهُ الذِّكْرَى وَقَلْبِي فَلَإِ هُوَ بِالْخَلِيِّ وَلَا بِصَاحِ
سقى الله اليمامةَ دار قومٍ بها عمروٌ يحنُّ إلى الرواحِ

فقلت لها : مَنْ عمرو هذا ؟ فأنشأت تقول : [من الوافر]

سألتَ ولو علمتَ كَفَفْتَ عَنْهُ وَمَنْ لَكَ بِالْجَوَابِ سِوَى الْخَبِيرِ
فإن تكُ ذا قبولٍ إنَّ عمراً هُوَ الْقَمَرُ الْمُضِيءُ الْمُسْتَبِيرِ
وما لي بالتبعّلِ مستراحٌ ولو رَدَّ التبعّلُ لي أسيري

قال : ثم سكتت سكتة كأنها تسمع إلى كلام ، ثم تهافتت وأنشأت تقول :

يُخَيِّلُ لِي هِيَا عَمْرُو بَيْنَ كَعْبٍ بِأَنَّكَ قَدْ حُمِلْتَ عَلَى سَرِيرِ
يسيرُ بكُ الهوينا القومُ لما رَمَاكَ الْحَبُّ بِالْغَلْقِ الْعَسِيرِ
فإنْ تَكُ هَكَذَا يَا عَمْرُو إِنِّي مَبْكَرَةٌ عَلَيْكَ إِلَى الْقَبْرِ

ثم شهقت شهقةً حرّت ميةً ، فقلت لهم : من هذه ؟ فقالوا : عقيلة بنت الضحاك بن عمرو بن محرق بن النعمان بن المنذر ، فقلت لهم : فمن عمرو هذا ؟ قالوا : ابن عمها عمرو بن كعب بن محرق بن النعمان بن المنذر ، فارتحلت من عندهم ، فلما دخلت اليمامة سألت عن عمرو هذا ، فإذا هو قد دُفِنَ في ذلك الوقت الذي قالت فيه ما قالت .

٤٥٥ - قال عكرمة : إني لمع ابن عباس بعرفة إذا فتية أدمان يحملون فتىً في كساء معروق الوجه ناحلَ البدن أحلى من رأيت من الفتيان ، حتى وضعوه بين يدي ابن عباس وقالوا له : استشف له يا ابن عمّ رسول الله ، فقال ابن عباس : وما به ؟ فأنشأ الفتى يقول : [من الطويل]

بنا من جوى الأحزانِ والحبِّ لوعةً تكاد لها نفسُ الشفيقِ تذوبُ
ولكنما أبقي حشاشةً مُعولٍ على ما به عودٌ هناك صليب

قال وأنشأ الفتى يقول : [من الطويل]

وبي لوعة لو تشتكي الصمّ مثلها تفطرتِ الصمُّ الصيلاَدُ فخرت
ولو قسمَ الله الذي لي من الجوى على كلِّ نفسٍ حظّها لألّمت
ولكنما أبقي حشاشةً مُعولٍ على ما به صلب النجار فمدت

قال : فأقبل ابن عباس على عبيدالله بن حميد بن زهير بن سهيل بن الحارث بن أسد بن عبد العزى ، فقال : أخذ هذا البدوي العود علي وعليه ، قال : ثم حملوه ، فحفت في أيديهم فمات ، فقال ابن عباس : هذا قتيل الحبِّ لا عقلٌ ولا قود .
قال عكرمة : فما رأيت ابن عباس يسأل الله تلك العشيّة حتى أمسى إلا العافية مما ابتلي به ذلك الفتى .

٤٥٥ الأغاني ٢٣ : ٣١٦ (والحكاية هنا أتمّ مما هي في الأغاني) .

٤٥٦ - وممن قيل إنه مات كمداً : عبدالله بن عجلان النهدي ، روي أنه رأى أثر كف محبوبته في ثوب زوجها فمات .

وهذا الفصل نذكر فيه جملة الأخبار والأشعار في الغزل ، ونقتصر على ما يؤمن معه الملل ، ونعدل عن الإكثار ، فإن استقصاءه غير ممكن ، وهو فن يلهج به الناس ، وقد أكثروا منه واختلفوا فيه .

٤٥٧ - قيل : الهوى جليس ممتع ، وأليف مؤنس ، وصاحب مهلك ، ومالك قاهر ، مسالكة لطيفة ، ومذاهبه متضادة ، وأحكامه جائزة ، ملك الأبدان وأرواحها ، والقلوب وخواطرها ، والعيون ونواظرها ، والعقول وآراءها ، وأعطي خزام طاعتها ، وقوداً تصرفها ، توارى عن الأبصار مدخله ، وغيب في القلوب مسلكه ، وقد رأينا الهوى يشجع قلب الجبان ، ويسخي كف البخيل ، ويصفي ذهن الغبي ، ويبعث حزم العاجز ، ويخضع له عزة كل متجبر .

٤٥٨ - فمن مختار الشعر فيه قول الشنفرى : [من الطويل]

فواكبدا على أميمة بعد ما	طمعتُ فهبها نعمة العيش ولت
لقد أعجبتني لا سقوطاً قناعها	إذا ما مشت ولا بذات تلت
تحلُّ بمنجاةٍ من اللوم بيتها	إذا ما بيوت بالمدمة حلت
أميمة لا يخزي نثاها حليلها	إذا ذكّر النسوان عفت وجلت
إذا هو أمسى أب قرّة عينه	مآب السعيد لم يقل أين ظلت
فدقت وجلت واسكرت وأكملت	فلو جنّ إنسان من الحسن جنت
فبتنا كأن البيت حُجّر فوقنا	بريحانة ريحتم عشاء وطلت

٤٥٦ أخباره في الأغاني ٢٢ : ٢٤٥-٢٥٤ .

٤٥٨ من المفضلية رقم : ٢٠ في شرح ابن الأثيري ، ص : ١٩٤ وما بعدها .

٤٥٩ - وقال جميل : [من الطويل]

يقولون جاهدُ يا جميلُ بغزوةٍ وأيَّ جهادٍ غيرهنَّ أريدُ
لكلِّ حديثٍ بينهنَّ بشاشةٍ وكلِّ قتيلٍ بينهنَّ شهيدُ
علقت الهوى منها وليدًا ولم يزلْ إلى اليوم ينمي حبُّها ويزيدُ
وأفنيْتُ عمري بانتظاري نوالها وأفنتُ بذاك الدهرَ وهو جديدُ
وقد تلتقي الأشتاتُ بعد شتاتها وقد تُدرِكُ الحاجاتُ وهي بعيدُ
إذا قلتُ ما بي يا بثينةُ قاتلي من الحبِّ قالت ثابتٌ ويزيدُ

٤٦٠ - وقال ذو الرمة : [من الطويل]

ألا لا أبالي الموتَ إن كان دونهُ لقاءً لميِّ وارتجاعٌ من الوصلِ
أناةً كأنَّ المرطَ حين تلوئهُ على دِعْصَةٍ غرَاءَ من عَجَمِ الرملِ
أسيلةٌ مُستنُّ الوشاحين قانيءُ بأطرافها الحناءِ في سِطِ طفلِ
من المشْرِقاتِ البيضِ في غير مُرْهَةٍ ذواتِ الشِّفاهِ الحوِّ والأعينِ النُّجْلِ
إذا ما امرؤُ حَاوَلَنَ أن يَمْتَلِنَهُ بلا إحنةٍ بين النفوسِ ولا ذحلِ
تبسَّمُ عن نورِ الأَفاحيِّ في الثرى وفترنُ من أبصارِ مضروجةٍ كحلِ
وأنا لترضى حين نشكو بِخَلْوَةٍ إليهنَّ حاجاتِ النفوسِ بلا بذلِ
وما الفقرُ أزرى عندهنَّ بوصلنا ولكن جَرَّتْ أخلاقُهُنَّ على البخلِ

٤٦١ - وقال قيس بن ذريح : [من الطويل]

٤٥٩ ديوان جميل : ٦١-٦٧ (مع اختلاف في ترتيب الأبيات) .

٤٦٠ ديوان ذي الرمة : ١٤٢ .

٤٦١ الأغاني ٩ : ١٩٦-١٩٧ (مع اختلاف كثير في الترتيب) .

سلي هل قلّاني من عشيرٍ صحبتهُ
وهل يجتوي القومُ الكرامُ صحابتي
ولو تعلمين الغيبَ أيقنت أنني
صباحي إذا ما ذرّت الشمسُ ذكركمُ
تتوقُ إليك النفسُ ثم أردّها
وإني وإن حاولتِ صرّمي وهجرتي
تكادُ بلاذُ الله يا أمّ معمرٍ
أذودُ سوامَ الطرفِ عنك وهل له
وحدثنني يا قلبُ أنك صابرٌ
فمُت كمدأ أو عِشْ سقيماً فإنما
دعونُ الهوى ثم ارتمين قلوبنا
وهل ذمّ رحلي في الرفاقِ رفيقُ
إذا اغبرّ مخشيُ الفجاجِ عميقُ
لكم والهدايا المشعراتِ صديقُ
ولي ذكركم عند المساءِ غبوقُ
حياةٍ ومثلي بالحياةِ حقيقُ
عليك من أحداثِ الردى لشفيقُ
بما رحبت يوماً عليّ تضيقُ
على أحدٍ إلا عليك طريقُ
على البعدِ من لبنى فسوف تذوقُ
تُكلّفني ما لا أراك تطيقُ
بأعينِ أعداءِ وهنّ صديقُ

وهذه الأبيات متنازعة ، وقد أنشد أبو هلال العسكري الرابع منها ،
والسادس والثامن لمضرس بن الحارث المرّي ، والبيت الآخر هو لجرير في ديوانه .

٤٦٢ - قال عبيدالله بن سليمان الوزير : دعاني المعتضدُ يوماً ، فقال لي : ألا
تعاتب بدرأً على ما لا يزالُ يستعملُهُ من التخرُّقِ في النفقاتِ والإثاباتِ والزياداتِ
والصِلاتِ ، وجعل يؤكّد القولَ عليّ في ذلك ، فلم أخرج من حضرته حتى دخل
عليه بدر ، فجعل يستأمره في إطلاقاتِ مسرفة ، ونفقاتِ واسعة ، وصِلاتِ
سنّية ، وهو يأذن فيها ، فلما خرج رأى في وجهي إنكاراً لما فعله بعد ما جرى

٤٦٢ الأغاني ١٠ : ٧٠ ؛ ١٤ : ١٥٥-١٥٦ والحكم بن قنبر شاعر بصري من شعراء الدولة
العباسية ، وبينه وبين مسلم بن الوليد مهاجاة .

١ الأغاني : ملّ .

بيني وبينه ، فقال : يا عبيدالله : قد عرفتُ ما في نفسك ، وإني وإياه لكما قال
الشاعر : [من البسيط]

في وجهه شافعٌ يمحو إساءتهُ من القلوب مطاعٌ حيثما شفعا
مستقبلٌ بالذي يهوى وإن كثرت منه الإساءةُ معذور بما صنعا
وهذه أبيات يقولها الحكم بن قنبر البصري أولها :

ويلي على من أطار النومَ فامتعا وزاد قلبي على أوجاعِهِ وجَعَا
كأنما الشمسُ في أعطافِهِ^٢ لمعت حسناً أو البدرُ من أزرارِهِ طلعا

٤٦٣ - وقال أبو صخر الهذلي : [من الطويل]

أما والذي أبكي وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمرهُ الأمرُ
لقد تركتني أحسدُ الوحشَ أن أرى أليفين منها لا يرُوعُهُما الذُعْرُ
فيا حبَّها زدني جوىً كلَّ ليلةٍ ويا سلوةَ الأيامِ موعدك الحشرُ
عجبتُ لسعي الدهرِ بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكنَ الدهرُ

٤٦٤ - وقال آخر : [من الطويل]

وكنتَ متى أرسلتَ طرفكَ رائداً لقلبك يوماً أتعبتكَ المناظرُ
رأيتَ الذي لا كله أنتَ قادرٌ عليه ولا عن بعضِهِ أنتَ صابرُ

- ٤٦٣ الأغاني ٥ : ١٧٠ ، ٢٣ : ٢٧٨-٢٨١ وحماسة المرزوقي : ١٢٣١ وشرح أشعار الهذليين ٢ :
٩٥٠-٩٥٦ .
٤٦٤ حماسة التبريزي ٣ : ١٢٢ والمرزوقي : ١٢٣٨ (رقم : ٤٦٥) والحماسة البصرية ٢ : ١٢١ .

١ الأغاني : مغفور لما .

٢ الأغاني : أثوابه .

٤٦٥ - وقال الحسين بن مطير: [من الطويل]

وكنْتُ أذودُ العينَ أن تردَّ البكا
خليلي ما بالعيش عتبٌ لو اننا
ولي نظرةً بعد الصدود من الجوى
هل الله عافٍ عن ذنوبٍ تكشفت
إذا جئتها بين النساءٍ منحتها
فقد وَرَدَتْ ما كنتُ عنه أذودها
وجدنا لأيام الصبا من يعيدها
كنظرةً ثكلى قد أُصيبَ وحيدها
أم الله إن لم يعفُ عنها يعيدها
صدوداً كأن النفس ليست تريدها

٤٦٦ - وقال آخر: [من الطويل]

لعمرك ما ميعادُ عينك والبكا
أعاشرُ في داراءٍ من لا أودُهُ
بداراءٍ إلا أن تهبَّ جنوبُ
وبالرمل مهجورٌ إليّ حبيبُ

٤٦٧ - وقال بعض الأعراب: [من البسيط]

لا خيرَ في الحبِّ وَقفاً لا تحركُهُ
لو كان لي صبرُها أو عندها جزعي
لا أحملُ اللومَ فيها والغرامَ بها
عوارضُ اليأسِ أو يرتاحُ الطمعُ
لكنْتُ أملكُ ما آتي وما أدعُ
ما حمَلَ اللهُ نفساً فوق ما تسعُ

٤٦٨ - وقال آخر: [من الطويل]

لقد كان فيها للأمانة موضع
وللحائم العطشانِ ريٌّ بريقها
أُقلِّبُ طرفي في السماء لعله
وللكفِّ مرتادٌ وللعينِ منظرُ
وللمرح الذيالِ ملهىً ومسكراً
يصادفُ طرفي طرفها حين أنظرُ

٤٦٥ أمالي المرتضى ١ : ٤٣٤ وشعر الحسين بن مطير (غياض) : ٤٦ .

٤٦٦ معجم البلدان (داراء) وداراء من نواحي البحرين وحماة المرزوقي : ١٣٣١ (رقم : ٥٣٢) .

٤٦٧ أمالي القالي ٢ : ٢٧٣ رجل من بني جعدة .

٤٦٩ - وقال الأحوص : [من الطويل]

ألا لا تلمُّهُ اليومَ أن يتبدَّأ فقد غلب الحزونَ أن يتجلَّدَا
فما العيشُ إلا ما تلذُّ وتشتهي وإن لام فيه ذو الشنان وفنَّدا
إذا كنت عِزْهَاءَ عن اللهوِّ والصبا فكن حجراً من يابس الصخرِ جلمدا

٤٧٠ - وقال ذو الرمة : [من الطويل]

ألمَّا على الدارِ التي لو وجدتِها بها أهلهَا ما كان وحشاً مقيلهَا
ولو لم يكن إلا تَعَلُّلٌ ساعةٍ قليلاً فإني نافع لي قليلهَا

٤٧١ - وقال أبو حَيَّةَ النميري : [من الطويل]

وإن دماً لو تعلمين جنيتِهِ على الحَيِّ جاني مثله غيرُ سالمٍ
أما إنه لو كان غيرك أرقَلْتُ إليه القنا بالرافعاتِ اللهاذمِ
ولكن لعمرُ الله ما ظلُّ مسلماً كغرُّ الثنايا واضحاتِ الملاغمِ
إذا هنَّ ساقطن الحديث كأنه سقاطُ حصَى المرجانِ من سلكِ ناظمِ
رمينَ فأقصدنَ القلوبَ فلم نجد دماً مائراً إلا جوىً في الحيازمِ
وخبرك الواشون أن لن أحبكم بلى وستورِ الله ذاتِ المحارمِ

٤٦٩ الشعر والشعراء : ٤٢٥ والأغاني ١٣ : ١٥٧ وشعر الأحوص (سليمان) : ٩٨ .

٤٧٠ الثاني منهما في ديوان ذي الرمة : ٩١٣ . وورد بدلاً من الأول :

ألمابمي قبل أن تطرح النوى بنا مطرحاً أو قبل بين يزيلها
والبيت الوارد هنا في هامش ص : ٩١٢ نقلاً عن معاهد التنصيص .

٤٧١ أمالي القالي ٢ : ٢٨٠-٢٨١ (مع اختلاف في الترتيب) وحماسة ابن الشجري : ١٥٣ وزهر

الآداب : ١٤ وسمط اللآلي : ٩٢٥ والحماسة البصرية ٢ : ٨٥-٨٦ وأمالي المرتضى ٢ : ٦٨

والحُب والمحبوب ١ : ١٦٤-١٦٦ .

١ الحُب والمحبوب : المباسم .

أصدُّ وما الصدُّ الذي تعلمينه عزاء بنا إلا اجتراحَ العلامِ
حياءً وبُقياً أن تشيعَ نَمِيمَةً بنا وبكم أفُّ لأهلِ النمامِ

٤٧٢ - ويروى للمجنون : [من الطويل]

شفيعي إليها قلبها إن تَعَتَّبْتُ وقلبي لها فيما ترومُ شفيعُ
لقد ظفرتُ مني بسمعٍ وطاعةٍ وكلُّ محبٍّ سامعٌ ومطيحُ

٤٧٣ - وقال أبو العميثل : [من الطويل]

سلامٌ على الوصلِ الذي كان بيننا تداعتْ به أركانهُ فتضعضعا
تمنَّى رجالٌ ما أحبوا وإنما تمنيتُ أن أشكو إليها فتسمعا
وإني لأنهى النفسَ عنها ولم يكنْ بشيءٍ من الدنيا سواها لتقنعا
أرى كلَّ معشوقينِ غيري وغيرها قد استعذبا طعمَ الهوى وتمتعا
كأني وإياها على حالِ رِقْبَةٍ وتفريقِ شملٍ لم نبتَ ليلةً معا

٤٧٤ - وقال أبو عبدالله بن الدمينة الخثعمي ، وهذه الأبيات من قصيدة مشهورة ، وقد تنوزع أكثرها ، ونسبت أبيات منها إلى عدد من الشعراء ، والمقصود الشعر لا شاعره ، فلذلك جمعت المختار منها في مكان واحد :
[من الطويل]

أحقاً عباد الله أن لستُ وارداً ولا صادراً إلا عليَّ رقيبُ
ولا زائراً فرداً ولا في جماعةٍ من الناس إلا قيل أنت مريبُ
وهل ريبٌ في أن تحنَّ نجيبٌ إلى إلفها أو أن يحنَّ نجيبُ
وإن الكئيبَ الفردَ من أيمن الحمى إليَّ وإن لم آتِه لحيبُ
أميمَ لقد عذبتني وأريتني بدائع أخلاقٍ لهنَّ ضرُوبُ

٤٧٢ لم يرد في ديوان المجنون .

٤٧٤ ديوان ابن الدمينة : ١٠٣-١١٨ وهي أبيات متباعدة .

صدوداً وإعراضاً كأنِّي مذنبٌ
 تضئِنَ حتى يذهبَ البخلُ بالمني
 فيا حسراتِ القلبِ من غربةِ النوى
 ومن خطراتِ تعتريني وزفرةٍ
 فلا تتركي نفسي شعاعاً فإنها
 أحبُّكَ أطرافَ النهارِ بشاشةٍ
 ولما رأيتُ الهجرَ أبقي مودَّةً
 هجرتُ اجتناباً غيرَ بغضٍ ولا قلىً
 لك اللهُ إني واصلٌ ما وصلتني
 وأخذ ما أعطيتَ عفواً وإنني
 وإني لأستحيك حتى كأنَّما
 ولو أنني أستغفرُ اللهَ كلَّما
 تلجِن حتى يزري الهجرُ بالهوى
 أميم احذري نقض الهوى لم يزل لنا
 وكوني على الواشين لداءِ شَعْبَةٍ
 بنفسي وأهلي مَنْ إذا عرضوا له
 ولم يعتذرْ عُذْرَ البريء ولم تزلْ
 ألا لا أبالي ما أجنَّتْ صدورهم
 ألا ليت شعري عنك هل تذكّرني
 وهل لي نصيب من فؤادك ثابتٌ

ألا ليس لي إلا هواك ذنوبُ
 وحتى تكادَ النفسُ عنك تطيبُ
 إذا اقتسمتها نية وشعوبُ
 لها بين جلدي والعظام ديبُ
 من الوجدِ قد كادت عليك تذوبُ
 وبالليل يدعوني الهوى فأجيبُ
 وطارت بأضغانٍ عليّ قلوبُ
 أميمة مهجوراً إليّ حبيبُ
 ومثني بما أوليتني ومثيبُ
 لأزورُ عما تكرهين هيوبُ
 عليّ بظهرِ الغيبِ منك رقيبُ
 ذكركَ لم تكتبَ عليّ ذنوبُ
 وحتى تكادَ النفسُ عنك تطيبُ
 على النأي والهجران منك نصيبُ
 كما أنا للواشي الدُّ شغوبُ
 بذكرِ الهوى لم يدرِ كيف يجيبُ
 به سكتة حتى يقالَ مريبُ
 إذا نصحتُ ممن أوْدُ جيوبُ
 فذكرك في الدنيا إليّ حبيبُ
 كما لك عندي في الفؤادِ نصيبُ

٤٧٥ - وما يروى للمجنون : [من الطويل]

٤٧٥ ديوان مجنون ليلي : ٥٢-٥٣ .

ألا أيها البيتُ الذي لا أزورهُ
هجرتكُ إشفاقاً وزرْتُكَ خائفاً
سأستعيب الأيامَ فيكَ لعلها
جری السيلُ فاستبكاني السيلُ إذ جرى
وما ذاك إلا حين أيقنت أنه
يكونُ أجاجاً دونكم فإذا انتهى
أظلُّ غريبَ الدارِ في أرضِ عامرٍ
وإن حلَّه شخصٌ إليَّ حبيبُ
وفيك عليَّ الدهرُ منك رقيبُ
بيومِ سرورٍ في الزمانِ توؤبُ
وفاضت له من مقلتيَّ غروبُ
يمرُّ بوادٍ أنت منه قريبُ
إليكم تلقى طيبكم فيطيبُ
ألا كلُّ مهجورٍ هناك غريبُ

٤٧٦ - وقال الأقرع بن معاذ القشيري : [من الطويل]

ألا حبذا ريح الغضا حين زعزعتُ
تجيء برياً من عثيمةَ طلَّةٍ
لقد طرقتنا أمُّ عثمانَ بعدما
كأني وإن كانت شهوداً عشيرتي
ولا خير في الدنيا إذا أنت لم تزر
وأكبيت إكبابِ الدنيِّ وباعدت
فلا تعديني الفقرَ يا أم خالد
بقضبانِهِ بعد الضلالِ جنوبُ
يعيش لها القلبُ الدوي فيثيبُ
هوى النجمِ والساري إليَّ حبيبُ
إذا بنتِ عني يا عثيمَ غريب
حبيباً ولم يطرب اليك حبيب
لك النفس حاجاتٍ وهنَّ قريبُ
فإنَّ الغنى للمنفقين قريبُ

٤٧٧ - وقال ابن الدمينية : [من الطويل]

قفي يا أميمَ القلبِ نقضِ لبانةً
سلي البانةَ الغيناءَ بالأبطحِ الذي
وهل قُمتُ في أطلالهنَّ عشيةً
ونشكُ الهوى ثم افعلي ما بدا لك
به البانُ هل حييتُ أطلالَ دارك
مقامَ أخي البأساءِ واخترتُ ذلك

٤٧٦ البيت الخامس في أمالي القاضي ٢ : ٤٠ لرجل من عيس .
٤٧٧ ديوان ابن الدمينية : ١٣-١٧ ، ١٦٥-١٦٧ ، وبعض أبياتها في الزهرة ١ : ٨٦ لخليفة بن روح الأسدي .

وهل كفكفت عيناى في الدارِ عبْرَةً
 فيا بانة الوادي أليست مصيبةً
 ويا بانة الوادي أثيبي متيما
 عدمتك من نفسٍ وأنت سقيتني
 ومينتي لقيان من لست لاقياً
 فما بك من صبرٍ ولا من جلاذيةٍ
 ليهنك إمساكي بكفي على الحشا
 ولو قلت طاً في النار أعلم أنه
 لقدمتُ رجلي نحوها فوطئتها

فراى كنظم اللؤلؤ المتدارك
 من الله أن تحمي علينا ظلالك
 أخوا سقم أنشبهه في حبالك
 بكأس الردى في وصل من لم يوالك
 نهاري ولا ليلى ولا بين ذلك
 ولا من عزاء فاهلكي في الهواك
 ورقراق دمعي رهبةً من زبالك
 هدى منك أو مُدْنٍ لنا في وصالك
 هدى منك لي أو غبةً في ضلالك

٤٧٨ - وقال أيضاً: [من الطويل]

خليلي إني اليوم شاكٍ إليكما
 تفرق آلافٍ وإسبال عبرةٍ
 وكائن ترى من ذي هوى حيل دونه
 نظرت بمغضى سيل تُربان نظرةً
 إلى رُجح الأكفال غيدٍ كأنها
 خليلي شدا بالعصائب فانظرا
 وكنا إذا تدنو بعصماء نية

وهل تنفع الشكوى إلى من يزيدها
 أظلم بأطراف البنان أذودها
 ومُتبع إلفٍ نظرةً لا يعيدها
 هل الله لي قبل الممات معيدها
 ظباء الفلا أعناقها وخذودها
 إلى كبدي هل بُت صدعاً عهدها
 رضينا بدنيانا فلا نستزيدُها

٤٧٩ - وقال أيضاً: [من الطويل]

ولما لحقنا بالحمول انبرى لنا
 خفيف الحشا توهي القميص عواتقه

٤٧٨ ديوان ابن الدمينية : ٥٠-٥١ .

٤٧٩ ديوان ابن الدمينية : ٥٢ .

قَلِيلُ قَدَى الْعَيْنِينَ يَعْلَمُ أَنَّهُ
 وَقَفْنَا فَسَلَّمْنَا فَسَلَّمَ كَارِهًا
 فَسَاءَلْتُهُ حَتَّى اطْمَأَنَّ وَقَدْ بَدَأَ
 فَسَايَرْتَهُ مِيلِينَ يَا لَيْتَ أَنِّي
 فَلَمَّا رَأَتْ أَنْ لَا جَوَابَ وَأَنَّهُ
 رَمَتْنِي بِطَرْفٍ لَوْ كَمِيًّا رَمَتْ بِهِ
 هُوَ الْمَوْتُ إِنْ لَمْ تَصْرَعْنَا بِوَائِقِهِ
 عَلَيْنَا وَتَبْرِيحٍ مِنَ الْوَجْدِ خَائِقِهِ
 لَنَا بَرْدٌ مِنْهُ تَطْيِيرُ صَوَاعِقِهِ
 عَلَى سُخْطِهِ حَتَّى الْمَمَاتِ أَرَاقِقِهِ
 مَدَى الصَّرْمِ مَضْرُوبٌ عَلَيْنَا سُرَادِقِهِ
 لَبْلٌ نَجِيعًا نَحْرُهُ وَبِنَائِقِهِ

٤٨٠ - ومن طوال قصائد الغزل ومختارها قول كثير ، وقد اقتصرنا على

بعضها : [من الطويل]

خَلِيلِي هَذَا رِبْعٌ^١ عَزَّةٌ فَاعْقِلَا
 وَمَا كُنْتُ أُدْرِي قَبْلَ عَزَّةٍ مَا الْبِكَاءِ
 فَقَدْ حَلَفْتُ جَهْدًا بِمَا نَحَرْتُ لَهُ
 وَكَانَتْ لِقَطْعِ الْحَبْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
 فَقَلْتُ لَهَا يَا عَزَّ كُلُّ مَصِيبَةٍ
 وَلَمْ يَلْقَ إِنْسَانٌ مِنَ الْحَبِّ مِيعَةً
 كَأَنِّي أَنَادِي صَخْرَةً حِينَ أُعْرِضْتُ
 صَفُوحًا فَمَا تَلْفَاكَ إِلَّا بِخَيْلَةٍ
 أَبَا حَتِّ حَمِيٍّ لَمْ يَرَعَهُ النَّاسُ قَبْلَهَا
 قُلُوبِيكُمَا ثَمَّ انزَلَا^٢ حَيْثُ حَلَّتْ
 وَلَا مَوْجِعَاتِ الْحَزَنِ^٣ حَتَّى تَوَلَّتْ
 قَرِيشٌ غَدَاةَ الْمَازِمِينَ وَصَلَّتْ
 كَنَازِرَةَ نَذْرًا فَأَوْفَتْ وَحَلَّتْ
 إِذَا وُطِّئَتْ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ
 تَعَمُّ وَلَا غَمَاءَ إِلَّا تَجَلَّتْ
 مِنَ الصَّمِّ لَوْ تَمْشِي بِهَا الْعُصْمُ زَلَّتْ
 فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ الْوَصْلَ مَلَّتْ
 وَحَلَّتْ تَلَاعًا لَمْ تَكُنْ قَبْلُ حَلَّتْ

٤٨٠ ديوان كثير : ٩٥-١٠٣ .

١ ر : رسم .

٢ ر و الديوان : ابكيا .

٣ ر والديوان : القلب .

فما أنصفت أما النساء فبغضت
 يكلفها الخنزيرُ شتمي وما بها
 هنيئاً مريئاً غيرِ داءِ مخامرٍ
 ووالله ما قاربتُ إلا تباعدتُ
 فإن تكن العُتبي فأهلاً ومرحباً
 وإن تكن الأخرى فإن وراءنا
 أسعي بنا أو أحسني لا ملومةً
 وإني وإن صدتُ لثنٍ وصادق
 فما أنا بالداعي لعزة بالردى
 فلا يحسب الواشون أن صبابتي
 فيا عجباً للقلب كيف اعترافه
 وإني وتهيامي بعزة بعدما
 لكالمترجي ظل الغمامة كلما
 كآني وإياها سحابةً ممحل

إلينا وأما بالنوال فضنت
 هواني ولكن للمليك استذلت
 لعزة من أعراضنا ما استحللت
 بصرمٍ ولا أكثرتُ إلا أقلتُ
 وحقَّت لها العُتبي إلينا وقلتُ
 مناديج لو سارت بها العيسُ كلتُ
 لدينا ولا مقليةً إن تقلتُ
 عليها بما كانت إلينا أزلتُ
 ولا شامتٍ إن نعلُ عزة زلتُ
 بعزة كانت غمرة فتجلتُ
 وللنفس لما وطنت كيف ذلتُ
 تخلتُ مما بيننا وتخلتُ
 تبوأ منها للمقبل اضمحلَّت
 رجاها فلما جاوزته استهلَّت

٤٨١ - قال عبدالله بن أبي عبيد : قلت لأبي السائب المخزومي : ما أحسن
 عروة بن أذينة حيث يقول : [من الكامل]

لبثوا ثلاث منى بمنزل غبطة
 متجاورين بغير دار إقامة
 وهن بالبيت العتيق لبانة
 لو كان حياً قبلهن طعائناً
 وهم على غرض هنالك ما هم
 لو قد أجد رحيلهم لم يندموا
 والركن يعرفهن لو يتكلم
 حياً الحطيم وجوههن وززم

٤٨١ الأغاني ١٨ : ٢٤٨-٢٥٠ وشعر عروة : ٣٦٧-٣٦٨ وشعر كثير : ٤١٠ وشعر العرجي

. ٤٣-٤٢

وكانهنَّ وقد حَسَرْنَ لواعباً يُّضُّ بأكتافِ الحطيمِ مُرَكِّمٌ

قال : فقال : لا والله ما أحسنَ ولا أجملَ ، ولكنه أهَجَرَ وأخطلَ في صفتهنَّ بهذه الصفة ، ثم لا يندمُ على رحيلهنَّ ، أهكذا قال كثير حيث يقول : [من الطويل]

تَفَرَّقَ أهواءُ الحجاجِ على منىٍّ وصدَّعَهُمُ شعبُ النوى صُبْحَ أربعِ
فريقانٍ منهم سالكِ بطنِ نخلةٍ وآخرُ منهم سالكِ بطنِ تَضْرَعِ
فلم أرَ داراً مثلها دارَ غبطةٍ وملقى إذا التفَّ الحجاجُ بمجمعِ
أقلِّ مقيماً راضياً بمقامِهِ وأكثرَ جاراً ظاعناً لم يُودِّعِ

انظر إليه كيف تقدّمت شهادته علمه ، وكفى لسانه ببيانه ، وهل يغتبط عاقل بمقام لا يرضى به ، ولكن مكره أخوك لا بطل ؛ والعرجيُّ كان بالعهد أوفى منهما ، وأولى بالصواب حين تعرّضَ لها نافرةً من منىٍّ ، فقال لها عاتباً مستكيناً : [من الكامل المرفل]

عوجي عليّ فسلمّي جبرٌ ماذا الوقوفُ وأتم سقرٌ
ما نلتقي إلا ثلاث منى حتى يُفرِّقَ بيننا النفرُ

٤٨٢ - قال المدائني : انتجع أهل جنوب ناحية حِسيّ والحمى ، وقد أصابها الغيث وأمرعتُ ، فلما أرادوا الرحيلَ وقف لهم مالك بن الصمصامة (وجنوب هي بنت محسن الجعدية بنت عم مالك) حتى إذا بلغته أخذ بخطام بعيرها ثم قال : [من الطويل]

أريتكَ إذ أزمعتم اليومَ نيةً وغالكِ مصطافُ الحمى ومرايعةُ

أَتَرَعَيْنَ مَا اسْتُوْدِعْتَ أَمْ أَنْتَ كَالَّذِي إِذَا مَا نَأَى هَانَتْ عَلَيْهِ وَدَائِعُهُ

فبكت وقالت : بل أَرعى والله ما اسْتُوْدِعْتُ ، ولا أَكُونُ كَمَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ وَدَائِعُهُ ،
فَأرسل بغيرها وبكى حتى سقط مغشياً عليه ، وهي واقفة ، ثم أفاق وهو يقول :

أَلَا إِنْ حَسِيًّا دَوْنَهُ قَلَّةُ الْحَمَى مُنَى النَّفْسِ لَوْ كَانَتْ تُنَالُ شَرَائِعُهُ
وَكَيْفَ وَمَنْ دُونَ الْوَرُودِ عَوَائِقُ وَأَصْبَغُ حَامِي مَا أَحَبُّ وَمَانَعُهُ
فَلَا أَنَا فِيمَا صَدَّنِي عَنْهُ طَامِعٌ وَلَا أَرْتَجِي وَصَلَ الَّذِي هُوَ قَاطِعُهُ

٤٨٣ - قال بعضهم : رأيت امرأةً مستقبلةً البيتَ في غاية الضَّرِّ والنحافة ،
رافعةً يديها تدعو ، فقلت لها : هل من حاجةٍ ؟ قالت : حاجتي أن تنادي في
الموقف بقولي : [من الطويل]

تَزُوْدَ كُلِّ النَّاسِ زَادًا يَقيْمُهُمْ وَمَا لِي زَادٌ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ نَفْسِي

ففعلت ، فإذا أنا بفتى منهوك فقال : أما الزادُ فمضيتُ به إليها ، فما زادت على النظر
والبكاء ، ثم قالت له : انصرف مصاحباً ، فقلت : ما علمت أن لقاء كما يقتصر على
هذا ، فقالت : أُمسِكْ ، أما علمت أن ركوبَ العارِ ودخولَ النارِ شديدٌ ؟ !

٤٨٤ - وقال الناجم : [من الرجز]

طَالِبْتُ مَنْ شَرَّدَ نَوْمِي وَذَعَرَ بِقَبْلَةٍ تُحَسِّنُ فِي الْقَلْبِ الْأَثْرُ
فَقَالَ لِي مُسْتَعَجَلًا وَمَا أَنْتَظِرُ : لَيْسَ لِغَيْرِ الْعَيْنِ حِظٌّ فِي الْقَمَرِ

أخذه من قول علي بن الجهم : [من الطويل]

وَقَلَنْ لَنَا نَحْنُ الْأَهْلَةُ إِنَّمَا نَضِيءُ لِمَنْ يَسْرِي بَلِيلٍ وَلَا نَقْرِي

٤٨٤ التشبيهات : ٩٣ وأمالى القالي : ١ ، ٢٣٠ وشعراء عباسيون ٣ : ٣٨٩ ، ٤٢٢ وشعرا ابن الجهم
في ديوانه : ١٤٤ (من قصيدته : عيون المها بين الرصافة والجسر) .

فلا نيلَ إلا ما تزوَّدَ ناظرٌ ولا وصلَ إلا بالخيالِ الذي يسري

٤٨٥ - وقال سليمان بن أبي دباكل الخراعي : وقد وجدتُ بعضَ هذه الأبيات في ديوان أبي ذؤيب : [من الكامل]

يا بيت خنساء^١ الذي أتجَنَّبُ ذهب الشباب وجبَّها لا يذهبُ
أصبحتُ أمْنَحُكُ الصدودَ وإنني قسماً إليك على الصدودِ لأجَنَّبُ
ما لي أحنُّ إذا جمالكِ قُرِبَتْ وأصدُّ عنكِ وأنتِ مني أقربُ
تبكي^٢ الحمامةُ شجوها فتهيجني ويروحُ عازبُ همِّي المتأوِّبُ
وتهبُّ ساريةُ الرياحِ من أرضكم فأرى الرياحَ لها تطلُّ وتُجَنَّبُ^٣
وأرى الصديقُ يودِّكم فأودُّه إن كان يُنسبُ منك أو لا ينسبُ
وأخالف الواشين فيكِ تجملاً وهمُ عليُّ أولو ضغائنَ ذُرْبُ
ثم اتخذتهمُ عليُّ وليجةً حتى غضبتُ ومثلُ ذلك يُغضبُ
وأرى السَّمِيَّةَ باسمكم فيزيدني شوقاً إليكِ حنائكِ المُتَنَسِّبُ

٤٨٦ - وقال يزيد بن الطُّرَيْبِيَّةَ : [من الطويل]

بنفسي مَنْ لو مرَّ برَّدُ بنائه على كبدي كانت شفاءً أنامِلُهُ

٤٨٥ ورد الشعر في الأغاني ٢١ : ١٠٨-١٠٩ لابن أبي دباكل نفسه ، ولم يذكر أية صلة لهذا الشعر بأبي ذؤيب ، وقد ورد في ديوانه ١ : ٢٠٥ ولم يعرفه الأصمعي وقال خالد هي لرجل من خراعة وقال زبير هي لابن أبي دباكل . وانظر الجليس الصالح ٣ : ٢٦٨ ففيه الشعر منسوباً لابن أبي دباكل ؛ وفي المصادر المذكورة اختلافات كثيرة في رواية الأبيات .

٤٨٦ شعر ابن الطُّرَيْبِيَّةَ : ٥٤ .

- ١ الديوان : دهماء .
- ٢ الديوان : تدعو .
- ٣ الديوان : فأرى الجنابَ لها يحل ويجنب .
- ٤ الديوان والأغاني : العدو .

وَمَنْ هَابَتِي فِي كُلِّ أَمْرٍ وَهَبْتُهُ فَلَ هُوَ يَعْطِينِي وَلَا أَنَا سَائِلُهُ

٤٨٧ - وقال أيضاً : [من الطويل]

عَقِيلِيَةَ أَمَّا مَلَاثُ إِزَارِهَا فَدَعِصٌ وَأَمَّا خَصْرُهَا فَبَتِيلُ
تَقِيظُ بِأَكْنَفِ الْحَمَى وَيُظِلُّهَا بِنَعْمَانَ مِنْ وَادِي الْأَرَاكِ مَقِيلُ
أَلَيْسَ قَلِيلًا نَظْرَةً إِنْ نَظَرْتَهَا إِلَيْكَ وَكَلًّا لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلُ
فِيَا حُلَّةَ النَّفْسِ الَّتِي لَيْسَ دُونَهَا لَنَا مِنْ أَجْلَاءِ الصَّفَاءِ خَلِيلُ
وَيَا مَنْ كَتَمْنَا حُبَّهُ لَمْ يُطْعَ بِهِ عَدُوٌّ وَلَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهِ دَخِيلُ
أَمَّا مِنْ مَقَامٍ أَشْتَكِي غُرْبَةَ النَّوَى وَخَوْفَ الْعَدَا فِيهِ إِلَيْكَ سَبِيلُ
فَدَيْتِكَ أَعْدَائِي كَثِيرٌ وَشَقَّتِي بَعِيدٌ وَأَنْصَارِي لَدَيْكَ قَلِيلُ
وَكَنتُ إِذَا مَا جِئْتُ جِئْتُ بَعْلَةً فَأَنْبِيتُ عِلَاتِي فَكَيْفَ أَقُولُ
فَمَا كُلُّ يَوْمٍ لِي بِأَرْضِكَ حَاجَةٌ وَلَا كُلُّ وَقْتٍ لِي إِلَيْكَ رَسُولُ
صَحَائِفُ عِنْدِي لِلْعَتَابِ طَوِيَّتُهَا سَتُنَشْرُ يَوْمًا وَالْعَتَابُ يَطُولُ
فَلَا تَحْمِلِي إِثْمِي وَأَنْتِ ضَعِيفَةٌ فَحَمَلُ دَمِي يَوْمَ الْحِسَابِ ثَقِيلُ

٤٨٨ - قيل لما تأيمت عائشة بنت طلحة كانت تقيم بمكة سنة وبالمدينة سنة ، وتخرج إلى مال عظيم لها بالطائف ، وقصر كان لها هناك تنتزه فيه ، وتجلس فيه بالعشيات تناضل بين الرماة ، فمرَّ بها النميريُّ الشاعر ، فسألت عنه فنُسِبَ لها ، فقالت اتئوني به ، فأتوا به ، فقالت له : أنشدني ممَّا قلت في زينب ، تعني زينب بنت يوسف أخت الحجاج بن يوسف ، وكان النميريُّ يتعشَّقها ، وهو محمد بن عبد الله بن نمير من ثقف ، فامتنع عليها ، وقال : بنت عمي وقد

٤٨٧ شعر ابن الطثرية : ٨٧-٩٠ .

٤٨٨ الأغاني ١١ : ١٧٩-١٨٠ وقارن بالأغاني ٦ : ١٩٢-١٩٣ وانظر معجم البلدان (الهماء)

والفقرة : ٤٤٢ ..

صارت عظاماً باليةً ، قالت : أقسمتُ عليك إلا فعلت ، فأنشدتها قوله ، وهي
أبيات ذكرت ها هنا مختارها : [من الطويل]

تضوَع مسكاً بطنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ^١ به زينبٌ في نسوةٍ عطراتِ
فأصبح ما بين الهماءِ وجدوة^٢ إلى الماءِ ماءِ الجزعِ ذي العُشْرَاتِ
له أَرْجٌ من مجمرِ الهندِ ساطعٌ تطلعُ رِيَاءَهُ من الكَفِرَاتِ^٣
تهادِينِ ما بين المحصَّبِ من منىً وأقبلنَ لا شِعْناً ولا غَبِرَاتِ
مرزناً بِفَخٍّ رَائِحَاتِ عَشِيَّةً يُلَيِّبْنَ للرحمنِ معتمِرَاتِ
يخْمَرْنَ^٣ أطرافَ البنانِ من التُّقى ويخرجنَ جُنْحَ الليلِ مُعْتَجِرَاتِ
تقسم لُبِّي يومَ نَعْمَانَ إنني رأيتُ فوادي عارمَ النظراتِ
جلونَ وجوهاً لم تلحها سماءٌ حرورٌ ولم يُسْفَعْنَ بالسِّبْرَاتِ^٤

قالت : والله ما قلت إلا جميلاً ، ولا ذكرت إلا كرمًا وطيباً ، ولا
وصفت إلا ديناً وتقىً ، أعطوه ألفَ درهم . فلما كانت الجمعة الأخرى
تعرض لها ، فقالت : عليّ به ، فجاءها فقالت له : أنشدني من شعرك في
زينب ، فقال لها : أو أنشدك من شعر الحارث بن خالد فيك ، فوثب مواليتها
إليه ، فقالت : دعوه ، فإنه أراد أن يستقيد لبت عمه ، هات ممّا قال
الحارث ، فأنشدتها : [من الكامل المرفل]

ظعن الأميرُ بأحسنِ الخلقِ وغدوا بلبكَ مطلعَ الشرقِ
في البيتِ ذي الحسبِ الرفيعِ ومن أهلِ التقى والبرِّ والصدقِ

١ الهماء : موضع بنعمان ؛ وفي رواية : الهماء فصاعداً .

٢ الكفريات : العظيم من الجبال .

٣ الأغاني : يخبئ .

٤ السبرات : شدة برد الشتاء .

أُتْرَجَّةٌ عَبَقَ الْعَبِيرُ بِهَا عَبَقَ الدَّهَانُ بِجَانِبِ الْحُقِّ
مَا صَبَّحَتْ أَحَدًا بِرُؤَيْتِهَا إِلَّا غَدَا بِكُوَاكِبِ الطَّلِقِ

فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا ذَكَرَ إِلَّا جَمِيلًا ، ذَكَرَ أَنِي إِذَا صَبَّحْتُ زَوْجًا غَدًا
بِوَجْهِهِ ، غَدَا بِكُوَاكِبِ الطَّلِقِ ، وَأَنِي غَدَوْتُ مَعَ أَمِيرٍ تَزَوَّجَنِي إِلَى الْمَشْرِقِ ،
وَأَنِي أَحْسَنُ الْخَلْقِ فِي الْبَيْتِ ذِي الْحَسَبِ الرَّفِيعِ ، أَعْطَوهُ أَلْفَ دَرَاهِمٍ وَآكِسُوهُ
حُلَّتَيْنِ ، وَلَا تَعُدُّ تَأْتِينَا يَا نَمِيرِي .

٤٨٩ - وَكَانَ الْحَارِثُ بْنُ خَالِدِ الْمَخْزُومِيِّ مَعَ مَنْصِبِهِ وَشَرَفِهِ وَفَضْلِهِ شَدِيدِ
الْغَزْلِ ، خَالِعًا فِيهِ الْعِذَارُ ، وَلِأَهْلِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ مَكَّةَ ، فَأُذِّنَ لَهُ الْمُؤَذِّنُ وَخَرَجَ
إِلَى الصَّلَاةِ ، فَأُرْسِلَتْ إِلَيْهِ عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ أَنْ بَقِيَ مِنْ طَوَافِي شَيْءٍ لَمْ أْتَمَّهُ ،
فَأَمَرَ الْمُؤَذِّنِينَ فَكَفُّوا عَنِ الْإِقَامَةِ حَتَّى فَرَّغَتْ مِنْ طَوَافِهَا ، وَالنَّاسُ يُصِيحُونَ بِهِ
وَيُضْجُونَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَعَزَلَهُ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ يُؤْتَبَهُ فِيمَا فَعَلَ ،
فَقَالَ : مَا أَهْوَنَ وَاللَّهِ غَضَبُهُ عَلَيَّ إِذَا رَضِيَتْ عَائِشَةُ ، وَاللَّهِ لَوْ لَمْ تَفْرُغْ مِنْ طَوَافِهَا
إِلَى اللَّيْلِ لَأَخَّرْتُ الصَّلَاةَ إِلَى اللَّيْلِ .

٤٩٠ - وَكَانَتِ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا وَإِسْلَامِهَا مَعَ شِدَّةِ بَأْسِهَا وَغِلْظِ أَكْبَادِهَا
تَرَقَّ عِنْدَ الْغَزْلِ وَتَلَيْنَ ، حَتَّى مَاتَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ كَمَدًا وَشَغْفًا ، وَكَانَتْ تَسْتَحْسِنُ
مِنْهَا مَا هُوَ مُسْتَهْجَنٌ عِنْدَ غَيْرِهَا مِنْ طَوَائِفِ الْأُمَمِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ الشَّاعِرَ مِنْهُمْ كَانَ
يُنْسَبُ بِالْمَرْأَةِ الْجَلِيلَةِ ذَاتِ الْحَسَبِ وَالْعَشِيرَةِ الْمُنِيعَةِ ، فَلَا يَنْكُرُونَ ذَلِكَ وَلَا يَغْيِرُونَهُ
حَتَّى كَانُوا يَنْسِبُونَ بِنِسَاءِ الْمُلُوكِ ، فَلَا يَكُونُ مِنْهُمْ لَهُ نَكِيرٌ . ذَكَرَ النَّابِغَةُ الذِّيَابِيُّ
الْمُتَجَرِّدَةَ زَوْجَةَ النُّعْمَانَ بْنِ الْمُنْدَرِ فِي شِعْرِهِ ، فَقَالَ قَصِيدَةً أَوْلَاهَا : [مِنْ الْكَامِلِ]

أَمِنْ آلِ مِيَّةٍ رَائِحٌ أَوْ مَغْتَدِي عَجْلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُزَوِّدٍ

٤٨٩ الأغانى ١١ : ١٨٠-١٨١ .

٤٩٠ انظر قصيدة النابغة في الأغانى ١١ : ٨ ، ١٠ ، والتعليق ص : ١٣ .

ووصف أعضائها وأفحشَ حتى قال :

وَإِذَا طَعَنَتْ طَعَنَتْ فِي مُسْتَهْدِفِ رَايِ الْمَجْسَةِ بِالْعَبِيرِ مُقَرَّمِدِ

وهي أبياتٌ قد كتبتها في مكان آخر من هذا الكتاب ، وأنشدها النعمان غير مراقب ، فقال بعض أعدائه : ما يستطيع أن يقول ذلك إلا مَنْ جَرَّبَ ، فأغراه به .

٤٩١ - وَتَنَسَّبَ أَبُو ذَهَبِلَ الْجُمَحِي بِعَاتِكَةَ بِنْتِ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ،

فاحتلمه معاوية ووصله وزوجه ليكف ويقطع القالة عن ابنته .

روي أن عاتكة بنت معاوية حجّت فنزلت بذي طوى ، فمرّ بها أبو ذهبل

الجمحي في وقت الهجرة وهي غافلةٌ عنه ، فوقف ينظر إليها ، فلما تنهت له شتمته فانصرف ، وقال فيها الشعر ، فبلغها فضحكت وبعثت إليه بكسوة ،

وجرت الرسل بينهما ، وكان أبو ذهبل من أجمل الناس ، فلما صدرت عن مكة

خرج معها إلى الشام ، فنزل قريباً منها ، وكانت تعاهده بالبرِّ والألطف ، حتى

دخلت دمشق وورد معها ، فانقطعت عن لقاءه ، وبعُدَ من أن يراها ، ومرض

بدمشق مرضاً طويلاً وقال في ذلك : [من الخفيف]

طال ليلى وبتُّ كالخزونِ ومللتُ المقامَ في جيرونِ

وأطلت المقامَ بالشامِ حتى ظنُّ أهلي مُرَجِّمَاتِ الظنونِ

فبكت خشيةَ التفرقِ جُمْلُ كبكاءِ القرينِ إثرَ القرينِ

وهي زهراء مثلُ لؤلؤةِ الغوِّ واصلِ مِيَزَتُ من جوهرِ مكنونِ

وإذا ما نسبتها لم تجدها في سناءِ من المكارمِ دونِ

تجعل المسك واليلنجوج والندُ سدَّ صلاءِ لها على الكائونِ

٤٩١ الأغاني ٧ : ١١٩-١٢٣ .

١ ر : التواء بالماطرون .

ثم خاصرتها إلى القبة البيـ ضاء تمشي في مرمى مسنون
قبة من مراحل ضربوها عند برد الشتاء في قيطون
عن يساري إذا دخلت من البا ب وإن كنت خارجاً فيميني
ثم فارقتها على خير ما كا ن قرين مقارناً لقرين
ولقد قلت إذ تطاول ليلى وتقلبت ليلى في فنون
ليت شعري أمن هوى طارنومي أم براني البارقي قصير الجفون

وشاع هذا الشعر حتى بلغ معاوية فأمسك عنه ، حتى إذا كان يوم الجمعة دخل عليه الناس وفيهم أبو دهب ، فقال معاوية لحاجبه : إذا أراد أبو دهب الخروج فامنعه واردهه إلي ، وجعل الناس يسلمون وينصرفون ، فقام أبو دهب لينصرف ، فناده معاوية : يا أبا دهب هلم إلي ، فلما دنا أجلسه حتى خلا به ، ثم قال : ما ظننت في قريش أشعر منك حيث تقول :

* ولقد قلت إذ تطاول ليلى *

وذكر بعض الأبيات ، ووالله إن فتاة أبوها معاوية ، وجدها أبو سفيان ، وجدتتها هند بنت عتبة لكما ذكرت ، فأبي شيء زدت في قدرها ، ولقد أسأت والله في قولك : «ثم خاصرتها إلى القبة الخضراء» . فقال له يا أمير المؤمنين : والله ما قلت هذا ، وإنما قيل على لساني ، فقال له معاوية : أما من جهتي فلا خوف عليك لأني أعلم صيانة ابنتي نفسها ، وأعلم أن فتیان الشعراء لم يتركوا أن يقولوا النسيب في كل من جاز أن يقولوه فيه ، وكل من لم يجز ، وإنما أكره لك جوار يزيد ، وأخاف عليك وثباته ، فإن له سورة الشباب وأنفة الملوك . وإنما أراد معاوية أن يهرب أبو دهب وتنقضي القالة عن ابنته . فحذر أبو دهب وخرج إلى مكة هارباً على وجهه ، وكان يكتب عاتكة ، فبينما معاوية ذات يوم في مجلسه إذ جاء

خصي فقال له : يا أمير المؤمنين والله لقد سقط اليوم إلى عاتكة كتاب ، فلما قرأته بكت ثم أخذته فجعلته تحت مصلاها ، وما زالت خائرة النفس منذ اليوم ، فقال له : اذهب والطّف لهذا الكتاب حتى تأتيني به ، فانطلق الخصي فلم يزل حتى أصاب منها غرّة ، فأخذ الكتاب وأقبل به إلى معاوية وإذا فيه :
[من الطويل]

أعاتك هلاً إذ بخلت فلم تري	لذي صبوة زلّفى لديك ولا حقاً
رددت فوئاداً قد توّلى به الهوى	وسكّنت عيناً لا تملّ ولا ترقا
ولكن خلعت القلب بالوعد والمنى	ولم أر يوماً منك جوداً ولا صدقا
أتسين أيامي بربحك مدنفأ	صريعاً بأرض الشام ذا جسد ملقى
وليس صديق يُرْتَضَى لوصية	وأدعو لأوتى بالشراب فما أسقى
وأكبر همي أن أرى لك مرسلأ	وطول نهاري جالس أرقب الطرقا
فواكبدني إذ ليس لي منك مجلس	فأشكو الذي بي من هواك وما ألقى
رأيتك تزادين للصب غلظة	ويزداد قلبي كل يوم لكم عشقا

فلما قرأ معاوية هذا الشعر ، بعث إلى يزيد بن معاوية ، فاتاه فدخل عليه ، فوجده مطرقاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ما هذا الإطراق الذي شجاك ؟ فقال : أمرُّ أرْمَضَنِي وأقلقني منذ اليوم ، وما أدري ما أنتم في شأنه ، قال : وما هو ؟ قال : هذا الفاسق أبو ذَهَبَل كتب هذه الأبيات لأختك عاتكة ، ولم تزل باكية منذ اليوم ، وقد أفسدها فما ترى فيه ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين إنَّ الشآن في أمره لهُيِّنٌ ، قال : وما هو ؟ قال : عبدٌ من عبيدك يكمن له في أزقة مكة فيريحنا منه ، فقال له معاوية : أف لك ، والله إنَّ امرءاً يريد بك ما يريد ، ويسمو بك إلى ما

١ ر : سقم .
٢ الأغاني : أعمل .

يسمو لغير ذي رأي ، وأنت قد ضاق ذرعك بكلمة ، وقصرَ فيها باعك ، حتى أردت أن تقتل رجلاً من قريش ، أو ما تعلم أنك إن فعلت ذلك صدقت قوله وجعلتنا أهدوثةً أبدأ ! قال : يا أمير المؤمنين إنه قد قال قصيدة أخرى ، فأنشدها أهل مكة ، وسارت حتى بلغتني وأوجعتني ، وحملتني على ما أشرتُ فيه ، قال : وما هي ؟ قال : قال : [من الطويل]

ألا لا تقل مهلاً فقد ذهب المهلُ	وما كل من يلحى محباً له عقلُ
لقد كان في حالين ^١ حالا ولم أزرُ	هواي وإن خوُفتُ عن حبها شغلُ
حمى الملك الجبارُ عني لقاءها	فمن دونها تُخشى المتالفُ والقتلُ
فلا خير في حبٍ نخافُ وبآلهُ	ولا في حبيب لا يكون له وصلُ
فواكبدي إني شهرتُ بجهها	ولم يكُ فيما بيننا ساعةً بذلُ
ويا عجباً إني أكاتمُ حبها	وقد شاع حتى قطعتُ دونها السبلُ

قال له : قد والله رفهتَ عني ، والله ما كنت آمن أن يكون قد وصل إليها ، أما الآن ، وهو يشكو أنه لم يكن بينهما وصلٌ ولا بذل ، فالخطبُ فيه يسير ، قم عني وانصرف .

وحج معاوية في تلك السنة ، فلما انقضت أيام الحج كتب أسماء وجوه قريش وأشرفهم وشعرائهم ، وكتب فيهم اسم أبي ذهبل ، ثم دعا بهم ، وفرق في جميعهم صلات سنية ، وأجازهم جوائز كثيرة ، فلما قبض أبو ذهبل جائزته وقام لينصرف دعا به معاوية ، فرجع إليه ، فقال : يا أبا ذهبل ، ما لي أرى أبا خالد يزيد بن معاوية ابن أمير المؤمنين عليك ساخطاً في قوارص تأتيه عنك ، وشعر لا تزال قد نطقت به وأنفذته^٢ إلى خصياننا وموالينا ؟ لا تعترض لأبي خالد . فجعل

١ الأغاني : حولين .

٢ ر : لا تزال تنطق به وتنفذه .

يعتذر إليه ، ويحلف أنه مكذوبٌ عليه . فقال له معاوية : لا بأسَ عليك ، وما يضرُّك هذا عندنا ، هل تاهَّلتَ ؟ قال : لا ، قال : فأَيُّ بناتِ عمك أحبُّ إليك ؟ قال : فلانة ، قال : قد زوجكها أمير المؤمنين وأصدقها ألفي دينار ، فلما قبضها قال : إن رأى أمير المؤمنين أن يعفو عما مضى ، فإن نطقتِ بيتي في معنى ما سبق فقد أبحت دمي ، وفلانة التي زوجتنيها طالقُ البتة ، فسَرُّ بذلك معاوية ، وضمن له رضَى يزيدَ عنه ، ووعده بإدراهِ ما وصله به في كلِّ سنةٍ ، فانصرف إلى دمشق ، ولم يحجَّ معاوية في تلك السنة إلا من أجل أبي دهبيل .

٤٩٢ - ومن حلاوة الهوى والغزل عندهم وضعوا أخباراً وأشعاراً نسبوها إلى المجنون وغيره ، وممَّا نسب إلى المجنون : أنه لما اختلط في حب ليلي ، قيل لأبيه احجج إلى مكة وادع الله عزَّ وجلَّ ، ومره أن يتعلّق بأستار الكعبة ، وأسأل الله أن يعافيه ممَّا به ، ويغض ليلي إليه ، فلعل الله عزَّ وجلَّ أن يخلصه من هذا البلاء ، فحج به أبوه ، فلما صاروا بمنى سمع صائحاً في الليل يصيح : يا ليلي ، فصرخ صرخة ظنوا أن نفسه قد تلفت ، وسقط مغشياً عليه ، فلم يزل كذلك حتى أصبح ، وقال له أبوه : تعلق بأستار الكعبة ، وأسأل الله عزَّ وجلَّ أن يعافيك من حب ليلي ، فتعلق بالأستار وقال : اللهم زدني لليلي حباً وبها كلفاً ، ولا تنسني ذكرها أبداً ، فهام حينئذ واختلط ولم يضبط ، فكان يهيم في البرية مع الوحش .

٤٩٣ - وروي أنه مرَّ بزوج ليلي وهو جالسٌ يصلي في يومٍ شاتٍ ، فوقف عليه ثم قال : [من الوافر]

بربِّكَ هل ضممتَ إليك ليلي قبيلَ الصبحِ أو قبَّلْتَ فاها
وهل رفَّتْ عليك قرونُ ليل رفيفَ الأبحوانةِ في نداها

٤٩٢ الأغاني ٢ : ٢٠ ، ٢١ .

٤٩٣ الأغاني ٢ : ٢٣ .

فقال له : اللهم إذ حَلَفْتَنِي فنعم ؛ فقبض المجنون بكلتا يديه قبضتين من نار فما فارقهما حتى سقط مغشياً عليه ، وسقط الجمر مع لحم راحتيه ، فقام زوج ليلي مغموماً بفعله متعجباً .

والأخبار المنسوبة إلى المجنون كثيرة ، وهي تخرج عن المعنى الذي قصدت .
٤٩٤ - وأعود إلى مستحسن الأشعار في المعنى ، فمن ذلك قول جرير :

[من الطويل]

كَأَنَّ عَيُونََ الْمُجْتَلِينَ تَعَرَّضَتْ لشمسٍ تَجَلَّى يَوْمَ دَجْنٍ سَحَابُهَا
إِذَا ذُكِرَتْ لِلْقَلْبِ كَادَ لَذِكْرَهَا يَطِيرُ إِلَيْهَا وَاعْتَرَاهُ عَذَابُهَا
حَمَى أَهْلُهَا مَا كَانَ مِنَّا وَأَصْبَحَتْ سِوَاهُ عَلَيْنَا نَائِيهَا وَاقْتَرَابُهَا

٤٩٥ - وقال ذو الرمة : [من الطويل]

عَدَّتْني العوادي عنك يا مِيَّ بَرْهَةً وَقَدْ يُلتَوَى دُونَ الحبيبِ فَيُهْجَرُ
عَلَى أَنِّي فِي كُلِّ سِيرٍ أُسِيرُهُ وَفِي نَظْرِي مِنْ نَحْوِ أَرْضِكَ أَصُورُ
فَإِنْ تُحَدِّثِ الأَيَّامُ يا مِيَّ بَيْنَنَا فِلا نَاشِرٌ سِرًّا وَلا مُتَغَيِّرُ
أَقُولُ لِنَفْسِي كَلِمًا خَفْتُ هَفْوَةً مِنْ القَلْبِ فِي آثَارِ مِيَّ فَأَكْثُرُ
أَلا إِنَّمَا مِيَّ فَصَبْرًا بَلِيَّةً وَقَدْ يُتَلَى المِرَّةُ الكَرِيمُ فَيَصْبُرُ

٤٩٦ - وقال أيضاً : [من الطويل]

وقفنا فقلنا إليه عن أمِّ سالمٍ وما بالُ تكليمِ الديارِ البلاقعِ
فما كَلَّمْتَنَا دارُها غَيْرَ أَنَّها ثنتِ هاجساتٍ من خَبالٍ مُراجعِ

٤٩٤ ديوان جرير (الصاوي) : ٥٢ .

٤٩٥ ديوان ذي الرمة : ٦١٧-٦١٩ .

٤٩٦ ديوان ذي الرمة : ٧٧٨-٧٨٦ .

عَفَتْ غَيْرَ آجَالِ الصَّرِيمِ^١ وَقَدْ يُرَى
 إِذَا الْفَاحِشُ الْمَغْيَارُ لَمْ يَرْتَقِبْنَهُ
 فَمَا الْقَرْبُ يَشْفِي مِنْ هَوَى أُمِّ سَالِمٍ
 مِنَ الْبَيْضِ مِنْهَا جُعَّ عَلَيْهَا مَلَا حَةً
 هِيَ الشَّمْسُ إِشْرَاقًا إِذَا مَا تَزَيَّنَتْ
 وَلَمَا تَلَاقَيْنَا جَرَّتْ مِنْ عَيُونِنَا
 وَبَلْنَا سِقَاطًا مِنْ حَدِيثِ كَأَنَّهُ
 ٤٩٧ - وَقَالَ أَبُو ذُوَيْبٍ الْهَدَلِيُّ : [مِنْ الطَّوِيلِ]
 بِهَا وَصَحَّ اللَّبَاتِ حَوْرُ الْمَدَامِعِ
 مَدَدَنَ حِبَالِ الْمَطْمَعَاتِ الْمَوَانِعِ
 وَمَا الْبَعْدُ مِنْهَا مِنْ دَوَاءٍ بِنَافِعِ
 نَضَارٍ وَرَوَعَاتُ الْحَسَانِ الرَّوَائِعِ
 وَشَبَهُ النَّقَا مَغْتَرَّةً فِي الْمَوَادِعِ^٢
 دَمَوْعٌ كَفَفْنَا فِيضَهَا بِالْأَصَابِعِ
 جَنَى النَّحْلِ مَمْزُوجًا بِمَاءِ الْوَقَائِعِ^٣

أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا أُمَّ عَمْرٍو فَأَصْبَحَتْ
 وَعَيْرَهَا الْوَاشُونَ أَنِي أُحِبُّهَا
 فَإِنْ أَعْتَذَرُ مِنْهَا فَإِنِّي مُكَذِّبٌ
 فَلَا يَهْنَأُ الْوَاشِينَ أَنْ قَدْ هَجَرْتَهَا
 فَمَا أُمَّ خِشْفٍ بِالْعَلَايَةِ مُشْدِنٍ^٤
 بِأَحْسَنَ مِنْهَا يَوْمَ قَامَتْ فَأَعْرَضَتْ
 ٤٩٨ - وَمَا يَنْسَبُ إِلَى قَيْسِ بْنِ الْمَلُوحِ الْمَجْنُونِ : [مِنْ الطَّوِيلِ]
 تُحَرِّقُ نَارِي بِالشُّكَاةِ وَنَارُهَا
 وَتَلِكُ شُكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا
 وَإِنْ تَعْتَذِرُ يُرَدِّدُ عَلَيْهَا اعْتَذَارُهَا
 وَأَظْلَمَ دُونِي لَيْلَهَا وَنَهَارُهَا
 تَنْوَشُ الْبَرِيرِ حَيْثُ نَالَ اهْتِصَارُهَا
 تَوَارِي الدَّمَوْعِ حَيْثُ جَدَّ انْحِدَارُهَا

دَعَا الْمُحْرَمُونَ اللَّهَ يَسْتَغْفِرُونَهُ بِمَكَّةَ يَوْمًا كِي تُمَحِّي ذُنُوبَهَا

٤٩٧ شرح أشعار الهذليين ١ : ٧٠-٧٣ .

٤٩٨ قارن بالأغاني ٢ : ٧٠ وديوان المجنون ٦٩ : بعضها ص : ٦٧ .

- ١ آجال الصريم : قطعان بقر الوحش في منقطع الرمال .
- ٢ هي إذا كانت قاعدة كالنقا أي كتيب الرمل ؛ وبخاصة حين تزار على غفلة وهي في مبدعها لم تأخذ أهبتها .
- ٣ الوقية : النقرة التي تمسك الماء .
- ٤ مشدن : أي يرافقها ابنها الشادن .

وناديتُ يا مولايَ أولُ حاجةٍ بنفسي ليلي ثم أنت حسيبها
تمرّ الصبا صفحاً بساكن ذي الغضا ويصدعُ قلبي أن يهبَّ هبوبها
قريبةٌ عهدٍ بالحبيبِ وإنما هوى كلِّ نفسٍ حيث حلَّ حبيبها
٤٩٩ - وقال رجل من بني الحارث : [من الطويل]

مُنِي إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى وَإِلَّا فَقَدْ عَشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغْدَا
أَمَانِي مِنْ سَلْمَى حَسَانًا كَأَمَّا سَقَّتْكَ بِهَا سَلْمَى عَلَى ظَمَأٍ بَرْدَا
٥٠٠ - وقال ابن ياسين : [من الطويل]

إِلَهِي مَنَحْتَ الْوَدَّ مَنِي بَخِيلَةً وَأَنْتَ عَلَى تَغْيِيرِ ذَاكَ قَدِيرُ
شِفَاءِ الْجَوِي بَثُّ الْهُوَى وَاشْتِكَاؤُهُ وَإِنَّ امْرَأَةً أَخْفَى الْهُوَى لَصَبُورُ
٥٠١ - وينشد للصمة : [من البسيط]

تَخْتَالُ عَيْنِي فِي يَوْمِيكَ وَاجِدَةً تَبْكِي لِفِرْطِ صَدُودٍ أَوْ نَوَى دَارِ
٥٠٢ - وقال آخر : [من الطويل]

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو بِخَلْهَا وَسَمَاحَتِي لَهَا عَسَلٌ مَنِي وَتَبْدُلُ عَلَقَمَا
أَفِي اللَّهِ أَنْ أَنْسَى وَلَا تَذَكِّرِينِي وَعَيْنَايَ مِنْ ذِكْرَاكِ قَدْ ذَرَفَتْ دَمَا
أَيَّتْ فَمَا تَنْفَكُ لِي مِنْكَ حَاجَةٌ رَمَى اللَّهُ بِالْحَبِّ الَّذِي كَانَ أَظْلَمَا

٥٠٣ - عبد العزيز بن [خلوف] النحوي المغربي : [من الكامل]

إِنَّ الَّتِي فَتَنَتْهُ وَدَّ حُمَاتُهَا لَوْ تَسْتَعِيرُ سَيُوفُهُمْ لِحَظَاتِهَا

٤٩٩ حماسة المرزوقي : ١٤١٣ (رقم : ٥٨٢) .

٥٠١ لم يرد في شعره المجموع .

٥٠٣ أُمُودُجُ الزَّمَانِ : ١٦٥ (الآبيات : ٢ ، ٥ ، ٦) .

الجانياتُ هوىُّ أمرٍ مذاقَهُ
الواقعاتُ بنا نوافذُ تلتقي
إني لأرضى أن أبيعَ بلحظةٍ
إنَّ الأمرَّ من الحمامِ مذاقَهُ
بيني وبين سُلُوها ما بينها
في حُسْنِ صورتِها وحُسْنِ لِدَاتِهَا
من صدّها وألذُّ من رَشَفَاتِهَا
في القلبِ أكلمها وحبَّ رَمَاتِهَا
منها مدامعُ مقلتي وسناتها
لفراقِ دنيا تلك من لذاتها
في حُسْنِ صورتِها وحُسْنِ لِدَاتِهَا

٥٠٤ - وقال الأحوص بن محمد : [من الطويل]

لقد منعتُ معروفها أمَّ جعفرٍ
وقد أنكرتُ بعدَ اعترافِ زيارتي
أدورُ ولولا أن أرى أمَّ جعفرٍ
أزورُ البيوتَ اللاصقاتِ بأرضها
وما كنتُ زوّاراً ولكنَّ ذا الهوى
إذا لم يُزرَ لا بدُّ أن سيزورُ
وإني إلى معروفها لفقيرُ
وقد وَغَرْتُ فيها عليَّ صدورُ
بأبياتكم ما دُرْتُ حيثُ أدورُ
وقلبي إلى البيتِ الذي لا أزورُ
إذا لم يُزرَ لا بدُّ أن سيزورُ

٥٠٥ - وقال أبو اسحاق الحصري الأنصاري المغربي : [من الكامل المجزوء]

هتفتُ سحيراً والربى
يا هل بكيت كما بَكَتُ
ذكَرْتَنِي عهداً مضى
فكأنما صاغتُ على
وتصرّمتُ أيامه
للقطرِ رافعةُ العيونِ
ورقُ الحمامِ في الغصونِ
للأنسِ منقطعَ القرينِ
شجوي شجى تلك اللحونِ
فكأنها رجَعُ الجفونِ

٥٠٤ شعر الأحوص (عادل سليمان) : ١٢٥ .

٥٠٥ الأبيات في ترجمته من معجم الأدباء ؛ وفي سرور النفس : ٩٩ والأنموذج : ٤٦-٤٧ .

١ الديوان : بيتها .

٢ هذا الشطر مختلّ الوزن .

٥٠٦ - وقال آخر : [من الطويل]

وددتك لما كان حُبك خالصاً وأعرضت لما صار نهباً مُقسماً
ولا يلبث الحوضُ الجديدُ بناؤه على كثرة الوراد أن يتهدماً

٥٠٧ - قال بعض العرب لبنيه : صفوا لي شهواتكم من النساء ، فقال
الأكبر : تعجني القدود والخدود والنهود ، وقال الأوسط : تعجني الأطراف
والأعطاف والأرداف ، وقال الأصغر : تعجني الثغور والنحور والشعور .

٥٠٨ - روي أن سكينه بنت الحسين مرّت بعروة بن أذينة ، فقالت : يا أبا
عامر أنت الذي تقول : [من البسيط]

إذا وجدت أواز الحب في كبدي أقبلت نحو سقاء القوم أبترد
هيني تبردت برداً الماء ظاهره فمن لنا على الأحشاء تتقد

وأنت القائل : [من البسيط]

قالت وأبشتها وجدي فبحث به قد كنت عندي تحب الستر فاستر
ألست تبصر من حولي فقلت لها غطى هواك وما ألقى على بصري

قال : نعم ، قالت : هن حرائر - وأشارت إلى جواربها - إن كان هذا خرج من
قلب سليم .

٥٠٩ - أنشد الجاحظ : [من الكامل المرفل]

٥٠٦ الأغاني ٦ : ٢٩٦ .

٥٠٨ الأغاني ١٨ : ٢٤٥ ، ٢٤٦ وشعر عروة : ٣١٦ ، ٣٢٣ وقوله « تحب الستر فاستر » في أمالي
القالبي ٢ : ١١٠ .

٥٠٩ البيان والتبيين ١ : ١٩٨ ، ٣ : ٣٤١ والشعر للأحوص .

١ ر : بردت يبرد .

قامت تخاصرني لِقُبَّتِها خودٌ تَأْطُرُ غادَةً بكرُ
كلُّ يَرَى أَنَّ الشَّبابَ له في كلِّ مبلغٍ لذَّةٌ عذرُ

٥١٠ - وقال الحسن بن هانئ : [من المديد]

ظنَّ بي مَنْ قد كلفتُ به فهو يجفوني على الظَّنِّ
نام لا يعنيه ما لقيتُ عينُ ممنوعٍ من الوسنِ
رشاً لولا ملاحظته خلَّتِ الدنيا من الفتنِ
كلُّ يومٍ يَسْتَرِقُّ له حُسْنُهُ عبداً بلا ثمنِ

٥١١ - وقال أبو الطيب : [من الطويل]

لعينيكِ ما يَلْقَى الفؤادُ وما لقي وللحبِّ ما لم يقَ مني وما بقي
وبينَ الرضى والسُّخْطِ والقربِ والنوى مجالٌ لدمعِ المقلَّةِ المتفرِّقِ
وأحلى الهوى ما شكَّ في الوصلِ ربُّه وفي الهجرِ فهو الدهرُ يرجو ويتَّقِي

٥١٢ - وقال البحرى : [من الكامل]

أرسومُ دارٍ أم سطورُ كتابِ ذهبتُ بشاشتِها مع الأحقابِ
يجتازُ زائرُها بغيرِ لُبَّانَةٍ ويُرَدُّ سائلُها بغيرِ جوابِ
ولربِّما كان المكانُ محبِّباً فينا بمن فيه من الأجابِ
ترنو فتقلبُ القلوبُ للحظها مرَضَى السلوِّ صحائحَ الأوصابِ
رَفَعَتْ من السجفِ المنيفِ وسلَّمَتْ بأناملٍ فيهنَّ دَرَسُ خضابِ
وتعجَّبتُ من لوعتي فتبسَّمتُ عن واضحاتٍ لو لُثِّمَنَ عذابِ

٥١٠ لم ترد في ديوانه .

٥١١ ديوان المتنبي : ٣٣٥ .

٥١٢ ديوان البحرى : ٢٩٤-٢٩٥ .

لو تُسَعْفِينِ وما سألتُ مشقةً لَعَدَلْتِ حَرَ جوىً ببردِ رضابِ
ولئن شكوتُ ظمائي إنك لَلَّتِي قدماً جعلتِ من السَّرَابِ شرابي

٥١٣ - وقال أيضاً: [من الطويل]

تماذى بها وَجَدِي وَمُلْكَ وَصَلْهَا خَلِي الحشا في وصلها جدُّ زاهدِ
وما الناسُ إلا واجدٌ غيرُ مالكِ لما يبتغي أو مالكٌ غيرُ واجدِ

٥١٤ - وقال أيضاً: [من الكامل]

لغريرةً أدنو وتُبَعْدُ في الهوى وأجودُ بالوصلِ المصونِ وتبخلُ
وعليمةِ الأَحاظِ ناعمةِ الصبا غَرِي الوشاةُ بها ولجَّ العَدْلُ
لا تُكْذِبِينَ فأنْتِ أَلْطَفِ في الحشا عهداً وأحسنُ في الضميرِ وأجملُ
لوشعتِ عُدْتِ إلى التناصفِ في الهوى وبذلتِ من مكنونِهِ ما أبذلُ
أحنو عليكِ وفي فؤادي لوعةٌ وأصدُّ عنكِ ووجهُ ودِّي مقبلُ
وإذا هممتُ بوصلِ غيرِكِ رَدَّنِي ولَهي عليكِ وشافعٌ لكِ أوَّلُ
وَأَعِزُّ ثم أذلُّ ذَلَّةَ عاشقِي والحبُّ فيه تَعَزُّزٌ وَتَذَلُّلُ

٥١٥ - وقال أيضاً: [من المتقارب]

أُحِبُّ على أيِّ ما حالةٍ إِساءةَ ليلي وإحسانها
أراكِ وإن كنتِ ظلاماً صفيّةً نفسي وخلانها^٣

٥١٣ ديوان البحري : ٦٢٢ .

٥١٤ ديوان البحري : ١٥٩٩-١٦٠٠ .

٥١٥ ديوان البحري : ٢١٧٤ .

١ ر : الديوان : بالود .

٢ ر : الديوان : على كل .

٣ ر : الديوان : وخلصانها . .

وَيُعْجِبُنِي فِيكَ أَنْ أُسْتَدِيمَ صَبَابَاتِ نَفْسِي وَأَشْجَانَهَا
وَمَا سَرَّيْنِي أَنْ قَلْبِي أَعِيرَ عِزَاءَ الْقُلُوبِ وَسُلُونَهَا

٥١٦ - وقال أبو تمام : [من البسيط]

مَا أَقْبَلْتُ أَوْجُهُ اللَّذَاتِ سَافِرَةً مَذُ أُدْبِرْتُ بِاللَّوَى أَيَامَنَا الْأَوَّلُ
إِنْ شِئْتَ أَنْ لَا تَرَى صَبْرًا لِمَصْطَبِرٍ فَانظُرْ عَلَى أَيِّ حَالٍ أَصْبَحَ الطَّلُلُ
كَأَنَّمَا جَادَ مَعْنَاهُ فغَيَّرَهُ دَمُوعَنَا يَوْمَ بَانُوا وَهِيَ تَنْهَمَلُ

٥١٧ - وقال أيضاً : [من الوافر]

أَرَامَةٌ كُنْتُ مَأْلَفَ كُلِّ رِيمٍ لَوْ اسْتَمْتَعْتَ بِالْأَنْسِ الْقَدِيمِ
أَدَارَ الْبُؤْسِ غَيْرَكَ التَّصَابِي إِلَيَّ فَصُرْتُ جَنَاتِ النِّعَمِ
لَعَنَ أَصْبَحَتِ مِيدَانَ السَّوَابِي لَقَدْ أَصْبَحَتِ مِيدَانَ الْهَمُومِ
وَمِمَّا ضَرَمَ الْبُرْحَاءَ أَنِّي شَكُوتُ فَمَا شَكُوتُ إِلَى رَحِيمِ
أُظِنُّ الدَّمْعَ فِي خَلْدِي سِيْقَى رَسُومًا مِنْ بَكَائِي فِي الرُّسُومِ
وَلَيْلٍ بَتُّ أَكْلَاهُ كَأَنِّي سَلِيمٌ أَوْ سَهْرَتُ عَلَى سَلِيمِ
فَأَقْسَمُ لَوْ سَأَلْتَ دُجَاهُ عَنِّي لَقَدْ أَنبَأكَ عَنْ وَجْدٍ عَظِيمِ

٥١٨ - وقال ابن الرومي : [من الطويل]

ثَنِي شَوْقَهُ وَالْمَرْءُ يَصْحُو وَيَسْكُرُ رَسُومٌ كَأَخْلَاقِ الصَّحَائِفِ دُنُرُ
لَأَيْدِي الْبَلَى فِيهَا سَطُورٌ مُبِينَةٌ عِبَارَتُهَا أَنْ كُلُّ بَيْتٍ سِيَهْجُرُ

٥١٦ ديوان أبي تمام ٣ : ٦ .

٥١٧ ديوان أبي تمام ٣ : ١٦٠ - ١٦١ .

٥١٨ ديوان ابن الرومي ٣ : ١٠٤٣ .

١ ر : قديم .

وقفتُ بها صحبي فظلتُ عراضهُمُ بدمعي وأنفاسي تراح وتمطر

٥١٩ - وقال أيضاً: [من المنسرح]

مُدَّ صِرْتُ هَمِّي فِي النُّومِ وَالْيَقَظَةِ أَتَعَبْتُ مِمَّا أَهْدَى بِكَ الْحَفَظَةَ
كَمْ وَاعْظِيْ فَيْكَ لِي وَوَاعْظِيْ لَوْ كُنْتُ مِمَّنْ تَنْهَاهُ فَيْكَ عِظَهُ
وَكَيفَ بِالصَّبْرِ عَنْكَ يَا حَسَنًا يَا مُرُّ بِالسَّيِّئَاتِ مِنْ لِحْظِهِ
يَا مَنْ حَلَا فِي الْفُوَادِ مَنْظَرُهُ الـ حَلَوُ فَمَا مَجَّهٌ وَلَا لَفْظُهُ
وَيَجِيْ إِلَى كَمْ تَصِيْدُ رِقَّتَهُ قَلْبِي وَقَلْبِ كَمْ أَشْتَكِي غَلْظَهُ

٥٢٠ - وقال أيضاً: [من الطويل]

جَعَلْتُ لَهَا صَدْرِي مَرَادًا تَرُودُهُ وَبَوَّأْتُهَا مِنْ حَبَّةِ الْقَلْبِ مَنَزَلًا
فَمَا عَلِقْتُ مِنْ قَبْلِهَا النَّفْسُ مَعْلَقًا وَلَا اتَّخَذْتُ مِنْ بَعْدِهَا مُتَعَلَلًا

٥٢١ - وقال: [من الكامل]

نَظَرْتُ فَأَقْصَدْتُ الْفُوَادَ بِسَهْمِهَا ثُمَّ انْتَهَتْ عَنِّي فَكَدْتُ أَهْمِيْ
وَيَلَاهُ إِنْ نَظَرْتُ وَإِنْ هِيَ أَعْرَضَتْ وَقَعُ السَّهَامِ وَنَزَعَهُنَّ أَلِيْمِيْ

٥٢٢ - وقال أبو عثمان الخالدي: [من البسيط]

أَنْبَاكَ شَاهِدُ أَمْرِيْ عَنِ مُغَيِّبِهِ وَجَدَّ جِدُّ الْهَوَى بِي فِي تَلَعْبِهِ

٥١٩ ديوان ابن الرومي ٤ : ١٤٥٦ (ويين النصين اختلافات) .

٥٢٠ ديوان ابن الرومي ٥ : ٢٠٠٨ .

٥٢١ ديوان ابن الرومي ٦ : ٢٣٩٧ .

٥٢٢ هي في ديوان الخالدين : ٢٩-٣٠ لأبي بكر الخالدي (ولم يرد البيت الثالث) .

يا نازحاً نَزَحَتْ دَمْعِي قَطِيعَتُهُ
هَبْ لِي مِنَ الدَّمْعِ مَا أَبْكِي عَلَيْكَ بِهِ
ولي فؤادٌ إِذَا لَجَّ الغَرَامُ بِهِ
هام اشتياقاً إِلَى ذِكْرِي مُعَذِّبُهُ

٥٢٣ - وقال أبو بكر اليوسفي : [من الطويل]

سقى البارقُ العُلويُّ عذباً من الحيا
مَحَلَّتْنا بَيْنَ العُذِيبِ وَبارقِ
وَأَغْنَى مغانِها وَأَرْضَى رِياضِها
وَشَقَّ بِلِطَمِ القَطْرِ خَدَّ الشَّقائِقِ
مَحَلَّةُ إيناسٍ وَمغنى أوانسٍ
وَمَرَكُ رِيايَتِ وَمرعى أيانقِ
فِيا يَوْمِها كَمَ مِنْ مَنافٍ مَنافِقِ
وِيا ليلِها كَمَ مِنْ مَوافٍ مَوافِقِ
ومنها :

فلم أَتَبِه إِلا وَذَكَراكِ صاحِبِي
وَلَم أَغْمَضْ إِلا وَطِيفِكَ طارِقِي
أَغارَ عَلى رِياكِ مِنْ كَلِّ نَاشِقِ
لِها وَعَلى ذَكَراكِ مِنْ كَلِّ ناطِقِ

٥٢٤ - وقال ابن نباتة : [من الكامل المجزوء]

كِيفَ السَلوُّ وَأَينَ بابُهُ
وَالحِئُوثُ قَدِ خَطَفَتْ رِكابُهُ
زَعَمَ المَخْبِرُ أَنَّهُ
ضُرِبَتْ عَلى سَلْعِ قِبابُهُ
فَطَلَبْتَهُمَ كالأَيمِ أَوْ
كَالسِيلِ فِي اللَيلِ انسِيابُهُ
فَإِذا أَحَمُّ المَقْتِيبِ
نَ يَشِينُ أَنمَلَهُ خِضابُهُ
يَهْتَرُ مِثْلَ السَمهَرِيِّ
تَدافَعَتْ فِيهِ كِعاِبُهُ
وَقَفَ الوِلائدُ دُونَهُ
كَالقَلبِ يَسْتَرُهُ حِجابُهُ
أَقْبَلْتُ أَسأَلُهُ وَأَعِدُ
لِمُ أَنَّ حِرماني جِوابُهُ
وِلي عَلى مِتلونِ الـ
أَخلاقِ يَعْجِبُهُ شِبابُهُ
لَا رِسلَهُ تَترى إِليهِ
نَا بِالسَلامِ وَلا كِتابُهُ

٥٢٤ ديوان ابن نباتة ٢ : ١٠٣-١٠٤ .

٥٢٥ - وقال أيضاً : [من الطويل]

ويدرّ تمامٍ بتّ أثلّمُ رجلَهُ وأكبره عن أن أقبلَ خَدَهُ
تعشّقتُ فيه كلّ شيءٍ يَجِبُهُ من الجورِ حتى صرتُ أعشقُ صدَهُ
ولا بدّ لي من جهلَةٍ في وصالِهِ فمَن لي بخُلٍّ أُودِعُ الحلمَ عندَهُ

٥٢٦ - وقال أبو الحسن السلامي : [من الكامل]

أنسيمُ هل للصالحِ عندكُ موضعٌ فيزورُ طيفاً أو يهُبُ نسيمُ
والشيبُ دونك وهو موتٌ مضمّرٌ والهجرُ وهو تفرُّقٌ مكتومٌ

٥٢٧ - وقال من أبيات : [من الوافر]

وسمّوه مع القربى غريباً كنور العين سمّوه سوادا

٥٢٨ - كان سعيد بن حميد الكاتب يتعشق فضل الشاعرة مولاة المتوكل

وثهواه ، فكتبت إليه تعاتبه على حضوره مع مغنية وتجميشه إياها ، وكتبت في

آخرها : [من الخفيف]

خنتَ عهدي وليس ذاك جزائي يا صناعَ اللسانِ مُرَّ الفعالي
وتبدّلتَ بي بديلاً فلا يهـ سنك ما اخترتَهُ من الأبدالِ

فأجابها يعتذر بجواب طويل ، وكتب في آخره : [من الطويل]

٥٢٥ ديوان ابن نباتة ١ : ٣٣٧-٣٣٨ ومنها بيتان في اليتيمة ٢ : ٣٨١ .

٥٢٦ اليتيمة ٢ : ٤١٢ .

٥٢٨ شعر فضل ورد سعيد بن حميد في الإمام الشواعر : ٧٠-٧١ وشعر سعيد في الأغاني ١٨ :

٩٣ ، ٩٤ ، وانظر رسائل سعيد وأشعاره : ١٣١-١٣٢ .

١ فوقها في الأصل : كدت ؛ وفي الديوان : بتّ .

تظنون أني قد تبدلتُ بعدكم بديلاً وبعضُ الظنِّ إثمٌ ومنكرٌ
إذا كان قلبي في يديك رهينةً فكيف بلا قلب أصافي وأهجرُ

٥٢٩ - وقال أبو الفرج الدمشقي المعروف بالوأواء : [من الطويل]

رعى الله من لم يرع لي ما رعيتُهُ وإن كان في كفِّ المنيةِ مُودعي
فيا أسفي زدني جوى كلِّ ليلةٍ ويا كبدي وجداً عليه تقطعي

٥٣٠ - وقال أيضاً : [من البسيط]

هربي أخادعُ طرفي في تأملِهِ فكيف أخدعُ قلباً ليس ينخدعُ
يا من إذا رمتُ عنه الصبرَ يمنعي شوقٌ مجيبٌ وصبرٌ عنه ممتنعُ

٥٣١ - وقال العباس بن الأحنف : [من المنسرح]

أحرمتُ منكم بما أقولُ وقد نال به العاشقونَ من عشقوا
صرتُ كأني ذبالةٌ نصيتُ تضيءُ للناسِ وهي تحترقُ

٥٣٢ - وقال المرتضى أبو القاسم الموسوي : [من الطويل]

فيا ربِّ إن لقيتَ وجهاً تحيةً فحيِّ وجهاً بالمدينةِ سُهَّماً
تجافينَ عن مسِّ الدهانِ وطالما عصمتُ عن الجنائِ كفاً ومعصماً
وكم من جليدٍ لا يخامرُهُ الهوى شننَّ عليه الوجدَ حتى تتيمما

٥٢٩ ديوان الوأواء : ١٤٢ .

٥٣٠ ديوان الوأواء : ١٣٩ .

٥٣١ ديوان العباس بن الأحنف : ١٩٧ .

٥٣٢ ديوانه ٣ : ٢٠٠ .

١ الديوان : زدني عليه تأسفاً .

٢ الديوان : ودمع ليس يمتنع .

أهانَ لهنَّ النفسَ وهي كريمةٌ وألقى إليهنَّ الحديثَ المكتوماً

٥٣٣ - وقال أبو عبد الله ابن الحجاج : [من السريع]

يا ظالماً قلبي إلى جَوْرِهِ
يحنُّ مشتاقٌ ويرتاحُ
أفسدتني بعدَ صلاحِي وهل
يُرْجى لإفسادِكَ إصلاحُ

٥٣٤ - وقال أيضاً : [من الوافر]

بنفسي من أحبِّ العيشَ فيه
وأكرهُ ما يشيرُ به النصيحُ
يطيبُ لي الكريهَ به ويحلو
ويحسنُ منه في عيني القبيحُ
ولم أرَ كالمليحِ الوجهَ مهما
أتاه فإنه حسنٌ مليحُ

٥٣٥ - وقال [من الطويل]

تأوَّبهُ هذا الهوى فهو قاتلُهُ
وأخلقُ بأمرٍ لم تُودِّ فُرُوضُهُ
فقد أنبأتني في هواك بما جنتُ
وإنَّ أخا التحصيلَ مَنْ بات قبلنا
وعاودَهُ جهلُ النصايي وباطلُهُ
إلى أهله ألا تُودِّى نوافلُهُ
أواخرُهُ حتماً عليَّ أوائلُهُ
ينبئه عن آجلِ الأمرِ عاجلُهُ

٥٣٦ - وقال : [من الطويل]

إلى الله أشكو مقلَّةً لا دموعُها
ونفساً إلى أحبابها مذ تحملوا
وكانت تمنِّيها الشكوكُ سفاهةً
مواعيد قد ملَّ التقاضي غريمها
تجفُّ ولا تقري كراها جفونُها
يطولُ على بعدِ المزارِ حينُها
وتوطئها بُسَطَ الغرورِ ظنونُها
وشدَّتْ بأمراسِ المطالِ ديونُها

٥٣٧ - وقال أيضاً : [من المنسرح]

أفدي بنفسي مَنْ لا أُسمِّيهِ
أسترُهُ بين أضلعي شفقاً
أكتمُ وجدِي به وأخفيهِ
والدمعُ بين الوشاةِ يبيديه

ظبي سقاني المدام من يده
 قد ملك الحسن لا ينافسه
 فالبدر في التيم من صنائه
 يمنع ماعونه ويسألني
 قد عيل صبري مما أعاتبه
 يحسن لي وجهه الجميل كما
 وكلما رمت أن أعاتبه
 جاءت على غفلة محاسنه
 ممزوجة بالرحيق من فيه
 يوسف فيه ولا يباريه
 والشمس في الدجن من جواريه
 سواد عيني اليمنى فأعطيه
 وضاق صدري مما أداريه
 يسيء لي في الهوى تجنيه
 على تماديه في تعديه
 تسألني الصفح عن مساويه

٥٣٨ - وقال مقداد بن المظاميري ، وهو ممن عاصرناه ، وكان قليل
 البضاعة في الأدب على حلاوة الفاظه ورشاقة معانيه : [من البسيط]

إن حال في الحب عما كنت أعهده
 فلا طويت الحشا إلا على حرق
 يا عاذلي إن يوم البين ضل هوى
 زار الخيال طليحاً قلماً أنست
 أهلاً به زائراً تُدنيه من جسدي
 ويات يرقد ليلاً لست أرقده
 يُبلي من الصبر عنه ما أجدده
 قلبي المعنى فقل لي أين أنشده
 جفونه بالكرى أو لأن مرقده
 ضمائري وخفوق القلب يُبعده

٥٣٩ - وقال أيضاً : [من المتقارب]

ومجدولة مثل جدل العنان
 إذا لام في حُبها العاذلا
 كأني إذا ما نهيت العيون
 صبوت إليها فأصببتُها
 ت أسخطهن وأرضيتها
 عن الدمع بالدمع أغريتها

٥٤٠ - لما صرمت الثريا عمر بن أبي ربيعة قال فيها : [من الخفيف]

٥٤٠ الأغاني ١ : ٢١٠-٢١٢ .

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَّاءِ فَإِنِّي ضَقْتُ ذُرْعاً بِهَجْرهَا وَالكِتَابِ
 سَلَبْتَنِي مَجَاجَعَةُ الْمَسْكِ عَقْلِي فَسَلَوْهَا مَاذَا أَحْلَى اغْتِصَابِي
 وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحْيَّرَ مِنْهَا فِي أَدِيمِ الْخَدَّيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ
 أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاةِ تَهَادَى بَيْنَ خَمْسٍ كَوَاعِبِ أْتْرَابِ

فلما سمع ابن أبي عتيق قوله قال : إِيَّايَ أَرَادَ وَبِي نَوَّهَ ، لا جرم ، والله لا أذوق
 أكلاً حتى أشخص وأصلحَ بينهما ، ونهض . قال بلالٌ مولاه : ونهضتُ معه ،
 فجاء إلى قوم من بني الدليل بن بكر لم تكن تفارقهم نجائب لهم فُرّة يكرونها ،
 فاكترى منهم راحلتين وأغلى لهم ، فقلتُ له : استوضعهم أو دَعْنِي أَمَا كَسَهُمْ فَقَدْ
 اشْتَطَوْا عَلَيْكَ ، فقال : ويحك ، أما علمت أن المِكَّاسَ ليس من أخلاقِ الكرام ، ثم
 ركب إحداهما ، وركبتُ الأخرى ، فسار سيراً شديداً ، فقلت : أُنْبِي عَلَيَّ
 نَفْسَكَ ، فَإِنَّ مَا تَرِيدُ لَيْسَ يَفُوتُ ، فقال : ويحك [من الطويل]

* أَبَادِرُ حَبْلِ الْوَدِّ أَنْ يَتَقَضَّبَا *

وما حلاوة الدنيا إن تمَّ الصدع بين عمر والثريا ؟ ! فقدمنا مكة [ليلاً] غير
 محرمين ، فدقَّ على عمر بابه ، فخرج إليه فسلم عليه ولم ينزل عن راحلته ، وقال :
 ارْكَبْ أَصْلِحْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الثَّرِيَّاءِ فَأَنَا رَسُولُكَ الَّذِي سَأَلْتَ عَنْهُ . فركبا معاً وقدمنا
 الطائف ، وقد كان عمر أَوْصَى أُمَ نَوْفَلٍ ، فكانت تطلبُ له الحيلة لإصلاحها فلا
 يمكنها . فقال ابن أبي عتيق للثريا : هذا عمر قد جَشَمَنِي السَّفَرُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَيْكَ ،
 فجئتُك به معترفاً بذنب لم يَجْنِهِ ، معترفاً إليك من إساءتك إليه ، فدعيني من
 التعداد والترداد ، فإنه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون . فصالحته أتمَّ
 صلحاً وأحسنه وأجمله ، وكررنا إلى المدينة .

٥٤١ - تزوّج زيد بن عمرو بن عثمان سَكِينَةَ بنتَ الحسين ، فعتب عليها

٥٤١ الأغاني ٣ : ٣٦٢ (والشعر : علق القلب لعمر بن أبي ربيعة) .

يوماً ، فخرج إلى مالٍ له ، فذكر أشعبُ أنَّ سَكِينَةَ دَعَتْهُ فقالت : إنَّ ابنَ عثمانَ خرجَ عاتباً عليَّ فاعلمَ لي حاله ، قلت : لا أستطيعُ أن أذهبَ إليه الساعةَ ، قالت : فأنا أعطيكُ ثلاثينَ ديناراً ، قال : فأعطني إياها ، فَأَتَيْتُهُ ليلاً فدخلتُ الدارَ ، فقال : انظروا من في الدارِ ، فَأَتَوْهُ فقالوا أشعبُ ، فنزلَ عن فرشه وصارَ في الأرضِ وقال : شعيبُ ؟ قلت : نعم ، قال : ما جاء بك ؟ قلت : أرسلتني سَكِينَةُ بنتُ الحسينِ لأعلمَ خبرك ، أتذكرتَ منها ما تذكَّرتَ منك ؟ وأنا أعلمُ أنك قد وجلتَ حينَ نزلتَ عن فرشك وصرتَ إلى الأرضِ ، فقال : دعني من هذا وغنني : [من السريع] عُوْجًا به فاستنطقاهُ فقد ذكَّرني ما كنتُ لم أذكر

فغَنِّيته فلم يطرب ، ثم قال : غَنَّنِي ويلكَ غيرَ هذا ، فإن أصبتَ ما في نفسي فلك حُلَّتِي هذه ، وقد اشتريتها أنفاً بثلاثمائة دينار ، فغَنِّيته : [من الخفيف]

علق القلبُ بعضَ ما قد شجاه من حبيبٍ أمسى هوانا هواء
 ما ضراري نفسي بهجرانٍ من ليد سَ مَسِيئاً ولا بعيداً نواه
 واجتنابي بيت الحبيب وما الخلد دُ بأهوى إليَّ من أن أراه

قال : ما عدوت والله ما في نفسي ، خُذِ الحُلَّةَ ، فأخذتها ورجعتُ إلى سَكِينَةَ فقصصتَ عليها القصةَ فقالت : أين الحُلَّةُ ؟ قلت : معي ، فقالت : أفأنت الآن تريد أن تلبسَ حُلَّةَ ابنِ عثمانِ ، لا واللهِ ولا كرامةَ ، فاشتريتها مني بثلاثمائة دينار .
 ٥٤٢ - وروي أن رجلاً كان له جارية يهواها وتهواه ، فغاضبها يوماً وتمادى الهجر بينهما ، واتفق أن دخلت إليها مغنّية فغَنَّتْها :

٥٤٢ الأغاني ٣ : ٣٦٣ .

١ ر : الأغاني : قد فعلت .

ما ضراري نفسي [بهجرا من ليس . . .]

البيت المتقدم ذكره ، فقالت الجارية : لا شيء والله إلا الحمق ، وقامت إلى مولاها وقبّلت رأسه واصطلحا .

٥٤٣ - أحبّ المتوكل أن ينادم الحسين بن الضحاك ، وأن يرى ما بقي من ظرفه وشهوته لما كان عليه ، فأحضره وقد كبر وضعف ، وسقاه حتى سكر ، وقال لخدمه شفيح : اسقه ، فسقاه حتى سكر ، وحيّاه بوردة ، وكان على شفيح ثيابٌ مودة ، فمدّ الحسين يده إلى ذراع شفيح ، فقال له المتوكل : ويحك يا حسين أتجمّشُ أخصّ خدمي عندي بحضرتي ؟ فكيف لو خلوت ؟ ما أحوجك إلى أدب ، وكان المتوكلُ غمز شفيحاً على العبث به ، فقال الحسين بن الضحاك : يا سيدي أريد دواةً وقرطاساً ، فأمر له بذلك ، فكتب بخطه : [من الطويل]

وكالوردة الحمراء حياً بوردة	من الوشي ^١ يمشي في قواطق كالورد
له عبّثاتٌ عند كلّ تحية	بعينه يستدعي الحليم إلى الوجد
تمنيتُ أن أسقى بكفيه شربة	تذكرني ما قد نسيتُ من العهد
سقى الله عيشاً لم أبت فيه ليلة	من الدهر ^٢ إلا من حبيب على وعد

ثم دفع الرقعة إلى شفيح وقال له : ادفعها إلى مولاك ، فلما قرأها استملحها وقال له : أحسنت والله يا حسين ، لو كان شفيح ممّن تجوز هبته لوهبته لك ، ولكن بحياتي يا شفيح إلا كنت ساقية بقيّة يومه هذا واخدمه كما تخدمني ، وأمر له بمال ، فحمل معه لما انصرف .

٥٤٣ الأغاني ٧ : ١٦٧-١٦٨ .

- ١ الأغاني : من الورد .
- ٢ الأغاني : دهرأ . . . خلياً ولكن .

٥٤٤ - ومن شعر الحسين بن الضحاك : [من مجزوء الخفيف]

لا وَحْيِكَ لا أصبا فح للدمع مدمعا
من بكى شَجْوَهُ استرا ح وإن كان مُوجعا
كبدي من هواك أس قم من أن تقطعا
لم تدع سورة الضنى في للسقم موضعا

٥٤٥ - سَعَتْ أُمَّةٌ لَبِثِنَةَ بَها إلى أحيها وأبيها ، وقالت لهما : إنَّ جميلاً عندها الليلة ، فأثاها مُشْتَمِلَيْنِ على سيفين ، فرأياه جالساً حَجْرَةَ منها يحدِّثها ويشكو إليها بته ، ثم قال لها : يا بئينة أرايتِ ودِّي إياكِ وشغفي بك ؟ ألا تجرِّبينه ؟ قالت : بماذا ؟ قال : بما يكون من المتحابِّين ، فقالت له : يا جميل : أهذا تبغي ؟ والله لقد كنتَ عندي بعيداً منه ، ولكن عاودتَ تعريضاً بريية لا رأيتَ وجهي أبداً ، فضحك وقال : والله ما قلتُ لك هذا إلا لأعلمَ ما عندك فيه ، ولو علمتُ أنك تجيبيني إليه ، لعلمتُ أنك تجيبين غيري ، ولو علمتُ منك مساعدةً عليه لضربتكَ بسيفي هذا ما استمسك قائمُهُ في يدي ، ولو أطاعني قلبي لهجرتك هجراً للأبد ، أو ما سمعتِ قولي ؟ [من الطويل]

وإني لراضٍ من بئينة بالذي لو استيقن الواشي لقرتُ بلائله
بلا وبأن لا أستطيعُ وبالمنى وبالأمل المرجوِّ قد خاب آملهُ
وبالنظرة العجلى وبالحولِ تنقضي أوأخرُهُ لا نلتقي وأوائله

فقال أبوها لأحيها : قم فما ينبغي لنا بعد هذا اليوم أن نمنع هذا الرجل من لقائها ، فانصرفا وتركاهما .

٥٤٤ الأغاني : ٧ : ١٧٢ .

٥٤٥ الأغاني : ٨ : ١٠٥ .

٥٤٦ - قال إسحاق الموصلي : صرت إلى الواثق فقال : بأي شيء أطرفتني من أحاديث الأعراب وأشعارهم ؟ فقلت يا أمير المؤمنين : جلس إلي فتى من الأعراب في بعض المنازل ، فحادثنى فرأيتُ منه أحلى ما رأيت من الفتيان منظرًا وحديثًا وظرفًا وأدبًا ، فاستنشدته فأنشدني : [من الطويل]

سقى العلم الفرد الذي في ظلاله غزالان مكحولان مؤتلفان
إذا أمتنا التفأ بجيدتي تواصل فطرفاهما للريب يسترقان
أرغتهما ختلاً فلم أستطعهما ورمياً ففاتاني وقد قتلاني

ثم تنفس نفساً ظننت أن حيازيمة قد تقطعت ، فقلت : ما لك بأبي أنت ؟ فقال : وراء هذين الجبلين لي شجن ، وقد حيل بيني وبين المرور بهذه البلاد ، وقد نذرتُ دمي ، وأنا أتمتع بالنظر إلى هذين الجبلين تعلقاً بهما إذا قدم الحجاج ، ثم يُحال بيني وبين ذلك ، فقلت له : زدني مما قلت في ذلك فأنشدني : [من الطويل]

إذا ما وردت الماء في بعض أهله حضُورُ فعرضُ بي كأنك مازحُ
فإن سألت عني حضُورُ فقل لها به عُبرٌ من دائه وهو صالحُ

فأمرني الواثق فكتبت الشعرين وغني الواثقُ بهما بعد أيام ، ووصلني بصيلتين ، وذكر خبراً طويلاً ليس هذا موضعه .

٥٤٧ - قال حماد الراوية : أتيت مكة فجلستُ في حلقة فيها عمر بن أبي ربيعة المخزومي ، فتذاكروا العذريين ، فقال عمر بن أبي ربيعة : كان لي صديق من بني عذرة يقال له الجعد بن مهجع ، وكان أحد بني سلامان ، وكان يلقى مثل الذي ألقى من الصباية بالنساء والوجدِ بهنَّ ، على أنه كان لا

٥٤٦ الأغاني ٩ : ٢٨٢-٢٨٣ .

٥٤٧ الأغاني ١١ : ١٥٧-١٦٣ .

عاهر الخلوّة ، ولا سَرِيحَ السلوة ، وكان يوافي الموسمَ في كلِّ سنة ، فإذا راث^١ عن وقته رَجَمْتُ^٢ عنه الأخبار ، وتوكَّفتُ الأسفار حتى يقدم ، فغمَّني ذاتَ سنةٍ إبطاؤه حتى قدم حُجَّاجُ عُدْرَةَ ، فأتيت القومَ أنشدُ صاحبي ، فإذا غلامٌ قد تنفَّسَ الصُّعداءَ ثم قال : عن أبي المسهر تسأل ؟ قلت : نعم وإياه أردتُ ، قال : هيهات أصبح والله أبو المسهر لا مؤيساً فيهمَل ، ولا مرجواً فيعلل ، أصبح والله كما قال القائل : [من الطويل]

لعمرك ما حبي لأسماء تاركي أعيشُ ولا أقضي به فأموتُ

قلت : وما الذي به ؟ قال : مثلُ الذي بك من تَهَوُّرِكُمْ^٣ في الضلالِ وجرِّكُمَا أذيالَ الخسار ، فكأنمأ لم تسمعا بجنةٍ ولا نار ! قلت : مَنْ أنت منه يا ابن أخي ؟ قال : أخوه ، قلت : أما والله يا ابن أخي ما يمنعك أن تسلكَ مسلكَ أخيك من الأدب ، وأن تركبَ مراكبه^٤ ، إلا أنك وأحاك كالبرد والبجاد لا يرفعلك ولا ترفعه ، ثم صرفت وجهَ ناقتي وأنا أقول : [من الطويل]

أرائحةُ حُجَّاجِ عُدْرَةَ وَجَهَةً ولما يَرُخُ في القومِ جعدُ بنِ مِهْجَعِ
خليلانِ نشكو ما نلاقي من الهوى متى ما يقلُّ أسمعُ وإن قلتُ يسمع
ألا ليتَ شعري أيُّ شيءٍ أصابه فلي زفراتُ هجن ما بين أضلعي
فلا يُبعدنك اللهُ خلاً فإنني سألقى كما لا قيتَ في الحبِّ مصرعي^٥

ثم انطلقتُ حتى وقفت موقفي من عرفات ، فبينما أنا كذلك إذا أنا بإنسان قد

١ راث : أبطأ .

٢ الأغاني : ترجمتُ (وكذلك ر) .

٣ ر : تهووكما .

٤ الأغاني : فكأنكما .

٥ الأغاني : منه مركبه .

٦ الأغاني : في كل مصرع .

تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَسَاءَتْ هَيْئَتُهُ ، فَأَدْنَى نَاقَتَهُ مِنْ نَاقَتِي حَتَّى خَالَفَ بَيْنَ أَعْنَاقِهِمَا ثُمَّ عَانَقَنِي وَبَكَى حَتَّى اشْتَدَّ بَكَاءُهُ ، فَقُلْتُ : مَا وَرَاءَكَ ؟ فَقَالَ : بَرَحَ الْعَدْلُ وَطَوَّلَ الْمَطْلُ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ : [مِنَ الْوَافِرِ]

لَعْنُ كَانَتْ عُدِيَّةُ ذَاتَ لَبٍّ لَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ الْحَبَّ دَاءٌ
أَلَمْ تَنْظُرْ إِلَى تَغْيِيرِ جَسْمِي وَأَنِّي لَا يَفَارِقُنِي الْبَكَاءُ
وَأَنِّي لَوْ تَكَلَّفْتُ الَّذِي بِي لَقَفَّ الْكَلْمُ وَانْكَشَفَ الْغَطَاءُ
وَإِنَّ مَعَاشِرِي وَرِجَالَ قَوْمِي حَتَوْفُهُمُ الصَّبَابَةُ وَاللِقَاءُ
إِذَا الْعَذْرَى مَاتَ خَلِيٌّ بِالِ فَذَكَ الْعَبْدُ يَبْكِيهِ الرِّشَاءُ

فَقُلْتُ : يَا أَبَا الْمَسْهَرِ : إِنَّهَا سَاعَةٌ تُضْرَبُ إِلَيْهَا أَكْبَادُ الْإِبِلِ مِنْ شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا ، فَلَوْ دَعَوْتَ وَأَنْتَ بَمَنَى كُنْتَ قَمِينًا أَنْ تَنْظُرَ بِحَاجَتِكَ ، وَأَنْ تُنْصَرَ عَلَى عَدُوِّكَ ، قَالَ : فَتَرَكْنِي وَأَقْبَلَ عَلَى الدَّعَاءِ ؛ فَلَمَّا تَدَلَّتِ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ ، وَهَمَّ النَّاسُ أَنْ يُفِيضُوا ، سَمِعْتَهُ يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ ، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ يَقُولُ : [مِنَ الرَّجَزِ]

يَا رَبِّ كُلِّ عَدُوَّةٍ وَرَوْحَةٍ مِنْ مَحْرَمٍ يَشْكُو الضُّحَى وَلَوْحِهِ
أَنْتَ حَسِيبُ الْخَلْقِ يَوْمَ الدُّوْحَةِ

فَقُلْتُ : وَمَا يَوْمُ الدُّوْحَةِ ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ لِأَخْبَرْتُكَ وَإِنْ لَمْ تَسْأَلْنِي ، فَيَمَّمْنَا نَحْوَ مَزْدَلِفَةَ ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ : إِنِّي رَجُلٌ ذُو مَالٍ كَثِيرٍ مِنْ نَعَمٍ وَشَاءٍ ، وَذُو مَالٍ لَا يَسَعُهُ الْقُلُّ ، وَلَا يُرْوِيهِ الثَّمَادُ ، وَإِنِّي خَشِيتُ عَامًا أَوَّلَ عَلَى مَالِي التَّلْفَ ، وَقَطَرَ الْغَيْثُ أَرْضَ كَلْبَ ، فَانْتَجَعْتُ أَخْوَالِي مِنْهُمْ ، فَأَوْسَعُوا لِي عِنْدَ صَدْرِ الْمَجْلِسِ ، وَسَقَوْنِي جُمَّةَ الْمَاءِ ، وَكُنْتُ فِيهِمْ فِي خَيْرِ حَالٍ ، ثُمَّ إِنِّي عَزَمْتُ عَلَى مَوَاقِفَةِ إِبِلِي

١ الأغانى : نزلت .

٢ ر : يشبعه .

بماءٍ لهم يقال له الحوذان ، فركبت فرسي ، وسمطت خلفي شراباً كان أهدها إليّ بعضهم ، ثم مضيت حتى إذا كنت بين الحيِّ ومرعى الغنم ، رُفِعَتْ لي دوحَةٌ عظيمة ، فنزلت عن فرسي وشددته بغصنٍ من أغصانها ، وجلست في ظلِّها ، فبينما أنا كذلك إذ سَطَعَ غبارٌ من ناحية الحيِّ ، ثم رفعت لي شخصاً ثلاثة ، ثم تبيَّنتُ فإذا فارس يطرُدُ مِسْحَلًا^١ وأنا ، فتأمَّلتُهُ فإذا عليه درع أصفر وعمامة خزٍ سوداء ، وإذا فروعُ شعره تضرب خصره ، فقلتُ : غلام حديث عهد بعرس أعجَلْتُهُ لذة الصيدِ فترك ثوبه وليس ثوبَ امرأته ، فما جاز عني إلا قليلاً حتى طعن المسحل وثني طعنةً للأتان ، فصرعهما وأقبل راجعاً نحوي وهو يقول :
[من السريع]

نطعنهم سُلْكِي ومخلوَجَةٌ كرك لأمين على نابيل

فقلت له : إنك قد تعبت وأتعبت فلو نزلت ، فثنى رجله ونزل ، وشدَّ فرسه بغصن من أغصانِ الشجرة ، وألقى رمحه وأقبل حتى جلس ، فجعل يحدثني حديثاً ذكرتُ فيه قول أبي ذؤيب : [من الطويل]

وإنَّ حديثاً منك لو تعلمينه^٢ جَنَى النحلِ في ألبانِ عوذٍ مطافِلِ

فقمْتُ إلى فرسي فأصلحتُ من أمره ، ثم رجعت وقد حَسَرَ العمامة عن رأسه ، فإذا غلامٌ كأنَّ وجهه الدينارُ المنقوش ، فقلت : سبحانَكَ اللَّهُمَّ ما أعظم قُدْرَتَكَ وأحسنَ صنعتك ! فقال لي : ممَّ ذاك ؟ قلت : ممَّا راعني من جمالك وبهرني من نورك ، قال : وما الذي رَوَّعَكَ من حبيسِ الترابِ وأكيلِ الدوابِّ ؟ ثم لا يدري أينعم بعد ذلك أم يئأس ؟ قلت : لا يصنعُ الله بك إلا خيراً ؛ ثم تحدَّثنا ساعة ، فأقبل عليّ فقال : ما هذا أراه قد سمطته خلفك في سَرَجِكَ ؟ قلت : شراب

١ المسحل : حمار الوحش .

٢ الرواية : لو تبدلنيته .

أهداهُ إليَّ بعضُ أهلك ، فهل لك فيه من أربٍ ؟ قال : أنتِ وذاك ، فأتيته به فشرب منه وجعل ينكتُ أحياناً بالسوطِ على ثناياه ، فكان والله يتبين لي ظلُّ السوطِ فيهنَّ ، فقلت : مهلاً فإنِّي خائفٌ أن تكسرنَّ ، فقال : ولمَ ؟ قلت : لأنهنَّ رفاق عذاب ، قال : ثم رفع عقيرته يتغنى : [من الطويل]

إذا قَبَّلَ الإنسانَ آخرَ يشتهي ثناياه لم يَحْرَجْ^١ وكان له أجرا
فإن زادَ زادَ الله في حَسَنَاتِهِ مثاقيلَ يحمو الله عنه بها الوزرا

ثم قام إلى فرسه فأصلح من أمره ، ثم رجع إليَّ فبرقت لي بارقةٌ من تحت الدرع فإذا ثدي كأنه حُقَّ عاج فقلت : ناشدتك الله امرأة أنت ؟ قالت : إي والله إلا أنها تكره العهر^٢ وتحبُّ الغزل ، ثم جَلَسَتْ فجعلت تشربُ معي ما أفتقد من أنسها شيئاً ، حتى نظرتُ إلى عينيها كأنهما عينا مهابة مذعورة ، فوالله ما راعني إلا ميلها على الدوحة سكرى ، فزِينَ والله لي الغدرُ وَحَسُنَ في عيني ، ثم إنَّ الله عزَّ وجلَّ عصمني ، فجلست منها حَجْرَةً ، فما لبثتُ إلا يسيراً حتى انتبهتُ فرعةً ، فلائتُ عمامتها برأسها ، وجالت في مَتْنِ فرسها وقالت : جزاك الله عن الصحبة خيراً ، قلت : ولم لا تزوديني منك زاداً ، فناولتني يَدَها فقبلتها ، فشممتُ والله منها ريح المسك المفتوت ، فذكرت قول الشاعر : [من البسيط]

كأنها إذ تَقَضَّى النومُ وانتبهت وسنانةٌ ما بها عينٌ ولا أثرٌ

فقلت : أين الموعد ؟ قالت : إن لي إخوةً شُرُساً وأباً غيوراً ، والله لأن أسركَ أحبُّ إليَّ من أن أضركَ ، ثم انصرفتُ فجعلتُ أتبعها بصري حتى غابت ، فهي والله يا ابن أبي ربيعة أحلَّتني هذا المحلَّ وأبلغتني هذا المبلغ . فقلت : يا أبا المُسهر إنَّ العَدْرَ بك مع ما تذكر للمليح ، فبكى واشتدَّ بكاؤه . فقلت له : لا تبك ، ما قلتُ

١ الأغانى : لم يَأْتِ .
٢ الأغانى : إلا أني أكره العشير .

لك إلا مازحاً، ولو لم أبلغ حاجتك إلا بمالي لسعيتُ في ذلك حتى أقدرَ عليه ، فقال لي خيراً . فلما انقضى الموسمُ شددتُ على ناقتي ، وشدتُ على ناقته ، ودعوتُ غلامي فشدتُ على بعيرٍ له ، وحمَلتُ عليه قُبَّةً حمراءَ من آدم كانت لأبي ربيعة المخزومي ، وحمَلتُ معي ألفَ دينارٍ ومطرفَ خزٍ ، وانطلقنا حتى أتينا بلادَ كلب ، فنشدنا عن أبي الجارية فوجدناه في نادي قومه ، وإذا هو سيِّدُ الحيِّ ، وإذا الناسُ حوله ، فوقفْتُ على القومِ فَسَلَّمْتُ ، فردَّ الشيخُ السلام ، ثم قال : ممَّن الرجلُ ؟ قلتُ : عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ، فقال : المعروفُ غيرُ المنكر ، فما الذي جاءك ؟ فقلتُ : خاطباً ، قال : الكفاء والرغبة ، قلتُ : إني لم آتِ ذلك لنفسي عن غير زهادة فيك ولا جهالةٍ بشرك ، ولكني أتيتك في حاجةٍ ابن أختكم العذري ، وما هو ذاك ، فقال : إنه والله لكفياً الحسب رفيعُ البيت ، غير أن بناتي لم يَقَعْنَ إلا في هذا الحيِّ من قريش ، فوجمت لذلك ، وعرف التغيُّر في وجهي فقال : أما إني سأصنع بك ما لم أصنعُ بغيرك ، قلتُ : فما ذاك ؟ فقال : أخيرها ، فهي وما اختارت ، قلتُ : ما أنصفتني أوختار لغيري وتولي الخيارَ غيرك ، فأشار إليَّ العذري : أن دعه يخيِّرها ، فأرسل إليها أن من الأمر كذا وكذا ، فأرسلتُ إليه ما كنتُ أستبد برأي دون القرشي ، والخيارُ في قوله وحُكمه ، فقال لي : إنها قد وُلَّتْك أمرها ، فاقض ما أنت قاض . فحمدتُ الله وأثَّبتُ عليه وقلتُ : أشهدُ أني قد زوجتها من الجعد بن مهجع ، وأصدقتهَا هذه الألفَ دينار ، وجعلتُ تكرمتها العبدَ والبعيرَ والقبة ، وكسوتُ الشيخَ المطرفَ ؛ وسألته أن يبتني بها من ليلته ، فأرسل إلى أمها فأثته فقالت : تخرج ابنتي كما تخرج الأمة ؟ فقال الشيخُ : جَهِّزِي^١ في جهازها ، فما برحتُ حتى ضُرِبَتْ قُبَّةٌ في وسط الحريم ، ثم أُهْدِيَتْ إليه ليلاً ، وبِتُّ أنا عند الشيخ ، فلما أصبحتُ أتيتُ القبة ، فصحتُ بصاحبي فخرج إليَّ ، وقد أثار السرورُ في وجهه ، فقلتُ : كيف

١ ر : والأغاني : هجري (أي أسرع) .

كنتَ بعدي ؟ وكيف هي بعدك ؟ فقال : أبَدتُ والله لي كثيراً مما كانت تخفيه
يومَ لقيتها ، فسألتها عن ذلك فأنشأت تقول : [من الطويل]

كتمتُ الهوى لما رأيتكَ جازعا وقلتُ فتىً بعضَ الصديقِ يريدُ
وأن تَطْرَحني أو تقولَ فتيةً يَضُرُّ بها بَرْحُ الهوى فتعودُ
فوريتُ عما بي وفي داخل الحشا من الوجدِ بَرْحُ فاعلمنَّ شديدُ

فقلت : أقم على أهلك ، بارك الله لك فيهم ، وانطلقت وأنا أقول : [من الطويل]

كفيتُ أخوا العذريِّ ما كان نابهُ وإني لأعباةِ النوائبِ حَمَالُ
وقال العذريِّ : [من الطويل]

إذا ما أبو الخطَّابِ خلَّى مكانهُ فأفًُّ لدنيا ليس من أهلها عُمُرُ
فلا حيِّ فتیانُ الحجازين بعدهُ ولا سقيت أرضُ الحجازين بالمَطْرُ

٥٤٨ - كان الرشيد يجدُ بماردة أمَّ المعتصم وجداً شديداً ، فغضبت عليه
وغضب عليها ، وتمادى بهما الهجر ، فأمر جعفر بن يحيى العباس بن الأحنف
فقال : [من الكامل]

راجعَ أحببتكَ الذين هجرتهم إن المتيمِّمَ قلَّ ما يتجنَّبُ
إنَّ التجنَّبَ إن تطاولَ منكما دبَّ السلوُّ له فعزَّ المطلبُ

وأمر إبراهيمَ الموصلي فغنى به الرشيد ، فلما سمعه بادر إلى ماردة فترضاها ،
فقال : من السبِّ في ذلك ؟ فعرفته فأمرت لكل واحدٍ من العباس وإبراهيم
بعشرة آلاف درهم .

٥٤٨ الأغاني ٥ : ٢١٨ .

١ الأغاني : فأمر لهما بأربعين ألف درهم .

٥٤٩ - هوي ديكُ الجنِّ ، وهو عبد السلام بن رغبان ، امرأةً نصرانيةً واستهيم بها ودعاها إلى الإسلام ليتزوجها ، ففعلت وفعل ، ثم إنه سافر عنها إلى دمشق وخلفها بجمص ، وكان له ابنُ عمٍّ يعاديه ، فسعى بها إليه ليكدرَّ حاله ، وادَّعى عليها الفساد ، ووضع مَنْ أشاع عنها الفساد ، حتى عاد ديكُ الجنِّ إلى حمص ، ورصده ابنُ عمِّه وقتَ وصوله ، ووضع الرجل الذي أشير بالتهمة إليه ، فذُقَّ الباب عليها وديكُ الجنِّ يسألها عما قُرِفَتْ به وهي تنكر ، فحين طرق الباب فقال : أنا فلان ، فقال لها ديكُ الجنِّ : يا زانية زعمتِ أنك لا تعرفين من هذا الأمر شيئاً ، ثم اخترط سيفه فضربها به حتى قتلها ، وقال في ذلك أشعاراً كثيرة ، فمن قوله فيها : [من مجزوء الخفيف]

لك نفسٌ مُواتيةٌ	والمنايا مُعاديةٌ
أيها القلبُ لا تعد	لهوى البيضِ ثانيه
ليس برقٌ يكونُ أخ	لبَّ من برقِ غانيه
خنتِ سرّاً من لم يخذ	لكِ فموتي علانيه

ثم إنه عرف الخبرَ على حقيقته وتيقَّنه فندم ، ومكثَ شهوراً لا يستفيق من البكاء ولا يطعم إلا ما يقيم رَمَقه من بُلغَةِ يسيرة ، وقال في ندمه على قتلها : [من الكامل]

يا طلعةً طلعتِ الحمامُ عليها	وجنى لها ثمرَ الردى بيديها
رويتُ من دمها الثرى ولطالما	روى الهوى شفتي من شفيتها
قد بات سفي في مجالٍ وشاحها	ومدامعي تجري على خديها
فوحقُّ نعلها فما وطىء الحصى	شيءٌ أعزُّ عليَّ من نعلها
ما كان قتلها لأنني لم أكن	أبكي إذا سقط الذبابُ عليها

لكن ضننتُ على العيونِ بحسنها وأنفتُ من نظيرِ العيونِ إليها

وقد رويت هذه الأبياتُ لفتىً من غطفان يقال له : السليك بن مجمع ، وكان من الفرسان ، وكان مطلوباً بدماء ، وكان يخطبُ بنتَ عمِّ له يهواها ، فيمنعها أبوها ثم زوجها خوفاً منه ، فدخل بها في دار أبيها ثم نقلها بعد أسبوع إلى عشيرته ، فلقية من بني فزارة ثلاثون فارساً كلهم يطالبُّه بذحلي ، فحلَّقوا عليه ، وقاتلهم فقتل منهم عدداً ، وأثخن بالجراح حتى أيقن بالموت ، فعاد إليها وقال : ما أسمح بك نفساً لهؤلاء ، وإني أحبُّ أن أقدمك قبلي ، قالت : افعل ، فلو لم تفعله أنت لفعلتُهُ أنا بعدك ، فضربها بسيفه حتى قتلها ، وقال هذه الأبيات ، ثم عمَدَ إليها وتمرَّغ في دمها ، ثم تقدَّم فقاتل حتى قتل ، وحفظت فزارة الأبيات فنقلوها ؛ وقيل : بل أدركه قومه وبه رمق ، فسمعه يردُّ هذه الأبيات ، فحفظوها عنه ، وبقي عندهم يوماً ومات .

٥٥٠ - ومن شعر ديك الجن في المقتولة : [من الكامل]

أشفقتُ أن يردَّ الزَّمانُ بغدره أو أُبتلى بعدَ الوصالِ بهجره
قمرٌ أنا استخرجتُهُ من دُجْنَةٍ ليليتي وجلوتُهُ من خدره
فقتلته وله عليٌّ كرامةٌ ملء الحشا وله الفؤادُ بأسره
عهدي به ميتاً كأحسن نائمٍ والحزنُ يسفحُ عبرتي في نخره
لو كان يدري الميتُ ماذا بعده بالحَيِّ منه بكى له في قبره
غُصصُ تكاد تفيضُ منها نفسه وتكاد تُخرِجُ قلبه من صدره

٥٥٠ الأغاني ١٤ : ٥٧ .

١ الأغاني : الحسود .

٥٥١ - قال معبد اليقطيني المغني : كنتُ منقطعاً إلى البرامكة أخدمهم^١ والأزمهم ، فبينما أنا ذاتَ يومٍ في منزلي إذا بابي يُدقُّ ، فخرج غلامي ثم رجع إلي ، فقال : على الباب رجلٌ ظاهرٌ المروءة يستأذنُ عليك ، فأذنتُ له ، فدخل علي شابٌ قلماً رأيتُ أحسنَ وجهاً ، ولا أنظفَ ثوباً ، ولا أجملَ زياً منه ، من رجلٍ دَيفٍ عليه أثرُ السقم ، فقال لي : إني أحاولُ لقاءكَ منذ مدة ، فلا أجدُ إليه سبيلاً ، وإن لي حاجةً ، قلت : وما هي ؟ فأخرج ثلاثمائة دينار فوضعها بين يدي ثم قال : أسألك أن تقبلها وتصنعَ في بيتين قلتهما لحناً تُغنييني به ، قلت : هاتهما ، فأنشدني : [من البسيط]

والله يا طرفي الجاني على بدني لتطفئنَ بدمعي لوعةَ الحزنِ
أو لأبوحنَّ حتى يجحبوا سكني فلا أراه ولو أُدرجتُ في كفني

قال : فصنعتُ فيهما لحناً ثم غنيته إياه ، فأغميَ عليه حتى ظننتُ أنه قد مات ، ثم أفاق فقال : أعد ، فديتك ! فناشدته الله في نفسه ، وقلتُ : أخشى أن تموت ، فقال : هيهات ، أنا أشقى من ذلك ، وما زال يخضعُ ويتضرعُ حتى أعدته ، فصُعقَ صعقةً أشدَّ من الأولى ، حتى ظننتُ نفسه قد فاضت ، فلما أفاق رددتُ الدنانيرَ عليه ، فوضعها بين يديه ، وقلت : يا هذا خذْ دنانيرك وانصرف عني ، فقد قضيت حاجتك ، وبلغتَ وطركَ فيما أردت ، ولستُ أحبُّ أن أشركَ في دمك ، فقال : يا هذا لا حاجةَ لي في الدنانير وهذا مثلها لك ، ثم أخرج ثلاثمائة دينار فوضعها بين يدي وقال : أعد الصوت عليّ مرّةً أخرى وحلال دمي ، فشَرِهتَ نفسي إلى الدنانير ، ثم قلت له : ولا بعشرة أضعافها إلا على ثلاثِ شرائط ، قال : وما هنَّ ؟ قلت : أولهنَّ أن تقيمَ عندي وتحرّمَ بطعامي ، والثانية

٥٥١ الأغاني ١٤ : ١١٠-١١٤ .

١ الأغاني : آخذ منهم .

أن تشربَ أقداحاً من النبيذ تشدُّ قلبك عليك ، وتسكِّن ما بك ، والثالثة أن تُحدِّثني بقصَّتكَ ، فقال : أفعُلُ ما تريد ، فأخذتُ الدنانير ودعوتُ بالطعام فأصاب منه إصابةٌ مُعَدَّر ، ثم دعوتُ بالنبيذ فشربَ أقداحاً ، وغنَّيته بشعرٍ غيره في نحو معناه ، وهو يشرب ويكي ، ثم قال : الشرطُ أعزَّكَ اللهُ ، فغنَّيته صوته فجعل يكي أحرَّ بكاءً ، وينشجُ أشدَّ نشيجٍ وينتحب ، فلما رأيت ما به قد خَفَّ عما كان يلحقه ، ورأيتُ النبيذَ قد شدَّ من قلبه ، كرَّرتُ عليه صوته مراراً ، ثم قلت له : حدِّثني حديثك . فقال : أنا رجلٌ من أهل المدينة ، خرجتُ متنزِّهاً في ظاهرها ، وقد سال العقيق ، في فتيةٍ من أقراني وأخذاني ، فَبَصُرْنَا بفتياتٍ^١ قد خرجنَ لمثل ما خرجنا له ، فجلسنَ حَجْرَةً مَنَّا ، وبَصُرْتُ فيهنَّ بفتاةٍ كأنها قضيب قد طلَّهُ الندى ، تنظر بعينين ما ارتدَّتْ طرفها إلا بنفس من يلاحظها ، فأطلنَا وأطلنَ حتى تفرَّقَ الناس وانصرفنا ، وقد أبقت بقلبي جرحاً بطيئاً اندماله ، فَعَدْتُ إلى منزلي وأنا وقيد ، وخرجت من غدٍ إلى العقيق وليس به أحد ، فلم أر لها ولا لصواحباتها أثراً^٢ ، ثم جعلت أتبعها في طُرُقِ المدينة وأسواقها ، فكأنَّ الأرض أضمرتها ، وسقمت حتى أيسَ مني أهلي ، وخالَتْ بي ظئر لي فاستعلمتني حالي وضمنت لي كتمانها والسعي في ما أحبه منها ، فأخبرتني بقصتي ، فقالت : لا بأسَ عليك ، هذه أيامُ الربيع ، وهي سنةٌ خصبٍ وأنواء ، وليس يُعَدُّ عنك المطر ، ثم غدا العقيق^٣ فتخرجُ حينئذٍ وأخرجُ معك ، فإنَّ النسوةَ يجئن ، فإذا فعلنَ ورأيتها اتبعتها حتى أعرفَ موضعها ، ثم أصلُ بينك وبينها ، وأسعى لك في تزويجها . فكأنَّ نفسي اطمأنت إلى ذلك ووثقتُ به وسكنتُ إليه ، فقويتُ وطمعتُ ، وتراجعتُ نفسي . وجاء المطر بعقبِ ذلك ، فسال العقيق ، وخرج الناسُ وخرجت مع إخواني إليه ، فجلسنا مجلسنا الأول بعينه ، فما كنا والنسوة

١ الأغاني : بقينات .

٢ ر : ولا هن أثر .

٣ الأغاني : وهذا العقيق ؛ ر : ثم يمد العقيق .

إلا كَفَرَسِيْ رِهَان، فَأَوْمَأْتُ إِلَى ظَهْرِيْ ، فَجَلَسْتُ حَجْرَةً مِنْهَا وَمَنْهَنٌ ، وَأَقْبَلْتُ
عَلَى إِخْوَانِي وَقُلْتُ : لَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ : [مِنْ الطَّوِيلِ]

رَمْتَنِي بِسَهْمٍ أَقْصَدَ الْقَلْبَ وَأَنْشَتُ وَقَدْ غَادَرْتُ جَرْحاً بِهِ وَنَدَوْبَا

فَأَقْبَلْتُ عَلَى صَوَاحِبَاتِهَا وَقَالَتْ : أَحْسَنَ وَاللَّهِ الْقَائِلُ ، وَأَحْسَنَ مَنْ أَجَابَهُ
حَيْثُ يَقُولُ : [مِنْ الطَّوِيلِ]

بَنَا مِثْلُ مَا تَشْكُو فَصَبِراً لَعَلَّنَا نَرَى فَرْجاً يَشْفِي السَّقَامَ قَرِيْبَا

فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْجَوَابِ خَوْفاً مِنْ أَنْ يَظْهَرَ مِنِّي مَا يَفْضَحُنِي وَإِيَّاهَا ، وَعَرَفْتُ
مَا أَرَادَتْ . ثُمَّ تَفَرَّقَ النَّاسُ وَأَنْصَرَفْنَا ، وَتَبَعْتَهَا ظَهْرِي حَتَّى عَرَفْتُ مَنْزِلَهَا ،
وَصَارَتْ إِلَيَّ . فَأَخَذْتُ بِيَدِي وَمَضِينَا إِلَيْهَا ، فَلَمْ تَزَلْ تَتَلَطَّفْ حَتَّى وَصَلْتُ
إِلَيْهَا ، فَتَلَاقِينَا وَتَزَاوِرُنَا عَلَى حَالِ مَخَالَسَةِ وَمِرَاقَبَةِ ، حَتَّى شَاعَ حَدِيثِي وَحَدِيثُهَا ،
وَوَظَّهَرَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهَا ، فَحَجَّجَهَا أَهْلَهَا ، وَتَشَدَّدَ عَلَيْهَا أَبُوهَا ، فَمَا زِلْتُ أُجْتَهِدُ فِي
لِقَائِهَا فَلَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَشَكْوْتُ إِلَى أَبِي حَالِي لِشِدَّةِ مَا نَالَنِي فِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ خَطْبَتَهَا
لِي ، فَمَضَى أَبِي وَمَشِيخَةُ أَهْلِي إِلَى أَبِيهَا فَخَطَبُوهَا فَقَالَ : لَوْ كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ
يَفْضَحَهَا وَيُشَهَّرَ بِهَا لِأَسْعَفْتَهُ بِمَا التَّمَسَّ ، وَلَكِنَّهُ قَدْ فَضَحَهَا ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَحْقَقَ
قَوْلَ النَّاسِ فِيهَا بِتَزْوِيجِهِ إِيَّاهَا ، فَانْصَرَفْتُ عَلَى يَأْسٍ مِنْهَا وَمِنْ نَفْسِي . قَالَ مَعْبَدُ :
فَسَأَلْتُهُ أَيْنَ تَنْزُلُ ؟ فَخَبَرَنِي ، وَصَارَتْ بَيْنَنَا عِشْرَةٌ ، ثُمَّ جَلَسَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى
لِلشَّرْبِ ، فَكَانَ أَوَّلَ صَوْتٍ غَنِّيْتَهُ صَوْتِي فِي شَعْرِ هَذَا الْفَتَى ، فَطَرِبَ طَرِباً شَدِيداً
وَقَالَ : وَيْحَكَ إِنَّ هَذَا الصَّوْتِ حَدِيثٌ ، فَمَا هُوَ ؟ فَحَدَّثْتُهُ خَبَرَ الصَّوْتِ فَأَمَرَ
بِإِحْضَارِ الْفَتَى فَأَحْضَرَ مِنْ وَقْتِهِ ، وَاسْتَعَادَهُ الْحَدِيثَ فَأَعَادَهُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : هِيَ
فِي ذِمَّتِي حَتَّى أَرْوِّجَكَ إِيَّاهَا ، فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَأَقَامَ مَعَنَا لَيْلَتَنَا حَتَّى أَصْبَحَ ؛ وَغَدَا
جَعْفَرٌ إِلَى الرَّشِيدِ ، فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ فَتَعَجَّبَ مِنْهُ ، وَأَمَرَ بِإِحْضَارِنَا جَمِيعاً
فَأَحْضَرْنَا ، وَأَمَرَ بِأَنْ أُغْنِيَهُ الصَّوْتِ فَغَنِّيْتَهُ ، فَشَرِبَ عَلَيْهِ وَسَمِعَ حَدِيثَ الْفَتَى ،

وأمر من وقته بكتاب إلى عامل الحجاز بإشخاص الرجل وابنته وجميع أهله إلى حضرته ، فلم يمض إلا مسافة الطريق حتى أحضر ، فأمر الرشيد بإيصاله إليه فأوصل ، وخطب إليه الجارية للفتى ، وأقسم عليه ألا يخالف أمره ، فأجابه ، وزوجه إياها ، وحمل الرشيد إليه ألف دينار لجهازها وألف دينار لنفقة الطريق ، وأمر للفتى بألفي دينار ، ولي بألف دينار ، وأمر لنا جعفر بألفي دينار لي وله ، وكان المدني بعد ذلك في جملة ندماء جعفر .

٥٥٢ - قال عصمة بن مالك : جمعني وذا الرمة مربع مرة ، فقال : هيا عصمة إن مية من منقر ، ومنقر أحيث حي وأقفي للأثر ، وأثبتته في نظر ، وأعلمه بشر ، وقد عرفوا آثار إبلي ، فهل عندك من ناقة نزار عليها مية ؟ قلت : أي والله عندي الجوزر ، فقال : فعلي بها ، فأتيته بها فركب وردفته ، فأتينا محلة مية والقوم خلوف ، والنساء في الرحال ، فلما رأين ذا الرمة اجتمعن إلى مي ، وأنخنا قريباً وأتيناهن وجلسنا إليهن ، فقالت ظريفة منهن : أنشدنا يا ذا الرمة ، فقال : أنشدن يا عصمة ، فأنشدتهن قصيدته التي يقول فيها : [من الطويل]

نظرتُ إلى أظعانِ ميِّ كأنها ذرى النخل أو أثلٌ تميلُ ذوائبُه
فأسبلتِ العينانِ والقلبُ كاتمٌ بمغروقٍ نمتُ عليه سواكِبُه
بكاءِ فتىَّ جاء الفراقُ ولم تجلُ جوائلها أسرارُه ومعاتِبُه

فقالت الظريفة : فالآن فلتجل ثم أنشدت حتى أتيت على قوله :

وقد حلفتُ بالله مية ما الذي أحدثها إلا الذي أنا كاذبُه
إذا فرماني الله من حيث لا أرى ولا زال في أرضي عدوُّ أحرابُه

فقالت مية : ويحك يا ذا الرمة ، خف عواقب الله ، ثم أنشدت حتى أتيت

على قوله :

إِذَا سَرَحْتَ مِنْ حُبِّ مَيِّ سَوَارِحُ عَلَى الْقَلْبِ آبَتُهُ جَمِيعاً عَوَازِبُهُ

فقال الظريفة : قَلْبِيهِ قَتَلَكِ اللهُ ، فقالت مَيَّة : ما أَصَحَّهُ وَهْنِيئاً لَهُ ، فتنفس
ذو الرِّمَّة تنفساً كاد حَرُّهَا يَطِيرُ بِلَحِيَّتِي ، ثم أنشدت حتى أتيت على قوله :

إِذَا نَازَعَتَكَ الْقَوْلَ مَيَّةٌ أَوْ بَدَا لَكَ الْوَجْهَ مِنْهَا أَوْ نَضَا الدَّرْعَ سَالِبُهُ
فَمَا شَعْتَ مِنْ خَدِّ أَسِيلٍ وَمَنْطِقٍ رَخِيمٍ وَمَنْ خَلَقِ تَعَلَّلَ جَادُهُ

فقال الظريفة : قد بدا لك الوجه وتنوزع القول ، فمن لنا بأن ينضو الدرع
سالبه ، فقالت لها مَيَّة : قاتلك الله ، ماذا تأتيين به ، فتضاحكت الظريفة وقالت :
إنَّ لِهَٰذِينَ لَشَانًا ، فقوموا عنهما ، فقمنا معها ، فخرجتُ فكنْتُ قَرِيبًا حَيْثُ
أَرَاهُمَا ، وَأَسْمَعُ مَا ارْتَفَعَ مِنْ كَلَامِهِمَا ، فوالله ما رأيتُهُ تَحْرُكُ مِنْ مَكَانِهِ الَّذِي خَلَفْتُهُ
فِيهِ ، حَتَّى ثَابَ أَوَائِلَ الرِّجَالِ ، فَأَتَيْتُهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : انْهَضْ بِنَا فَقَدْ ثَابَ الْقَوْمُ ، فقام
فودعها وولت ، وردفته وانصرفنا .

قد أتيت من هذه الأخبار والأشعار في هذا الباب وغيره بأخر قبل أول ، وبأول
بعد آخر ، ولم ألزم الترتيب في الشعراء وغيرهم ، على قدر منازلهم وأعصارهم ، لأنني
تبعته الخاطر فيما أمَلَّ ، وأصبحت عندما تذكرت أو نقلت لأبرأ من كدر الكلفة
وظلامها ، وليس في ذلك خللٌ يلحق الغرض الذي أمتته . فلا يظنّه المتصفح وصماً ،
ولا يعده غباوةً ونقصاً ، فالله تعالى يحرسنا من جهل يطلق ألسنة الزَّارِين ، ويوقظنا
من غفلة تنبّه علنا لا نتبع الغاوين ، بمنه وسعة فضله .

نوادير من هذا الباب

٥٥٣ - ممن أحسن في نوادره ، ولطف في بدائعه أبو عبدالله ابن الحجاج ،
فمن شعره : [من الهزج]

بنفسي الفارغ القلبِ وقلبي منه ملآنُ
غزالٌ ناعسُ الطرفِ ولا يُقالُ نعسانُ
أراه فرًّا من رضوا ن لما نامَ رضوانُ

٥٥٤ - وقوله : [من المنسرح]

إن غَدَرْتُ بي فلستُ أجحدها إنيَ أهلٌ لذلك الغَدْرِ
شيبٌ وفقرٌ والغدرُ أحسنُ ما يكونُ بين المشيبِ والفقرِ
والله يا سادتي يمينَ فتى تعلَّم الصدق من أبي ذرِّ
لو أنَّ لي ما لزوجها لرأتُ بحرَ ندىٍ فوق بيتها يجري
لو أنَّ لابن الجصاصِ فيشلتني لَصَبَّرْتُ عنده على الجحرِ
قد بقيت بيننا مُدهدَهَةٌ في المدِّ من فكرها وفي الجزرِ
ثمَّ غنيٌّ بغير فيشلة وها هنا أيُّرُّ بلا الدرِّ

٥٥٥ - وله في السخف غزل كثير حلو عجيب الفتنة لافراطٍ فيه ، فمنه
قوله : [من الكامل المجزوء]

ووصيفةٍ مثل الغلا م نصيحةٍ فيها عيَارَه
لما انتبهتُ أثرتها والصيد في يدٍ من أثاره

يحيي القلوبَ وصالها
وتشقُّ جفوتها المرارة

٥٥٦ - وقوله : [من الكامل]

أعرضتِ عن سَهْرِي بطرفِ نائمٍ
وَزَعَمْتِ أَنِي قد سلوتُكِ صارماً
هيهات ألهاني جماعُكِ فاعلمي
ولهوتِ عن وَلَهْيِ بقلبِ سالمٍ
حَبْلِي وَخُنْتُ بعهدِكِ المتقادمِ
مذ ذُقتُ شربكِ عن جميعِ العالمِ

٥٥٧ - وقوله : [من مجزوء الرجز]

قد انزعجتِ فاسكني
لا تقدمي على دمٍ
نحن عبيدٌ فهبني
ولا تضيئي في الهوى
على سقيمٍ مَيِّتٍ
لو اشتري منك الرضى
ويح الضننى إلى متى
عجبتُ ممن عزمها
ترى بلائِي ثم لا
وقد رثى لي من رأى
جارية حبي لها
كالبدْرِ حين ينجلي
وقد جسرتِ فاجبني
لكافرٍ أو مؤمنٍ
مسيئاً للمحسن
على مُجِبٍّ قد ضني
مخَطِّ مَكْفَنٍ
بروجه لم يُغَبِن
لا يشتفي من بدني
في السرِّ أن تقتلني
أطمعُ أن ترحمني
ما بي ومَنْ لم يرني
يُطوى معي في كفني
والغصن حين ينثني

٥٥٨ - وقال ابن سكرة الهاشمي في عشقِ أعرَجَ : [من الكامل]

قالوا بليتَ بأعرجٍ فأجبتهم
ماذا عليّ إذا استجدتِ شماتلاً
العيبُ يحدثُ في قضيبِ البانِ
وروادفاً تغني عن الكئيبانِ

إني أحبُّ جلوسه وأريدُه للنوم لا للجري في الميدانِ
في كلِّ عضوٍ منه حُسنٌ كاملٌ ما ضرَّني أن زلَّتِ القدمانِ

٥٥٩ - قال حسين بن الضحاك الخليع : كان صالح بن الرشيد يتعشَّق يسراً
خادم أخيه أبي عيسى ، وكان يُراوِدُه عن نفسه ، فيعده ولا يفِي له ، فأرسله أبو
عيسى يوماً إلى صالح أخيه في السحر يقول : يا أخي إني قد اشتهيتُ اليوم أن
اصطبِح ، فبِحياتي إلا ما ساعدتني ، وصرت إليّ حتى نصطبِح اليوم جميعاً .
فصار يسر إلى صالح وهو منتشٍ قد شرب في السحر ، فأبلغه الرسالة ، قال : نعم
وكرامة ، اجلس أولاً ، فجلس ، فقال : يا غلام احضرنِي عشرة آلاف درهم ،
فأحضرها ، فقال له : يا يسر دعني من مواعيدك ومَطْلُك هذه عشرة آلاف
درهم ، فاقض حاجتي وخذها ، وإلا فليس ها هنا إلا الغُصْب ، فقال : يا سيدي
أنا أقضي الحاجة ولا آخذ المال ، ثم فعل ما أَرادَه فطاوعه فقضى حاجته ، وأمر
صالح بحملِ العشرة آلاف درهم معه . قال حسين : ثم خرج إليّ صالح من
خلوته ، فقال : يا حسين قد رأيتَ ما كنا فيه ، فإن حضرك شيء فقل ، فقلت :

[من الهزج]

أيا مَنْ طَرَفُهُ سِحْرُ ويا مَنْ ريقُهُ خَمْرُ
تجاسرتُ فكاشفتُ لك لما غُلبَ الصبرُ
وما أحسنَ في أمر ك أن ينهتكَ السترُ
وإما لامني الناس ففني وجهك لي عذرُ
فدعني من مواعيد ك إذ حينك الدهرُ
فلا والله لا نبر ح أو ينفصل الأمرُ
فإما الغصبُ والدم وإما البذلُ والشكرُ

فلو شئت تيسرت كما سميت يا يسر
فكن كاسمك لا تمدك النخوة والكبر
فلا فزت بحظي منك إن ذاع له ذكر

قال الحسين : فضحك ثم قال : لعمرى لقد تيسر يسر كما قلت ، فقلت : نعم ، ومن لا يتيسر بعد أخذ الدية ، فلو أردتني بهذا أيضاً لتيسرت ، فضحك ثم قال : نعطيك يا حسين الدية لحضورك ومساعدتك ، ولا نريدك لما أردنا له يسراً ، فبئست المطية أنت .

٥٦٠ - وقال حسين بن الضحاك : كان يألفني إنساناً من جند الشام عجيب الخلق والزِّي والشكل ، غليظ جلف ، فكنت أحتمل ذلك منه ، ويكون حظي التعجب منه ، وكان يأتيني بكتب من عشيقه له ، ما رأيت أحلى ولا أظرف منها ، ولا أبلغ ولا أشكل من معانيها ، ويسألني أن أجيب عنها ، فأجهد نفسي في الجواب ، وأصرف عنايتي إليه على علمي بأن الشامي لا يميز بين الخطأ والصواب لجهله ، ولا يفرق بين الابتداء والجواب . فلما طال ذلك علي حسدته ، وتبّهت على إفساد حاله عندها ، فسألته عن اسمها ، فقال : بصبص ، فكتبت إليها في جواب كتاب منها كان جاءني به : [من السريع]

أرقصني حبك يا بصبص والحب يا سيدتي يرقص
أرمصت أجفاني بطول البكا فما لأجفانك لا ترمص
وأبأبي وجهك ذاك الذي كأنه من حُسنه عصص

فجاءني بعد ذلك فقال : يا أبا علي ، ما كان ذنبي إليك وما أردت بما صنعت بي ؟ فقلت له : وما ذاك عافاك الله ؟ قال : ما هو والله إلا أن وصل إليها ذلك

الكتاب حتى بعثت إليّ إني مشتاقّة إليك ، والكتاب لا ينوبُ عن الرؤية ، فتعال
إلى الروشن الذي بالقرب من بابنا ، قف بجياله حتى أراك ، فتزيتُ بأحسن ما
قدرتُ عليه ، وصرتُ إلى الموضع ، فبينما أنا واقفٌ أنتظرُ مكلّمًا لي أو مشيرًا إليّ ،
إذا أنا بشيءٍ قد صُبَّ عليّ فملأني من مفرقي إلى قدمي ، وأفسد ثيابي وسرجي ،
وصيرني وجميع ما عليّ ودابتي في نهاية السوادِ والقدر ، وإذا هو ماء قد خلط
بيولٍ وسوادٍ وسرجين ، فانصرفت بخزي ، وكان ما مرّ بي من الصبيان وسائر
من مررتُ به من الضحك والطنز والضحك بي أغلظَ مما جرى عليّ ، ولحقتني من
أهلي ومن في منزلي شرٌّ من ذلك ، وأعظمُ من ذلك أن رسلها انقطعت عني
جملة . فجعلت أعتذرُ إليه وأقول له : إن الآفةَ أنها لم تفهم الشعر لجودته
وفصاحته ، وأنا أحمدُ الله عزّ وجلّ على ما ناله وأسِرُّ الشماتةَ به .

٥٦١ - قال المدائني : دخل أبو النجم العجلي على هشام بن عبد الملك ،
وقد أتت له سبعون سنة ، فقال له هشام : ما رأيك في النساء ؟ قال : إني لأنظر
إيهنَّ شزراً ، وينظرنَّ إليّ خزراً ، فوهب له جاريةً ، وقال له : اغد عليّ فأعلمني
ما كان منك ، فلما أصبح غدا عليه فقال : ما صنعت شيئاً وما قدرت عليه ، وقد
قلتُ في ذلك : [من الكامل]

نظرتُ فأعجبها الذي في درعِها من حسنِها ونظرتُ في سربالِها
فَرأتُ لها كَفلاً يَنوؤُ بِخَصَرِها وَعَثّاً رَوادِفُهُ وَأَحْشَمَ رايِها
وَرَأيتُ مَنْتَشَرَ العِجانِ مُقَلَّصاً رِخَواً مِفاصلُهُ وَجِلداً بالِها
أَدني لَه الرِّكَبَ الحَلِيقَ كَأَنما أَدني إِلَيهِ عِقارِياً وَأَفاعِيا

٥٦١ الأغاني ١٠ : ١٦٦ والمختار من شعر بشار : ٢٠٩ - ٢١٠ .

١ الأغاني : قرني .

ما بال رأسك من ورائي طالعاً أظننت أن حرّ الفتاة ورائيا
فاذهب فإنك ميّت لا تُرتجى أبداً الأيد ولو عمرت لياليا
أنت الغرور إذا خُبرت وربما كان الغرور لمن رجاه شافيا
لكنّ أيري لا يُرجى نفعه حتى أعود أنا فتاء ناشيا

٥٦٢ - مرضَ علي بن عبيدة ، فقيل له : ما تشتهي ؟ قال : عيون الرقباء ،
والسن الوشاة ، وأكبادُ الحساد .

٥٦٣ - قال علي بن عبد العزيز يعرض بالتحاء معشوق : [من السريع]

قد برّحَ الحبُّ بمشاقِكُ فأولِه أحسنُ أخلاقِكُ
لا تجفه وارِعَ له حقُّه فإنه آخرُ عشاقِكُ

٥٦٤ - وقال آخر : [من المديد]

بأبي من عينه أبداً في عداةٍ وهي لا تعدُّ

٥٦٥ - ولآخر في معشوقٍ أحول : [من الطويل]

ونجمين في برجين هادٍ وحائر إذا طلعا حلَّ الكسوفُ بواحدٍ
لهذا على التمثيل قوة زهرة وهذا على التشبيه طرف عطارِد

٥٦٦ - وقال آخر : [من السريع]

كأنما الخيلان في خده كواكبٌ أهدقنَ بالبدِرِ

٥٦٧ - وقال آخر : [من البسيط]

رحمتُ أسودَ هذا الخال حين بدا في لجة الخد مرموقاً بأبصارِ

كأنه بعضُ عبَادِ الهنودِ وقد ألقى بمهجته في لُجَّةِ النارِ

٥٦٨ - ذكر أن أبا القمقام بن بحر السقا عشق مدينة ، فبعث إليها إن إخواناً لي زاروني فابعثني لي برؤوس حتى تنغدى ونصطبح على ذكرك ، ففعلت ، فلما كان اليوم الثاني ، بعث إليها : إننا لم نفترق فابعثني لي بسنبوسك حتى نصطبح على ذكرك ، ففعلت ، فلما كان في اليوم الثالث بعث إليها : أصحابي مقيمون فابعثني إليّ ببقريّة منقورية وجزورية شهية حتى نأكلها ونصطبح على ذكرك ، فقالت لرسوله : إنني رأيتُ الحبَّ إذا حلَّ بالقلب يفيض على الكبد والأحشاء ويمنع من شهوة الطعام ، وإنَّ حبَّ صاحبنا هذا ليس يجاوز معدته .

٥٦٩ - ودعت أبا الحارث جميناً واحدةً كان يحبها ، ففعلت تحادثه ولا تذكر الطعام ، فلما طال ذلك به ، قال : لا أسمعُ للغداء ذكراً ، قالت : أما تستحي ؟ أما في وجهي ما يشغلك عن هذا ؟ فقال : جعلني الله فداك ، لو أنّ جميناً وبشينة قعدا ساعةً لا يأكلان شيئاً لبصق كل واحد منهما في وجه صاحبه وافترقا .

٥٧٠ - وأنشد الأعرابي في ضده : [من الطويل]

فلو كنت عذريّ العلاقة لم تكن سميناً وأنساك الهوى كثرة الأكل

٥٧١ - وواعد العرجيُّ امرأةً شعثناء من الطائف ، فجاء على حمار ومعه غلام ، وجاءت على أتانٍ ومعها جارية ، فوثب العرجيُّ على المرأة ، ووثب الغلامُ على الجارية ، ووثب الحمار على الأتان ، فقال العرجيُّ : هذا يومٌ غائبٌ رقباؤه عنا .

٥٦٩ نشر الدر ٣ : ٢٥١ .

٥٧٠ ربيع الأبرار ٣ : ١٢٥ .

٥٧١ الأغاني ١ : ٣٧٢ .

١ ر : غاب عداله .

٥٧٢ - وَحَدَّثَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِمَارٍ قَالَ : كُنَّا نَخْتَلِفُ إِلَى الْمَجَالِسِ وَنَحْنُ أَحْدَاثُ نَكْتُبُ عَنِ الرَّوَاةِ مَا يَرَوُونَهُ مِنَ الْآدَابِ وَالْأَخْبَارِ ، وَكَانَ يَصْحَبُنَا فَتَىٌّ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا ، وَأَنْظَفِهِمْ ثَوْبًا ، وَأَجْمَلِهِمْ زِيًّا ، وَلَا نَعْرِفُ بَاطِنَ أَمْرِهِ . فَانصَرَفْنَا يَوْمًا مِنْ مَجْلِسِ الْمُبَرَّدِ ، وَجَلَسْنَا فِي مَجْلِسٍ نَتَقَابَلُ بِمَا كَتَبْنَا ، وَنصَحَّحَ الْمَجْلِسَ الَّذِي شَهِدْنَا ، فَإِذَا بِجَارِيَةٍ قَدْ طَلَعَتْ وَطَرَحَتْ فِي حَجْرِ الْفَتَى رِقْعَةً مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْ شَكْلِهَا ، مَخْتُومَةٌ بِعَنْبَرٍ ، فَقَرَأَهَا مُنْفَرِدًا ثُمَّ أَجَابَ عَنْهَا ، وَرَمَى بِهَا إِلَى الْجَارِيَةِ ، فَلَمْ يَلْبِثْ أَنْ خَرَجَ خَادِمٌ مِنَ الدَّارِ فِي يَدِهِ كُرْسِيٌّ ، فَدَخَلَ إِلَيْنَا فَصَفَعَ الْفَتَى بِهِ حَتَّى رَحِمْنَاهُ ، وَخَلَصْنَاهُ مِنْ يَدِهِ ، وَقَمْنَا أَسْوَأَ النَّاسِ حَالًا . فَلَمَّا تَبَاعَدْنَا سَأَلْنَاهُ عَنِ الرِّقْعَةِ ، فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ : [مِنْ الطَّوِيلِ]

كفى حزنًا أنا جميعاً ببلدةٍ كلانا بها ثاورٍ ولا نتكلمُ

فقلنا له : هذا ابتداء طريف ، فأبي شيء أجبت ؟ فقال : هذا صوت سمعته يُعْنَى به ، فلما قرأته في الرقعة ، أجبت عنه بصوتٍ مثله ، فسألناه ما هو ؟ فقال : كتبت في الجواب :

* أَرَاكَ بِالْخَابُورِ نَوْقٌ وَأَجْمَالُ *

فقلنا له : ويملك ، ما وفأك القوم حَقَّكَ ، قد كان ينبغي أن يُدْخِلُونَا مَعَكَ فِي الْقِصَّةِ بِدُخُولِكَ مَعَنَا ، وَلَكِنْ نَحْنُ نُؤَفِّقُكَ حَقَّكَ ، ثُمَّ تَنَاوَلْنَاهُ فَصَفَعْنَاهُ حَتَّى لَمْ يَدْرِ أَيْنَ يَأْخُذُ ، وَكَانَ آخِرَ عَهْدِهِ بِالْاجْتِمَاعِ مَعَنَا .

٥٧٣ - رَوَى مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الزَّيْبَرِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَتَانِي أَبُو السَّائِبِ لَيْلَةً بَعْدَمَا رَقَدَ النَّيَامَ ، فَأَشْرَفْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ : سَهَرْتُ وَذَكَرْتُ أَحَا لِي أَسْتَمْتَعُ بِهِ ،

٥٧٢ الأغانى ٧ : ١١٨-١١٩ .

٥٧٣ الأغانى ١ : ٣٧٤ .

١ الأغانى : كرش (وعاء طيب) .

فلم أجد سواك ، فلو مضينا إلى العقيق وتناشدنا وتحدثنا ، فمضينا وأنشدته في بعض ذلك بيتين للعرجي : [من الكامل]

باتا بأنعم ليلةٍ حتى بدا صبحٌ تلوح كالأعرَّ الأشقرِ
فتلازما عند الفراقِ صبايةً أخذَ الغريمَ بفضلِ ثوبِ الأعرسِ

فقال : أعدّه عليّ ، فأعدته ، فقال : أحسنَ والله ، امرأته طالق إن نطق بحرف غيره حتى يرجعَ إلى بيته ، قال : فلقينا عبد الله بن الحسن ، فلما صرنا إليه وقف بنا وهو منصرفٌ من ماله يريدُ المدينة ، فقال : كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال له : فتلازما عند الفراق ، فالتفتَ إليّ وقال : متى أنكرتَ صاحبك ؟ فقلت : منذ الليلة ، فقال : إنا لله ، وأيّ كهلٍ أصيبت به قريش . ثم مضينا فلقينا محمد بن عمران التيمي قاضي المدينة يريد مالا له على بغلة ، ومعه غلامٌ على عنقه مخللة فيها قيد البغلة ، فسلم وقال : كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال : فتلازما عند الفراق ، فالتفتَ إليّ فقال : متى أنكرتَ صاحبك ؟ قلت : آنفاً ، فلما أراد المضيّ قال : أتدعه هكذا ، والله ما آمن أن يتهور في بعض آبارِ العقيق ، فقال : يا غلام قيد البغلة ، فوضعه في رجله وهو ينشد البيت ويشير بيده إليه ، يُري أنه يفهم عنه قصته ، ثم نزل الشيخ وقال لغلامه : احمله على بغلتي ، وألحقه بأهله ، فلما كان بحيثُ علمت أنه قد فاته أخبرتهُ بخبره ، فقال : قبحك الله ماجناً ، فضحتَ شيخاً من قريش وغررتني .

٥٧٤ - قال اسحاق الموصلي : كنت يوماً بحضرة الرشيد أغنيّه ، وهو يشرب ، فدخل الفضل بن الربيع ، فقال له : ما وراءك ؟ قال : خرج إليّ يا أمير المؤمنين ثلاث جوارٍ لي ، مكية ومدينية وعراقية ، فقبضت المدينية على هني ، فلما أنعظ وثبت العراقية عليه ، فقالت لها : ما هذا التعدي ؟ ألم تعلمي أنّ مالكاً حدثنا

٥٧٤ الأغاني ١٦ : ٢٦٩-٢٧٠ وفيه شعر هارون في الحوارى الثلاث .

عن الزهري عن عبدالله بن ظالم^١ عن سعيد بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ :
 مَنْ أَحْيَا أَرْضاً مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ ؟ فقالت الأخرى : وقد حدثنا سفيان عن أبي الزناد
 عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : الصيْدُ لِمَنْ صَادَهُ ، لا لِمَنْ
 أَثَارَهُ ، فدفعتهما الأخرى^٢ عنه ، وقالت : هذا لي وفي يدي حتى تصطلحا على
 شيء . فلما سمع الرشيد ضحك ، وأمر بحملهنَّ إليه ، فحظين عنده ، وفيهنَّ يقول
 الشاعر : [من الكامل]

ملك الثلاث الأنساتُ عناني وحللنَّ من قلبي بكلِّ مكانِ
 ما لي تطاوعني البريةُ كلُّها وأطيعهنَّ وهنَّ في عصياني
 ما ذاك إلا أنَّ سلطانَ الهوى وبه عزَّزَنَ أعزُّ من سلطاني

٥٧٥ - قال : طلب أشعب من عشيقته خاتماً كان معها ، فقالت : يا
 سيدي هذا ذهب وأخاف أن تذهب ، ولكن خذ هذا العود حتى تعود .

٥٧٦ - وكتب رجل إلى عشيقته : ايذني لخيالك أن يلتمَّ بي ، فكتبت إليه :
 ابعثُ بدينارين حتى أجيئك أنا بنفسي .

٥٧٧ - قال بعضهم : رأيتُ أم جعفرٍ سكرى في إيوان كسرى ، بيدها
 مذرى ، عليها قباء خزُّ طاروني ، وهي تكتب على الحائط : [من المتقارب]

فلا تأسفنَّ على ناسك وإن مات ذو طربٍ فابكِه
 ونك من لقيت من العالمين فإنَّ الندامةَ في تركه

قال : فقلت لها : يا سيدة عبد مناف ما هذا الشعر ؟ فقالت : اسكت هذا الذي
 بلغنا عن آدم لما جامع حواء فقالت له : يا أبا محمد ما هذا ؟ فقال : هذا يقال له :
 النيك فقالت : زدني منه فإنه طيب .

١ الأغاني : بن طاهر .

٢ الأغاني : العراقية .

٥٧٨ - قال : وكان رجل يتعشّق امرأةً ويتبعها في الطرقات دهرًا ، إلى أن أمكنته من نفسها ، فلما أفضى إليها لم ينتشر عليه ، فقالت له : أيرك هذا أير لئيم ، فقال : بل هو من الذين قال فيهم الشاعر : [من البسيط]

وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا

٥٧٩ - نظر مغيرة بن المهلب يوماً إلى يزيد أخيه وهو يطالع امرأته ويقول لها : اكشفي ساقك ولك خمسون ألف درهم ، فقال : ويلك يا فاسق ، هات نصفها وهي طالق .

٥٨٠ - ومثل هذه الحكاية ما سمعته من شرف الدين علي بن طراد الزينبي الوزير ، وإن لم يكن من فن الغزل ، قال : كان ينادمني البارع أبو عبدالله الحسين الدياس ، وهو من أعيان أهل الأدب والرواية ، وكان حديداً ، فيولع به أبدأً فتجيء منه نوادر تضحك ، قال : فولع به أحمد الحاجب ، وأخرجه من الاعتدال ، فقال أبو عبدالله البارع : والله لقد وزنت خمسة الدنانير لمن حمل إليّ امرأتك ، فقال أحمد ولم يتحرك ولم يضجر : أضعت مالك ، كنت تعطيني خمسة قراريط حتى أحملها إليك طوعاً .

٥٨٠ب - وقال : [من الرجز]

لا ينفعُ الجاريةَ الخضابُ ولا الوشاحانِ ولا الحقابُ
من دون أن تصطفقَ الأركابُ وتلتقي الأسبابُ والأسبابُ

٥٨١ - وقال آخر : [من الطويل]

وإني أشدُّ القومِ وجداً وناقتي أشدُّ ركابِ القومِ رجَعِ حينِ
يشوق الحمى أهلَ الحمى ويشوقني حمى بين أفخاذٍ وبين بطونِ

٥٨٢ - وقال آخر : [من الرجز]

والله لا تمسكني بضم ولا بتقبيل ولا بشم
إلا بزعرع يسلي هي يسقط منه فتحي في كمي

٥٨٣ - وقال آخر : [من الطويل]

جزى الله خيراً ذات بعل تصدقت على عزب كيما يكون له أهل
فإننا سنجزئها بما صنعت بنا إذا ما تزوجنا وليس لها بعل
أفيضوا على عزابكم من نسائكم فما في كتاب الله أن يحرم الفضل

٥٨٤ - ومرّ أبو نواس بغلام حسن الوجه خفيف العجز ، فسئل عنه فقال :
[من السريع]

ما شئت من دنيا ولكنه منافق ليست له آخرة

٥٨٥ - ورأى المأمون القاضي يحيى بن أكثم يحدّ النظر إلى الواثق بالله
فقال : يا أبا محمد حوالينا ولا علينا .

٥٨٦ - وسمع مخنث رجلاً يغني : [من مجزوء الرمل]

واقف في الماء عطشاً ن ولكن ليس يسقى

فقال له : زن ديناراً وغرقه .

٥٨٧ - قال رجل لامرأة : أنا أحبك ، قالت : وما الدليل على ذلك ؟ قال :
تعطيني قفيز دقيق حتى أعجنه بدموع عيني ، قالت : على أن تجيء بخبزها إلينا ،
قال : يا سيدتي ، أنت تريدن خبازاً لا تريدن عاشقاً .

٥٨٨ - كتب رجل إلى غلام كان يعشقه : وضعتُ خدي على الثرى إرضاء
لك ، فقال الغلام : هات عشرة دراهم وضع خدك على خدي .

٥٨٣ حماسة التبريزي ٤ : ١٦٥ والمرزوقي رقم : ٨٣٤ .

٥٨٩ - أنشد المأمون قول العباس بن الأحنف : [من الطويل]

هُمُ كَتَمُونِي سِيرَهُمْ ثُمَّ أَزْمَعُوا وَقَالُوا اتَّعَدْنَا لِلرَّوَّاحِ وَبَكْرُوا
فَقَالَ : سَخَرُوا مِنْ أَبِي الْفَضْلِ أَعَزَّهُ اللَّهُ .

٥٩٠ - قال أبو العيناء : أنشد أبو الهذيل شعراً : [من الكامل]

وَإِذَا تَوَهَّمُ أَنْ يَرَاهَا نَاطِرٌ تَرَكَ التَّوَهُّمَ وَجَهَهَا مَكْلُومًا
فَقَالَ : كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَنَّاكَ هَذِهِ بِأَيْرٍ مِنْ خَاطِرٍ .

وأنشد النظام : [من الوافر]

إِذَا هُمْ النَّدِيمُ لَهُ بِلِحْظٍ تَمَشَّتْ فِي مَفَاصِلِهِ الْكَلُومُ
قَالَ : مَا يَنْبَغِي أَنْ يَنَادِمَ هَذَا إِلَّا أَعْمَى .

٥٩١ - كتب علي بن الجهم إلى جارية يهواها شعراً : [من الطويل]

خَفِيَ اللَّهُ فِي مَنْ قَدْ سَلَبْتَ فَوَادَهُ وَتَيَّمْتَهُ حَتَّى كَأَنَّ بِهِ سَحْرًا
دَعِيَ الْبَخْلَ لَا أَسْمَعُ بِهِ مِنْكَ إِنَّمَا سَأَلْنَاكُمْ مَا لَيْسَ يُعْرِي لَكُمْ ظَهْرًا

٥٩٢ - قال ميمون بن هارون : كنا عند الحسن بن وهب ، فقال لبنات

غني : [من البسيط]

أَتَأَذْنُونَ لَصَبٌ فِي زِيَارَتِكُمْ فَعِنْدَكُمْ شَهَوَاتُ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ
لَا يَفْعَلُ السُّوءَ إِنْ طَالَ الْمَقَامُ بِهِ عَفُّ الضَّمِيرِ وَلَكِنْ فَاسَقُ النَّظْرُ

٥٨٩ الأغاني ٨ : ٣٦٤ .

٥٩١ الأغاني ١٠ : ٢٢١ .

٥٩٢ الأغاني ٨ : ٣٥٩ .

١ الأغاني : كأن به وقرا .

والشعر للعباس بن الأحنف ، فضحكت ثم قالت : فأبي خيرٍ فيه إن كان كذا
وأبي معنى ؟ فخجل الحسن من نادرته عليه ، وعجبنا من حدة جوابها وفطنتها .

٥٩٣ - اغتسلت نعم التي يقول فيها عمر بن أبي ربيعة : [من الطويل]

* أمن آلِ نعمٍ أنتِ غادٍ فمُبكرٌ *

في غدِير ، فأقام عليه عمر يشرب منه حتى جفَّ .

٥٩٤ - رؤي علي بن عبيدة الريماني مع جارية له كان يهواها عند إخوانه ، فحان
وقت الظهر فبادروا الصلاة ، وهما يتحدثان فأطالا حتى كادت الصلاة تفوت ، فقبل يا
أبا الحسن : الصلاة فقال : رويدك حتى تزول الشمس ، أي حتى تقوم الجارية .

٥٩٥ - أبو نواس شعر : [من مجزوء الرمل]

وغزالٍ تشره النفسُ إلى حلِّ إزارِهِ

بسطته بدوة الكاسِ لنا بعدَ ازورارِهِ

فأطفنا بنواحيه ولم نلَممْ بدارِهِ

٥٩٦ - وقال : [من المنسرح]

مرَّ بنا والعيون تأخذُهُ تجرُّحُ منه مواضعَ القُبَلِ

أفرغَ في قلبِ الجمالِ فلا يصلحُ إلا لذلكِ العملِ

٥٩٧ - ومَرَّتْ به جارية للقسام بن الرشيد في يديها نرجس ، فلم تكلمه ،
فقال لها : ما أقبح هجرِك ، فقالت : أقبحُ منه إفلاسك ، فقال : [من السريع]

قلتُ وقد مرَّتْ بنا ظبيَّةٌ رعبويةٌ في كفِّها نرجسُ

٥٩٤ ربيع الأبرار ٣ : ١٢٥ .

٥٩٦ ديوان أبي نواس (شولر) ٢ : ٣٠٠ .

ما أقيح الهجرَ فقالت لنا أقيحُ منه عاشقٌ مفلسُ

٥٩٨ - ومن شعره : [من الوافر]

وناظرةٍ إليَّ من النقابِ تلا حظني بطرفٍ مسترابِ
كشفتُ قناعها فإذا عجوزٌ مُسوَّدةُ المفاقرِ بالخضابِ
فما زالت تجمشني طويلاً وتأخذ في أحاديثِ التصابي
تحاولُ أن يقومَ أبو زياد ودون قيامه شيبُ الغرابِ
أنتِ بجرابها تكتالُ فيه فقامتُ وهي فارغةُ الجرابِ
متى تشفى العجوزُ إذا استكانت بأيرٍ لا يقوم على الشبابِ

٥٩٩ - آخر : [من مخلع البسيط]

أشكو إلى الله من عجوز تأخذها هبة الغيور
ولازوردية الثنايا قد خضبت كفها بغير
كأنما وجهها قميص قد فركوه على الحصير

البَابُ الثَّلَاثُونَ
فِي أَنْوَاعِ شَيْءٍ مِنْ إِنْخِطَابِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وما توفّيقِي إِلَّا بِاللَّهِ

الحمد لله مُسْدي الإحسانِ ومُوليه ، وفاتق اللسان بالبيان^١ ومؤتبه ، يمنحُ الحكمةَ أهلَ الاجتباء والإيثار ، ويختصُّ برحمته مَنْ يشاءُ ويختار ، جعل النطق ترجمانَ الضمير ، وله ولايةُ الإخبار^٢ والتعبير ، وفضلٌ بعضاً على بعضٍ في الرِّصْفِ والتَّحْيِيرِ ، فكان القاصرُ عن إبداءِ ما أُجِنَّ الآخرَ حسيراً مُلوماً ، والزائدُ على ما تَضَمَّنَهُ هذراً مدموماً ، وكانت الخطابةُ في ذكرِ مواهبِ الله وآلائه ، ونشرِ ما خَصَّنَا به من صنوفِ نِعَمَائِهِ ، والإبانةِ من وحدانيته وأوَّلِيَّتِهِ ، والدلالةِ على ربوبيته وأزَلِّيَّتِهِ ، وجدالِ أهلِ الباطلِ حتى يفيئوا ، ونضالِ المعاندين ليرجعوا وينيبوا ، أُولى الخصيمِ الأذْرَهُ ، والخطيبِ الأَفْوَهُ ، وأجدرُ أن نقابلَ نعمةَ الله بشكرها ، ونستعملَ آلهَ الفضيلةِ المعطاهَا في حقها وقدرها ؛ والصلاةُ على رسوله النبي الأمِّي ، المرسلِ باللسانِ المبينِ العربي ، الذي سلَّم له الفصاحةَ المقرُّ والجاحدُ ، وشهد ببلاغتِهِ الغائبُ والشاهد ، وعلى آلهِ أُولي المواقفِ المشهورةِ والمشاهدِ .

١ بالبيان : سقطت من م ر .

٢ ر : الاختيار .

الباب الثلاثون

في

الخطب

٦٠٠ - من شواهد الخطابة في الكتاب العزيز قوله سبحانه في حق داود عليه السلام : ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابَ﴾ (ص : ٢٠) .

٦٠١ - قال بعضهم : تَبَعَتْ خُطْبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فوجدتُ أوائلَ أكثرها : الحمدُ لله ، نحمده ونستعينهُ ، ونؤمُنُ به ، ونتوكَّلُ عليه ، ونستغفره ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا ، مَنْ يَهْدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له ، وَمَنْ يُضِلِّ اللهُ فلا هاديَ له ، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له .

٦٠٢ - خطبته عليه السلام في حجة الوداع :

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا ، مَنْ يَهْدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له ، وَمَنْ يُضِلِّ اللهُ فلا هاديَ له ، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له ، وأشهدُ أن محمداً عبدهُ ورسوله .

٦٠٢ وردت الخطبة في البيان والتبيين ٢ : ٣١ والعقد ٤ : ٥٧ وسيرة ابن هشام ٤ : ٦٠٣ وطبقات ابن سعد ٢ : ١٨٤ وتاريخ الطبري ٣ : ١٥٠ (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) وابن الأثير ٢ : ٣٠٢ وتاريخ اليعقوبي ٢ : ١٠٩ وامتاع الأسماع ١ : ٥٢٢-٥٢٣ ، ٥٢٩-٥٣٢ ومغازي الواقدي ١١٠٣ ونثر الدر ١ : ١٩٠ وإعجاز القرآن للباقلاني ١٩٧ : ١٩٨-٢٠٠ والوثائق السياسية : ٣٠٦ (وفيه ذكر لمصادر أخرى) .

أوصيكم عبادَ الله بتقوى الله ، وأحثكم على العمل بطاعته^١ ، وأستفتح الله بالذي هو خير .

أما بعد ، أيها الناس^٢ إن دماءكم وأموالكم عليكم حرامٌ إلى أن تلقوا ربكم كحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا هل بلغتُ ؟ اللهم اشهد . فمن كانت عنده أمانةٌ فليؤدّها إلى من ائتمنه عليها . وإن ربا الجاهلية موضوعٌ ، وأوّل ربا أبداً به ربا العباس بن عبد المطلب . وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وأوّل دم أبداً به دمُ عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وإن مآثر الجاهلية موضوعةٌ غير السّدانة والسقاية . والعمدُ قودٌ ، وشبه العمدِ ما قُتِلَ بالعصا والحجر ، وفيه مائة بعير ، فمن ازداد فهو من الجاهلية .

أيها الناس ، إنّ الشيطان قد يبس أن يُعبَدَ بأرضكم هذه ، ولكنه قد رضي أن يطاعَ فيما سوى ذلك فيما تحقرون من أعمالكم .

أيها الناس ، إنما النسيءُ زيادةٌ في الكفر ، يُضِلُّ به الذين كفروا ، يُجِلُّونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدّةً ما حرّم الله . وإنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإنّ عدّةَ الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعةٌ حُرُمٌ : ثلاثةٌ متواليات وواحد فرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد .

أيها الناس ، إن لنسائكم عليكم حقاً ، [ولكم عليهن حق] ، فعليهن أن لا يُوطئنَ فرشكم ولا يُدخِلنَ أحداً تكروهنه بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتينَ بفاحشةٍ ، فإن فعلنَ فإنّ الله تعالى قد أذنَ لكم أن تعضلوهن ، وتهجروهن في

١ البيان : على طاعته .

٢ البيان : أما بعد أيها الناس اسمعوا مني أين لكم فإنني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا . أيها الناس إن دماءكم . . . الخ .

المضاجع ، وتضربوهنَّ ضرباً غير مُبرِّح ، فإن اتتهينَ وأطعنكم فعليكم رزقهنَّ وكسوتهنَّ المعروف ، فإنما النساء عندكم عوانٍ لا يملكنَ لأنفسهنَّ شيئاً ، أخذتموهنَّ بأمانةِ الله تعالى ، واستحللتم فروجهنَّ بكتاب الله ، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهنَّ خيراً .

أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحلُّ لامرئٍ من مال أخيه إلا عن طيبِ نفسٍ منه . ألا هل بَلَغت ؟ اللهم اشهد .

ولا ترجعنَّ كفاراً بعدي يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإني قد تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لن تضلُّوا : كتاب الله . ألا هل بَلَغت ؟ اللهم اشهد .

أيها الناس ، إن ربكم واحدٌ ، وإن أبائكم واحدٌ ، [كلكم] لآدم وآدم من تراب ؛ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربيٍّ على عجميٍّ فضلٌ إلا بالتقوى . ألا هل بَلَغت ؟ قالوا : نعم . قال : فليبلغ الشاهدُ الغائبَ .

أيها الناس إن الله تعالى قسم لكلِّ وارثٍ نصيبه من الميراث ، ولا تجوزُ لوارثٍ وصيةٌ في أكثر من الثلث ، والولدُ للفراش وللعاهر الحجر . من ادَّعى إلى غير أبيه ، ومن تولى إلى غير مواليه ، فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبلُ الله منه صرفاً ولا عدلاً ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٦٠٣ - لما قبض رسول الله ﷺ خطبَ سهيلُ بن عمرو فقال : والله إن هذا الدين الذي أصبحنا فيه سيمتدُّ كامتدادِ الشمسِ في طلوعها . فقيل له : وأنتي علمتَ ذلك ؟ قال : رأيتُ رجلاً وحيداً فريداً لا مالَ له ولا عزّاً ولا عدد ، قام في ظلِّ الكعبة فقال : أنا رسول الله إليكم ؛ فكنا من بين ضاحكٍ وهازلٍ ، ومستجهلٍ وراحمٍ ؛ فلم يزل أمره ينمي حتى دنّا طوعاً وكرهاً ، ولو كان ذلك من عند غير الله تعالى ما كان إلا كالكرة في يدِ بعضِ سفهاء قريش . فلا يُغرَّنكم

٦٠٣ بعضه في البصائر ٩ : ٩٧ (رقم : ٣١٢) .

هذا - يعني أبا سفيان - من أنفسكم ، فإنه يعلم من هذا الأمر ما أعلم ، ولكن حسد بني عبد المطلب قد جثم على صدره وتمكن في حشاه .

٦٠٤ - خطب سعد بن أبي وقاص في يوم الشورى فقال : الحمد لله بدياً كان وآخراً يعود ، أحمده كما أنجاني من الضلالة ، وبصرني من العماية ؛ فبرحمة الله فاز من نجا ، ويهدي الله أفلح من وعى ، وبمحمد بن عبد الله ﷺ استقامت الطرق واستبان السبل ، فظهر كل حق ومات كل باطل ، إياكم أيها النفر وقول أهل الزور وأمنية الغرور ، فقد سكنت الأمانى قبلكم قوماً ورثوا ما ورثتم ، ونالوا ما نلتهم ، فاتخذهم الله أعداءً ولعنهم لعناً كثيراً ، قال الله عز وجل : ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة : ٧٨-٧٩) .

وإني نكبت قرني فأخذت سهمي الفالج ، وأخذت لطلحة بن عبيد الله في غيبته ما ارتضيت لنفسي في حضوري ، فأنا به زعيم ، وبما أعطيت عنه كفيل ، والأمر إليك يا ابن عوفٍ بصدق النفس وجهد النصح ، وعلى الله قصد السبيل وإليه المصير .

٦٠٥ - وقال لعمر ابنه حين نطق مع القوم فبذهم ، وكانوا كلموه في الرضا عنه قال : هذا الذي أغضبني عليه ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : يكون قوم يأكلون الدنيا بالسننهم كما تلحس البقر الأرض بالسننهم .

٦٠٤ نثر الدر ٢ : ١١٠-١١١ وجمهرة خطب العرب ١ : ٢٦٨ .

٦٠٥ نثر الدر ٢ : ١١١ .

١ نثر : واستنارت .

٢ نثر : سلبت .

٦٠٦ - ومن خطبة لعلي بن أبي طالب عليه السلام في التوحيد :

[الحمد لله] المعروف من غير رؤية ، الخالق من غير رؤية ، الذي لم يزل قائماً دائماً إذ لا سماء ذات أبراج ، ولا حُجُب ذات أرتاج ، ولا ليلٍ داج ، ولا بحرٍ ساج ، ولا جبلٌ ذو فجاج ، ولا فِجٌ ذو اعوجاج ، ولا أرضٌ ذات مهادٍ ، ولا خلقٌ ذو اعتمادٍ ؛ ذلك مبتدعُ الخلقِ [ووارثه ، وإله الخلق] ورازقه ، ومسخرُ الشمس والقمرِ دائبين في مرضاته ، ييليان كلَّ جديد ، ويقربان كلَّ بعيد ، قسم أرزاقهم ، وأحصى آثارهم وأعمالهم ، وعددَ أنفاسهم وخائنة أعينهم وما تخفي صدورهم من الضمير ، ومُستقرهم ومُستودعهم من الأرحام والظهور ، إلى أن تنهاى بهم الغايات ؛ هو الذي اشتدت نغمته على أعدائه في سعة رحمته ، [واتسعت رحمته] لأوليائه في شدة نغمته ، قاهرٌ من عازة ، ومدمرٌ من شاقه ، ومذلٌ من ناواه ، وغالبٌ من عاداه ؛ مَنْ توكَّلَ عليه كفاه ، ومَنْ سألَه أعطاه ، ومَنْ اقترَضَه قضاها ، ومَنْ شكرَه جزاه .

عبادَ الله ، زِنُوا أَنْفُسَكُمْ من قبل أن تُوزنوا ، وحاسبوها من قبل أن تحاسبوا ، ونفِّسوا قبل ضيق الخناق ، وانقادوا قبل عنفِ السياق ، واعلموا أنه مَنْ لم يُعن [على] نفسه حتى يكون له منها واعظٌ وزاجر لم يكن له من غيرها لا زاجر ولا واعظ .

٦٠٧ - ومن خطبة له عليه السلام في المعنى :

الحمد لله الدالُّ على وجوده بخلقه ، وبمُحدَثِ خلقه على أزيلته ، وباشتباهم على أن لا شبه له ، لا تشملهُ المشاعر ، ولا تحجبهُ السواتر ، لافتراق

٦٠٦ نهج البلاغة : ١٢٢-١٢٣ (رقم : ٩٠) .

٦٠٧ نهج البلاغة : ٢١١-٢١٢ (رقم : ١٥٢) .

الصانع والمصنوع ، والحادث والمحدود ، والربُّ والمربوب ، الأحد بلا تأويل عدَد ،
والخالق لا بمعنى حَرَكَةٍ ونَصَبٍ ، والسميع لا بأداةٍ ، والبصير لا بتفريق آلة ،
والشاهد لا بمماسة ، والبائن لا بتراخي مسافةٍ ، والظاهر لا بروئيةٍ ، والباطن لا
بلطافةٍ ، بان من الأشياء بالقهر لها والقدرة عليها ، وبانت الأشياء بالخضوع له
والرجوع إليه؛ مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ
أَزْلِيَّتَهُ ، وَمَنْ قَالَ « كَيْفَ » فَقَدْ اسْتَوْصَفَهُ ، وَمَنْ قَالَ « أَيْنَ » فَقَدْ حَيَّزَهُ ، عَالِمٌ إِذْ
لا معلوم ، وربٌّ إِذْ لا مربوب ، وقادرٌ إِذْ لا مقدور .

٦٠٨ - ومن خطبة له في ذكر النبي ﷺ : اختارَهُ من شجرة الأنبياء ،
ومشكاة الضياء ، وذوابة العلياء ، وسرّة البطحاء ، ومصاييح الظلمة ، وينابيع
الحكمة .

٦٠٩ - وفي مثل ذلك والصلاة عليه :

اللَّهُمَّ داحي المدحوات ، وداعِم المسموكات ، وجابِل القلوب على فطرتها ،
شقيها وسعيدها ، اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على محمد عبدك
ورسولك ، الخاتم لما سبق ، والفتاح لما انغلق ، والمعلن الحق بالحق ، والدافع
جيئات الأباطيل ، والدامغ صولات الأضاليل ، كما حُمِّلَ فاضطلع ، قائماً
بأمرك ، مستوفراً في مرضاتك ، غير ناكلٍ عن قدمٍ ولا واهٍ في عزمٍ ، واعياً
لوحيك ، حافظاً لعهدك ، ماضياً على إنفاذٍ أمرِك ، حتى أوزى قيس القابس ،
وأضاء الطريق للخابط ، وهديت به القلوب بعد خوضات الفتن والآثام ،
[وأقام] موضحات الأعلام ونيرات الأحكام ؛ فهو أمينك المأمون ، وخازن
علمك المخزون ، وشهيدك يوم الدين ، ويعيثُك بالحق ، ورسولك إلى الخلق .

٦٠٩ نهج البلاغة : ١٠٠-١٠٢ (رقم : ٧٢) .

١ النهج : أزله .

اللهم افسح لهم مَفْسَحاً في ظِلِّكَ ، واجزِهِ مضاعفاتِ الخيرِ من فضلك ،
اللهم اعلِ على بناءِ البانينِ بِنَاءَهُ ، وأكرمِ لَدَيْكَ منزِلَهُ ، وأتمِّمْ له نورَهُ ، واجزِهِ على
ابتعاثِكَ له مقبولَ الشهادةِ ومرضيِ المقالةِ ، ذا منطِقِ عدلٍ وخطِةِ فصلٍ ؛ اللهم
اجمعُ بيننا وبينه في بردِ العيشِ وقرارِ النعمةِ ، وأمنِ الشهواتِ ولهوِ اللذاتِ ،
ورخاءِ الدَّعَةِ ومنتهىِ الطمأنينةِ وتُحَفِ الكرامةِ .

٦١٠ - ومن خطبة له عليه السلام : أين من سعى واجتهد ، وجمعَ وعدد ،
وبنى وشيّد ، وزخرفَ ونجد ، وفرشَ ومهد .

قال جعفر بن يحيى وقد ذكر هذا الكلام : هكذا تكون البلاغة : أن يقرنَ
بكلِّ كلمةٍ أختها ، فتلوّحُ الأولى بالثانية قبل انقضائها ، وتزيد كلُّ واحدةٍ في نورِ
الأخرى وضيائها .

٦١١ - ومن خطبة له عليه السلام :

نحمده على ما أخذ وأعطى ، وعلى ما أبلى وأبتلى ، الباطن بكلِّ خفيّةٍ ،
الحافظُ لكلِّ سريرةٍ ، العالم بما تكنُّ الصدورُ وما تخونُ العيون . ونشهدُ أن لا
إلهَ غيرُهُ ، وأنَّ محمداً نجيةٌ^٣ وبعيثةٌ ، شهادةً يوافقُ فيها السرُّ الإعلانُ والقلبُ
اللسانُ .

٦١٢ - قال نوف البكالي : خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة وهو

٦١٠ نثر الدر ١ : ٢٧٨ (وفيه تعليق جعفر بن يحيى) .

٦١١ نهج البلاغة : ١٨٩-١٩٠ .

٦١٢ نهج البلاغة : ٢٦٠-٢٦٣ (رقم : ١٨٢) .

١ ر : بلطف عدل .

٢ نهج : والحاضر .

٣ نهج : نجيبه .

٤ ر : شهادة الحق فيها السر للإعلان .

قائمٌ على حجارةٍ نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي ، وعليه مِدْرَعَةٌ من صوف ،
 وحمايلُ سيفِهِ من ليفٍ ، وفي رجله نعلان من ليف وكأنَّ جبينَهُ تَفْنَةٌ بغيرٍ ، فقال :
 الحمدُ لله الذي إليه مصائرُ الخلقِ وعواقبُ الأمرِ ، نحمدهُ على عظيمِ إحسانه ،
 ونيرِّ برهانه ، ونوأمي فضلهِ وامتنانه ، حمداً يكونُ لحقه قضاءً ، ولشكره أداءً ،
 وإلى ثوابه مُقرباً ، ولحسنِ مزیده^١ مُوجباً ، ونستعينُ به استعانةً راجِحَ لفضلهِ ،
 مؤمِّلٍ لنفعه ، واثقٍ بدفعه ، مُعترفٍ له بالطولِ ، مُدعِنٍ له بالعملِ والقولِ ، ونؤمِّنُ
 به إيمانَ مَنْ رَجَاهُ مُوقناً ، وأتابٍ إليه مؤمناً ، وخضع^٢ له مدعناً ، وأخلصَ له
 مُوحداً ، وعظَّمهُ مُمجِّداً ، ولاذَّ به راجباً مجتهداً ، لم يولد^٣ سبحانه فيكونَ في
 العزِّ مُشاركاً ، ولم يلدْ فيكونَ موروثاً هالكاً ، ولم يتقدَّمهُ وقتٌ ولا زمان ، ولم
 يتجاوزهُ زيادةٌ ولا نقصان ، بل ظهر للعقولِ بما أَرانا من علاماتِ التدبيرِ المتقنِ
 والقضاءِ المبرمِ ، فمن شواهدِ خلقِهِ خلقُ السمواتِ مُوطَّاتٍ بلا عَمَدٍ ،
 وقائماتٍ بلا سَنَدٍ ، دعاهنَّ فأجبنَ طائعاتٍ مدعنات .

ومنها : أوصيكمُ عبادَ الله بتقوى الله الذي أَلبسكمُ الرياشَ ، وأَسبغَ عليكم
 المعاشَ ، فلو أنَّ أحداً يَجِدُ إلى البقاءِ سُلماً أو لدفعِ الموتِ سبيلاً لكان ذلك
 سليمان بن داود ، عليهما السلام ، الذي سَحَرَ له مُلكَ الجنِّ والإنسِ مع النبوةِ
 وعظيمِ الرِّزْقَةِ ، فلما استوفى طُعْمَتَهُ ، واستكملَ مَدَّتَهُ ، رَمَتْهُ قِيسِيُّ الفناءِ بنبالِ
 الموتِ ، وأصبحتِ الديارُ منه خاليةً ، والمساکنُ مُعَطَّلَةً ، ورثها قومٌ آخرون . وإنَّ
 لكم في القرونِ السالفةِ لَعِبْرَةً : أينَ العمالقةُ وأبناءُ العمالقة ؟ أينَ الفراعنةُ وأبناءُ
 الفراعنة ؟ أينَ أصحابُ مدائنِ الرِّسِّ الذين قتلوا النبيينَ ، وأطفأوا سَنَنَ المُرسَلينَ ،

١ ر : ولزیده .

٢ نهج : وخنج .

٣ ر : يولد له .

٤ م : بغير .

٥ م : رزقه ومدته .

وأحيوا سننَ الجبّارين ؟ أين الذين ساروا بالجيوش ، وهزموا الألوّف ،
وعسكروا العساكر ، ومَدَّنُوا المدائن .

٦١٣ - ومن خطبة له عليه السلام :

أحمدُهُ^١ شُكْرًا لِإِنْعَامِهِ ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ حَقَّقِهِ ، عَزِيزَ الْجَنْدِ عَظِيمِ
الْمَجْدِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ وَقَهَرَ^٢ أَعْدَاءَهُ جِهَادًا عَنِ
دِينِهِ ، لَا يَثْبِيهِ عَنِ ذَلِكَ اجْتِمَاعَ عَلَى تَكْذِيبِهِ ، وَالتَّماسُ لِإِطْفَاءِ نَوْرِهِ . فَاعْتَصَمُوا
بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّ لَهَا حَبْلًا وَثِيقًا عُرْوَتُهُ ، وَمَعْقِلًا مَنِيعًا ذُرْوَتُهُ ، وَبَادِرُوا الْمَوْتَ
وَعِمْرَاتِهِ ، وَأَمْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ ، وَأَعَدُّوا لَهُ قَبْلَ نَزْوِلِهِ ، فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةُ ،
وَكَفَى بِذَلِكَ وَاعِظًا لِمَنْ عَقَلَ ، وَمُعْتَبَرًا لِمَنْ جَهَلَ . وَقَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ
مِنْ ضَيْقِ الْأَرْمَاسِ ، وَشِدَّةِ الْإِبْلَاسِ ، وَهَوْلِ الْمُطَّلَعِ ، وَرَوَعَاتِ الْفَرْعِ ،
وَإِخْتِلَافِ الْأَضْلَاعِ ، وَاسْتِكَائِ الْأَسْمَاعِ ، وَظُلْمَةِ اللَّحْدِ ، وَخَيْفَةِ الْوَعْدِ ، وَغَمِّ
الضَّرِيحِ ، وَرَدْمِ الصَّفِيحِ . فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنِ ،
وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةَ فِي قَرْنٍ ، وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا ، وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا ، وَوَقَفَتْ
[بِكُمْ] عَلَى صَرَاطِهَا ؛ وَكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزِلَازِلِهَا ، وَأَنَاخَتْ بِكَلَاكِلِهَا ،
وَانصَرَمَتْ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا ، وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنْ حَضْنِهَا ، وَكَانَتْ كَيَوْمِ مَضَى وَشَهْرِ
انْقِضَى ، وَصَارَ جَدِيدُهَا رِثًا ، وَسَمِينُهَا غَثًّا ، فِي مَوْقِفِ ضَنْكَ الْمَقَامِ ، وَأُمُورٍ
مُشْتَبِهَةٍ^٣ عِظَامٍ ، وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلْبِهَا ، عَالٍ لَجْبِهَا ، سَاطِعٍ لَهْبِهَا ، مَغِيظٍ زَفِيرُهَا ،

٦١٣ نهج البلاغة : ٢٨٠-٢٨٣ (رقم : ١٩٠) .

١ : ر : أحمد الله .

٢ : ر : ونهج : وقاهر .

٣ : ر : مشتة ؛ م : مشيئة (اقرأ : مشيئة) .

٤ : نهج : متغيظ .

متأجج سعيها ، بعيد خمودها ، ذاك وقودها ، مخوف وعيدها ، عميق قرارها ، مظلمة أقطارها ، حامية قدورها ، فظيعة أمورها ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً﴾ (الزمر : ٧٣) قد أمن العذاب ، وانقطع العتاب ، وزحزحوا عن النارِ واطمأنت بهم الدار ، ورضوا المثوى والقرار ، الذين كانت أعمالهم في الدنيا زاكية ، وأعينهم باكية ، وكان ليهم في دنياهم نهراً تخشعاً واستغفاراً ، وكان نهارهم ليلاً توحشاً وانقطاعاً ؛ جعل الله لهم الجنة ثواباً ، وكانوا أحق بها وأهلها في ملك دائم ونعيم قائم . فارعوا عباد الله ما برعائته يفوز فائزكم ، وبإضاعته يخسر مبطلكم ، وبادروا آجالكم بأعمالكم ، فإنكم مرتهنون بما أسلفتم ، ومدنيون بما قدمتم ، وكأن قد نزل بكم المخوف فلا رجعة تنالون ، ولا عثرة تقالون ، استعملنا الله وإياكم بطاعته وطاعة رسوله ، وعفا عنا وعنكم بفضل رحمته . الزموا الأرض واصبروا على البلاء ، ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم ، ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم ، فإنه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربه وحق رسوله وأهل بيته مات شهيداً ، ووقع أجره على الله ، واستوجب ثواب ما يؤتى من صالح عمله ، وقامت النية مقام إصلاته لسيفه ، فإن لكل شيء مدةً وأجلاً .

٦١٤ - وخطب لما ورد عليه مقتل محمد بن أبي بكر وغلبة أصحاب معاوية

٦١٤ تجمع هذه الخطبة بين ما جاء في النهج : ٤٠٨ (في رسالة إلى عبدالله بن عباس بعد مقتل محمد ابن أبي بكر) وما جاء فيه ص : ٨١-٨٢ (مع اختلافات واضحة) ، ويتفق ما أورده صاحب التذكرة مع ما جاء في نثر الدر ١ : ٣١٤-٣١٥ والأخبار الموقيات : ٣٤٨ وتاريخ الطبري ١٠٨/٥ (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) .

- ١ نهج : عم .
- ٢ نهج : فجعل .
- ٣ نهج : ما نوى .

على مصر ، فقال بعد أن حمد الله تعالى :

ألا إن مصرَ أصبحت قد فتحت^١ ، ألا وإن محمد بن أبي بكر قد أُصيب^٢ ،
رحمه الله وعند الله نحتسبه ، أما والله إن كان لمن ينتظر^٣ القضاء ، ويعمل للجزاء ،
ويغضُ شُكْلَ الفاجر ، ويحبُّ هَدْيَ المؤمن . إني والله لا ألومُ نفسي في تقصيرٍ ولا
عجز ؛ إني بمقاساةِ الحربِ جدُّ عالمٍ خبيرٍ ، وإني لأتقدَّمُ في الأمرِ فأعرفُ وجهَ
الحزم ، وأقومُ فيه بالرأي المصيب مُعَلِّناً ، وأناديكم نداءً المستغيثِ فلا تسمعون لي
قولاً ، ولا تطيعون لي أمراً ، حتى تصيرَ الأمورُ إلى عواقبِ الفسادِ ، وأنتم لا
تُدركُ بكم الأوتار ، ولا يشفى بكم الغليل . دَعَوْتكم إلى غياثِ إخوانكم
فجرجرتم جَرَجْرَةَ الجملِ الأسرِّ^٤ ، وثاقلتم إلى الأرضِ ثاقلاً من ليس له نيَّةٌ في
جهادٍ عدوٍّ ولا احتسابِ أجرٍ^٥ ، وخرج جيلٌ^٦ ضعيفٌ كأنما يُساقون إلى الموتِ
وهم ينظرون .

٦١٥ - خطب الحسن بن علي عليهما السلام بعد وفاة أبيه فقال :

أما والله ما ثنانا عن قتالِ أهلِ الشامِ شدةً ولا ندمٌ ، وإنما كنا نقاتل أهلِ الشامِ
بالسلامةِ والصبرِ ، فسبقت السلامةُ بالعداوةِ والصبرُ بالجزعِ . وكنتم في مبتدأكم
إلى صفين ودينكم أمامَ دنياكم ، وقد أصبحتم ودينكم أمامَ دينكم ، وكنا لكم
وكنتم لنا ، فصرتم الآن كأنكم علينا ، ثم أصبحتم بعد ذلك تعدون قتيلين : قتيلاً
بصفين تبكون عليه وقتيلاً بالنهروان تطلبون بثأره . فأما الباكي فخاذلٌ ، وأما

- ١ نهج : فإن مصر قد افتتحت ؛ الموقفيات : افتتحت .
- ٢ نهج : استشهد .
- ٣ م : لينتظر .
- ٤ نشر : لأقدم .
- ٥ نهج : حتى تكشف الأمور عن عواقب المساءة .
- ٦ الأسر : المصاب بمرض السرر ، وهو داء يصيب سررة البعير .
- ٧ الموقفيات : الأجر .
- ٨ الموقفيات : جُنَيْدٌ .

الطالبُ فثائرٌ ، وإن معاوية قد دعا إلى أمرٍ ليس فيه عزٌّ ولا نصَفةٌ ، فإن أردتم الموتَ رددناه إليه ، وحاكمناه إلى الله تعالى ، وإن أردتم الحياةَ قبلناه وأخذنا بالرضى . فناداه القوم البقية البقية .

٦١٦ - خطب معاوية بالمدينة فقال :

أما بعد ، فإننا قدمنا على صديقٍ مستبشر ، وعلى عدوٍّ مُستبسرٍ^١ ، وناسٍ بين ذلك ينظرون و ينتظرون ، فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يُعطوا منها إذا هم يسخطون^٢ ، ولست أسعُ^٣ الناسَ كلَّهم ، فإن تكن محمّدةً فلا بدّ من لائمةٍ ، ليكن لوماً هوناً إذا ذكر غفر ، وإياكم والعظمى التي إن ظهرت أوبقت ، وإن خفيت أوتعت^٤ .

٦١٧ - خطب معاوية^٥ بالمدينة فقال ، وكان رقي المنبر فارتج عليه ، فاستأنف فارتج عليه ، فقطع الخطبة ، وقال : سيجعل الله بعد عُسري يسراً ، وبعد عي بيانا ، وأتمم إلى أميرٍ فعّالٍ أحوجُ منكم إلى أميرٍ قوَالٍ . فبلغ كلامه عمرو بن العاص فقال : هن مخرجاتي من الشام ، استحساناً لكلامه .

٦١٦ العقد ٤ : ٨٢ ونثر الدر ٣ : ١٧ ، ٢٤ والبصائر ١ : ٢١٦ (رقم : ٦٦٤) وجمهرة خطب العرب ٢ : ١٨٣ (عن العقد) .

٦١٧ عيون الأخبار ٢ : ٢٥٦-٢٥٧ والعقد ٤ : ١٤٧ والقول فيها منسوب ليزيد بن أبي سفيان وجمهرة خطب العرب ٣ : ٣٥١ (لمعاوية) وفي أمالي المرتضى ٢ : ١٠٣ كلام مقارب منسوب إلى عثمان .

١ مستبسر : عابس (وفي البصائر : مستبسر) ؛ ر : مستبسر .

٢ نثر : لم يعطوا منها سخطوا وكذلك في ر .

٣ نثر : ولستنا نسع .

٤ في البصائر : الإيلاق : الإفساد ، والإيتاغ : أيضاً مثله في الدين .

٥ زاد في ر : أيضاً .

٦١٨ - وصعد زياد المنبر فلما حمد الله وأثنى عليه أراد الخطبة فأرتج عليه فقال : معاشر الناس إن الكلام يجيئ أحياناً وربما كُوبِرَ فَعَسَا ، وتكَلَّفَ فأبى ، والتعمل لأتية خير من التعاطي لأبئيه ^٢ ، وسأعود فأقول ؛ ثم نزل .

٦١٩ - وقدم زياد البصرة والياً لمعاوية والفسق فيها ظاهرٌ فاشٍ ، فخطب خطبةً قال فيها : الحمد لله على إفضاله ، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه ، اللهم كما زدتنا نعماً فأهملنا شكراً .

أما بعد فإن الجاهلية الجهلاء ، والضلالة العمياء ، والغبي الموفى بأهله على النار ، ما أصبح فيه ^٣ سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام ، كأنكم لم تقرأوا كتاب الله عز وجل ، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته ، في الزمن السرمدي الذي لا يزول . أتكونون كمن طرقت الدنيا عينه وسدت مسامعهُ الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ، ولا تدركون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه ، من ترككم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله ، والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر ،

٦١٨ عيون الأخبار ٢ : ٢٥٧ والعقد ٤ : ١٤٨ وبهجة المجالس ١ : ٧٤ والأخبار الموقيات : ٢٠٢-٢٠٣ وجمهرة خطب العرب ٣ : ٣٥١-٣٥٢ والكلام فيه لخالد القسري .
٦١٩ البيان ٢ : ٦١١ وعيون الأخبار ٢ : ٢٤١ والكامل للمبرد ١ : ٢٦٨ ونوادر القاضي : ١٨٥ والموقيات : ٣٠٤ والبصائر ٢ (رقم : ٧٢٩) وبهجة المجالس ١ : ٣٣٤ والجلس الصالح ٣ : ٢٥٦ ونثر الدر ٥ : ١٢ وشرح النهج ٤ : ٧٤ ، ١٦ : ٢٠٠ وتهذيب ابن عساكر ٥ : ٤١٥ وهي في المصادر التاريخية كالطبري واليعقوبي وأنساب الأشراف ، وتجيء في روايات مختلفة .

- ١ م ر والموقيات : كوثر .
- ٢ زاد في الموقيات : وقد يختلج من الجريء جنانه ، وينقطع من الذرب لسانه ، فلا يبطره القول إذا اتسع ولا يكسره النطق إذا امتنع .
- ٣ ر : ما فيه .
- ٤ م ر : تذكرون .

والعددُ غيرُ قليلٍ ؟ ألم يكنْ فيكمْ نهايةُ تمنعُ الغواةَ عن دَلَجِ الليلِ وغازةِ النهارِ ؟
قَرِيتُم القرايةَ وواعدتم الدينَ ، تعتذرون بغيرِ العذرِ ، وتُغضُّون عن المختلسِ . كلُّ
امرئٍ منكمْ يذُبُّ عن سفيهِه ، صنَعَ مَنْ لا يخافُ عاقبةً ولا يرجو معاداً . ما
أنتم بالحلَماءُ^١ ، ولقد اتبعتُم السفهاءَ ، فلم يَزَلْ بهم ما ترون من قيامِكُم دونهم
حتى انتهكوا حَرَمَ الإسلامِ ، ثم أطرقوا وراءكم كُنُوساً في مَكَائِسِ الرِّيبِ . حرامٌ
عليَّ الطعامُ والشرابُ حتى أُسويها بالأرضِ هدماً وإحراقاً . إني رأيتُ آخِرَ هذا
الأمرِ لا يصلحُ إلا بما صلحُ به أوله : لئن في غيرِ ضعيفٍ ، وشدةٌ في غيرِ عنفٍ .
وإني أقسمُ باللهِ لَأَخَذَنَّ الوليُّ بالموليِّ ، والمقيمُ بالظَّاعنِ ، والمقبلُ بالمُدبرِ ،
والصحيحُ منكم في نفسهِ بالسقيمِ ، حتى يلقي الرجلُ منكم أخاه فيقول : أنجُ
سعدُ فقد هلك سَعِيدُ ، أو تستقيمُ لي قناتُكم . إن كذبةَ المنبرِ تُلقي منشورةً^٢ ،
فإذا تعلقتم عليَّ بِكَيْدِيَّةٍ فقد حَلَّتْ لكم معصيتي : مَنْ نُقِبَ عليه فأنا ضامنٌ له ما
ذهب منه^٣ ؛ فإيَّايَ ودَلَجِ الليلِ ، فإني لا أُوتى بمُدلجٍ إلا سفكتُ دَمَهُ ، وقد
أجلتُكم في ذلك بقدرِ ما يأتي الخبرُ من الكوفةِ ويرجعُ إليكم ؛ وإيَّايَ ودعوى
الجاهليةِ فإني لا أجدُ أحداً دعا بها^٤ إلا قطعْتُ لسانَهُ . وقد أحدثتم أحداثاً لم
تكن ، وقد أحدثنا لكلِّ ذنبٍ عقوبةً : من غرَّقَ قوماً غرَّقناه ، ومَنْ أحرَقَ علي
قومٌ أحرقناه ، ومَنْ نُقِبَ علي قومٍ بيتاً نقبنا عليه قلبه^٥ ، ومَنْ نَبَشَ قبراً دفناه فيه
حياً . كفوا عني أيديكمُ وألسنتكمُ أكفَّ عنكم يدي ولساني . ولا يظهرُ من
أحدِكُم خلافٌ^٦ ما عليه عامتكمُ إلا ضربتُ عنقه . وقد كانت بيني وبين أقوامٍ

١ م : بالحكماء .

٢ العقد : إن كذبة الأمير بلقاء مشهورة .

٣ م ر : لما ذهب له .

٤ م : فإني لا أُوتى بأحدٍ ادعاها .

٥ العقد : ومن أحرَقَ قوماً .

٦ العقد : عن قلبه .

٧ العقد : ولا يظهرن من أحد منكم رية بخلاف .

إِحْنٌ فَجَعَلْتُ ذَلِكَ ذَبْرًا أُذِي وَتَحْتِ قَدَمِي ، فَمَنْ كَانَ مُحْسِنًا فَلْيَزِدْ إِحْسَانًا ، وَمَنْ كَانَ مَسِيئًا فَلْيَنْزِعْ عَنِ إِسَاءَتِهِ . إِنِّي لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدَكُمْ قَدْ قَتَلَ السُّلَّ مِنْ بَغْضِي لَمْ أَكْشِفْ لَهُ قِنَاعًا ، وَلَمْ أَهْتِكْ لَهُ سِتْرًا ، حَتَّى يُيَدِّي لِي صَفْحَتَهُ ، فَإِذَا فَعَلَ لَمْ أَنْظِرْهُ^١ . فَاسْتَأْنَفُوا أُمُورَكُمْ ، وَأَعِينُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَرَبٌّ مَبْتَسِرٌ بِقَدُومِنَا سَيْسِرٌ ، وَمَسْرُورٌ بِقَدُومِنَا سَيِّئَسٌ . أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا أَصْبَحْنَا لَكُمْ سَاسَةً وَعِنكُمْ ذَادَةً ، نَسُوسُكُمْ بِسُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَانَاهُ^٢ وَنَذُودُ عَنْكُمْ بِفِيءِ اللَّهِ الَّذِي خَوْلَنَا^٣ . فَلَنَا عَلَيْكُمْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحْبَبْنَا ، وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَدْلُ فِيمَا وَلِينَا ؛ فَاسْتَوْجِبُوا عَدْلَنَا وَفِيَانًا بِمُنَاصَحَتِكُمْ إِنِّي أَنَا . وَعَلِمُوا [أَنِّي] مَهْمَا قَصَّرْتُ عَنْهُ فَلَنْ أَقْصِرَ عَنْ ثَلَاثٍ : لَسْتُ مُحْتَجِبًا عَنْ طَالِبِ حَاجَةٍ مِنْكُمْ وَلَوْ أَنَّنِي طَارِقًا بَلِيلٍ ، وَلَا حَابِسًا عَطَاءٍ وَلَا رِزْقًا عَنِ إِتَانِهِ ، وَلَا مَجْمَرًا لَكُمْ بَعَثًا . فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِالصَّلَاحِ لِأُمَّتِكُمْ فَإِنَّهُمْ سَاسَتُكُمْ الْمُؤَدَّبُونَ ، وَكَهْفُكُمْ الَّذِي إِلَيْهِ تَأْوُونَ ، وَمَتَى يَصْلُحُوا تَصْلَحُوا ؛ وَلَا تُشْرِبُوا قُلُوبَكُمْ بُغْضَهُمْ ، فَيَشْتَدَّ لَذَلِكَ غِيْظُكُمْ ، وَيَطُولَ لَهُ حَزْنُكُمْ ، وَلَا تَدْرِكُوا حَاجَتَكُمْ ، مَعَ أَنَّهُ لَوْ اسْتُجِيبَ لَكُمْ فِيهِمْ كَانَ شَرًّا لَكُمْ . أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَعِينَكُمْ كَلًّا عَلَى كُلِّ . وَإِذَا رَأَيْتُمُونِي أَنْفَذْتُ فِيكُمْ الْأَمْرَ فَأَنْفَذُوهُ عَلَى أَدْلَالِهِ . وَابْتِئِمْ اللَّهَ ، إِنَّ لِي فِيكُمْ لَصَرْعَى كَثِيرَةً ، فَلْيَحْذَرُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ مِنْ صَرْعَائِي .

فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْأَهْتَمِ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ لَقَدْ أُوتِيَتْ الْحِكْمَةُ وَفَصَلَ الْخُطَابِ . فَقَالَ : كَذَبْتَ ذَاكَ نَبِيُّ اللَّهِ دَاوُدَ .

فَقَامَ الْأَحْنَفُ فَقَالَ : إِنَّمَا الثَّنَاءُ بَعْدَ الْبَلَاءِ ، وَالْحَمْدُ بَعْدَ الْعَطَاءِ ؛ وَإِنَّا لَا نُثْنِي

١ العقد : فعل ذلك لم أنظره .

٢ م والعقد : أعطانا .

٣ ر : خولناه .

٤ التجمير : إطالة مكث الجند في القتال .

٥ العقد : أسفكم .

حتى نبئلي ، ولا نحمدُ حتى نُعطى .

قال له زياد : صدقت .

فقام أبو بلال يهمس وهو يقول : أنبأنا الله عزَّ وجلَّ بغير ما قلتَ ، قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿وإبراهيمَ الذي وفى ، ألاَّ تزرُ وأزْرَةً وزراً أخرى ، وأنَّ ليس للإنسانِ إلاَّ ما سعى ، وأنَّ سعيه سوف يُرى ، ثم يُجزأه الجزاءُ الأوفى﴾ (النجم : ٣٧-٤١) . فسمعها زياد فقال : إنَّا لا نبلغُ ما نريدُ فيك وفي أصحابك^١ حتى نخوضَ إليكم الباطلَ خووضاً .

٦٢٠ - قيل لبعض الخطباء : لقد جَوَّدتَ في حُطْبَتِكَ . فقال : إنني عرفتُ هذا الأمرَ وعودي قريبٌ من العُلوقِ ، وطيتني قابلةٌ للطبع ، لم يعترضني شاغلُ الأزمان ، ولم يعتلقتني طارقُ الجِدثانِ ، فأنا كما قال مهديُّ ابن الملوِّح : [من الطويل]

أتاني هواها قبلَ أن أعرفَ الهوى فصادفَ قلباً فارغاً فتمكَّننا

٦٢١ - خطبة قس بن ساعدة الإيادي^٢ :

أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعُوا : إنه منَ عاش مات ، ومنَ مات فات ، وكلُّ ما هو آتٍ آت ، أقسمُ قسٌ قسماً لا كذبَ فيه ولا إثمَ : إنَّ في السماءِ لخبراً ، وإنَّ في الأرضِ لعبراً ، سقف مرفوعٌ ، ومهادٌ موضوعٌ ، وبحرٌ مسجورٌ ، ونجومٌ تسيرٌ ولا تغورُ . ما لي أرى الناسَ يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا فناموا ؟ أقسمُ بالله قسماً : إنَّ لله ديناً هو أرضى من دينِ نحن

٦٢١ العقد ٤ : ١٢٨ (باختلاف) وإعجاز القرآن للباقلاني : ٢٣٠-٢٣٢ وصبح الأعشى ١ : ٢١٢ والبيان والتبيين ١ : ٣٠٨-٣٠٩ وجمهرة خطب العرب ١ : ٣٨-٣٩ .

١ في الأصل : ما نريدُ بأصحابك .

٢ ر : خطب قس ... فقال :

عليه؛ وأراكم قد تفرقتم بأهية شتى . وإن كان الله ربَّ هذه الآلهة ، إنه ليجب أن يُعبدَ وحده . كلاًّ إنه الله الواحدُ الصمدُ ، ليس بمولودٍ ولا والد ، أعادَ وأبدى ، وإليه المعادُ غداً .

وقال^٢ : [من الكامل المجزوء]

في الذاهبينَ الأوَّليدِ سن من القرونِ لنا بصائرُ
لما رأيتُ موارداً للموت ليس لها مصادِرُ
ورأيتُ قومي نحوها يمضي الأصغرُ والأكابرُ
لا يرجعُ الماضي إليَّ حي ولا من الباقيينَ غابِرُ
أيقنتُ أنني لا محَا لَه حيث صارَ القومُ صائرُ

٦٢٢ - خطبة لجليلة بن حريث العبدي :

أبيها الناسُ ، إنما البقاءُ بعدَ الفناء ، وقد خلُقنا ولم نكُ شيئاً ، وسنعود إلى مبدانا فيما رُشداً وإما غيياً . إنَّ العواريَ اليومَ والهباتِ غداً ، لا بُدَّ من رحيلٍ عن محلِّ نازلٍ ؛ ألا وقد تقارب سلبٌ فاحشٌ وعطاء جزل ، وقد أصبحتم في محلِّ منزل لا يثبتُ فيه سرور يسرٍ ، ولا أصابه حضور عسرٍ ، ولا تطول فيه حياةٌ مرجوةٌ إلا اخترمها موت مخوف ، ولا يُوثقُ فيها بحلفٍ ماضٍ ، وأنتم أعوان الحُتوفِ على أنفسكم ، تسوقكم إلى الفناء ، فلمَ تطلبون البقاء ؟ .

٦٢٣ - خطبة للعمَّلس :

هل لكم في الكلمات : مطرٌ ونبات ، وبنونَ ونبات ، وآباءُ وأمهات ، وآياتٌ في إثرِ آيات : سماءُ مبنية ، وأرضٌ مدحجَّة ، ضوءٌ وظلام ، وليالٍ وأيام ، وسعيد وشقي ، ومُحسِنٌ ومُسي ، وفقيرٌ وغني . أين الأربابُ الفعلة ، ليجدَنَّ كلُّ

١ م : الموعد .

٢ ر : ثم قال : ...

عاملٍ عملَه ؟ أين ثمود وعاد ؛ أين الآباء والأجداد ؟ أين الخيل التي تُشكِّم ،
وأين الظلم الذي لم ينقم ؟ .

الأصل مَدْحُوَّةٌ ولكنه زَاجٍ بينها وبين مبنية وتكون مبنية من دُحِيتٌ ،
والعرب تفعل ذلك وتقول : مَجْفُوٌّ ومَجْفِيٌّ وهو مني من جَفِي .

٦٢٤ - خطبة لهاشم^١ بن عبد مناف :

خطب فقال : أيها الناسُ ، الحلمُ شرفٌ والصبرُ ظَفَرٌ ، والجرودُ سُودٌّ
والمعروفُ كثرٌ ، والجهلُ سَفَةٌ ، والعجزُ ذَلَّةٌ ، والحربُ خُدَعَةٌ ، والظفرُ دُؤْلٌ ،
والأيامُ غَيْرٌ ، والمرءُ منسوبٌ إلى فعله ومأخوذٌ بعمله ، فاصطنعوا المعروفَ
تَكسبوا الحمدَ ، واستشعروا الجِدَّ تفوزوا به ، ودعوا الفضولَ يُجانِبِكُمْ^٢
السفهاءَ ، وأكرموا المجلسَ يَعْمُرُ نادِيكُم ، وحامُوا عن الحقيقةِ يُرَغَبُ في
جوارِكُم ، وأنصفوا من أنفسِكُم يُوثَقُ^٣ بكم ، وعليكُم بمكارمِ الأخلاقِ فإنَّها
رفعةٌ ، وإياكُم والأخلاقِ الدنيَّةُ فإنَّها تَضَعُ الشرفَ وتهدمُ المجدَ ، والسلام .

٦٢٥ - خطب أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب عند تزويج رسول الله

ﷺ خديجة بنت خويلد رضي الله عنها :

الحمدُ لله الذي جعلنا من ذريةِ إبراهيمَ وزرعِ إسماعيلَ ، وجعل لنا بلداً حراماً
وبيتاً محجوجاً ، وجعلنا الحكامَ على الناسِ ، ثم إنَّ محمداً بنَ عبد الله ابنِ أخي مَنْ لا

٦٢٤ جمهرة خطب العرب ١ : ٧٥ (عن بلوغ الأرب ١ : ٣٢٢) .

٦٢٥ نثر الدر ١ : ٣٩٦ والمتنظم لابن الجوزي (دار الكتب العلمية) ٢ : ٣١٥ (مع اختلاف في
الرواية) وصبح الأعشى ١ : ٢١٣ وإعجاز القرآن للباقلاني : ٢٣٤ وجمهرة خطب العرب
١ : ٧٧ .

١ ر : خطبة هاشم .

٢ م : تجانبِكُم .

٣ ر : يرفق .

يوازنُ به فتىً من قريشٍ إلا رجح به برّاً وفضلاً ، وكرماً وعقلاً ، ومجداً ونبلاً ، وإن كان في المال قُلٌّ فإنَّ المالَ ظلٌّ زائلٌ وعاريةٌ مسترجعةٌ ، وله في خديجة ابنة خويلد رغبةٌ ، ولها فيه مثل ذلك ، وما أحببتم من الصّدّاقِ فعليّ .

٦٢٦ - خطبة النبي ﷺ وخبر تزويج فاطمة عليها السلام :

روي عن أنس أنه^١ قال : بينا أنا مع رسول الله ﷺ إذ غشيه الوحي ، فمكث^٢ هنيهةً ثم أفاق فقال لي : يا أنسُ أتدري ما جاءني به جبريل من عند صاحب العرش عز وجلّ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : إن ربي تعالى أمرني أن أزوّجَ فاطمةَ من عليّ بن أبي طالب عليهما السلام . انطلق ادعُ لي أبا بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وطلحةَ والزبيرَ وعدّتهم من الأنصار ، فانطلقت فدعوتهم ، فلما أخذوا مقاعدهم قال النبي ﷺ :

الحمدُ لله المحمودِ بنعمته ، المعبودِ بقدرته ، المرهوبِ من عذابه ، المرغوبِ في ما عنده ، النافذِ أمره في سمائه وأرضه ، الذي خلق الخلق بقدرته ، وميّزهم بأحكامه ، وأعزهم بدينه ، وأكرمهم بنبيّه ﷺ . ثم إن الله تعالى جعل المصاهرة نسباً لاحقاً وأمرأً مفترضاً ، وشجّ به الأرحام ، وألزمه الأنام ، قال الله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ، وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ (الفرقان : ٥٤) . فأمر الله يجري إلى قضائه ، وقضاؤه يجري إلى قدره ، ولكلّ قضاءٍ قدرٌ ، ولكلّ قدرٍ أجلٌ ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (الرعد ٣٩) ثم إن ربي تعالى أمرني أن أزوّجَ فاطمةَ من عليّ بن أبي طالب ، وقد زوجتها إياه على أربعمائة مثقالٍ من فضةٍ إن رضيَ بذلك عليّ .

٦٢٦ الخطبة وحدها في جمهرة خطب العرب ٣ : ٣٤٤-٣٤٥ .

١ أنه : سقطت من ر .

٢ فمكث : سقطت من م .

وكان النبي ﷺ قد بعث علياً في حاجة ، ثم إنه دعا بطبق من بُرٍّ ، فوضعه بين أيدينا ثم قال : انتهبوا ؛ فبينما نحن ننتهب إذ دخل عليٌّ ، فتبسم النبي ﷺ في وجهه ، ثم قال : يا عليُّ إنَّ ربِّي عزَّ وجلَّ قد أمرني أن أزوجك فاطمةً ، وقد زوجتك إياها على أربعمئة مثقال فضةٍ إن رضيت يا عليٌّ . قال : رضيتُ يا رسولَ الله . ثم إنَّ علياً خرَّ ساجداً شكراً لله تعالى ، فلما رفع رأسه ، قال رسول الله ﷺ : بارك الله عليكما وبارك فيكما ، وأسعدَ جدُّكما ، وأخرج منكما الكثيرَ الطيبَ ؛ قال أنس : فوالله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيب .

٦٢٧ - خطبة علي عليه السلام حين تزوج فاطمة عليها السلام :

الحمد لله الذي قَرَّبَ من حامديه ، ودنا من سائليه ، ووعَدَ الجنةَ مَنْ يتَّقِيه ، وقطَعَ بالنارِ عُذْرَ مَنْ يعصيه ، أحمدهُ بجميعِ محامده وأياديه ، وأشكرُهُ شكرَ مَنْ يعلم أنه خالقه وباريه ، ومصورهُ ومنشيه ، ومميتُهُ ومُحييه ، ومقرَّبُهُ ومنجيه ، ومُثَبِّئُهُ ومجازيه ، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له ، شهادةً تبلغُهُ وترضيه ، وأشهدُ أنَّ محمداً ﷺ عبدهُ ورسولهُ ، صلاةً تزلفُهُ وتُدِينِيه ، وتُعزِّزُهُ وتُعلِيه ، وتُشرفُهُ وتُجَنِّبِيه . أما بعد ، فإنَّ اجتماعنا مما قَدَّرَهُ اللهُ ورَضِيَهُ ، والنكاح مما أمر اللهُ به وأذِنَ فيه ، وهذا محمد ﷺ قد زوجني فاطمة ابنته على صداقٍ مبلغه أربعمئة وثمانون درهماً ، ورضيتُ به فأسألوه ، وكفى بالله شهيداً .

٦٢٨ - قيل لما بلغ فاطمة عليها السلام ما أُجمِعُ عليه من مَنَعِهَا فَدَكَأَ لَأَثَ خِمَارَهَا على رأسها ، واشتملت بجلبابها ، وأقبلت في لُمةٍ من حَفَدَتِهَا ونساء قومها تطأُ ذيوها ، ما تَحْرِمُ مِشِيَّتَهَا مِشِيَةَ رسولِ اللهِ ﷺ ، حتى دخلت على أبي

٦٢٧ جمهرة خطب العرب ٣ : ٣٤٥ .

٦٢٨ بلاغات النساء ١٦ : ٤ : ٨ .

١ م ر : قال النبي .

٢ ر : مما قدر الله .

بكرٍ وهو في حَشْدٍ من المهاجرين والأنصار ، رضي الله عنهم أجمعين ، وغيرهم ، فنيطتٌ دونها ملاءةٌ ، ثم أنتتٌ أنَّهُ أجْهَشَ لها القومُ بالبكاء وارتجَّ المجلسُ ، ثم أمهلتٌ هنيهةً^١ حتى إذا سكن نشيجُ القومِ وهدأت فورتهم افتتحت كلامها بحمدِ الله والثناء عليه والصلاة على رسولِ الله^٢ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم قالت : ﴿لقد جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة : ١٢٨) . فإن تعرفوه تجدوه أبي دون آبائكم وأخا ابن عمي دون رجالكم ، فبلغ الرسالة صادعاً بالندارة بالغاً بالرسالة ، مائلاً عن سننِ المشركين ، ضارباً لثبجهم^٣ ، يدعو إلى سبيلِ رَبِّهِ بالحكمة والموعظة الحسنة ، آخذاً بأكظامِ المشركين ، يهشمُ الأصنامَ وَيَفْلِقُ الهَامَ ، حتى انهزم الجمعُ وولَّوْا الدُّبْرَ ، وحتى تفرَّي الليل عن ضبحه ، وأسفر الحقُّ عن محضه ، ونطق زعيمُ الدين ، وخرستْ شقاشيقُ الشياطين^٤ ، وتمت كلمةُ الإخلاص ، وكنتم على شفا حفرة من النار ، نهزة الطامع ، ومذقة الشارب ، وقبسة العجلان ، وموطىء الأقدام ، تشربون الطَّرْقَ وتقتاتون القَدَّ ، أذلة خاسئين ، تخافون أن يتخطفكم الناسُ من حولكم ، حتى أنقذكم اللهُ تعالى برسوله ﷺ ، بعد اللَّتْيَا والتي ، وبعد أن مُنيَ بِهِمُ الرجال وذوئانِ العربِ ومردة أهل الكتاب ، كلما أوقدوا ناراً للحربِ أطفأها اللهُ ، أو نجم قرنُ الشيطان^٥ ، أو فغرت فاعرةٌ للمشركين قذف أخاه في لهواتها ، فلا ينكفي حتى يطاء صمأخها بأحمصه ، ويطفيء عاديةً لهبها بسيفه ، - (أو قالت : يخمد لهبها بجدّه) - مكدوداً في ذات الله تعالى ، وأنتم في رفاهية

١ نثر : هنية .

٢ ر : رسوله .

٣ م : عليه وآله .

٤ بلاغات : على مدرجة .

٥ نثر : الشيطان .

٦ بلاغات : الورق .

٧ بلاغات : الضلال .

فاكهون^١ آمنون وادعون^٢ ، حتى إذا اختار الله لنبِيِّهِ ﷺ دارَ أنبيائه ، ظهرت حَسَكَةُ^٣ النفاق ، وَسَمَلَ جلابُ الدين ، ونطقَ كاظمُ الغاوين ، ونبغَ حاملُ الآفلين^٤ ، وهدرَ فنيقُ المبطلين ، فخطرَ في عَرَصَاتِكُمْ ، وأطَع الشيطانَ رأسَهُ صارخاً بكم ، فدعَاكم فألْفَاكم لدعوته^٥ مستجيبين ، وللغرةِ ملاحظين ، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً ، وأحمشكم فألْفَاكم غضاباً ، فوسمتم غيرَ إيلِكُمْ ، وأوردتم غيرَ شِرْبِكُمْ ؛ هذا والعهدُ قريبٌ ، والكلمُ رحيبٌ ، والجرحُ لَمَّا يندمِلُ . بماذا زعمتم : خوفُ الفتنة ؟ ألا في الفتنة سقطوا ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (التوبة : ٤٩ ، العنكبوت : ٥٤) . فهيهات منكم وأنى بكم وأنى تؤفكون ، وكتاب الله تعالى بين أظهركم ، زواجِرُهُ بيِّنَةٌ ، وشواهدُهُ لائحةٌ ، وأوامِرُهُ واضحةٌ ، أرغَبَةٌ عنه تريدون أم بغيره تحكمون ؟ ﴿ بئسَ للظالمينَ بَدَلًا ﴾ (الكهف : ٥٠) ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران : ٨٥) . ثم لم تلبثوا إلا ريثَ أن تسكنَ نفسٌ نغرتها ، تُسروْنَ حَسَوًا في ارتغاء^٦ ، ونصبر منكم على مثلِ حزِّ المَدَى ، وأنتم الآن تزعمون ألا إرثَ لنا ، أفحكَمَ الجاهلية تبغون ؟ ومن أحسنُ من الله حُكْمًا لقوم يوقنون^٧ ؟ إبهأ معشرَ المسلمة المهاجرة ، ألبتَّ إرثَ أبي ؟ ! أباي الله ؛ أفي الكتاب يا ابنَ أبي قحافة أن ترثَ أباك ولا أَرثُ أبي ؟ لقد جئتَ شيئاً فَرِيًّا . فدونها مخطومةٌ مرحولة تلقاك يومَ حشرِك ، فنعم الحُكَمُ اللهُ ، والزعيمُ محمدٌ ﷺ ،

١ نثر : فكهون .

٢ بلاغات : وأنتم في بلهنية وادعون آمنون .

٣ بلاغات : خلة .

٤ نثر : الأفلين .

٥ الفنيق : الفحل من الإبل .

٦ لدعوته : سقطت من ر .

٧ تسرون حسوا في ارتغاء ، هذا مثل ، يعني أنكم تظهرون غير ما تبطنون .

٨ انظر سورة المائدة : ٥٠ .

والموعِدُ القيامة ، وعند الله يُحْشَرُ المِبتلون ، ولكل نَبَأٍ مُستقرٍّ ، وسوف تعلمون .
ثم انكفأت على قبر أبيها ﷺ وقالت : [من البسيط]

قد كان بعدك أنباءٌ وهنئةٌ^١ ولو كنتَ شاهدَها لم تكثُرِ الخُطبُ
إنا فقدناكَ فَقَدَ الأرضِ وإبلِهاً واختلَّ أهلك فاحضرهم ولا تغب

وذكر أنها لما فرغت من كلام أبي بكر رضي الله عنه والمهاجرين عدلت إلى مجلس الأنصار فقالت : يا معشر الفِئَةِ ، وأعضاءِ المِلَّةِ ، وحَضَنَةِ الإسلام ، ما هذه الفترة في حَقِّي والسُنَّةِ في ظِلَامَتِي ؟ أما كان لرسول الله ﷺ أن يُحَفِّظَ في وليه ؟ لسرعان ما أحدثتم ، وعجلانَ ذا إهالة^٢ ؟ أنقولون مات محمد ﷺ فخُطبٌ جليل استوسع وهِيه ، واستنهر^٣ فتقه ، وفقد راتقه ، وأظلمت الأرضُ لغيبته ، واكتأبت خيرةُ الله لمصيبته ، وخشعت الجبالُ ، وأكذت الآمالُ ، وأضيع الحريمُ ، وأذيلت الحرمةُ عند ممانته ﷺ ، وتلك نازلةُ أعلن^٤ بها كتابُ الله تعالى في فتنتكم^٥ ، في ممساكم ومصبحكم ، تهتف في أسماعكم ، ولقَبَلَهُ ما حَلَّتْ بأَنْبياءِ الله ورسله صَلَّى اللهُ عليه وعليهم ، ﴿ وما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وسيجزى الله الشاكرين ﴾ (آل عمران : ١٤٤) . إيها بني قَيْلَةَ ، أأهْتَضَمُ تُراثَ أَيْبَةٍ وأنتم بمرأى مني ومسمعٍ ، تَلْبَسُكُمْ الدعوةُ ، وتشملكم الحيرةُ ، وفيكم العددُ والعُدَّةُ ، ولكم الدارُ وعندكم الجُنُنُ ، وأنتم الألى ، نخبةُ الله التي انتخبَ لدينه ، وأنصارُ رسوله صَلَّى اللهُ عليه ، وأهلُ الإسلامِ ، والخيرةُ التي

١ الهنئة : الاختلاط في الكلام .

٢ بلاغات : وحصون .

٣ عجلانَ ذا إهالة : مثل يضرب للشيء يأتي قبل أوانه .

٤ م : واشتهر ؛ واستنهر : اتسع .

٥ نثر : علق .

٦ نثر : أفنيتكم .

اختار الله تعالى لنا أهل البيت ، فباذتم العرب ، وناهضتم الأمم ، وكافحتم البهيم ، لا نبرحُ نأمرُكم فتأتمرون ، حتى دارت لكم بنا رحى الإسلام ، ودرَّ حَلْبُ الأيام ، وخضعت نُعْرَةُ الشرك ، وباختَ نيران الحرب ، وهدأت دعوة المرح ، واستوسق^٢ نظام الدين ، فأتى جُرْتُم بعد البيان ، ونكصتم بعد الإقدام ، وأسرتكم بعد الإعلان^٣ ، لقومٍ نكثوا أيمانهم ؟ أتخشونهم ؟ فالله أحقُّ أن تَخْشَوْهُ إن كنتم مؤمنين^٤ . ألا قد أرى أنَّ قد أَخْلَدْتُمْ إلى الخفض ، وركنتم إلى الدَّعة ، فعجتم عن الدين ، ومحجَّجْكُمْ التي وعيتم ، ولفظتم التي سوَّغتم . ﴿ وإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد ﴾ (ابراهيم : ٨) . ألا وقد قلت الذي قلته على معرفة مني بالخذلان الذي خامرَ صدوركم ، واستشعرته قلوبكم ، ولكن قلته فيضنة النفس ، ونفثة الغيظ ، وثنة الصدر ، ومعدرة الحجة . فدونكموها فاحتقبوها مُدْبِرَةَ الظَّهْرِ ، ناقبة الخف ، باقية العار ، موسومة بشنار الأبد ، موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة ، فبعين الله ما تفعلون ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (الشعراء : ٢٢٧) ، وأنا ابنة ﴿ نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد ﴾ (سبأ : ٤٦) ، فاعملوا ﴿ إِنَّا عَامِلُونَ ﴾ وانتظروا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿ (هود : ١٢١-١٢٢) .

٦٢٩ - بلغ عائشة رضي الله عنها أن ناساً يتناولون أبا بكر الصديق رضي

٦٢٩ بلاغات النساء : ٣-٦ ونثر الدر : ٤ : ١٧ والعقد : ٤ : ٢٦٢ وعيون الأخبار : ٢ : ٣١٣ ونهاية الأرب : ٧ : ٢٣٠ وشرح خطبة عائشة لابن الأنباري : ٢٠ .

- ١ م : وخبت .
- ٢ م : واستوتق .
- ٣ نثر : التبيان .
- ٤ انظر سورة التوبة : ١٣ .

الله عنه ، فأرسلت إلى أَرْفَلَةَ^١ من الناس ، فلما حضروا سدلت^٢ أَسْتَارَهَا ، وَعَلَتْ
وَسَادَهَا ، ثم دنت فحمدتُ الله عزَّ وجلَّ وأثنت عليه وصلَّتُ على نبيِّه صَلَّى اللهُ
عليه وعذلت وقرَّعت وقالت : أبي وما أبي^٣ ! أبي والله لا تَعْطُوهُ الأيدي ، ذاك
طودٌ منيفٌ وظلٌّ مديد ، هيهات هيهات ، كذبتِ الظنون ، أنجَحَ والله إذ
أكدتيم وسبق إذ ونيتم : [من البسيط]

سَبَقَ الجوادِ إذا استولى على الأمدِ

فتى قريش ناشئاً ، وكهفها كهلاً ، يَرِيشُ مُمْلِقَهَا ، وَيُفِكُّ عَانِيَهَا ، وَيَرَأُبُ
شَعْبَهَا^٤ ، حتى حلَّته قلوبها ، ثم استشرى في دينه ، فما بَرِحَتْ شَكِيمَتُهُ في
ذات الله حتى بنى^٥ بِنَائِهِ مسجداً يحيي فيه ما أمات المبطون . وكان رحمة الله
عليه^٦ غزيرَ الدمعة وقيذَ الجوانح شجيَّ النسيج ، فانقضت^٧ إليه نسوانُ مكة
وولدائها يسخرون منه ويستهنئون به ، ﴿والله يستهزئُ بهم ويمدهمُ في
طغيانِهِم يعمهون﴾ (البقرة : ١٥) . وأكبرت ذلك رجالاتُ قريش ، فَحَنَّتْ
له قَسِيهَا ، وفوّقت له سهامها ، وانتلوه^٨ غَرَضاً ، فما فَلُّوا له صفاةً ولا
قَصْفُوا له قناةً ، ومرَّ على سبسانه^٩ ، حتى إذا ضرب الدينُ بجرانِهِ ، وألقى

-
- ١ أَرْفَلَة : جماعة .
 - ٢ م ونثر : أسدلت .
 - ٣ م ونثر : وما أبيه .
 - ٤ بلاغات : حصن .
 - ٥ عجز بيت للنايعة وصدرة : إلا لملك أو من أنت سابقه .
 - ٦ بلاغات : صدعها ؛ نثر : ويلم شعنها .
 - ٧ م وبلاغات ونثر : اتخذ .
 - ٨ ر : رحمه الله .
 - ٩ بلاغات : فانصفت ؛ نثر : فانقضت .
 - ١٠ انتلوه : جعلوه هدفاً لسهامهم ؛ وفي نثر الدر : وامتلوه .
 - ١١ مرَّ على سبسانه : جرى على سجيته وطبعه .

بِرَّكَهٗ^١ ، وَرَسَتْ أَوْتَادُهُ ، وَدَخَلَ النَّاسَ فِيهِ أَفْوَاجًا ، وَمِنْ كُلِّ شِرْعَةٍ أَشْتَاتًا
وَأَرْسَالًا ، اخْتَارَ اللَّهُ جَلَّ اسْمُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ مَا عِنْدَهُ . فَلَمَّا قَبِضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
رَسُولَهُ ﷺ ضَرَبَ الشَّيْطَانُ بِرِوَاقِهِ ، وَمَدَّ طُنْبَهُ ، وَنَصَبَ حَبَائِلَهُ ، وَأَجْلَبَ
بِخَيْلِهِ وَرَجَلِهِ ، وَاضْطَرَبَ حَبْلُ الْإِسْلَامِ ، وَمَرَجَ عَهْدُهُ ، وَمَا جَ أَهْلُهُ ، وَبَغِي
الْغَوَائِلُ ، وَظَنَّتْ رِجَالٌ أَنْ قَدْ أَكْثَبَتْ نُهْزَتَهَا ، وَلَاتَ حِينَ الَّذِي يَرْجُونَ ،
وَأَنْتَى وَالصَّدِيقُ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ . فَقَامَ حَاسِرًا مَشْمَرًا ، قَدْ جَمَعَ بَيْنَ حَاشِيَتَيْهِ ،
وَرَفَعَ قَطْرِيهِ ، فَرَدَّ نَشْرَ الدِّينِ عَلَى غِرِّهِ ، وَلَمْ شَعْنَهُ بِطَيْبِهِ ، وَأَقَامَ أَوْدَهُ بِثِقَافِهِ ،
فَامَذَقَ النِّفَاقَ بِوَطْئِهِ ، وَانْتَاشَ الدِّينَ فَنَعَشَهُ . فَلَمَّا أَرَاكَ الْحَقُّ عَلَى أَهْلِهِ ، وَأَقْرَّ
الرُّؤُوسَ عَلَى كَوَاهِلِهَا ، وَحَقَّنَ الدَّمَاءَ فِي أَهْبُهَا ، حَضَرَتْهُ مَنِيَّتُهُ ، نَضَّرَ اللَّهُ
وَجْهَهُ ، فَسَدَّ ثَلَمَهُ بِنَظِيرِهِ فِي الرَّحْمَةِ^٢ ، وَمَقْتَفِيهِ فِي السَّيْرَةِ وَالْمَعْدَلَةِ ، ذَاكَ
عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، اللَّهُ أُمَّ حَمَلَتْ بِهِ وَدَرَّتْ عَلَيْهِ لَقَدْ أَوْحَدَتْ . فَشَرَّدَ الشَّرْكَ
شَدْرَ مَذْرٍ ، وَبَخَعَ الْأَرْضَ وَنَخَعَهَا ، (يُقَالُ : بَخَعَ نَفْسَهُ قَتْلَهَا غَمًّا وَالنَّخَعَ أَنْ
يَجُوزَ بِالذَّبْحِ إِلَى النَّخَاعِ ، وَفِي الْحَدِيثِ أَنْ أَنْخَعَ الْأَسْمَاءُ أَيَّ أَقْتَلَهَا لِصَاحِبِهِ ،
وَالنَّخَاعُ الْعَالَمُ) فَقَاءَتْ أَكْلَهَا ، وَلَفْظَتْ خَبِيئَتَهَا ، تَرَامَهُ وَيَصِدُّ عَنْهَا ، وَتَصَدَّقَى
لَهُ وَيَأْبَاهَا . ثُمَّ وَرَعَ فِيهَا ، وَوَدَّعَهَا كَمَا صَحَبَهَا . فَأَرُونِي مَاذَا تَرُونَ^٣ ، وَأَيُّ
يَوْمِي أَبِي تَنْقَمُونَ ؟ أَيُّوْمَ إِقَامَتِهِ إِذْ عَدَلَ فِيكُمْ ، أَوْ يَوْمَ ظَعْنِهِ إِذْ نَظَرَ لَكُمْ .
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .

٦٣٠ - ولما قتل عثمان أمير المؤمنين قالت عائشة رضي الله عنها : قتل ؟ !

قالوا : نعم ، قالت : فرحمه الله وغفر له ؛ أما والله لقد كنتم إلى تسديد الحقِّ

٦٣٠ بلاغات النساء : ١٤-١٥ (مع حذف أجزاء هنا) ونثر الدر : ٤ : ٢٤ .

١ البرك من البعير : صدره .

٢ بلاغات : بشقيقه في الرحمة .

٣ بلاغات : تترأون .

وتأييده ، وإعزاز الإسلام وتأكيده ، أحوج منكم إلى ما نهضتم إليه من طاعة من خالف عليه ، ولكن كلما زادكم الله تعالى نعمةً في دينكم ازددتمُ ثقلاً في نصرته طمعاً في دنياكم . أما والله لهدمُ النعمة أيسرُ من بنائها ، وما أردناه إليكم بالشكر بأسرع من زوالِ النعمة عنكم بالكفر ؛ وإيم الله ، ولن كان أفنى أكله واخترم أجله ، لقد كان عند رسول الله ﷺ كذراع البكر الأزهر ؛ ولن كانت الإبلُ أكلت أوبارها إنه لصهرُ رسولِ الله ﷺ ، ولن كان بركَ الدهرُ عليه بزورِهِ ، وأناخ عليه بكلكلِهِ ، إنها لنوائبُ تترى تلعبُ بأهلها وهي جادةٌ ، وتجدُّ بهم وهي لاعبةٌ ؛ أما والله لقد حاطَ الإسلامَ وكنفه ، وعَضَدَ الدينَ وأيدَه ، ولقد هدم الله به صياصي الكفر ، وقطع به دابرَ المشركين ، وقلمَ به أركانَ الضلالة . فله تعالى المصيبةُ به ما أفجعها ، والفجعةُ ما أوجعها ، صدغَ الله بمقتله صفاةً القلوب في الدين^٢ ، وشملت مصيبته ذروة الإسلام .

٦٣١ - قيل لما قتل الحسين بن علي عليهما السلام وجهُ ابنُ زيادٍ رأسه والنسوة إلى يزيد فأمر^٣ أن يحضر رأس الحسين في طستٍ ، وجعل ينكتُ ثناياه بقضيبٍ وينشد : [من الرمل]

ليت أشياخي بيدٍ شهدوا جَزَعَ الخزرج من وَقَعِ الأَسْلُ

(الآبيات المعروفة^٥ وقاتلها عبدالله بن الزبير السهمي) .

قالت زينب بنت علي : صدق الله ورسوله يا يزيد : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ

٦٣١ بلاغات النساء : ٢٥-٢٧ ونثر الدر : ٤ : ٢٦ .

- ١ نثر : ووقم .
- ٢ نثر : صفاة الدين .
- ٣ م ووجه . . . أمر .
- ٤ الشطر الثاني لم يرد في م .
- ٥ م : والآبيات معروفة .

أَسَاؤِ السُّوءِ أَنْ كَذَبُوا بآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿الرُّومُ : ١٠﴾ .
أظننت يا يزيد حين أخذ علينا بأطراف الأرض وأكناف السماء فأصبحنا نُساقُ
كما تُساقُ الأسارى أن بنا هواناً على الله وبك عليه كرامة ، وأن هذا لعظمَ خطركَ
فشمخت بأنفك ، ونظرت في عطفك ، جذلان فرحاً حين رأيت الدنيا مستوسقةً
لك ، والأمور متسقةً عليك ، وقد مهَّلت ونفست وهو قول الله تبارك وتعالى :
﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ
لِيَزِدُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (آل عمران : ١٧٨) . أمِنَ العدل يا ابن الطلقاء
تخديركَ نساءك وإماءك ، وسوقك بنات رسول الله ﷺ قد هتكت ستورهنَّ ،
وهنَّ مكشياتُ ، تخدي بهنَّ الأباغر ، وتحذو بهنَّ الأعادي من بلدٍ إلى بلدٍ ، لا
يراقبنَ ولا يُؤوينَ ، يتشوقهنَّ القريب والبعيد ، ليس معهن وليٌّ من رجاهنَّ ؟
وكيف يُستبطنُ في بغضتينا من نظر إلينا بعين الشنّف والشنان ، والإحن
والأضغان ؟ أتقول : ليت أشياخي بيدر شهدوا ، غير متأثم ولا مستعظم وأنت
تنكثُ ثنايا أبي عبد الله بمخصرتك ؟ ولم لا تكون كذلك وقد نكأت القرحة
واستأصلت الشافة ، بإهراقك دماء ذرية محمد ﷺ ونجوم الأرض من آل عبد
المطلب ؟ ! ولتردّدن على الله وشيكاً موردهم ولتوددن أنك عميت وبكمت ولم
تقل : لأهلوا واستهلوا فرحاً .

اللهم خذ لنا بحقنا ، وانتقم لنا ممن ظلمنا . والله ما فرّيت إلا في جلدك ، ولا
حزرت إلا في لحمك ، وسترد على رسول الله ﷺ برغمك ، وعيرته ولحمته في
حظيرة القدس يوم يجمع الله شملهم ملمومين من الشعث ، وهو قول الله تعالى :
﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أحياءٌ عند ربهم يُرزقونَ ،
فَرِحِينَ﴾ (آل عمران : ١٦٩-١٧٠) . وسيعلم من بوأك ومكّنك من رقاب

١ م : أحد .

٢ عجز البيت : ثم قالوا يا يزيد لا فشل ..

المؤمنين إذا كان الحاكم^١ الله تعالى والخصم محمد^ﷺ ، وجوارحك شاهدة عليك ، فبئس للظالمين بدلاً ، وأيكم شر مكاناً وأضعفُ جنداً^٢ ، مع أني والله يا عدو الله وابنَ عدوه أستصغر^٣ قَدْرَكَ ، وأستعظم تقريعَكَ ، غيرَ أنَّ العيونَ عَبْرَى ، والصدورَ حَرَى ، وما يجزي ذلك أو يغني عنَّا . وقد قَتَلَ الحسينَ عليه السلام حزبُ الشيطان تقريباً إلى حزبِ السفهاء ليُعْطُوهم أموالَ الله تعالى على انتهاك محارمِ الله . فهذه الأيدي تنطفُ من دمائنا ، وهذه الأفواه تتحلَّبُ من لحومنا ، وتلك الجثثُ الزواكي تقتاتها غيلانُ الفلوات . فلئن اتَّخَذْتَنَا مَغْنَمًا لتتخذنكَ مَغْرَمًا حين لا تجدُ إلا ما قَدَمْتُ يداك ، تستصرخُ بابتِ مرجانةٍ ويستصرخُ بك ، وتتقاضى^٤ عند الميزان ، وقد وجدتَ أفضلَ زادٍ زَوَدَكَ معاويةَ قَتْلَكَ ذريةَ محمدٍ ﷺ ؛ فوالله ما اتقيتُ غيرَ الله ، ولا شكوايَ إلا إلى الله ، فَكَيْدُ كَيْدِكَ ، واسعَ سَعِيكَ ، وناصبُ جَهْدِكَ ، فوالله لا يُرْحَضُ عنك عار ما أتيتَ إلينا أبداً . والحمد لله الذي ختم بالسعادة والمغفرة لساداتِ شبانِ الجنان ، وأوجبَ لهم الجنةَ . أسأل الله أن يرفعَ لهم الدرجات ، وأن يُوجبَ لهم المزيدَ من فضله فإنه وليُّ قدير .

٦٣٢ - وقال بعضهم : رأيتُ أمَّ كلثومَ بنتَ عليٍّ عليه السلام بالكوفة ، ولم أرَ خَفيَةً والله أنطقَ منها كأنها تنطقُ على لسانِ أميرِ المؤمنين ، وقد أومأتُ إلى الناسِ وهم يبيكونَ على الحسينِ أن اسكُتوا ، فلما سَكَنتُ فَوَرَّتُهُمْ وَهَدَّاتُ الأجراسِ قالت : أبداً بحمدِ الله والصلاةِ على نبيِّه ﷺ . أما بعد ، يا أهلَ الكوفةِ ،

٦٣٢ بلاغات النساء : ٢٧-٢٩ ونثر الدر : ٤ : ٢٩-٣١ .

- ١ بلاغات : الحكم .
- ٢ انظر الكهف : ٥٠ ومريم : ٧٥ .
- ٣ م : لأستصغرن .
- ٤ نثر : عسلان الفلوات (أي ذئابها) .
- ٥ بلاغات ونثر : وتتعاوى وأتباعك عند الميزان .
- ٦ م : شباب .

يا أهل الخنتر والخذل والخنل ، ألا فلا رقات العيرة ، ولا هدات الرنة ، إنما مثلكم كمثل التي ﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَخَذُونَ آيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ (النحل : ٩٢) . ألا وهل فيكم إلا الصلف والشنف وملق الإماء وغمز الأعداء ؟ وهل أنتم إلا كمرعى على دمنة أو كقصعة على ملحودة ؟ ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم : أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون^١ . أتبكون ؟ إي والله ، فابكوا ، فإنكم والله أحرىء بالبكاء ، فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً ، فقد فزتم بعاريها وشارها ، ولن ترخصوها بغسل بعدها أبداً . وأنى ترحزون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة ، وسيد شباب أهل الجنة ، ومنار محججكم ومدره حجتكم ، ومفرع نازلتكم ؟ فتعساً ونكساً ، لقد خاب السعي ، وخسرت الصفة ، وبوئتم بغضب من الله وضربت عليكم الذلة والمسكنة . ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا﴾ (مريم : ٨٩-٩٠) . أتدرون أي كبد^٢ لرسول الله ﷺ فرئتم ؟ وأي كريمة له أبرزتم ؟ وأي دم له سفكتم ؟ لقد جئتم بها شوءاء خرقاء طلاع^٣ الأرض والسماء . أفعجبتهم أن قطرت دماً ؟ ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ (فصلت : ١٦) . فلا يستخفنكم المهل ، فإنه لا تحفزه المبادرة ، ولا يخاف عليه فوت الثأر . كلا إن ربك لنا ولهم ولكم بالمرصاد .

ثم ولت عنهم فتركت الناس حيارى وقد ردوا أيديهم إلى أفواههم . ورأيت شيخاً كبيراً من بني جعفر وقد اخضلت لحيته من دموع عينيه ، وهو يقول بصوت حزين : [من الطويل]

-
- ١ م ونثر : كفضة .
 - ٢ انظر سورة المائدة : ٨٠ .
 - ٣ م : كيد .
 - ٤ بلاغات : شرها طلاع .

كهولهم خير الكهول ونسلهم إذا عدّ نسل لا يبور ولا يخزى

٦٣٣ - خطبت حفصة بنت عمر رضوان الله عليها فقالت :

الحمد لله الذي لا نظير له ، الفرد الذي لا شريك له . وأما بعد : فكلُّ العَجَبِ من قومِ زَيْنَ لهم الشيطانُ أفعالهم^١ وارعوى إلى صنيعهم ، ودبَّ إلى الفتنة لهم ، ونصبَ حبايلَهُ فختلَهُم ، حتى همَّ عدوُّ الله بإحياءِ البدعةِ ونشرَ^٢ الفتنة ، وتجديدِ الجورِ بعدِ ذُرُوسِهِ ، وإظهاره بعدِ دُثورِهِ ، وإراقةِ الدماءِ ، وإباحةِ الحمى ، وانتهاكِ محارِمِ الله عزَّ وجلَّ بعدِ تحصينها ، فتضرمَّ^٣ وهاج وتوغَّرَ وثار غضباً لله عزَّ وجلَّ ونصرةً لدينِ الله ، فَحَسَأُ الشيطانَ ووقَمَ كيدَهُ ، وكفَّ إرادتَهُ ، وقَدَعَ محتَتَهُ ، وأصعرَ خدَّهُ ، لسبقه إلى مشايعةِ أولى الناسِ بخلافةِ رسولِ الله ﷺ ، الماضي على سنته ، المقتدي بدينه ، المقتصر لأثره ، فلم يزلْ سراجُهُ زاهراً ، وضوؤه لامعاً ، ونوره ساطعاً ، له من الأفعالِ الغرُّ ، ومن الآراءِ المُصاصُ ، ومن التقدُّمِ في طاعةِ الله تعالى البابُ ، إلى أن قبضه الله تعالى إليه ، قالياً لما خرج منه ، شائئاً لما ترك^٤ من أمره ، شنفاً لما كان فيه ، صبياً إلى ما صار إليه ، وائلاً إلى ما دعي إليه ، عاشقاً لما هو فيه . فلما صار إلى التي وصفتُ ، وعانٍ ما ذكرت ، أوماً بها إلى أخيه في المعدلة ، ونظيره في السيرة ، وشقيقه في الديانة ؛ ولو كان غيرَ الله سبحانه أراد لأماها إلى ابنه ، ولصيرها في عقبه ، ولم

٦٣٣ بلاغات النساء : ٣٠-٣٢ ونثر الدر : ٤ : ٣١-٣٣ .

- ١ م : أعمالهم .
- ٢ بلاغات ونثر : ونيش .
- ٣ بلاغات : فأضرى .
- ٤ نثر : فأحسأ .
- ٥ المصاص : الخالص .
- ٦ نثر : نزل .

يخرجها من ذريته . فأخذها بحقها ، وقام فيها بقسطها ، لم يؤدِّه ثقلاً ، ولم يَهْطُه حفظها ، مشرداً للكفر عن موطنه ، وناشراً له عن وكره ، ومشيراً له عن مَجْتَمِعه ، حتى فتح الله عزَّ وجلَّ على يديه أقطار البلاد ، ونصرُ الله يقْدُمه ، وملائكتهُ تكْنُفه ، وهو بالله تعالى معتصمٌ وعليه متوكِّل ، حتى تأكَّدتْ عُرَى الحقِّ عليكم عقداً ، واضمحلَّت عُرَى الباطل عنكم حلاً ، نوره في الدُّجَنَاتِ ساطع ، وضوؤه في الظلماتِ لامع ، قالياً للدينا إذ عرفها ، لافظاً لها إذ عَجَمَهَا ، وشائناً لها إذ سبرها ، تخطبُهُ ويقلاها ، وتريدُهُ ويأبأها ، لا تطلبُ سواه بعلاً ، ولا تبغي سواه فحلاً ، أخبرها أن التي يطلبُ ويخطبُ أرغدُ منها عيشاً ، وأنضُرُ منها حبوراً ، وأدومُ منها سروراً ، وأبقى منها خلوداً ، وأطولُ منها أياماً ، وأغدقُ منها أنهاراً ، وأنعت منها جمالاً ، وأتمُّ بلهنيةً ، وأعذبُ منها رفاهيةً ، فبشعت نفسه بذلك لعادتها ، واقشعرت لمخالفتها ، فعركها بالعزم الشديد حتى أجابت ، وبالرأي الجليد حتى انقادت . وأقام فيها دعائم الإسلام ، وقواعد السنة الجارية ، ورواسي الآثار الماضية ، وأعلام أخبار النبوة الطاهرة ، وظلَّ خميصاً من بهجتها ، قالياً لإتائها ، لا يرغب في زبرجها ، ولا يطمح إلى جدتها ، حتى دُعِيَ فأجاب ، ونودي فأتاع على تلك الحال ، فاحتدى في الناس بأخيه ، فأخرجها من نسله ، وصيرها شورى بين إخوته ، فبأيِّ أفعاله تتعلقون ؟ وبأيِّ مذاهبه تتمسكون ؟ أبطرائقه القويمه في حياته أم بعدله فيكم عند مماته ؟ ألهمنا الله وإياكم طاعته ، وإذا شئتم ففي حفظِ الله^٢ وكلاءته .

٦٣٤ - لما قتل عثمان بن عفان رحمة الله عليه صاحبت ابنته عائشة : يا

٦٣٤ بلاغات النساء : ٧٢ ونثر الدر : ٤ : ٣٣-٣٦ .

١ م وبلاغات ونثر : رهنية .

٢ م وبلاغات : ففي حفظه .

ثاراتِ عثمان ! إنا لله وإنا إليه راجعون . أفيتت نفسه وطلَّ دمه في حرمِ رسول الله ﷺ ، ومُنِعَ من دفنه ؛ ولو اِشَاءَ لامتنع ووجدَ من الله تعالى حاكماً ، ومن المسلمين ناصراً ، ومن المهاجرين شاهداً ، حتى يفيء إلى الحقِّ من شدِّ عنه أو تطيحَ هاماتٌ وتُفْرِى غلاصمٌ وتُخاضُ دماءٌ ؛ ولكن استوحشَ مما أنسْتُم به ، واستوحم ما استمرأتُموه . يا من استحلَّ حرمَ الله ورسوله واستباحَ حماه ، لقد نعمتم عليه أقلَّ مما أتيتم إليه ، فراجعَ ولم تراجعوه^١ ، واستقال فلم تقيلوه ، رحمةُ الله عليك يا أبتاه ، احتسبتَ نفسك وصبرتَ لأمرِ ربك حتى لحقتَ به ، وهؤلاء الآن قد ظهر منهم تراوضُ الباطل ، وإذكاهُ الشنآن ، وكوامنُ الأحقاد ، وإدراكُ الإحْنِ والأوتار ، وبذلك وشيكاً كان كيدهم وتبغَّيهم ، وسعيُ بعضهم ببعضٍ ، فما أقلوا عاثراً ، ولا استعتبوا مذنباً ، حتى اتخذوا ذلك سبباً إلى سفكِ الدماء وإباحةِ الحمى ، وجعلوا سبيلاً إلى البأساء والعنت ، فهلاًَّ علَّتْ كلمتُكم وظهرتْ حسكتُكم إذ ابنُ الخطابِ قائمٌ على رؤوسكم ، مائلٌ في عرصاتكم ، يُرعدُ ويُبرقُ بإرعابكم ، يجمعكم غيرَ حذِرٍ من تراجعكم الأمانِيَّ بينكم ، وهلاًَّ نعمتم عليه عوداً وبدءاً إذ ملكَ ويملكَ عليكم مَنْ ليس فيكم بالخلقِ اللينِ والمنظرِ الفضيل^٢ ، يسعى عليكم وينصبُ لكم ، لا تنكرونَ ذلك منه خوفاً من سَطَوِيتهِ ، وحذراً من شدَّتهِ ، أن يهتفَ بكم مُتَقَسِّراً أو يصرخَ بكم مُعْذِراً ، إن قال صدقتم قائلتهُ ، وإن سألَ بذلتُم سألتهُ ؛ يحكمُ في رقابكم وأموالكم كأنكم عجائزُ صلُعُ وإماء قطع ، فبدأ مُعلناً لابنِ أبي قحافةِ بإرثِ نبيكم على بُعدِ رَجْمِهِ وضيقِ بلدِهِ ، وقلةِ عدَدِهِ . فوقى الله شرَّها . زعمَ لله دره ما أعرَفُهُ بما صنع ، أو لم يخصمِ الأنصارَ بقبس ، ثم حكَمَ بالطاعةِ لمولى أبي حذيفة ، يتمايل بكم يميناً وشمالاً ، قد خطَبَ عقولكم ،

١ م ونثر : اللهم لو .

٢ م : تراجعوا .

٣ بلاغات : والجسم الفضيل ؛ نثر : والخصم العضل .

واستمهرَ وجلكم^١ ، ممتحناً لكم ، ومتعرفاً أخطاركم . وهل تسمو هممكم إلى
منازعته ، ولولا تيك لكان قسمة خسيساً ، وسعيه تعيساً ، لكن بدأ بالرأي^٢ وثنى
بالقضاء وثلث بالشورى ، ثم غدا سامراً مُسلطاً ، دِرْتُهُ على عاتقه ، فتطأطأتم^٣
له^٣ ، ووليتموه أدياركم ، حتى علا أكتافكم ، ينعقُ بكم في كلِّ مرْتَعٍ ، ويشد
منكم على كلِّ مُخَنَقٍ ، لا ينبعثُ لكم هُتافٌ ، ولا يأتلقُ لكم شهابٌ ، عرفتم أو
أنكرتم ، لا تألمون ولا تستنطقون ، حتى إذا عاد الأمرُ فيكم ولكم وإليكم في
موقفة من العيش ، عرفها وشيخٌ ، وفرعها عميمٌ ، وظلها ظليلٌ ، تتناولون من
كُتَبِ ثمارها أننى شتمت رَغداً ، وحُلِبْتُ عليكم عِشَارُ الأرضِ دِرراً ، واستمرأتُم
أكلكم من فوقكم ومن تحت أرجلكم ، تنامون في الخفضِ ، وتسكنون إلى
الدعةِ ، ومَقْتَمِ زُرْجَةِ الدنيا ، واستحلَّيتم غَضَارَتَهَا ونُضْرَتَهَا ، وظننتم أن ذلك
سيأتيكم من كُتَبِ عَفْواً ، ويتحلبُ عليكم رسلاًً ، فانتضيتُم سيوفكم ، وكسرتُم
جفونكم ، وقد أبى الله أن تشامَ سيوفُ جُرْدَتِ بغيًا وظلمًا ؛ ونسيتم قول الله عز
وجلَّ : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾
(المعارج : ١٩-٢١) . فلا يهنثكم الظفرُ ، ولا يستوطنُ بكم الحَصْرُ ، فإنَّ الله
تعالى بالمرصاد ، وإليه المعاد . والله ما يقومُ الظَّليمُ إلا على رجلين ، ولا ترنَّ القوسُ
إلا على سِيَتَيْنِ . فأثبتوا في العرْزِ أرجلكم فقد ضللتُم هُداكم في المتيهة الخرقاء كما
أضلَّ أَدْحِيَتَهُ الحِسلُ^٤ . وسيعلم كيف يكون إذا كان الناسُ عبادِيدَ ، وقد
نازَعْتكم الرجال ، واعترضتْ عليكم الأمورُ ، وساورتكم الحروبُ بالليوث ،
وقارعتكم الأيامُ بالجيوش ، وحميَ عليكم الوطيسُ ، فيوماً تدعون مَنْ لا
يُجيب ، ويوماً تُجيبون مَنْ لا يدعو . وقد بسطَ بأسطُكُم كلتا يديهِ يرى أنَّهما

١ م : فاستمهر حلکم .

٢ بلاغات : لكن بدر الرأي ؛ نثر : بدر بالرأي .

٣ زاد في نثر الدر : تطأطؤ الحققة .

٤ الحسل : ولد الضب .

في سبيل الله ، فيدّ مقبوضةً وأخرى مقصورةً ، والروؤسُ تنزوا^١ عن الطلّي والكواهل ، كما ينقفُ التُّنومُ^٢ ، فما أبعدَ نصرَ الله من الظالمين ، وأستغفرُ الله تعالى مع المستغفرين ، والحمدُ لله ربّ العالمين .

وإن في هذه الخطب التي ذكرناها للنساء بياناً عن فضيلة العرب بما خصّهم الله تعالى من النطق والبيان ، وميّزهم فيه على سائر الأمم .

٦٣٥ - قال الجاحظ : لا تُعرَفُ الخطبُ إلا للعرب والفرس ؛ فأما الهند فلهم معانٍ مدوّنةٌ وكتبٌ مخلّدةٌ ، لا تُضَافُ إلى رجلٍ معروفٍ ولا إلى عالمٍ موصوفٍ ، وإنما هي كتبٌ متوارثة ، وآداب على وَجهِ الدهر مذكورة .

ولليونانيين فلسفةٌ وصناعةٌ منطق . وكان صاحبُ المنطق نفسه بكيء اللسان ، غيرَ موصوفٍ بالبيان ، مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه وخصائصه . وهم يزعمون أنّ جالينوس كان أنطقَ الناس ، ولم يذكروه بالخطابة ، ولا بهذا الجنس من البلاغة .

وفي الفرس خطباءٌ إلا أنّ كلَّ كلامٍ للفرس وكلَّ معنىٍ للعجم فإنما هو عن طولِ فكرة ، وعن اجتهادٍ [رأيٍ وطولٍ] خلوةٍ ، وعن مشاورةٍ ومعاونةٍ ، وعن طولِ التفكير ودراسة^٣ الكتب وحكاية الثاني علمَ الأوّل ، وزيادة الثالث في علم الثاني ، حتى اجتمعت ثمارُ تلك الفكر عند آخرهم .

وكلُّ شيءٍ للعربٍ فإنما هو بديهتهً وارتجالاً ، وكأنه إلهام ، وليست هناك معاناةٌ ولا مكابدةٌ ، ولا إجالَةُ فكرٍ ولا استعانة ، وإنما هو [أن] يصرف وهَمَهُ

٦٣٥ البيان والتبيين ٣ : ٢٧-٢٩ .

١ نثر : تندّ .

٢ التُّنوم : شجر جبه كحب الخروع .

٣ م : طول التفكير وعن دراسة .

إلى الكلام ، أو إلى رَجَزِ يَوْمِ الخِصَامِ ، أو حين يَمْتَحُ على رأسِ بئرٍ أو يحدو ببعير ، أو عند المِقَارَعَةِ أو المُنَاقَلَةِ ، أو عند صِراعٍ أو في حربٍ ، فما هو إلا أن يصرفَ وهْمُهُ إلى جملةِ المذهبِ ، وإلى العمودِ الذي إليه يقصدُ ، فتأتيهِ المعانيُ أرسالاً ، وتَنشَلُ عليه الألفاظُ انشياً ، ثم لا يعيدهُ على نفسه ، ولا يدرسهُ أحدٌ من ولده . وكانوا أميين لا يكتبون ، ومطبوعين لا يتكلمون ، وكانَ الكلامَ الجيِّدَ عندهم أكثرَ وأظهرَ ، وهم عليه أقدرُ وله أقهرُ ، وكلُّ واحدٍ في نفسه أنطقُ ، ومكانُهُ في البيانِ أرفعُ . وخطباؤهم [للكلام] أوجدُ ، والكلامُ عليهم أسهلُ ، وهو عندهم^٣ أيسرُ من أن يفتقروا إلى تحفظٍ ، ويحتاجوا إلى تدارسٍ ؛ وليس هم كمن حفظَ علمَ غيره ، واحتذى على كلامِ مَنْ كان قبله ، فلم يحفظوا إلا ما علقَ بقلوبهم ، والتحمَ بصدورهم ، واتصلَ بعقولهم من غير تكلفٍ ولا قصدٍ ولا تحفظٍ ولا طلبٍ . وإن شيئاً هذا الذي في أيدينا جزءٌ منه لبالقادر الذي لا يعلمه إلا مَنْ أحاط بِقَطْرِ السحابِ وعدَدِ الترابِ ، وهو اللهُ المحيِّطُ بما كان ، والعالمُ بما سيكون . ونحن إذا ادَّعينا للعربِ أصنافَ البلاغةِ من القصيدِ والأرجازِ ، ومن المنثورِ والأسجاعِ ، ومن المزدوجِ وما لا يزدوجُ ، فمعنا على ذلك لهم شاهدٌ صادقٌ من الديباجةِ الكريمةِ ، والرُّونقِ العجيبِ ، والسبكِ والنحتِ الذي لا يستطيعُ أشعرُ الناسِ اليومَ ، ولا أرفعُهُم في البيانِ أن يقولَ مثلَ ذلك إلا في اليسيرِ والشيءِ^٤ القليلِ . ونحن لا نستطيعُ أن نعلمَ أن الرسائلَ التي في أيدي الناسِ للفرسِ صحيحةٌ غيرُ مصنوعةٍ ، وقديمةٌ غيرُ مولدةٍ ، إذ كان مثلُ ابنِ المقفَّعِ وسهلِ بنِ هارونَ وأبي عبيداللهِ وعبد الحميدِ وغيلانِ يستطيعون أن يُولِّدوا مثلَ تلكِ

١ البيان : يقيده .

٢ م : أوجه .

٣ البيان : عليهم .

٤ البيان : فمعنا العلم أن ذلك لهم شاهد .

٥ البيان : والنبد (وفي بعض أصوله : والشيء) .

الرسائل ، ويصنعوا مثل تلك السير .

٦٣٦ - والمثلُ يضربُ في الخطابةِ بسحبانٍ وائل ، وكان خطيبِ العربِ غيرَ مدافعٍ ولا منازعٍ ، وكان ابنُه عجلانُ أيضاً خطيباً بليغاً ، وكان سحبان إذا خطب لم يُعِدْ حرفاً ، ولم يتوقف ولم يتحبس ، ولم يُعِدْ كلاماً ولم يتفكر في استنباطٍ ، وكان يسيل عرقاً كأنه آذيٌّ بحرٍ . ويقال إن معاويةَ قدّم عليه وفدٌ من خراسان ، وجّههم سعيدُ بنُ عثمانَ ، فطلب سحبان فلم يوجدَ عامّةَ النهار ، ثم اقتضب من ناحيةٍ كان فيها اقتضاباً ، فأدخل عليه فقال : تكلم ، فقال : انظروا لي عصاً تقيم من أودي . فقالوا : وما تصنعُ بها وأنت بحضرةِ أميرِ المؤمنين ؟ قال : ما كان يصنعُ بها موسى صلّى الله عليه وهو يخاطبُ ربّه وعصاه في يده ؟ فضحك معاوية وقال : هاتوا له عصاً . فجاءوه بها ، فركضها برجله فلم يرضَ ثقلها ، فقال : هاتوا عصاي . فانطلق الرسولُ فجاءه بعصاه ، فأخذها ثم قام فتكلم منذ صلاة الظهر إلى أن فاتت صلاة العصر ، ما تنخّع ولا سعل ، ولا توقّف ولا تحبس ، ولا ابتداءً في معنى فخرج عنه وقد بقي عليه فيه شيء ، ولا سأل عن أيّ جنس من الكلام يخطب فيه . فما زالت تلك حاله ، وكلّ عينٍ في السماطين والحفل قد شخّصت نحوه ، إلى أن أشار إليه معاوية الصلاة فقال : هي أمامك ونحن في صلاةٍ يتبعها تمجيدٌ وتحميدٌ ، وعظّةٌ وتبنيّةٌ وتذكيرٌ ، ووعدٌ ووعيد . قال معاوية : أنت أخطب العرب قاطبةً . قال سحبان : والعجم والجنّ والإنس .

٦٣٧ - لما دخل عبدُ الملك بنُ مروان الكوفةَ بعد قتل مصعب خطيبهم

٦٣٦ قارن بالبيان والتبيين ٣ : ١٢٠ ، وهو أتمّ في سرح العيون : ١٤٦-١٤٧ وفي الشريشي ٢ : ٢٢٠-٢٢١ .

٦٣٧ لعبد الملك في أمالي القالي ١ : ١١ (وعنه جمهرة خطب العرب ٢ : ١٩٤-١٩٥) خطبة قالها بعد مقتل مصعب ، ولكن لا علاقة لها بالخطبة الواردة هنا .

فقال : يا أهل العراق إني إذا قلتُ مقالاً عقدتُهُ بفعال ، ووصلتُ وعيدي بمِطال ، ثم جعلتُ من نفسي عليها رقيباً يتقاضاني الوفاء ، فأسبق بالعقاب إلى أهل الظنّة ، وأتناولُ بالكرامة مَنْ قعدَ عن الفتنة . فإياكم وإياكم ما دمتُ أستكفُ نفسي عنكم ، وإياكم وإياكم وعداً غير ملوّي ، وزجراً غير منسيّ ، فظالما أوضعتم في أودية الضلالة ، واعتقبتم مطايا المعصية ، واستدرتُنَا أكفُكم العقوبة ، فلما مريتم أخلافَ النعمة صررناها بمصاهرة النعمة . وإذا أهلمتم ركائبَ السطوة عقلناها بفضلِ العائدة . تدفعون حقنا ويأبى قضاء الله إلا تقليدكم إياه ، وتوجفون في غيِّكم ونكدح في إقبالكم ، فبذنوبكم سفّه رأيكم : تراية مرة ، وزيرية أخرى . حتى متى ، وإلى متى نسعى في صلاحكم ؟ ألا وإني لا آخذ بسالفِ الجرائم ، ولا أعاقبُ بمتقدمِ العصيان ، وإنما أستأنفُ بكم ما استقبلتم به أنفسكم . ألا وكلُّ ما كان فتحته قدمي ودبّر أذني ، رغبةً لكم فيما لم ترغبوا فيه لأنفسكم ، وحرصاً على ما أضعتموه منا فيكم . فأعقبوا بين الدول ، واجعلوا للحق نصيباً منكم ، واغدوا على أعطياتكم .

٦٣٨ - ولما أتى عبد الله بن الزبير قتل مصعب أخيه خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنه أتانا خيرٌ قتل مصعب فسررنا وكتبنا ، فأما السرور فلما قدّر له^٢ من الشهادة وخير له من الثواب ، وأما الكتابة فلوعةً يجدها الحميم عند فراق حميمه ، وإنا والله ما نموت حبيجاً^٣ كميتة آل أبي العاص ، إنما نموت قتلاً

٦٣٨ عيون الأخبار ٢ : ٢٤٠ والعقد ٤ : ١٠٩ والأغاني ١٩ : ٦٣ والأخبار الموفقيات : ٥٣٩-٥٤١ ونثر الدر ٣ : ١٧٩ وتاريخ الطبري ٦ : ١٦١ (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ومروج الذهب ٣ : ٣١٤ وجمهرة خطب العرب ٢ : ١٧٦-١٧٧ .

- ١ م : وترجفون .
- ٢ م : قدر الله .
- ٣ مات حبيجاً أي بفتنة .

بالرماح ، وقصصاً تحت ظلال السيوف ، وإن يَهْلِكِ المصعبُ فإنَّ في آل الزبير منه خَلْفاً له .

٦٣٩ - ولما قتلَ الحجاجُ عبدَ اللهِ بنَ الزبير ارتجَّتْ مكة بالبكاء ، فأمر الحجاجُ^٢ بجمع الناس إلى المسجد ، ثم صعد المنبرَ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل مكة ، بلغني إكبارُكم واستعظامُكم^٣ قتلَ ابنِ الزبير ، ألا وإنَّ ابنَ الزبير كان من خيارِ هذه الأمة حتى رغب في الخلافة ، ونازعَ فيها أهلها ، فخلع طاعةَ الله واستكنَّ بحرمِ الله . ولو كان شيء مانعاً للقضاء لمَنعَ آدمَ حرمةَ الجنة ، لأنَّ الله تعالى خلقه بيده ، ونفخ فيه من رُوحه ، وأسجدَ له ملائكتُهُ ، وأباحه جنَّته ، فلما أخطأَ أخرجه من الجنةِ بخطيئِهِ ، وآدمُ أكرمُ على الله من ابنِ الزبير ، والجنةُ أعظمُ حرمةً من الكعبة ، فاذكروا الله تعالى يذكركم .

٦٤٠ - وصعد المنبر بعد قتله متلثماً ، فحطَّ اللثام عن وجهه وقال : موجُّ ليلٍ التظلمَ فانجلى بضوءِ صبحِهِ . يا أهلَ الحجاز ، كيف رأيتموني ؟ ألم أكشفْ عنكم ظلمةَ الجورِ وطُخيةَ الباطلِ بنورِ الحقِّ ؟ والله لقد وطئكم الحجاجُ وطأةَ مشفقٍ عطفتُهُ رحمٌ ووصلُ قرابَةٍ^٤ . فإياكم أن تزلُّوا عن سننِ ما أقمناكم فأقطعْ عنكم ما وصلتهُ لكم بالصارمِ البتار ، وأقيم من أودِكم ما يقيم المثقفُ من أودِ القنا بالنار ، إليكم ! ثم نزل وهو يقول [من الطويل] :

٦٣٩ نثر الدر ٥ : ٤٠ .

٦٤٠ نثر الدر ٥ : ٤٠ .

١ القمص : القتل على المكان .

٢ م : فأمر الحجاج بالناس فجمع ؛ نثر : فأمر الحجاج بالناس فجمعوا .

٣ نثر : واستفظاعكم .

٤ م : وسكن حرم .

٥ الطخية : الظلمة .

٦ م : قرية .

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمّرت عن ساقها الحرب شمّرا

٦٤١ - وخطب فقال : يا أهل العراق ، إن الفتنة تَلْقَحُ بالنجوى ، وتنتج بالشكوى ، وتحصد بالسيف ، أما والله لكن أبغضتموني فما تضرّوني ، ولكن أحببتموني فما تنفعوني ، وما أنا بالمستوحش لعداوتكم ، ولا المستريح لمودّتكم . زعمتم أني ساحرٌ وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ (طه : ٦٩) ؛ وزعمتم أني أحسنُ الاسمِ الأعظمِ ، فلم تقاتلون من يعلم ما لا تعلمون ؟ ثم التفت إلى أهل الشام فقال : لأرواحكم أطيب من ريح المسك ، ولدنؤكم أنس من الولد ، وما مثلكم إلا كما قال أخو ذبيان : [من الوافر]

إذا حاولت في أسدٍ فجوراً فإني لست منك ولست مني
همُ درعي التي استلامتُ فيها إلى يومِ النّسارِ وهمُ مجنّي

ثم قال : يا أهل الشام بل أنتم كما قال الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴾ (الصفات : ١٧١-١٧٢) .

٦٤٢ - قام خالد بن عبد الله القسريّ على المنبرِ بواسطِ خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال : أيها الناس ، تنافسوا في المكارم ، وسارعوا إلى المغانم ، واشتروا الحمد بالجوّد ، ولا تكسبوا^١ بالمطلِ ذمّاً ، ولا تعتدوا بالمعروفِ ما لم تُعجلّوه ، ومهما يكن لأحدٍ^٢ عند أحدٍ^٣ نعمة فلم يبلغ شكرها فالله أحسنُ لها جزاءً وأجزلُ عليها عطاءً ؛ واعلموا أن حوائج الناس

٦٤١ نثر الدر ٥ : ٣٧ وشرح النهج ٢ : ٣٤٦ .

٦٤٢ نثر الدر ٥ : ٨١-٨٢ ونهاية الأرب ٧ : ٢٥٥ .

١ نثر : الاسم الأكبر .

٢ نثر : تكسبوا .

٣ نثر : لأحدكم .

إليكم نعم من الله تعالى عليكم ، فلا تملؤوا النعم فتحول نقماً ؛ واعلموا أن أفضل المال ما أكسب أجراً وأورث ذكراً ؛ ولو رأيتم المعروف رجلاً لرأيتموه حسناً جميلاً ، يسر الناظرين ويفوق العالمين ؛ ولو رأيتم البخل رجلاً لرأيتموه رجلاً مشوهاً قبيحاً ، تنفر عنه القلوب وتغضي عنه الأبصار . أيها الناس إن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه ، وأعظم الناس عفواً من عفا عن قدرة ، وأوصل الناس من وصل من قطعه ، ومن لم يطب حرثه لم يرك نبتة ، والأصول عن مغارسها تنمو ، وبأصولها تسمو . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

٦٤٣ - قيل لما ولي أبو بكر بن عبد الله بن حزم المدينة وطال مكثه عليها ، كان يبلغه عن قوم من أهلها تناول لأصحاب رسول الله ﷺ وإسعاف من آخرين لهم على ذلك ، فأمر أهل البيوتات ووجوه الناس في يوم الجمعة أن يقربوا من المنبر ، فلما فرغ من خطبة الجمعة قال : أيها الناس ، إني قائل قولاً ، فمن وعاه وأذاه فعلى الله جزاؤه ، ومن لم يعبه فلا يعد من ذماً ، مهما قصرتم عنه في تفصيله فما تعجزون عن تحصيله ، فأرعوه أبصاركم ، وأوعوه أسماعكم ، وأشعروه قلوبكم ، فالموعظة حياة ، والمؤمنون إخوة ، وعلى الله قصد السبيل ، ولو شاء لهداكم أجمعين . فاتقوا الله وأتوا الهدى تهتدوا ، واجتنبوا الغي ترشدوا ، وأنبيوا إلى الله أيها المؤمنون لعلكم تفلحون . والله جل ثناؤه وتقديست أسماؤه أمركم بالجماعة ورضيها لكم ، ونهاكم عن الفرقة وسخطها منكم ، فاتقوا الله حق تقايت ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتن بنعمته

٦٤٣ نشر الدر ٥ : ٨٢-٨٦ ونهاية الأرب ٧ : ٢٥٦ وصبح الأعشى ١ : ٢٢٠ وجمهرة خطب العرب ٣ : ٢٢٦ .

١ م : فالوعظ .

إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴿١٠٢﴾ (آل عمران : ١٠٢-١٠٣) . جعلنا الله وإياكم ممن يتبع رضوانه ويتجنب سُخْطَهُ ، فإنما نحن به وله . إنَّ الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالدين ، واختاره على العالمين ، واختار له أصحاباً على الحق ، ووزراء دون الخلق ، اختصهم به ، وانتخبهم له ، فصدقوه وعزروه ووقروه ، فلم يُقَدِّمُوا إلا بأمره ، ولم يُحْجِمُوا إلا عن رأيه ، وكانوا أَعْوَانُهُ بعهدِهِ ، وخلفاءُهُ من بعده ، فوصفهم بأحسن صفتهم ، وذكرهم فأثنى فقال عز وجل وقوله الحق : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَّمَاهُمْ فِي جُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوَابِهِ لِيُعْجِبَ الزَّرَّاعُ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ . فمن غاظوه فقد كفر وخاب وفجر وخسر ، قال الله عز وجل : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ، الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْأَيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٨-١٠﴾ . فمن خالف شرائطَ الله تعالى عليه هم ، وأمره إياه فيهم ، فلا حق له في الفيء ، ولا سهم له في الإسلام ، في آي كثير من القرآن ؛ فمرقت ماريقة من الدين وفارقوا المسلمين ، وجعلوهم عَضِيْرًا ، وتشعبوا أحراباً ، وأشبابت وأوشاباً ، فخالفوا كتاب الله فيهم ، وثنأه عليهم ، وآذوا رسول الله ﷺ ، فخابوا وخسروا الدنيا

١ نثر : تتبع ... وتجنب .

٢ نثر : شريطة .

والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين . ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (محمد : ١٤) . ما لي أرى عيوناً خزرًا ، ورقاباً صغراً ، وبطنوناً بجزراً ، وشجى لا يسغفه الماء ، وداء لا يوثر فيه الدواء . ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾ (الزخرف : ٥) ، كلا بل والله هو الهناء والطلاء ، حتى يطير العرُ ويوح الشرُّ ، ويضح العيبُ ، ويستوسق الجيب ، فإنكم لم تخلقوا عبثًا ، ولن تتركوا سدى . ويحكم إني لست إتاويًا أعلم ، ولا بدويًا أفهم ، وقد حلبتكم أشطراً ، وقلبتكم أبطنًا وأظهرًا ، فعرفت أنجاءكم ، وعلمت أن قوماً أظهروا الإسلام بالستهم وأسروا الكفر في قلوبهم ، فضربوا بعض أصحاب رسول الله ﷺ ببعض ، وضربوا الأمثال ، ووجدوا على ذلك من أهل الجهل من أبنائهم أعوانًا ، يأذنون لهم ويصغون إليهم . مهلاً قبل وقوع القوارع ، وحلول الروائع ؛ ومع ذلك فلست أؤنبُ تائبًا ، عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله منه ، والله عزيز ذو انتقام . فأسروا خيراً وأظهروه ، واجهروا به وأخلصوا ، فطالما مشيتم القهقري ناكصين ، وليعلم من أدبر وأصر أنها موعظة بين يدي نعمة ، ولست أدعوكم إلى هوى يتبع ، ولا إلى رأي يُتدع ، إنما أدعوكم إلى الطريقة المثلى التي فيها خير الآخرة والأولى ، فمن أجاب فإلى رشده ، ومن عمي فعن قصده . فاهلموا إلى الشرائع لا إلى الخدائع ، ولا تولوا غير سبيل المؤمنين ، ولا تستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير ﴿بئس للظالمين بدلاً﴾ (الكهف : ٥٠) . وإياكم وبنيات الطريق ، فعندها الرهق^٣ ، وعليكم بالجادة فهي أسد وأرد ، ودعوا الأمانى فقد أردت من كان قبلكم ، وليس للإنسان إلا ما سعى والله الآخرة والأولى . ﴿لا تفتروا على الله كذباً فيسححكُم بعدابٍ ، وقد خاب من افترى﴾ (طه : ٦١) ﴿رَبَّنَا لَا

١ نثر : يظهر العذر ويوح الشر .

٢ نثر : ومع ذلك فلست أعتش آياً ولا أذنب تائباً .

٣ نثر : التزنيق والرهق ؛ م : الرهق والزهق .

تُرغُّ قلوبنا بعد إذ هدَّيتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴿٨﴾
(آل عمران : ٨) .

٦٤٤ - خطب محمد بن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان إلى عمر بن عبد العزيز وهو خليفة ابنته فزوجه وخطب فقال :

الحمد لله ذي العزة والكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ، أما بعد ، فقد أحسن بك الظن من أودعك حرمة ، واختارك ولم يختَر عليك ، وقد زوجتك على ما في كتاب الله ﴿إِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ (البقرة : ٢٢٩) .

٦٤٥ - قال الأصمعي خطب داود بن علي بالمدينة فارتج عليه فقال : إن اللسان بضعة من الإنسان ، يكلُّ بكلاله إذا نكل ، وينبسط بانفساحه إذا ارتجل ، ألا وإن الكلام بعد الإفحام كالإشراق بعد الإظلام ، وإننا لا نطق هذراً ، ولا نسكت حصراً ، بل نطق مرشدين ، ونسكت معتبرين ، ونحن أمراء الكلام ، فينا وشجت عروقه ، وعلينا تهدلت غصونه ، وبعد مقامنا هذا مقام ، ووراء أيامنا أيام ، يعرف فيها فضل الخطاب ، ومواضع الصواب .

ومن الخطب في الاستسقاء

٦٤٦ - روي أن النبي ﷺ خرج للاستسقاء ، فتقدم فصلّى ركعتين جهراً فيهما بالقراءة ، وكان يقرأ في العيدين والاستسقاء في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسبّح اسم ربك الأعلى ، وفي الثانية بفاتحة الكتاب وهل أتاك حديث العاشية . فلما قضى صلاته استقبل القبلة بوجهه ، وقلب رداءه ثم جثا على ركبتيه ، ورفع

٦٤٥ ورد بعضه في زهر الآداب : ٦٦٣ منسوباً إلى عبد الملك بن صالح ونسب في أمالي المرتضى ٢ :

١٠٣ إلى السفاح ؛ وانظر جمهرة خطب العرب ٣ : ١٧ .

٦٤٦ الدعاء في سنن أبي داود ١ : ٢٦٦-٢٦٧ وشرح النهج ٧ : ٢٧٣ والفاائق للزمخشري ١ :

٣١٧ .

يديه وكبر تكبيرةً قبل أن يستسقي ، ثم قال : اللَّهُمَّ اسقنا غيثاً مغيثاً ، وحيّاً ربيعاً ، وجدداً طَبَقاً غَدَقاً ، مُوْبِقاً عامّاً ، هنيئاً مريئاً ، وإبلاً سابلاً مُسِيلاً مجللاً دائماً درراً نافعاً غيرَ ضارٍّ ، عاجلاً غيرَ راثٍ ، غيثاً اللَّهُمَّ تحيي به البلادَ ، وتغيثُ به العبادَ ، وتجعله بلاغاً للحاضرِ منا والبادِ . اللَّهُمَّ أنزل علينا في أرضنا زيتها ، وأنزل علينا في أرضنا سَكَنها . اللَّهُمَّ أنزل علينا من السماء ماءً طهوراً ، فأحي به بلدةً ميتاً ، واسقِه مما خلقت لنا أنعاماً وأناسيَّ كثيراً .

٦٤٧ - تتابعت السنون على قريشٍ فخرج عبدُ المطلبِ بنُ هاشم حتى ارتقى أبا قُبَيْس ، ومعه رسولُ الله ﷺ وهو غلامٌ ، فقال : اللَّهُمَّ سادَّ الخَلَّةِ ، وكاشفَ الكُرْبَةِ ، أنت عالمٌ غيرُ مُعَلِّمٍ ، ومسوؤلٌ غيرُ مُبْخَلٍ ، وهذه عيداًوكُ وإماوكُ بِعَذْرَاتٍ حَرَمِكُ ، يشكون إليك سَنَتَهُم التي أَكَلَتِ الظُّلْفَ والخُفَّ ، فاسمَعَنَّ اللَّهُمَّ وأمطرَنَّ غيثاً مريئاً مُغْدَقاً .

فما راموا حتى انفجرت السماء بمائها وكظَّ الوادي ثَجَّجُهُ ، فقال شيخانُ قريشٍ وجَّلتها : هنيئاً لك أبا البطحاء .

٦٤٨ - ومن خطبةٍ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام :
اللَّهُمَّ قد أنصاحتُ جبالنا ، واغبرتُ أرضنا ، وهامتُ دوابنا ، وتغيَّرتُ^٥ مراضها ، وعججتُ عجيجَ الثكالي على أولادها ، وملتُ الترددَ في مراتعها ،

٦٤٧ شرح النهج ٧ : ٢٧١-٢٧٢ .

٦٤٨ نهج البلاغة : ١٧١ (رقم : ١١٥) وشرح النهج ٧ : ٢٦٢-٢٦٣ .

١ م : عبادك .

٢ العذرات : الأفنية .

٣ شرح النهج : أذهبت .

٤ شرح النهج : سيد .

٥ نهج : وتغيرت في .

والحينَ إلى مواردِها . فارحمَ أنينَ الآتيةِ ، وحينَ الحانةِ . اللهم وارحمَ حيرتَها في مذهبها ، وأينها في مَوَالجها . اللهم بخرَجنا إليك حينَ اعتكرت علينا حَدابيرُ السنين ، وأخلفتنا مخايلُ الجود ، وكنتَ الرجاءَ للمبتس ، والبلاغَ للمتمس ، ندعوك حينَ قَنَطَ الأنامُ ، ومُنِعَ الغمامُ ، وهلكَ السَّوامُ ، ألا تَوَاحدنا بأعمالنا [ولا تأخذنا] بذنوبنا ، وانتشرَ علينا رحمتك بالسحابِ المُنبِغِ ، والريبعِ المُغْدِقِ ، والنباتِ المونِقِ ، سحاً وإبلاً تحيي به ما قد مات ، وتردُّ به ما قد فات . اللهم اسقنا منك سُقياً محييةً مُرويةً ، تامَّةً عامَّةً ، مباركةً ، مريئةً ، زاكياً نبتُها ، ثامراً فرعُها ، ناضراً ورَقُها ، تنعشُ بها الضعيفَ من عبادك ، وتحيي بها الميتَ من بلادك . اللهم اسقنا منك ديمةً^١ تعشبُ بها بلادنا^٢ ، وتجري بها وهاؤنا ، ويُخصِبُ بها جنابنا ، وتعيشُ بها مواشينا ، وتُدنى^٣ بها أقاصينا ، وتستغني^٤ بها ضواحيننا ، من بركاتك الواسعةِ ، وعطاياك الجزيلةِ على بريئتِكَ المرْملةِ ، ووحشيكَ المهملةِ . وأنزل علينا سماءَ مخضلةً ، مدراراً هاطلةً ، يدافعُ الودقُ منها الودقَ ، ويحفرُ القطرُ منها القطرَ ، غيرَ خُلبِ برقُها ، ولا جَهامِ عارضُها ، ولا قَزَعِ رَبابُها ، ولا شَفانِ ذهابُها ، حتى يخصبَ لإمراعها المجدبون ، ويحيا ببركتيها المُستبتونَ ، فإنك تنزل الغيثَ من بعد ما قَنَطوا ، وتنتشرُ رحمتك وأنت الوليُّ الحميدُ .

غريب هذه الخطبة : انصاحت : أي تشققت ؛ وهامت : من الهيام وهو داء يصيب الإبل من العطش فتكوى له مشافرها ؛ والحدابير : جمع حدبَار ؛ وهي الناقة التي أنضاهَا السير ، شبةً بها سنة الجذب [والقزع : القطع الصغار من

١ م والنهج : مريعة .

٢ م : مزنة .

٣ نهج : نجادنا .

٤ نهج : وتندى (وفي الشرح وتندى أي تنتفع) .

٥ نهج : وتستعين .

[السحاب] ؛ وقوله : ولا شِفَانٍ ذِهَابُهَا : أراد ذاتَ شِفَانٍ ، والشِفَانُ : الرِيحُ الباردة ؛ والذَّهَابُ : الأمطار اللينة .

٦٤٩ - ومن خطبة له عليه السلام :

ألا وإنَّ الأرضَ التي تحملكم^١ ، والسماءَ التي تظلكم مطيعتانِ لربِّكم ، وما أصبحتا تجودان لكم بيركتهما توجعاً لكم ، ولا زُلْفَةً إليكم ، ولا لخيرٍ ترجوانه منكم ، ولكن أمرتا بمنافعِكُم فأطاعتا ، وأقيمتا على حدودِ مَصَالِحِكُم فقامتا . إنَّ اللهَ يبتي عبادَهُ عند الأعمالِ السيِّئةِ بنقصِ الثمراتِ ، وحبسِ البركاتِ ، وإغلاقِ خزائنِ الخيراتِ ، ليتوبَ تائبٌ ، ويُقلعَ مقلعٌ ، ويتذكرَ متذكرٌ ، ويزدجرَ مُزدجرٌ . وقد جعلَ اللهُ الاستغفارَ سبباً لدرورِ الرزقِ ، ورحمةَ الخلقِ^٢ ، فقال : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ﴾ (نوح : ١٠-١١) . فرحم اللهُ امرءاً استقبلَ توبتهُ ، واستقالَ خطيئتهُ ، وبادرَ مَنِيئتهُ .

إنَّا خرجنا إليك من تحت الأستارِ والأركانِ^٣ ، بعد عجيحِ البهائمِ والولدانِ ، راغبينَ في رَحْمَتِكَ ، وراجينَ فضلِ نِعْمَتِكَ ، وخائفينَ من عذابِكَ ونِقْمَتِكَ . اللهم فاسقِنَا غَيْثَكَ ولا تجعلْنَا من القانطينِ ، ولا تُهْلِكْنَا بالسنينِ ، ولا تُؤَاخِذْنَا بما فعلَ السفهاءُ منا ، يا ارحمَ الراحمينِ .

اللهم إنَّا خرجنا نشكو إليك ما لا يخفى عليك ، حينَ أَلْجَأْتَنَا المضايقُ الوَعْرَةَ ، وأجاءتْنَا المَقَاحِطُ المَجْدِبَةَ^٤ ، وأَعْيَتْنَا المَطَالِبُ المَتَعَسِّرَةَ ، وتلاخمتُ

٦٤٩ نهج البلاغة : ١٩٩ (رقم : ١٤٣) وشرح النهج : ٧٦-٧٧ .

- ١ نهج : تقلكم ؛ شرح النهج : تحملكم .
- ٢ م : ورحمة للخلق .
- ٣ نهج : والأكنان .
- ٤ أجاؤنا : أَلْجَأْتَنَا .
- ٥ المَقَاحِطُ المَجْدِبَةُ : السنون المحملة .

علينا الفتنُ المستصعبَةَ . اللهم إنا نسألكَ ألاَّ تَرُدَّنَا خائنينَ ، ولا تَقْلِبْنَا واجمينَ ، ولا تخاطِبْنَا بذنوبنا ، ولا تُقَايِسْنَا بأعمالنا . اللهم انشُرْ علينا غِيثَكَ وبركمتَكَ ورزقَكَ ورحمتَكَ ، واسقنا سُقياً نافعةً مُرَوِّيةً مُعْشِيَةً ، تُنْبِتُ بها ما قد فات ، وتحْيِي بها ما قد مات ، نافعةً الحيا ، كثيرةً المجتنى ، تُروِي بها القيعانُ ، وتَسِيلُ البُطْنانُ^١ ، وتَسْتَوِرُقُ الأشجارَ ، وترخُصُ الأسعارَ ، إنك على ما تشاء قدير .

٦٥٠ - لما خرج عمرُ بالعباس يستسقي قال :

اللهمَّ إنا نتقربُ إليك بعمِّ نبيِّك ، وبقِيَّةِ آبابِه وكُبرِ رجالِه ، فإنك تقول وقولك الحقُّ ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (الكهف : ٨٢) ، فحفظتهما لصالح أبيهما ، فاحفظْ نبيِّكَ في عمِّه ، فقد دَلَّوْنَا به إليك مُستشفعين ومستغفرين . ثم أقبل على الناس فقال : ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ (نوح : ١٠-١١) .

قال الراوي : ورأيت العباس رضي الله عنه^٢ وقد طال عمرُه وعيناه تنضحان ، وشيبته تجولُ على صدره وهو يقول : اللهم أنت الراعي فلا تهمل الضالَّةَ ، ولا تدعَ الكبيرَ بدارِ مَضِيعةٍ ، فقد ضَرَعَ الصغيرَ ، ورقَّ الكبيرَ ، وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلمُ السرَّ وأخفى . اللهم فأغثهم بغياثك من قبل أن يقنطوا فيهلكوا ، إنَّه لا ييأسُ مِنْ رَوْحِكَ إِلَّا القومُ الكافرون .

قال : فنشأت سحابة^٣ ، وقال الناس : ترون ؟ ثم تلامت واستتمت ومشت

٦٥٠ شرح النهج ٧ : ٢٧٤ والفائق ٢ : ٣٦٦ .

- ١ البطان : جمع بطن وهو الغامض من الأرض .
- ٢ رضي الله عنه : لم ترد في م .
- ٣ م : فنشأت طريقة من سحاب ؛ شرح النهج : فنشأت طرية من سحاب .

فيها ريحٌ ثم هدأت^١ ودرّت^٢ ، فوالله ما يرحوا حتى اعتلقوا الحذاء وقلصوا الميازير ، وطَفِقَ الناسُ بالعباسِ يمسحون أركانَهُ ويقولون : هنيئاً لك ساقمى الحرمين .

٦٥١ - شهد أبو حنيفة نكاحاً فقالوا له تكلم ، فقال : الحمدُ لله شكراً لنعمتِهِ ، وسبحانَ الله خضوعاً لعظمتِهِ ، ولا إله إلا الله إقراراً بتوحيده ، وصلى الله على سيدنا محمدٍ عند ذكره . إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلقَ من الماء بشراً فجعله نسباً وصيهاً ، وكان ربك قديراً ، على أن أحلَّ النكاح^٢ وحرَّم السفاحَ وأمرنا^٣ بالإصلاح ، ثم إنَّ فلاناً خطبَ إلى فلانٍ ، فعلى اسمِ اللهِ فلتكنِ الإجابة ، وعلى الخيرة تكون منه العقدة ، زوجت وأنكحت .

٦٥٢ - خطبة نكاح من إنشاء علي بن نصر الكاتب :

الحمد لله أهل الحمدِ وخالقِهِ ، فاطرِ الخلقِ ورازقِهِ ، ومُرشِدِ المرءِ وواعظِهِ ، ومُنزِلِ الذكرِ وحافظِهِ ، الذي بَسَطَ الآمالَ ونشَرها ، وطوى الآجالَ وسَتَرها ، وأنشأ السحابَ وأزجَاه ، وأنشأ العقابَ وأرجاه ، جلَّ عن صفةِ الواصفِ ، وتعالى عن معرفةِ العارِفِ ، ألا فإنه الله الذي لا إله إلا هو ، وَسِعَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعِلماً . أحمدهُ على ما نفعَ وضرَّ ، وأشكرُهُ على ما ساءَ وسرَّ ، وأسْتَعِينُهُ على ما بهَظَ وأثقلَ ، وأتوكَّلُ عليه في ما أَلَمَّ وأعضلَ ، واؤمِّنُ به إيمانَ من اهتدى واستنصرَ ، وأفوضُ أمرِي إليه تفويضَ من استقالَ واستغفرَ ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريكَ له ، شهادةً تُغني من العسرةِ ، وتقي الندامةَ يومَ الحسرةِ ، وتنفسُ كربةَ المكروبِ ، وتضيءُ في ظلمِ الخطوبِ ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسولهُ ، انتخبه من أشرفِ أرومةِ وعنصرِ ، وابتعثه أرفَ هادٍ ومُنذِرٍ ، فبلغَ الرسالةَ ، وأوضحَ الدلالةَ ، وأدَّى الأمانةَ في ما سمعه ، وخفضَ الجناحَ لمن اتَّبَعه ، وحذَرَ من شاقَّةِ وعصاه ، وأنذَرَ من حادَّةِ وعاداه ، مُغمضاً على القذى ، وواطئاً

١ شرح النهج : هدت .

٢ م : أمر بالنكاح .

٣ م : وأمر .

على جَمَرَاتِ الْأَذَى ، حتى غضبَ اللهُ لِحلمه ، ونصرَهُ بأخيه وابنِ عمِّه ، وجعلهما اللهُ وَمَنْ اتَّبَعَهُمَا الْعَالِيَيْنِ ، ففقطعَ دابرَ القومِ الذين ظلموا ، والحمدُ لله رب العالمين ، صَلَّى اللهُ عليهما صلاةً غاديةً رائحةً ، سائحةً بارحةً . ثم إنَّ اللهُ تعالى أمرنا بالتواصل والتكاثر ، ومنعنا من التقاطع والتدابُرِ ، وخبرنا أنه خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً ، وكان ربُّكَ قديراً . وهذا فلان يخطب فلانة .

٦٥٣ - دخل عبدُ اللهِ بن الأَهمم على عمرَ بن عبد العزيز مع العائمة ، فلم يفجأُ عمرَ إلا وهو مائلٌ بين يديه ، فتكلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أمَّا بعدُ فإنَّ اللهُ خلقَ الخلقَ غنيًّا عن طاعتهم ، آمنًا معصيتهم^١ ، والناسَ -يومئذٍ في المنازل والرأي مختلفون : فالعربُ بشرٌ تلك المنازل : أهل الحجر والوبر وأهل المدر الذين تُحتازُ دونهم طيباتُ الدنيا ورفاهةُ عيشها ، ميئتهم في النارِ وحيثهم أعمى ، مع ما لا يحصى من المرغوبِ عنه والمرهوبِ منه^٢ . فلما^٣ أراد اللهُ تعالى أن ينشرَ عليهم من رحمته^٤ ، بعث إليهم رسولاً من أنفسهم عزيزاً عليه ما عتتوا ، حريصاً عليهم ، بالمؤمنين رؤوفاً رحيمًا . فلم يمنعهم ذلك أن جرَّحوه في جسمه ، ولقبوه في اسمه ، ومعه كتابٌ من الله ناطقٌ [وبرهان صادق] لا يُرحلُ إلا بأمره ، ولا يُنزَلُ إلا بإذنه ، واضطروه إلى بطن غار . فلما أمرَ بالعزيمة انبسطَ^٥ لأمرِ اللهِ لونه ، فأفلجَ اللهُ حجَّتَهُ ، وأعلى كلمته ، وأظهرَ دعوته ، وفارق الدنيا نقيًّا نقيًّا . ثم قام بعده أبو بكر ، فسلكَ سُنَّته ، وأخذَ بسبيلِهِ ، فارتدَّتِ العربُ ، فلم يقبل منهم بعد رسولُ اللهِ ﷺ إلا الذي كان قابلاً

٦٥٣ البيان والتبيين ٢ : ١١٧-١٢٠ (عبدالله بن عبد الله بن الأهمم) وسيرة عمر لابن عبد الحكم : ١٠٩ ولابن الجوزي : ١٣٦ والعقد ٤ : ٩٣ .

- ١ البيان : لمعصيتهم .
- ٢ البيان : والمزهود فيه .
- ٣ م : فلما أن .
- ٤ البيان : ينشر فيهم رحمته .
- ٥ البيان : بأمر العزم أسفر .

منهم ، فانضى السيف من أغمادها ، وأوقد النيران في شعلها ، ثم ركب بأهل الحق إلى أهل الباطل ، فلم يرخ يفصل أوصالهم ويسقي الأرض دماءهم^١ ، حتى أدخلهم في الذي خرجوا منه ، وقرّرهم بالذي نفروا عنه . وقد كان أصاب من مال الله بكراً يرتوي عليه ، وحشية ترضع ولدأ له ، فرأى من ذلك غصّة في حلقه^٢ عند موته ، فأدّى ذلك إلى الخليفة من بعده ، وبرىء إليهم منه ، وفارق الدنيا تقياً نقياً على منهاج صاحبه . ثم قام بعده عمر بن الخطاب ، فمصرّ الأمصار ، وخطّ الشدّة باللين ، فحسر عن ذراعيه ، وشمر عن ساقيه ، وأعدّ للأمر أقرانها ، وللحرب آلتها ، فلما أصابه فتى المغيرة استهلّ بحمد الله ألا يكون أصابه ذو حق في الفياء فيستحلّ دمه بما استحلّ من حقه . وقد كان أصاب من مال الله بضعة وثمانين ألفاً ، فكسر بها رباعه ، وكسر^٣ بها كفالة أولاديه من بعده ، وفارق الدنيا تقياً نقياً على منهاج صاحبيه . ثم إننا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ظلع ، ثم إنك يا عمر ابن الدنيا ، ولدتك ملوكها ، وألقتك نديها ، فلما وليتها ألقيتها حيث ألقاها الله ، فالحمد لله الذي جلا بك حوبتنا ، وكشف بك كربتنا ، امض ولا تلتفت ، فإنه لا يعز على الحق شيء^٤ ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وللمؤمنين والمؤمنات .

ولما أن قال : ثم إننا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ظلع ، سكت الناس إلا هشاماً ، فإنه قال : كذبت ، كان عثمان هادياً مهدياً .

٦٥٤ - لما قام السفاح أبو العباس أول خلافته على المنبر ، قام بوجه كورقة المصحف فاستحيا فلم يتكلم ، فنهض داود بن علي عمه حتى صعد المنبر . قال

٦٥٤ عيون الأخبار ٢ : ٢٥٢ ونثر الدر ١ : ٤٣٢ وجمهرة خطب العرب ٣ : ١١ .

١ م : من دمائهم .

٢ في حلقه : سقطت من البيان .

٣ البيان : وكره .

٤ البيان : فإنه لا يغني من الحق شيئاً .

المنصور ، فقلت في نفسي : شيخنا وكبيرنا يدعو إلى نفسه ، فانتضيت سيفي وغطيته بثوبي وقلت : إن فعلَ ناجزته ، فلما رقيَ عبياً استقبلَ الناس بوجهه دون أبي العباس ، ثم قال : أيها الناس ، إن أمير المؤمنين يكره أن يتقدم قوله فعله ، ولأثرُ الفَعَالِ أجدى [عليكم] من تشقيقِ الكلام ، وحسبكم كلامُ الله ممثلاً فيكم ، وابنُ عمِّ رسولِ الله ﷺ خليفةٌ عليكم ، والله قسماً براً لا أريدُ بها إلا الله ، ما قام بهذا المقامِ بعدَ رسولِ الله ﷺ أحقُّ به من عليِّ بنِ أبي طالب عليه السلام ، وأمير المؤمنين هذا ، فليظنَّ ظانكم وليهمسْ هامسكم .

قال أبو جعفر المنصور : ثم نزل فشمْتُ سيفي .

٦٥٥ - ولداود بن علي خطبة مشهورة ، خطبها وأبو العباس على المنبر ، صعد دونه بمِرْقاةٍ فقال : شكراً شكراً ، أظنَّ عدوَّ الله أن لن تقدَرَ عليه ، أرخى له في زمامه ، حتى عثرَ بفضلِ خطابه ، فالآن طلعت الشمسُ من مشرقها ، وأخذَ القوسَ باريها ، وعاد السهمُ إلى النزعة ، وصار الأمرُ إلى أهل بيتِ نبيكم ، أهل الرأفةِ والرحمة . والله ما نزلنا مقهورين حتى أتاحَ اللهُ لنا شيعتنا من أهل خراسان ، والله ربُّ هذه البنيَّةِ لا يُظلمُ منكم أحدٌ ، وأشارَ بيده إلى المسجدِ ثم نزل .

٦٥٦ - فقام سُدَيْفٌ مولاهم إلى جنب المنبر فقال : أيزعمُ الضُّلَّالُ - حَبَطَتْ أَعْمَالُهُمْ - أن غيرَ آلِ مُحَمَّدٍ أَحَقُّ بالخِلافةِ ، فليَمَ وبِمَ ؟ أيها الناس ، ألكم الفضلُ بالصحابةِ دونَ ذوي القِرابَةِ ، الشركاءِ في النَسبِ ، الوَرَثةِ للسلبِ ، الخاصَّةِ في الحياةِ ، الوِلاةِ^٢ عند الوفاةِ ، مع ضربهم على الدين جاهلكم ، وتأمينهم بعد

٦٥٥ العقد ٤ : ١٠١ (مع اختلافات واضحة) والبيان والتبيين ١ : ٣٣٢ وجمهرة خطب العرب ٣ : ١٤ .

٦٥٦ العقد ٤ : ٤٨٥ وجمهرة خطب العرب ٣ : ١٩ .

١ م : جانب .
٢ العقد : الوفاة .

الخوفِ سائلِكُمْ ، وإطاعِيهِمْ فِي الْأَوَاءِ جَائِعِكُمْ ؟ كَمْ قَصَمَ اللَّهُ بِهِمْ مِنْ جَبَّارٍ طَاغٍ ،
 وَمَنَافِقٍ بَاغٍ ، وَفَاسِقٍ ظَالِمٍ ؟ لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِ الْعَبَّاسِ ، لَمْ تَخْضَعْ لَهُ الْأُمَّةُ لِرِجَالِهِ
 حَقَّ الْحَرَمَةِ ، أَبُو رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ أَبِيهِ ، وَأَمِينُهُ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ ، وَرَسُولُهُ يَوْمَ مَكَّةَ ،
 وَحَامِيهِ يَوْمَ حُنَيْنٍ ، لَا يَخَالِفُ لَهُ كَلِمًا ، وَلَا يَعْصِي لَهُ قِسْمًا . إِنَّكُمْ وَاللَّهُ مَعَشَرَ
 قَرِيشٍ مَا اخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ حَيْثُ اخْتَارَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ ٢ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، مَا زِلْتُمْ تَخْتَارُونَ
 تَيْمِيًّا مَرَّةً وَعَدَوِيًّا مَرَّةً ، فَأَصْبَحْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِي قَوْمٍ آثَرُوا ٣ الْعَاجِلَ عَلَى الْآجِلِ ،
 وَالْفَاقِي عَلَى الْبَاقِي ، أَهْلُ خُمُورٍ وَمَاخُورٍ ، وَطَنَابِيرَ وَمِزَامِيرَ ، إِنْ ذُكِّرُوا لَمْ يَذْكُرُوا ،
 وَإِنْ قُومُوا بِحَقِّ أَدْبَرُوا ، بِذَلِكَ كَانَ زَمَانُهُمْ ، وَبِهِ كَانَ سُلْطَانُهُمْ ، حَتَّى أَتَاكُمْ مِنْ هَذِهِ
 الْخَرَسِيَّةِ مَنْ لَا تَعْرِفُونَ لَهُ وَجْهًا ، وَلَا تَثْبُتُونَ لَهُ نَسَبًا ، فَضْرِبِكُمْ بِالسَّيْفِ حَتَّى
 أُعْطِيْتُمُوهَا عَنَوَةً وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ ، وَأَنْشُدُ : [مِنْ الْكَامِلِ]

أُمَسَّتْ أُمِيَّةٌ قَدْ تَشَّتَتْ شَعْبَهَا شَعْبُ الضَّلَالِ وَتَشَّتَتْ أَهْوَاؤُهَا
 زَعَمَتْ أُمِيَّةٌ وَهِيَ غَيْرُ حَكِيمَةٍ أَنْ لَنْ تَزُولَ وَلَنْ يُهَدَّ بِنَاؤُهَا
 وَقَضَى إِلَاهُ بَغِيرِ ذَاكَ فَذُبِّحَتْ حَتَّى تَرِيحَ عَلَى الْفِجَاجِ دِمَاؤُهَا

٦٥٧ - خطب سليمان بن علي فقال : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ
 الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (الأنبياء : ١٠٥) ، قضاة فصل ،
 وقول مبرم ، فالحمد لله الذي صدق عبده وأنجز وعده ، وبعداً للقوم الظالمين
 الذين اتخذوا الكعبة غرضاً والدين هزواً ، والفياء إرثاً ، والقرآن عييين ، لقد

٦٥٧ العقد ٤ : ٩٩ .

- ١ «وفاسق ظالم» من العقد ، وفي الأصل «وزيد كذاب» وكلمة غير واضحة .
- ٢ العقد : اختار الله لكم .
- ٣ م : اختاروا .

ضَلَّ عَنْهُمْ^١ ما كانوا يستهزؤون ، وكأئن ترى من يثرٍ مُعْطَلَةٌ وَقَصِرَ مَشِيدٍ ، ذلك بما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ^٢ وما الله بظلامٍ للعبيد ، أمهلهم حتى اضطهدوا [العترة] وَأَمِنُوا الْغُرَّةَ ، ونبدوا السنَّةَ ، وخاب كلُّ جَبَّارٍ عَنِيْدٍ ، ثم أخذهم فهل تُحَسُّ مِنْهُمْ من أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا^٣ .

٦٥٨ - وخطب عبدالله بن علي لما قدم مروان بن محمد دورا : ﴿الْمَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ، جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيَنَسُّ الْقَرَارَ﴾ (ابراهيم : ٢٨-٢٩) ، ركض بكم يا أهل الشام آل حربٍ وآل مروان ، يتسكعون بكم الظلم ، ويخوضون بكم مداحض المراقي ، ويوطئونكم محارم الله تعالى ومحارم رسوله . فما يقول علماؤكم غداً عند الله تعالى إذ يقولون ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ فيقول : ﴿لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف : ٣٨) . أما أمير المؤمنين فقد ائتمن بكم التوبة ، وغفر لكم الزلَّةَ ، وبسط لكم الإقالة بفضله ، فليفرخ روعكم ، ولتَعْظُكُمْ مصارعُ مَنْ كان قبلكم ، فهذه الجثى منكم مُصَرَّعة ، وبيوتهم خاوية ، بما ظلموا والله لا يحب الظالمين .
ثم نزل عن المنبر .

٦٥٩ - وصعد بعده صالح بن علي فقال : الحمد لله ، يا أهل النفاق وعمد الضلالة ، أغرِّكم لينُ الإيساس وطولُ الإيناس^٤ ، حتى ظنَّ جاهلكم أنَّ ذلك

٦٥٩ العقد ٤ : ١٠٠ ونثر الدر ١ : ٤٣٥ .

- ١ . العقد : لقد حاق بهم .
- ٢ . العقد : أيديكم .
- ٣ . انظر سورة مريم : ٩٨ .
- ٤ . العقد : يا أعضاء .
- ٥ . العقد : إيساسي . . . إيناسي .

لِفُلُولٍ حَدٍّ وَخَوَرٍ قَنَاءَةٍ . فَإِذَا اسْتَوَيْتُمْ^١ الْعَافِيَةَ فَعِدْأً فِطَامًا وَنِكَالًا ، وَسَيْفٌ يَعْضُ بِالْهَامِ .

٦٦٠ - خطب زيد بن علي فقال : أوصيكم عبادَ الله بتقوى الله التي من اكتفى بها كفته ، ومن اجتنب بها وقته ، وهي الزاد وعليها المعاد ، زاد مبلغ ومعادٌ مُنْجٍ ، دعا إليها أسمعُ داعٍ فوعاها خيرٌ واعٍ ، فأعذر داعيها وفازَ واعيها . عبادَ الله إن تقوى الله حمّت أولياءَ الله محارمَهُ ، وألزمت قلوبهم مخافته حتى أسهرت ليلهم وأظمأت هواجرهم ، فأخذوا الراحة بالنَّصَبِ ، والرِّيِّ بالظَّمَا ، واستقربوا^٢ الأجلَ ، فبادروا بالعمل ، وكذبوا الأملَ ، ولاحظوا الأجلَ . طوبى لهم وحسن مآب . ثم إن الدنيا دارٌ فناءٍ وعناءٍ ، وغيرٍ وغيرٍ ، فمن العناء أن المرءَ يجمع ما لا يأكل ، ويبنى ما لا يسكن ، ثم يخرج إلى الله تعالى لا مالاَ حمل ولا بناءً نقل ، ومن الفناء أن الدهرَ موترٌ قوسُهُ ، ثم لا تخطي سهامهُ ، ولا تؤسى جراحهُ ، يرمي الحيَّ بالموت ، والصحيحَ بالعطب . آكلٌ لا يشبعُ ، وشاربٌ لا يروى . ومن غيرها أنك تلقى المحرومَ مغبوطاً ، والمغبوطَ محروماً ، وليس ذلك إلا لنعيمٍ زال ، وبؤسٍ نزل . ومن غيرها أن المشرفَ على أملِهِ يقطعهُ أجلُهُ ، فلا أملٌ يُدرِكُ ، ولا مؤملٌ يتركُ ، فسبحانَ الله ما أغرَّ سرورُها ، وأظمأ رِيَّها ، وأضحى فيَّها . فكانَ الذي كان من الدنيا لم يكن ، وكانَ الذي هو كائنٌ منها قد كان . صار أولياءُ الله فيها إلى الأجرِ بالصبرِ ، وإلى الأملِ بالعملِ ، جاوروا الله تعالى في دارِهِ ملوكاً خالدين . إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلقَ موتاً بين حياتين : موتٌ بعد حياةٍ وحياةٌ ليس بعدها موت . وإنَّ أعداءَ الله نظروا فلم يجدوا شيئاً بعد الموتِ إلاَّ والموتُ أهونُ منه ، فسألوا الله عزَّ وجلَّ الموتَ فقالوا ﴿ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَيْبَكَ ، قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ ﴾ (الزخرف : ٧٧) . وإنَّ أولياءَ الله نظروا فلم يجدوا شيئاً بعد الموتِ إلاَّ والموتُ أشدُّ منه ، فسألوا الله الحياةَ جزعاً من الموتِ ؛ ولكلٌّ مما

١ العقد : استمرأتم .

٢ م : وابتغوا .

هو فيه مزيد . فسبحان الله ما أقرب الحي من الميت باللحاق به ، وما أبعد الميت من الحي لانقطاعه عنه ، وليس شيء بخير من الخير إلا ثوابه ، وليس شيء شر من الشر إلا عقابه ، وكل شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه ، وكل شيء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه . فليكيفكم من السماع العيان ، ومن الغيب الخبر . إن الذي أمرتم به أوسع مما نهيتم عنه ، وما أحل لكم أكثر مما حرم عليكم ، فذروا ما قلَّ لما كثر ، وما ضاق لما اتسع . وقد تكفل لكم بالرزق وأمركم بالعمل ، فلا يكونن المضمون لكم طلبه أولى بكم من المفروض عليكم ، مع أنه والله قد اعترض الشك ودخل اليقين ، حتى كأن الذي ضمن لكم قد فرض عليكم ، وكأن الذي فرض عليكم قد وضع عنكم . فبادروا العمل ، وخافوا بغتة الأجل ، فإنه لا يرجى من رجعة الحياة ما يرجى من رجعة الرزق ، فإن ما فات اليوم من الرزق يرجى غداً ارتداده^٢ ، وما فات أمس من العمر لم ترج اليوم رجعتة .

٦٦١ - خطب محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا بن الحسن بن الحسن بن علي الخاراج مع أبي السرايا ، فقال : - وكان أبو السرايا قد انتهب قصر العباس بن موسى بن عيسى - أما بعد ، فإنه لا يزال يبلغني أن القائل منكم يقول : إن بني العباس في لنا نخوض في دمائهم ، ونرتع في أمواهم ، ويُقبل قولنا فيهم ، وتصدق دعوانا عليهم . حكّم بلا علم وعزم بلا روية . عجباً لمن أطلق بذلك لسانه أو حدث به نفسه . أبكتاب الله عز وجل أخذ ، أم لسنة رسوله ﷺ اتبع ؟ أو في ميلي معه طمع ، أو بسط يدي له بالجور أمل ؟ هيهات هيهات ، فاز ذو الحق بما نوى ، وأخطأ طالب ما تمنى ، حق كل ذي حق في يده ، وكل مدع

٦٦١ نثر الدر ١ : ٣٧٦ وجمهرة خطب العرب ٣ : ١٢٤ .

١ م : أكبر .

٢ م : زيادته .

على حُجَّتِهِ . ويلٌ لمن اغتصبَ حقاً وادَّعى باطلاً ، وأفلحَ مَنْ رضيَ بحكمِ الله تعالى ، وخابَ مَنْ أرغمَ الحقُّ أنْفَهُ . العدلُ أوْلَى بالأثَرَةِ وإن رَغِمَ الجاهلون . حقٌّ لمن أمرَ بالمعروفِ أن يَجْتَنِبَ المنكرَ ، ولمن سلكَ سبيلَ العدلِ أن يصبرَ على مرارةِ الحقِّ . كلُّ نفسٍ تسمو إلى هِمَّتِها ، ونعمَ الصاحبُ القناعة . أيها الناسُ ، إنَّ أكرمَ العبادةِ الورعُ ، وأفضلَ الزَّادِ التقوى ، فاعملوا في دنياكم ، وتزوّدوا لآخرتكم ، ﴿ اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ، ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون ﴾ (آل عمران : ١٠٢) . وإياكم والعصبيةُ وحميةُ الجاهليةُ ، فإنهما يمحقانِ الدينَ ، ويورثانِ النفاقَ ، خلَّتَانِ ليستا من ديني ولا دينِ آبائي^١ . ﴿ وتعاونوا على البرِّ والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثمِ والعدوان ﴾ (المائدة : ٢) ، يَصْلُحْ لكم دينكم ، وتَحْسُنِ المقالةُ فيكم . الحقُّ أبلجٌ ، والسبيلُ نهجٌ ، والباطلُ لَجَلجَجٌ ، والناسُ مختلفون ، ولكلٌّ في الحقِّ سعة . مَنْ حَارَبَنَا حَارَبَنَا ، وَمَنْ سَأَلَنَا سَأَلَنَا . الناسُ جميعاً آمنون إلا رجلين : رجلٌ نَصَبَ لنا نفسَهُ وأعانَ علينا بماله ، ولو شئتُ أن أقول ، ورجلٌ قال فينا يتناولُ من أعراضنا ، قلتُ ، ولكن حَسْبُ امرئٍ وما اكتسب ، وسيكفي الله الظالمين .

٦٦٢ - خطبة تنسب إلى يزيد :

أيها الناس ، سافروا بأبصاركم في كُرِّ الجديدين ، ثم أرجعوها كليلَةً عن بلوغِ الأمل ، فإنَّ الماضيَ عِظَةٌ للباقي ، ولا تجعلوا الغرورَ سبيلَ العجزِ فتقطعَ حُجَّتكم في موقفِ الله سائلكم فيه ومُحاسبكم على ما أسلفتم . أيها الناس ، أمسِ شاهدٌ فاحذروه ، واليوم مؤدَّبٌ فاعرفوه ، وغداً رسولٌ فأكرموه ، وكونوا على حَذَرٍ من هجومِ القَدَرِ . أعمالكم تطلقُ أبدانكم^٢ ، والصراطُ ميدانٌ يكثرُ فيه

٦٦٢ نثر الدرر ٣ : ٣٤ .

١ خلطان . . . آبائي : سقط من جمهرة الخطب .

٢ نثر : فإن أعمالكم مطيات آجالكم .

العِثَارُ ، فالسالمُ ناجِحٌ ، والعاثرُ في النار .

٦٦٣ - خطب محمد بن سليمان بن علي بن عبدالله فقال :

الحمد لله ، أحمده وأستعينه وأستغفره ، وأؤمنُ به ، وأتوكَّلُ عليه ، وأشهدُ أن
لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له ، وأنَّ محمداً عبدهُ ورسوله ، أرسله بالحقِّ داعياً ،
وبالعدلِ أمراً ، وبالجنةِ مُبَشِّراً ، ومن النارِ منذراً ، وبلغَ رسالتهُ ، وجاهد من عند
عن سبيلِ ربِّه حتى أكمل اللهُ له دينه ، وأظهرَ حُجَّتَه ، وصلى اللهُ عليه وعلى آله كما
صلى على إبراهيم وآل إبراهيم . أوصيكم عبادَ الله بتقوى الله ، وأحضُّكم على
طاعةِ الله ، وأرضى لكم ما عند الله ، فإنَّ تقوى الله أفضلُ ما تَحَاثَّ الناسُ عليه
وتداعوا إليه ، وتواصوا به ، فاتَّقُوا الله ما استطعتم ، واسمعوا وأطيعوا ، وأنفقوا
خيراً لأنفسكم ، ولا تَغْرَتْكم الدنيا فإنها غرارةٌ ، مغرورٌ مَنْ اغْتَرَّ بها ، ألا ترونها
لم ترفعَ أحداً إلا وَضَعْتُهُ ؟ ولم تُعزِّ جباراً إلا أذلَّتهُ ؟ ولم تُذِقْ أبناءها من حلاوتها
إلا أعقبتهنَّ سُمَّاً قاتلاً وذعافاً موبياً ؟ قد أعدتْ لهم مصارعَ الردى ومدارجَ
التلفِ لطولِ الحسرةِ والندامةِ ، يومَ ﴿ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ
كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا ﴾ (الحج : ٢) . فمثل هذه تَسْعُونَ ، وفي مثلها ترغبون ،
وإليها تركنون ، ولها تجمعون ، وأنتم ترون مصارعَ الملوك الذين كانوا أطولَ
منكم أعماراً ، وأكثرَ منكم أموالاً واعتدَّ عتاداً ﴿ فَيَلِكُ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكَنْ مِنْ
بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ (القصص : ٥٨) . فاحذروها كما حذركم اللهُ
فإنها بالموضع الذي وضعها اللهُ ، والصفة التي وصفها ، قال اللهُ عزَّ وجلَّ
﴿ واضرب لهم مثلَ الحياةِ الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماءِ فاختلطَ به نباتُ
الأرضِ فأصبحَ هشيماً تذروه الرياحُ وكان اللهُ على كلِّ شيءٍ مُقْتَدِرًا ﴾
(الكهف : ٤٥) ، وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ اتَّبِعُونَ بَكْلًا رِيعَ آيَةٍ تَعْبَثُونَ ، وَتَتَّخِذُونَ
مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ، وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَارِينَ ﴾ (الشعراء :

٦٦٣ البيان والتبيين ٢ : ١٢٩ (بعض اختلاف) وكذلك نثر الدر ١ : ٤٤٧ .

١٢٨-١٣٠). فاعملوا عبادَ الله لِدارِ الْمُتَّقِينَ ، فَإِنَّ الدارَ الآخِرَةَ هِيَ الحَيَوانُ
وِدَارِ المِقامَةِ الَّتِي لا يَمَسُّ أَهلُها فِيها نَصَبٌ ولا يَمَسُّهُم فِيها لُغُوبٌ .

٦٦٤ - خُطِبَ المَأْمُونُ فَقالَ : اتَّقُوا اللَّهَ عِبادَ اللَّهِ وَأَنْتُمْ فِي مَهَلٍ ، بادِرُوا
الأَجَلَ ولا يَغْرَبَنَّكُمُ الأَمَلُ ، فَكأَنَّ بالموتِ وَقَد نَزَلَ ، فَشغَلتُ المِرَّةَ شِواغِلَهُ ،
وَتُرِكَتْ عَنْهُ بِوَاطِلِهِ ، وَهَيَّيْتُ أَكفانَهُ ، وبِكاها جِيرانُهُ ، وصارَ إِلى المَنزِلِ الخالِي
بِجِسدِهِ البالِي ، قَد فارَقَ الرِفاهِيةَ وَعائِنَ الداهيةَ ، فوجَّهُهُ فِي الترابِ عَفيرٌ ، وَهُوَ
إِلى ما قَدَّمَ فقيرٌ .

خُطْبُ لابنِ نِباتَةَ

٦٦٥ - الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلا فِي ارْتِفاعِ مِجدِهِ عَن أَعراضِ الهِمَمِ ، وَخَلا
بِاتِساسٍ رِفدِهِ عَن اِعْتِراضِ التُّهَمِ ، وَجَلا قُلُوبَ أُولِيايِهِ بِبِنايِعِ الحِجَمِ ، وَهَداهِم
بُنُورِ اجْتِبايِهِ لِأرْشادِ نِعمِ ، أَحْمَدُهُ عَلى صِنُوفِ النِّعمِ ، حَمداً تَضيقُ بِإِحْصائِهِ
الكَلِمَ ، وَأشْهَدُ أَنَّ لا إِلهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، شِهادَةً تُشفي القُلُوبَ مَن
السِّقمِ ، وَتُكفي المِرهوبَ مَن النِّقمِ ، وَأشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدُهُ وَرِسالُهُ ، نَقَلَ
فِي أَطْهِرِ صُلْبِ وَرِجَمِ ، وَاخْتَصَّهُ بِأَحْمَدِ الأَخلاقِ وَالشِّيمِ ، وَأرسلَهُ إِلى العِربِ
وَالعِجمِ ، وَجَعَلَ أُمَّتَهُ خَيرَ الأُمَّمِ ، فَشَفَى الأَسْماعَ مِنَ الصِّمَمِ ، وَوفى بِالعهودِ
وَالذِّمَمِ ، وَنَفى بِنُورِهِ حِنادِسَ الظُّلَمِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَعَلى أَهلِ بَيْتِهِ أَهلِ الفِضْلِ

٦٦٥ هُوَ عِبدُ الرَّحيمِ بِنِ مُحَمَّدِ بِنِ إِسْماعيلِ بِنِ نِباتَةَ ، تَوَفَّى سَنَةَ ٣٧٤ بِمِيفارِقينِ وَدَفِنَ بِها (انظُرْ ابْنَ
خُلِكانَ ٣ : ١٥٦-١٥٨) .

- ١ م : هِيَ دارُ القِرارِ .
- ٢ م : وَبِكى عَلَيهِ .
- ٣ م : بِارْتِفاعِ .
- ٤ وَتُكفي . . . النِّقمِ : سَقَطَ مَن م .
- ٥ م : وَعَلى آلهِ .

والكرم . أيها الناس ، ما أسلس قيادَ مَنْ كان الموتُ جريره ، وأبعدَ سدادَ مَنْ كان هواهُ أميره ، وأسرعَ فطامَ مَنْ كانت الدنيا ظميره ، وأمنعَ جنابَ مَنْ أصبحت التقوى ظهيره . فاتَّقوا اللهَ عبادَ اللهِ حقَّ تقواه ، وراقبوا مراقبةً مَنْ يعلمُ أنَّه يراه ، وتأهبوا لوثباتِ المنون ، فإنَّها كامنَةٌ في الحركاتِ والسُّكون ، بينما المرءُ مسروراً بشبابه ، مغروراً بإعجابه ، مغموراً بسعةِ اكتسابه ، مستوراً عنه ما خُلِقَ له بما يُغرى به ، إذ سعرتَ فيه الأسقامُ شهابها ، وأعلقتَ به ظُفرها ونابها ، فسرتَ فيه أوجاعه ، وتكررتَ عليه طباعه ، وأظللَ رحيله ووداعه ، وقلَّ عنه منعه ودفاعه ، فأصبحَ ذا بصيرٍ حائراً ، وقلبٍ طائرٍ ، ونفسٍ غابراً^١ ، في قُطبٍ هلاكِ دائرٍ ، قد أيقنَ بمفارقةِ أهلهِ ووطنه ، وأذعنَ بانتزاعِ رُوحه من بدنه ، فأوماً إلى حاضرِ عُواده ، موصياً لهم بأصغرِ^٢ أولاده ، والنفسِ بالسِّياقِ تُجذبُ ، والموتِ بالفواقِ يُقربُ ، والعيونِ لهولِ مصرعهِ تسكُبُ ، والحامةُ تعدُّ عليه وتندبُ ، حتى تجلَّى له ملكُ الموتِ - صَلَّى اللهُ عليه - من حُجبه ، ففضى فيه قضاءً أُمِرَ به ، فعافه الجليس ، وأوحشَ منه الأنيس ، وزوَّدَ من ماله كفنًا ، وحصل في الأرضِ بعمله مُرتهناً ، وحيداً على كثرةِ الجيران ، بعيداً على قُربِ المكان ، مقيماً بين قومٍ كانوا فزالوا ، وجرتَ عليهم الحادثاتُ فحالوا ، لا يخبرون بما إليه آلوا ، ولو قدروا على المقالِ لقالوا ، قد شربوا من الموتِ كأساً مرَّةً ، ولم يفقدوا من أعمالهم ذرَّةً ، وآلى عليهم الدهرُ أليَّةً برَّةً ، ألا يجعلَ لهم إلى دارِ الدنيا كَرَّةً ، كأنهم لم يكونوا للعيونِ قُرَّةً ، ولم يُعدُّوا في الأحياءِ مرَّةً ، أسكنهم اللهُ الذي أنطقهم ، وأبادهم الذي خلقهم ، وسيجدهم كما أخلقهم^٣ ، ويجمعهم بعدما

١ م : حاسر .

٢ م : ونفس طائر غائر .

٣ م : بأصاغر .

٤ م : بالفراق .

٥ م : القبر .

٦ وسيجدهم كما أخلقهم : من م وحدهما .

فَرَّقَهُمْ ، يَوْمَ يُعِيدُ اللَّهُ الْعَالَمِينَ خَلْقًا جَدِيدًا ، وَيَجْعَلُ الظَّالِمِينَ لِنَارِ جَهَنَّمَ وَقُودًا ، يَوْمَ تَكُونُونَ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ أَنْ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ (آل عمران : ٣٠) . جعلنا الله وإياكم مَمَّنْ قَدَرَ قَدْرَهُ ، فقبل أمره ، وأدام في الخلواتِ ذكْرَهُ ، وجعل تقوى عالمِ الخَفِيَّاتِ ذُخْرَهُ ، وأسْتَغْفِرُ اللهَ لي ولكم ولسائرِ المسلمين .

سمعت هذه الخطبة على الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن نبهان الغنوي الرقي مع غيرها من خطب ابن نباتة ، وما رأيتُ مخبراً أعرَفَ منه بما يُقرأ عليه ، كان يحفظ خطب ابن نباتة كأنما يقرأها من كَفِّهِ ، ويردُّ على القارئ من حفظه ولفظه .

وحدثنا من فيه قال : أخبرنا الشيخ الخطيب أبو القاسم يحيى بن طاهر بن محمد بن عبد الرحيم ، قال : أخبرنا أبي طاهر عن أبيه محمد عن أبيه عبد الرحيم ابن محمد بن إسماعيل الفارقي ، قال : لما عملت هذه الخطبة وخطبتُ بها يومَ جمعةٍ ، بِتُّ ليلةَ السبتِ فرأيتُ فيما يرى النائمُ كأنني بظاهر مدينة ميفارقين عند الجبَّانةِ ، ورأيتُ بين المقابرِ جمعاً كثيراً ، فقلتُ : ما هذا الجمعُ ؟ فقال لي قائل : هذا النبي ﷺ ومعه الصحابة ، فقصدته لأسلمَ عليه ، فلما قرَّبتُ منه التفتَ فرآني فقال : أهلاً ومرحباً يا خطيبَ الخطباء ، كيف تقول - وأوماً إلى القبور - فقلتُ كأنهم لم يكونوا للعيونِ قُرَّةً ، ولم يُعدُّوا في الأحياءِ مرةً ، أسكتهم والله الذي أنطقهم ، وأبادهم الذي خلقهم ، وسيُجدِّهم كما أخلقهم ، ويجمعهم كما فرَّقهم ، يَوْمَ يُعِيدُ اللَّهُ الْعَالَمِينَ خَلْقًا جَدِيدًا ، وَيَجْعَلُ الظَّالِمِينَ لِنَارِ جَهَنَّمَ وَقُودًا ، يَوْمَ تَكُونُونَ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ - وأوماً إلى الصحابة ، وأوماً إلى النبي ﷺ - ويكون الرسولُ عليكم شهيداً ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا

١ أورد ابن خلكان هذا القول .

وما عَمِلْتُ من سُوءٍ تَوَدُّ لو أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا . قال : فقال لي النبي ﷺ : احسنتَ لا فَضَّ اللهُ فَاك ، اذْنُهُ اذْنُهُ ، قال : فدنوت منه فأخذ وجهي فقبله وتفل في في وقال : وفقك اللهُ . فانتبهتُ من النوم وبني من السرور ما يجلُّ عن الوصف ، وأخبرتُ أهلي بما رأيتُ ، وبقيتُ بعد هذا المنام لا أَطْعَمُ الطعامَ ولا أَشْتَهيه ، وكان يوجد في فمي مثل رائحة المسك .

قال شيخنا أبو القاسم رحمة الله عليه : ولم يبقَ بعد هذا المنام إلا قليلاً حتى توفي - رحمة الله عليه - وله دون الأربعين سنة .

٦٦٦ - ومن خطبه :

الحمد لله ناقضِ عزائمِ المخلوقين بإبرامِ عزمِهِ ، وقابضِ خزائمِ أنفسِ الآبِقين لِإلزامِ حكمِهِ ، وحالِّ عُقَدِ الشبهاتِ عن بصائرِ أهلِ وُدِّهِ ، وقالٍ عُدَدَ ذَوِي الرغباتِ عن محجَّةِ قضدِهِ ، أحمَدُهُ حمداً يستوجبُهُ فضلُهُ ، وأعلمُ أَنَّ اختلافَ مقاديرِهِ عدلُهُ ، وأشهدُ أَنَّ لا إِلَهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ له ، شهادةً أُجَدِّدُ بها في مقامِ مقالاً ، وأُجَدِّدُ بها ذا الجلالِ والإكرامِ تعالى ، وأشهدُ أَنَّ محمداً عبدهُ ورسولُهُ ، أرسلَهُ والحقُّ خافيةٌ صَوَاهُ ، واهيةٌ قواه ، حلٌّ حُرْمُهُ ، فَلَ عِصْمُهُ ، طامسةٌ أعلامُهُ ، دارسةٌ أحكامُهُ ، منكورةٌ أيامُهُ ، مبتورةٌ أودامُهُ ، فأقدمُ ﷺ على إظهارِهِ ونُصْرَتِهِ ، وأعلمُ في أنصارِهِ وأسرَتِهِ ، وناصحِ اللهِ في تشييدِ مِلَّتِهِ ، وكافحِ أعداءِهِ على الإقرارِ بوحْدانيَّتِهِ ، حتى ذَكَ رَعانَ البُهتانِ فأصحَرها ، وفكَّ أركانَ الطغيانِ فدمَّرها ، وأطَّلَعَ شمسَ اليقينِ وندبَ إليها ، وشرَعَ شرائعَ الدينِ فأوضَحها لديها ، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله صلاةً تسوقُ ثوابَهُ بين يَدَيْها ، وتؤمِّنُ عقابَهُ من آمنَ من العالمين عليها .

أيها الناس ، أَسيموا القلوبَ في رياضِ الحِكمِ ، وأدِيموا النحيبَ على ابيضاضِ اللَّمَمِ ، وأطيلوا الاعتبارَ بانتقاضِ النِّعمِ ، واجتولوا الأفكارَ في انقراضِ الأُمَمِ ،

١ عاش بعد المنام ثمانية عشر يوماً (كما قال ابن خلكان) .

الذين كانوا من قبلكم في الأرض قاطنين ، وعلى مهادِ الحَفْضِ مُستوطنين ،
ويعهود الأيَّامِ واثقين ، وإلى غاياتِ الأمانِ سابقين ، ممَّن تَبَوَّأَ عَرُورَةَ دَهْرٍ
أصبحتم بحضيضه ، وتملأَ صَفْوَ زَمَانٍ جادِ عليكم بِقروضه ، حتى إذا
استحكمت فيهم طَمَاعِيَةُ التخليدِ ، واستولتْ عليهم رَفاهيَةُ التمهيدِ ، وقادوا
الخليقةَ بِأزْمَةٍ الرَّغْبِ والرَّهَبِ ، وسارتْ بهم الدنيا مسيرَ التقريبِ والخَبِ ،
وعَمَّوا عن مناصبِ أَشْرَاكِ جِدِّهَا في مراعيِ اللَّعِبِ ، ولَهُوَ عما يدلُّ عليه الاعتبارُ
فيها من سوءِ المنقلبِ ، رَعَا في وَسَطِ ديارهم سَقْبُ العطبِ ، وأعدى فيهم
الهلاكُ إعداءَ الجَرَبِ ، وأوقعتْ بهم المنونُ إيقاعَ الغضبِ ، وأدَّتْ إليكم الأيَّامُ
من أخبارهم أنواعَ العَجَبِ ، سحبتْ عليهم الهُوجُ أذبالَ نَقَائِمِهَا ، وحلَّبتْ
عليهم المنونُ سجالَ غَمَائِمِهَا ، فأضحوا رهائنَ أجداثِ مُوصَدَّةِ ، وودائعِ قبورِ
مُلَحَّدَةِ ، ذهبوا واللهِ فلم يرجعوا ، ونُذِبوا فلم يَسْمَعُوا ، وأزْعَجوا فلم يَمْنَعُوا ،
واستضيّموا فلم يَدْفَعُوا ، أتراهم رَضُوا بدارِ العُرْبَةِ داراً ، أم آثروا قرارَ الوحشةِ
قراراً ؟ لا واللهِ ما اختاروا فرقةَ الأحبابِ ، والكُونِ تحتِ أطباقِ الترابِ ، ولكن
صالَ عليهم القضاءُ فاطرقوا ، وطالَ عليهم العفاءُ فأحلَّقُوا ، واتفقتْ عليهم
الحادثاتُ فتفرقوا ، وأعنتْ إليهم المثلثاتُ فتمزقوا ، فليت شعري ماذا قيل لهم
وماذا لَقُوا ؟ أَسْعِدُوا بِمَكْتَسِبِهِمْ في الآخرةِ أم شَقُوا ؟ فَهَلُمَّ عبادَ اللهِ إلى محاسبةِ
النفوسِ ، قبلِ موأبةِ النحوسِ ، ومقارنةِ الرُّموسِ ، ومعاينةِ اليومِ العبوسِ ، يومِ
غضِّ الرؤوسِ ، وفضِّ الطُّروسِ ، والفحصِ عن المحسوسِ والملموسِ ، بين يديِ
الملكِ القدُّوسِ ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ ، وَنُزِلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ (الفرقان :
٢٥) ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَهِيلًا﴾ (المزمل : ١٤)
﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ ، فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَؤُونَ
كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (الإسراء : ٧١) ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ
بِحَمْدِهِ وَتَظُنُونَ إِن لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء : ٥٢) . طِيننا اللهُ وإيَّاكم بطيبِ
كِتابِهِ ، وأدبنا وإيَّاكم بآدابه ، ووفَّقنا وإيَّاكم للأخذِ بصوابِهِ ، ووفَّقنا وإيَّاكم عند ما

أمرنا به ، إن أولى ما اهتديتم بإرشاده ، وأحق ما صدقتم بوعده وإيعاده ، كلام من جعلكم من خير عباده ، ويقراً ﴿فكلاً أخذنا بذنبه . . .﴾ الآية .

٦٦٧ - خطبة له أخرى يذكر فيها الشيب :

الحمد لله المدرك المقيت ، المهلك المفيت ، المنشير المميت ، مالك أزممة الجمع والتشتيت ، الذي فات حدود الأوصاف والنعوت ، واحتجب عن الأبصار بعز الملكوت ، سبحانه له الخلق خضوع قنوت ، وهو الواحد الحي الذي لا يموت ، أحمدة حمداً يمرى سبل عهاد رزقه ، ويوري شعل زناد الشكر في خلقه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة كثر على اللسان لفظها ، وقر في مقر الجنان حفظها ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بوجه طلق ، ولسان ذلق ، وشرع صديق ، ودين حق ، فصد عن سبيل الهلكة ، وأمد باليمن والبركة ، حتى صارت الكلمة سداً ، والأمة في الحق شرعاً أحداً ، صلى الله عليه وعلى آله صلاة لا تنقطع عدداً ، ولا تنقضي أبداً . أيها الناس ، إن ضياء نهار المشيب في إظلام ليل اللحي والرووس ، حقق عند الفطن اللبيب قرب انهدام القوى واخترام النفوس ، ذلك صباح ما بعده ليل ينتظر ، واجتياح لا ملجأ منه ولا وزر ، وضيف على رغم المضيف وإغل ، وسيف لموصول الحياة فاصيل ، ونور طالع بأقول النسب ، ومنشور بالاشخاص إلى محل الرمم ، فلا تحرقوا - رحمكم الله - نور مشيبيكم بنار ذنوبكم ، وارمقوا غير الحوادث بأبصار قلوبكم ، تركم ما خفي عنكم من عيوبكم ، فكما حل بكم من المشيب ما تكرهون ، فكذلك يحل بكم الموت ، أفلا تنتهون ؟ ! ألا وإن الشيب نغر الحياة الذي لا يمكن سداً ، وكسر القناة الذي لا يصلح الدهر فساده . فيا معشر الشيوخ هل بعد ايضاض الزرع إلا حصاده ؟ ويا معشر الكهول ما تنصف من الثمار أن جداده ، ويا معشر الشباب كم من زرع أباده قبل البلوغ قملته وجراده ، إن هي إلا ترجمة الأحداث عن حتم الفناء ، آثارها في الأجسام آثار الهدم في البناء . فما بقاء من صحته في دنياه سقمه ، وغنيمته من الحياة غرمة ، ومقامه فيها سفر ، وأيامه بتقلبها غير ، تربه إعطاء ما تسلبه ، وبناء ما تحربه ،

وبعيداً ما تُقَرَّبُهُ ، وعتيداً ما تجنُّبُهُ . فيا عجباً للمأمور بالتزوُّدِ قد حان سفرُهُ ، وأقامَ مَنْ تَقَدَّمَهُ عليه ينتظرُهُ ، وهو خليٌّ من التَّاهِبِ لرحلةٍ تُدَكِّرُهُ ، مع صحَّةِ علمِهِ أنَّ المنيَّةَ لا تُؤَخَّرُهُ . فرحم الله امرءاً أهَمَّهُ مَعَاذُهُ ، وتقدَّمَهُ زادُهُ ، وكان إلى التقوى انقيادُهُ ، وهواهُ جهادُهُ ، قبل إخلاقِ الجِدَّةِ ، وإنفاقِ المِدَّةِ ، وانهدامِ العُدَّةِ ، واقتحامِ الشدَّةِ ، قبل هُطْلانِ الرُّحْضَاءِ ، وبُطْلانِ الأَعْضَاءِ ، وضيقِ رُحْبِ الفِضَاءِ ، وحيرةِ الفتورِ والإغْضَاءِ ، لورودِ حَتْمِ القِضَاءِ ، هنالك صالت^٢ عليك بسطوتها شُوبُ ، وحالتْ عن سَجِيَّتِهَا اللُوبُ ، ورقتْ لكربِ سِيَاقِكَ القُوبُ ، وشُقَّتْ على قُرْبِ فِرَاقِكَ الجُوبُ ، وطلعت سافرةً عن صفحتِهَا المِخْدَرَةُ العُرُوبُ ، إذ حان منك في ظلماتِ التَّرابِ غُرُوبُ . فأنبئوا أيها العاقلون إذ كنتم موقنين أنَّكم صائرونَ إلى هذا المصيرِ ، وأذنبوا جامدَ الدموعِ بنيرانِ الزَّفِيرِ ، وأطيبوا التزوُّدَ لِيُوشِكَ المسيرُ ، واستجيبوا لرَبِّكُمْ من قبلِ أن يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مردَّ له من الله ، ما لكم من مَلَجٍ يَوْمَئِذٍ وما لكم من نكيرٍ . جعلنا الله وإياكم ممَّنْ أَدْبَتَهُ العَيْرُ ، وهذَّبَتُهُ الفِكْرُ ، فأملتْ عليه غُرُورُ الأمورِ أنباءَ عواقِبِهَا ، وتجلَّتْ له سُرُّ المِخْدُورِ عن لَأَلَاءِ قِوَاضِبِهَا ، فاستعظم في بقيةِ عمره ادِّخَارَ الحِسنَاتِ ، واستعصم بهضبةِ الحقِّ من شرِّ ما هو آتٍ . إنَّ أحسنَ نظمِ اللَاقِطِ ونثره ، وأبلغَ وعظِّ الواعِظِ وزجره ، كلامٌ مَنْ تَطْمِئِنُّ القُلُوبُ بِذِكرِهِ .
ويقرأ : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ العُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (النحل : ٧٠) .

٦٦٨ - ومن خطبة لقطريِّ بن الفجاءة المازني الخارجي :

٦٦٨ لقطري خطبة في البيان والتبيين ٢ : ١٢٦ والعقد ٤ : ١٤١ وبعضها في عيون الأخبار ٢ : ٢٥٠ ونهاية الأرب ٧ : ٢٥٠ وصبح الأعشى ١ : ٢٢٣ وجمهرة الخطب ٢ : ٤٥٤ ولكن المشابه بينها وبين الخطبة التي أثبتها صاحب التذكرة ضغيلة ، وإن كانت الخطبتان في ذم الدنيا.

١ م : همه .

٢ ر : مالت .

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ﴾ (هود : ١٥) . ألا فبعتت الدار لمن أقام فيها ، فاعملوا وأتمتعوا وتعلمون أنكم تاركوها عما قليل ، فإنها كما وصفها من أنشأها ، وكما ذمها من ابتدأها ، فقال : ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاحتلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً﴾ (الكهف : ٤٥) . مَنْ ذَمَّ اللهُ أَعْمَالَهُمْ كَيْفَ حَمَلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا ، وَأَنْزَلُوا فَلَا يَنْزِلُونَ ضَيْفَانًا ، وَجَعَلَ لَهُمْ مِنَ الصَّرِيحِ أَكْفَانًا ، وَمِنَ التَّرَابِ أَكْنَانًا ، وَمِنَ الرُّفَاتِ جِرَانًا ، فَهَمَّ حَيْرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ ، مَتَنَاوُونَ لَا يَزُورُونَ وَلَا يَزَارُونَ ، حُلْمَاءٌ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ ، وَجُهَلَاءٌ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ ، لَا يُخْشَى دَفْعُهُمْ ، وَلَا يُرْجَى مَنَعُهُمْ ، كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ (مريم : ٩٨) ، وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص : ٥٨) ، اسْتَبَدَلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنَهَا وَبِالسَّعَةِ ضَيْقًا ، وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً ، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً ، فَجَاوَرَوْهَا كَمَا فَارَقَوْهَا ، حُفَاةٌ عُرَاةٌ فُرَادَى ، غَيْرَ أَنَّهُمْ ظَنَعُوا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ ، وَإِلَى خُلُودِ الْأَبَدِ ، فَكَانُوا كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ ، وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام : ٦٢) ، (القصص : ٧٥) ، فَاحْذَرُوا مَا حَذَرَكَمُ اللهُ ، فَإِنَّهُ قَدْ أَعْدَرَ وَأَنْدَرَ ، وَوَعَدَ وَأَوْعَدَ ﴿لَوْلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (النساء : ١٦٥) يَقُولُوا : ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنزَلَ وَنُخْزَى﴾ (طه : ١٣٤) . عَصَمْنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ ، وَرَزَقْنَا وَإِيَّاكُمْ أَدَاءَ حَقِّهِ .

٦٦٩ - قال مالك بن دينار رضي الله عنه : غدوتُ إلى الجمعة ، فقعدتُ قريباً من المنبر ، فجاء الحجاجُ فصعد المنبر ، فذكر الله وحمده ومجده وأثنى عليه ،

وصلَّى على محمدٍ نبيِّه ثم قال : امرؤٌ تزوَّدَ عمله ، امرؤٌ حاسب نفسه ، امرؤٌ فكَّرَ فيما يقرؤه في صحيفته ويراه في ميزانه ، امرؤٌ كان عند قلبه زاجرٌ وعند همِّه ممسك ، امرؤٌ أخذ بعنان قلبه كما يأخذُ الرجلُ بخِطامِ جمليه ، فإن قاده إلى طاعة الله تبعه ، وإن قاده إلى معصيته كفَّه .

٦٧٠ - خطبة منبرية من إنشاء علي بن نصر الكاتب :

الحمدُ لله الذي برَّ الخلائقَ تفضُّلاً ، وجعل من الملائكة رُسلاً ، وانتخب من عباده صفوةً أنزل عليهم وحيه ، وحملهم أمره ونهيته ، وابتعثهم مبشرين ، وأرسلهم منذرين ، ليهلك مَنْ هلكَ عن بينة ، ويحيي مَنْ حيَّ عن بينة ، وإنَّ الله لسميعٌ عليم ، جلَّ عن الأشباه والأنداد ، وتقَدَّسَ عن الصواحبِ والأولاد ، وعزَّ عن الإدراكِ بالجوارح ، وتنزَّهَ عن الظلمِ والقبائح ، وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، ذو العلمِ المحيطِ بكلِّ شيء ، والقدرةِ القابضةِ لنفسِ كلِّ حيٍّ ، والعزَّةِ المالكةِ لكلِّ قلبٍ ، والرحمةِ الواسعةِ لكلِّ ذنبٍ .

أحمدُه مُنعماً لا يأسَ من رحمته ، وأعوذُ به منتقماً لا ملجأَ من سطوته ، وأستعينُه ناصراً لا غالبَ لجنِّه ، وأؤمنُ به مصدِّقاً لقوله ووعده .

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له ، شهادةً تجبرُ نقائصَ الأعمالِ ، وتغفرُ خطايا الأفعالِ والأقوالِ ، وتكونُ زاداً للسفرِ إليه ، وعتاداً ليومِ العرضِ عليه . وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله ، انتخبه من أكرمِ أرومةِ ولبابِ ، ونقله في أظهرِ مُتونٍ وأصلابِ ، حتى برزَ والأنوارُ تُضيءُ بين يديه ، والشواهدُ تيمُّ إلى قلوبِ ذوي الإيمانِ عليه ، فما زال مقبولاً مُحبباً ، ومتبوعاً مُرحباً ، نُطقه الحمدُ والاستغفارُ ، وشعاره السكينةُ والوقارُ ، إلى أن دنا الأمدُ المضروبُ لإظهاره ، وبلغَ الأجلُ المكتوبُ في إنذاره ، فأرسله - صلَّى اللهُ عليه - على حينِ فترةِ امتدَّتْ أشرانها ، وفتنةِ تمرَّدَ شيطانها ، حينِ فتحتِ العوايةُ أبواباً ، واتَّخذتْ الأصنامُ

١ البيان : امرؤٌ زور .

أرباباً ، وأفترت على الله الأباطيل ، وعبدت دونه الصُّورَ والتمائيل ، فجهر
 بكلمة الصدق ، وصَدَعَ بدعوة الحق ، ودلَّ على الدين القويم ، وهدى إلى
 الصراطِ المستقيم ، حتى بدا الإسلامُ مُشرقاً ، واستنبتَ الكفرُ نَقْعاً ، وظهرَ أمرُ الله
 وهم كارهون . صلى الله عليه وسلم ، وشرفَ وكرَّم ، صلاةً دائمةً تلاقيه
 وتصافحه ، وسلاماً يغاديه ويُرَاحُهُ ، وشرفاً ينمي إذا ذوتِ الحدائق ، وكرامةً
 تبقى إذا فويت الخلائق ، وعلى أهل بيته وناصره ، وصحابته ومؤازريه ، وذوي
 الرتبة الفائتة للمساعي ، والدرجة العالية عن المرعيِّ والراعي .

أوصيكم عبادَ الله وإيَّايَ بتقوى الله ، وأحذركم الدنيا فإنها منزلُ مكرٍ
 وأطماعٍ ، ودارُ غرورٍ وخِداعٍ ، وطريقُ ميلٍ واعوجاجٍ ، ومحلُّ قُلْعَةٍ وانزعاجٍ ،
 درئُها مقطوعةٌ ، ونفرتُها ممنوعةٌ ، وعقدُها مجذوذٌ ، وعهدُها منبوذٌ ، بينا هي
 مقبلةٌ حتى تدبر ، ومستأنسةٌ حتى تنفر ، ومُسعدةٌ حتى تخذل ، ومُصحبةٌ حتى
 تحرن ، صحبُها أسقام ، ولذتُها أحلام ، ونعيمُها بؤس ، وأسعدُها نحوس ، مَنْ
 سكن إليها فتنتهُ ، ومَنْ اعتمدَ عليها أسلمتهُ ، ومَنْ هتَّ باقتناصه استهوتهُ ، ومَنْ
 نهيتَ عن اعتباطه أهرمتهُ ، المرءُ فيها حليفُ همومٍ وأشجان ، وأليفُ غُومٍ
 وأحزان ، وطليحُ نصبٍ ولغوب ، وطريحُ نوبٍ وخطوب ، فالسعيدُ مَنْ فقهه
 أغراضها ، والسليمُ مَنْ كرهه أعراضها ، والعزيرُ مَنْ زهد في عاجلها ، والنزيهُ مَنْ
 صدَفَ عن باطلها ، عالماً بعظُمِ عنائِها ، وموقناً بوشيكِ انقضائِها ، ومنقطعاً عنها
 إلى ربِّه ، بخُلوصٍ من سريره وقلبه ، يسهرُ ليله اعتباراً ، ويسكبُ دمه جداراً ،
 ويفني وقته استغفاراً ، قد أيقنَ بسرعةَ المنقلبِ ، وتحققَ ألاَّ وزرَ ولا مهربَ ،
 فهو يهربُ الفارطَ من الإجمام ، ويفرقُ الواقعَ من الانتقام ، فذلك المكتوبُ من
 الخائفين ، وعسى أن يكونَ من المفلحين ، والشقيُّ مَنْ اغترَّ بتعاليلها ، واستمرَّ في
 غيِّها وأضاليلها ، وصبا إلى خضراءِ دَميِّها ، ولها عن طارقٍ لأوائِها ومِحَنِها ،

١ ر : وإزعاج .

٢ م : وسعدُها .

واستغزَرَ الحلبَ من أخلافِها ، واستمرَّ العذبَ من نطافِها ، لا يرى لها انقطاعاً ، ولا يخشى على دِرَّتِها مصاعاً ، فهو على لذَّاتها منهك ، وبجبالِ خُدَعِها متمسكٌ ، يسحبُ فيها ذيلَ الأشيرِ الخليعِ ، وينقادُ إليها انقيادَ المؤتمِرِ المطيعِ ، نَوْمَتُهُ على السُّكْرِ والمزمارِ ، وصُبْحَتُهُ على النَّشْوَةِ والخُمارِ ، لا يلتفتُ إلى نُوبِها التي أَقْرَحَتِ الجفونَ ، ومناياها التي أَفْنَتِ القرونَ ، ولا يرى عليه من أَجَلِهِ رقيباً ، ووراءَهُ من خالِقِهِ طليئاً ، ينتزعُهُ من يدِ الناصِرِ ولا يجدُ امتناعاً ، ويسلبه لفتةَ الناظرِ فلا يستطيعُ دفاعاً ، فذاك المعدودُ من الأَخسرِينَ أفعالاً ، والمحسوبُ من الأَضلِّينَ أعمالاً .

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ حَقَّ تَقَاتِهِ ، وَاَعْتَدُوا لِدُنُوِّ الْأَجْلِ وَمِيقَاتِهِ ، وَاَعْمَلُوا لِقَبْرِ لِحْدِهِ مَظْلَمٍ ، وَسَفَرٍ يُخَافُ فِيهِ سُوءُ الْمَقْدَمِ ، وَاَحْذَرُوا الْمَوْتَ قَبْلَ التَّوْبَةِ ، وَعَضُّ الْأَنَامِلِ يَوْمَ الْأُوبَةِ ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء : ٨٨-٨٩) . جَعَلْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنِ اتَّخَذَ وَاِزْدَجَرَ ، وَعَلِمَ وَاسْتَبَصَرَ ، وَاَعْتَبَرَ وَتَذَكَّرَ ، وَاسْتَقَالَ وَاسْتَغْفَرَ ، اسْتَغْفَرُوا اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ .

١ م ر : الفسق .

٢ م : ولجميع .

نوادير الخطب

- ٦٧١ - خطب وال باليمامة فقال : إِنَّ اللَّهَ لَا يِقَارُّ عِبَادَهُ عَلَى الْمَعَاصِي ، وَقَدْ أَهْلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً فِي نَاقَةٍ مَا كَانَتْ^١ تَسَاوِي مَائِي دَرَاهِمَ ، فَسُمِّيَ مُقَوِّمَ النَّاقَةِ^٢ .
- ٦٧٢ - خطب عديُّ بنُ وثَّابٍ فقال : أَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ : ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى ، وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (غافر : ٢٩) . قَالُوا : لَيْسَ هَذَا قَوْلَ عَبْدٍ صَالِحٍ إِنَّمَا هُوَ قَوْلُ فِرْعَوْنَ ، قَالَ : مَنْ قَالَهُ فَقَدْ أَحْسَنَ .
- ٦٧٣ - صعد بعضُ الأعرابِ على المنبرِ في عمله^٣ يخطبُ ، فقال : وَاللَّهِ إِنْ أَكْرَمْتُمُونِي أَكْرَمْتُمْكُمْ ، وَإِنْ أَهْتَمْتُمُونِي أَهْتَمْتُمْكُمْ ، وَلِتَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ ضَرْطِي هَذِهِ ، ثُمَّ ضَرَطَ .
- ٦٧٤ - ولَّى المهلبُ بعضَ الأعرابِ كورةً بخراسانَ ، وعزل والياً كان بها ، فلما وردها الأعرابيُّ وصعد المنبرَ حمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال : أَيُّهَا النَّاسُ

-
- ٦٧١ نثر الدر ٦ : ٤٦٧ وعيون الأخبار ٢ : ٤٥ والبيان والتبيين ٢ : ٢٣٥ وبهجة المجالس ١ : ٧٦ .
- ٦٧٢ نثر الدر ٦ : ٤٦٧ وبهجة المجالس ١ : ٧٦ .
- ٦٧٣ نثر الدر ٦ : ٤٧٨ .
- ٦٧٤ نثر الدر ٦ : ٤٨٠ .

١ م ر : ناقة كانت .
 ٢ فسُمِّيَ ... الناقة ، سقط من م ر .
 ٣ في عمله : سقط من ر .

اقصدوا لما أمركم الله تعالى به ، فإنه عز وجل رغبكم في الآخرة الباقية ، وزهدكم في الدنيا الفانية ، فرغبتم في هذه ونبذتم تلك ، فيوشك أن تفوتكم الفانية ، ولا تحصل لكم الباقية ، فتكونوا كما قال الله : لا ماءك أبقيت ولا حرك أنقيت ، واعتبروا بهذا المعزول عنكم كيف سعى فصار ذلك إلي على رغم أنفه ، وصار كما قال في مُحْكَم كتابه : [مجزوء الخفيف]

أنعمي أم خالد رُبَّ ساعٍ لقاعد

٦٧٥ - قال الأصمعي : ولي أعرابي تباله ، فصعد المنبر فلم يحمد الله ولم يُثن عليه ، ولم يُصلِّ على النبي ﷺ ، وقال : إنَّ الأميرَ أعزّه اللهُ ولأني بلدكم ، وإني والله ما أعرفُ من الحقِّ غيرَ مقدارِ سوطي ، وإني لا أوتى بظالمٍ ولا مظلومٍ إلا أوجعتهُ ضرباً . فكانوا يتعاطونَ الحقَّ بينهم ولا يترافعون إليه .

٦٧٦ - ولي العلاء بن عمرو بلاد سارية ، وكان جائراً ، فأصاب الناسَ القحطُ ، وأمسكتِ السماءُ مطرها ، فخرجوا يستسقون ، وصعد العلاء المنبر فقال في دعائه : اللهم ارفعْ عنا البلاءَ والغلاءَ . فوثب معتوِّةً كان بها فقال : والعلاء ، فإنه شرُّ من الغلاء ، وأغلظُ من جميع البلاء . فضحك الناسُ وخبج العلاء وانصرف .

٦٧٧ - استعمل المنصورُ سلماً الكلبِيَّ - وكان أخاه من الرضاعة - على الريِّ ، وكان أعرابياً ، فاستعمل أخاه ناصحاً على أذربيجان ، فصعد المنبرَ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : اللهم اجعلْ بصري في طاعتك بصرَ الصقر ، وقوتِي في مرضاتِك قوَّةَ النمر ، وعمري في محبَّتِك عمرَ النسر ، اللهم أصلحْ أميرَ المؤمنين

٦٧٥ نثر الدر ٦ : ٤٦٩ .

١ م : سالماً .

صلاحاً ، وأُمتِعَ بهِ متاعاً يا هناء ، أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ؛ ثم نزل .
فأتاه نعيُ ابنه فأظهر الجزعَ وأرجفَ بهِ أهلُ عمله ، فصعد المنبرَ وقال : أيها الناس
أظننتم أن موتَ ابني كسرني ؟ فوالله ما كنتُ قطُّ أُجرأُ على اللهِ وعليكم مني
الساعة ، فأدوا خراجكم . فبلغ المنصورَ ذلك ، فوجَّهَ إليه فعزله .

٦٧٨ - خطبة في الطلاق ، لبعض الظرفاء :

الحمدُ لله الذي جعلَ في الطلاقِ اجتلاباً للأرزاق ، فقال تعالى : ﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا
يُعْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ ﴾ (النساء : ١٣٠) ، أوصيكم عبادَ الله بالقساوة^١ والملااة ،
والتجني والجهالة ، واحفظوا قول الشاعر : [من الخفيف]

اذهبي قد قضيتُ منك قضائي وإذا شئتِ أن تبيني فيني

٦٧٩ - خطبة نكاح لبعض الظرفاء :

تعاهدوا نساءكم بالبسب ، وعادوهن بالضرب ، وكونوا كما قال الله تعالى :
﴿ واهجروهن في المضاجع ﴾ (النساء : ٣٤) واضربوهن ، ثم إن فلاناً في خمولِ
نَسَبِهِ ، ونقصانِ أدبه ، خطبَ إليكم فازهدوا فيه ، فرَّقَ اللهَ بينهما ، وعجَّلَ لهما
حينَهما .

٦٨٠ - خطب رجلٌ خطبة نكاح فأطال ، فقام بعضُ القومِ فقال : إذا فرغَ
هذا فبارك الله لكم ، فعليٌّ شغل .

٦٨١ - حصيرَ عبد الله بن عامر على منبرِ البصرة ، فاشتد جزعه ، فقيل إنَّ

٦٨٠ الشريشي ٣ : ٤٣٧ .

٦٨١ قارن بما جاء في بهجة المجالس ١ : ٧٤ ، ٧٥ .

١ زاد في م ر : أين أنت .

٢ م ر : بالسلو .

هذا مقام صعب فامتحن فيه غيرك ، فأمر وادع^١ بن مسعود أن يصعد ويخطب ، فلما ابتدأ الكلام حَصِرَ فقال : لا أدري ما أقول لكم ، ولكن أشهدكم أن امرأتي طالق ، فهي التي أكرهتني على حضور الصلاة .

ثم أمر آخر فصعد المنبر ونظر إلى أصلع ، فقال : اللهم العن هذه الصلعة .

٦٨٢ - خطبة خطبها القاضي أبو بكر ابن قريعة في دار أبي إسحاق

الصباي :

الحمد لله الذي تين فوزر ، وعنب فرزق ، ورطب فسكّر ، وخوخ فشطّب ،
وكمثر فخر ، ومشمش فصفر ، وبطخ فعسل ، وتفتح فعطر ، وموز فأنضج ،
ودقق فجوز ، وجردق فسمد ، ويورد فكثر ، وسكرج فلوز ، وملح فطيب ،
وخلل فسفتج ، وخردل فحرّف ، وبقل فخرّ ، وقتا فدقق ، وبورن فنعم ،
ومصّ فحمض ، وطجن فجفف ، وسنيس فثلث ، وسكيج فزغفر ، وهرس
فصولج ، وبصل فعقد ، وسبدج فصعد ، وسمق فمزز ، وطهيج فحرّف ، وبيض
فعجج ، وجدّا فرضع ، وبطط فسمن ، ودجج فصدّر ، وفرخ فشام ، وحيب
فبزر ، وجودب فخشخش ، ورزّ فالبين ، وخبص فلوز ، وفلذج فحمر ،
وقطف فعرف ، ولوزج فسكّر .

أحمدّه على الضرس الطحون ، والفم الجروش ، والحلق البلوع ، والمعدة
المضوم ، والسفل الثور ، والذكر القووم ، والغداء والعشاء ، والفطور
والسحور ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، خالق السموات ومحلّ

٦٨٢ قد صاغ في هذه الخطبة أفعالاً من نسبة الفواكه والأطعمة ، تين فوزر أي خلق التين الوزيري ؛
وعنب فرزق أي أوجد العنب الرازقي ؛ . . . وقوله وجردق فسمد أي خلق الجرداق وهو
الريغف ، وجعله من السميد . . وهكذا في سائر الخطبة .

١ م ر : وازع .

الطيبات ، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ، مبيحُ المحلّلات ، وحافظُ المحرّمات .
وإنّ أبا إسحاق إبراهيم بن هلال ، أرشده الله ، أطعمنا فصَدَرنا ، وماهنا فأتلجنا ،
وسقانا فروانا ، ومدّ ستارته فأسمعتنا وأطربنا ، واستنشدنا فأنشدنا ، واستحدثنا
فحدثنا ، فارفعوا أيديكم إلى الله عباد الله ، فالدعاء له بما يردُّ ثواب فعله إليه ،
ويسهّلُ الدعوةَ الثانيةَ عليه ، إنّهُ قريبٌ مجيبٌ ، وأسْتَغْفِرُ اللهَ لي ولكم ولسائر
المسلمين .

آخر باب الخطب والحمد لله وحده
ويتلوهُ إن شاء الله باب المكاتبات والرسائل
وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

البَابُ الحَادِي وَالْثَلَاثُونَ
فِي الْمِكَاتِبَاتِ وَالرَّسَائِلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله مجزِلِ العطايا والقَسَمِ ، مُنزِلِ البَلايا والنِّقَمِ ، معلِّمِ الإنسانِ بالقلمِ ، خصَّه منه بأنواعِ المنافعِ والفوائدِ ، وجعلَ الغائبَ به في حُكْمِ الشاهدِ ، يرى به البعيدَ النَّائي كالقريبِ الداني ، ويبرز ما في الضميرِ ، مستغنياً عن الوسيطِ والسِّفيرِ ، زادَ على فضيلةِ اللسانِ بأنِ ناجى القاصيَ كمناجاةِ الداني ، وبما له من الضبطِ الباقي على الحقبِ والأزمانِ يجمعُ المتفرِّقَ ويحصره ، ويُنبئه النَّاسيَ ويذكِّره ، لولاه تَلاشتِ العلومُ بالنسيانِ الإنسيِّ ، ولم يحوِّ نشرها الفكرُ البشريِّ ، وضاعتِ الحقوقُ المضبوطةُ بالأشهادِ ، ولم يَقمْ بآدابها قلبٌ حافظٌ ولا فؤادٌ ، وأبلاها طولُ التقادُمِ ، وأنساها السهوُ الموكولُ بهذا العالمِ .

اللَّهُمَّ فكما واليتَ علينا من إحسانك ، فلا تَوأخذنا بالتقصيرِ في شكرِ امتنانك ، واجعلْ لنا في كلِّ نعمةٍ آتيتنا حظًّا يُديننا من عفوك ورضوانك ، وصلِّ على محمدِ النبيِّ الأبيِّ الذي منعتَه الشرعَ والكتابَ ، وآتيتَه الحكمةَ وفصلَ الخطابِ ، وجعلتَ علمه بالأوَّلينِ والآخِرينِ مع عدمهما من دلائلِ نبوتِه وخصائصِ رسالته ، وجمعتَ له بذاك معانيَ الإعجازِ والبراهينِ ، وتكذيبَ مَنْ قال : ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الأَنْعَامُ : ٢٥) . وصلِّ الله على محمد وآله الغرِّ الميامينَ .

١ م : معلم . . . ما لم يعلم .

٢ م : يحز .

٣ تتكرر في سور أخرى .

٤ زاد في م : وصحابتَه أجمعين والتابعين والحمد لله رب العالمين .

الباب الحادي والثلاثون

في

المكاتبات والرسائل

٦٨٣ - الرسائلُ والمكاتباتُ أبسطُ من الشُّعرِ مقالاً ، وأفسحُ مجالاً ، وإن كان أربابها أقلَّ عدداً فإنهم أشرفُ محلاً ومحتدأً ، وقد ذكر الصابي الفرق بين المترسلِّ والشاعرِ فأجاد ، وحكمَ فأنصف ، وسأذكر رسالته هذه في أثناء الباب . وقد اقتصرتُ على ما تضمنتُ معنىً بديعاً ، ولفظاً فصيحاً ، أو سيرةً مُعربةً ، أو قضيةً مُعجبةً ، وتجنبتُ الإكثارَ إذ كان استقصاءُ فنونها واستغراقُ فصولها يحتاجُ إلى كتابٍ مفردٍ ، ويكون وإن أطيل مختصراً . وكانت القدماءُ توجزُ المكاتباتَ وتختصرها ، وتتنوع من الألفاظ بمبلغها ، وترى الإطالةَ عجزاً والإيجازَ إعجازاً ، ولذلك قال يحيى بن خالد لأولاده^١ : إن استطعتم أن تكونَ كتبكم كلها توقيعاتٍ فافعلوا . وعدلَ الناسُ الآن إلى الإسهاب ، واعتاضوا عن البلاغةِ بالتفريع في الألفاظ ، فمن البليغِ الموجزِ ما قال اللهُ عزَّ وجلَّ^٢ حكايةً عن كتاب سليمان عليه السلام : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (النمل : ٣٠-٣١) .

١ م ر : يتضمن .

٢ في البيان والتبيين ١ : ١١٥ وزهر الآداب : ١٥٧ ونثر الدر ٥ : ١٣٢ أن هذا لجعفر بن يحيى بقوله لكتابه .

٣ م ر : ما جاء في الكتاب العزيز .

٦٨٤ - وكانت كتبُ رسولِ الله ﷺ إلى الملوك وغيرِهِم كُلِّها مختصرةً ، وهو ﷺ الذي لا خلافَ في فصاحتِهِ عند المقرِّ والجاحِد ، بلسانِهِ نزلَ القرآنُ بلسانِ عربيٍّ مبین .

كتبَ إلى المنذرِ بنِ الحارثِ بنِ أبي شِمْرِ الغسانيِّ ، صاحبِ دمشق : سلامٌ على مَنْ اتَّبَعَ الهدىَ وآمنَ باللهِ ، فَإني أدعوكَ أنْ تُؤمِنَ باللهِ وَحَدَه لا شريكَ له ، يبقى لك ملكك .

وكتبَ إلى أبرويز بنِ هُرمزِ ملكِ فارس : من مُحَمَّدٍ رسولِ الله إلى كسرى عظيمِ الفُرس ، سلامٌ على مَنْ اتَّبَعَ الهدىَ ، وآمنَ باللهِ ورسولِهِ ، وشهدَ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وأني رسولُ الله إلى الناسِ كافةً لينذرَ مَنْ كانَ حيًّا ، أُسْلِمَ تَسْلَمَ ، وإنْ أبىتَ فعليكِ إثمُ الجوس .

فهذا ونحوه ما كان يكتب عنه ﷺ ، ومكاتباتُ الصدرِ الأوَّلِ على هذا النمطِ كانت ، إلا ما يتضمَّن بلاغاً أو حجاجاً ، فيكون الإسهابُ فيه أنجعَ وأوقعَ ، وقد مضى في هذا الكتاب من كتبِهِم المختصرة وفقرِهِم ما تجده متفرِّقاً في أماكنِهِ اللاتقة به .

٦٨٥ - وقد كتب بعضهم إلى متلومٍ مترجِّح بين الطاعةِ والمعصية :
أما بعد ، فَإني أراك تقدِّمُ رجلاً وتؤخِّرُ أخرى ، فاعتمد على أَيْتِهما شئت .
فهذا غاية الإيجاز مع قوة الإعذارِ في الإنذار .

٦٨٤ كتاب الرسول ﷺ إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر في إعلام السائلين : ١٠٢-١٠٣ (وفيه ذكر لمصادر أخرى) ومجموعة الوثائق السياسية : ٩٧ (وفيه مزيد من تخريج) وكتابه إلى أبرويز في الأول ص : ٦٢ وفي الثاني : ١١٠ (وانظر التخرج في كليهما) .

٦٨٦ - وكتب عبد الحميد بن يحيى عن مروان بن محمد إلى أبي مسلم كتاباً يدعوهُ إلى الطاعةِ ويخوفُهُ عاقبةَ الفتنِ يُحمَلُ على جَمَلٍ من حجْمِهِ ، وَضَمِنَ إن قرأهُ وسمِعَهُ مَنْ يُطِيفُ بِهِ أَنَّهُ يَعُودُ إلى الطاعةِ أو تفرَّقَ كلمَتُهُم ، وهذا عكسُ الأولِ في الإطنابِ والإطالة . واعتمدَ أبو مسلمٍ على إحدى الرِّجْلينِ وبالغَ في الإيجازِ ، فلم يقرأ الكتابَ وأعادَهُ وكتب عليه : [من الطويل]

محا السيفُ أسطارَ البلاغةِ وانتحتُ عليكَ ليوثُ الغابِ من كلِّ جانبٍ
فإنْ تُقبلوا نعملُ سيوفاً شحيذةً يهونُ عليها العتبُ من كلِّ عاتبٍ

٦٨٧ - كتب معاويةُ إلى أبي موسى بعد الحكومةِ وهو بمكةَ عائداً بها من علي عليه السلام ، وأراد بذلك أن يضمَّهُ إلى أهل الشام :

أما بعد ، فإنه لو كانت النيةُ تدفعُ خطأً لنجا المجتهدِ وأعذر الطالبِ ، ولكنَّ الحقَّ لمن قصَدَ له فأصابه ، ليس لمن عارضه فأخطأهُ ، وقد كان الحكمانِ إذا حكما على رجلٍ لم يكنْ له الخيارُ عليهما ، وقد اختارَ القومُ عليكَ ، فأكْرَهُ منهم ما كرهوه منك ، وأقبلُ إلى الشامِ فهي أوسعُ لك .

فكتب إليه أبو موسى : أما بعد فإنِّي لم أقلُ في عليٍّ إلا ما قال صاحبكُ فيك ، إلا أنني أردتُ ما عندَ الله تعالى ، وأراد عمروٌ ما عندك ، وقد كان بيننا للمحكومِ عليه الخيارِ ، فإنما ذلك في الشاةِ والبعيرِ ، فأما في أمرِ هذه الأمةِ فليس أحدٌ آخذاً لها بزمامِ ما كرهوا ، وليس يذهبُ الحقُّ بعجزِ عاجزٍ ولا مكيدةِ كائدٍ ، فأما دعاؤك إيايَ إلى الشامِ ، فليست بي عن حَرَمِ إبراهيمَ عليه السلامِ رغبةً ، والسلام .

٦٨٨ - قيلَ ثلاثةٌ تدلُّ على عقولِ أصحابِها : الكتابُ والهديةُ والرسولُ .

٦٨٦ انظر كتاب «عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله» : ٤٠ (وهناك تخريج كثير) وقد ورد ذكر هذه الرسالة في التذكرة نفسها ٢ رقم : ٤٩ (وتم تخريجها هنالك أيضاً) .

٦٨٨ عين الأدب والسياسة (دار الكتب العلمية) : ٨٤ .

٦٨٩ - قال زياد : ما قرأتُ كتابَ رجلٍ قطُّ إلا عرفتُ عقله فيه ، وما رأيتُ مثلَ الربيعِ بن زيادِ رجلاً : ما كتب إليّ كتاباً قطُّ إلا جرَّ منفعَةً أو دفعَ مَضْرَةً ، ولا سألتُه عن شيءٍ قطُّ إلا وجدتُ عنده منه علماً ، ولا ناظرتهُ في شيءٍ إلا وجدتُهُ قد سبقَ الناسَ فيه ، ولا سايرني قطُّ فمست ركبتهُ ركبتي .

٦٩٠ - ومن رسالةٍ لعبدِ الحميدِ بن يحيى في الفتنة :

ففي طاعةِ الأئمةِ في الإسلامِ ومناصحتهم على أمورهم ، والتسليمِ لما أمروا به ، حفظُ كلِّ نعمةٍ فاضلةٍ ، وكرامةٍ باقيةٍ ، وعافيةٍ مُجَلَّلةٍ ، وسلامةٍ ظاهرةٍ وباطنيةٍ ، وقوةٍ بإذنِ اللهِ مانعةٍ ، وفي الخلافِ عليهم والمعصيةِ لهم ذهابُ كلِّ نعمةٍ ، وتفرُّقُ كلِّ كرامةٍ ، ومحقُّ كلِّ عصمةٍ ، وهلاكُ كلِّ سلامةٍ وألفةٍ ، وموتُ كلِّ عزٍّ وقوَّةٍ ، والدعاءُ لكلِّ بليَّةٍ ، ومقارفةُ كلِّ ضلالةٍ ، واتباعُ كلِّ جهالةٍ ، وإحياءُ كلِّ بدعةٍ ، وإماتةُ كلِّ سنَّةٍ ، واجتلابُ كلِّ ضررٍ على الأمةِ ، وإدبارُ كلِّ منفعةٍ ، والعملُ بكلِّ جورٍ وباطلٍ ، وإفناءُ كلِّ حقٍّ .

وبمعصيةِ خليفةِ اللهِ لا يزالُ رجلٌ من المسلمين يضرِبُ بسيفه الذي في يديه سيفَ أخيه الذي كان يعتمدُ عليه ، ويوهنُ عضدَهُ ، ويهدمُ حصنَهُ ، ويُقلِّلُ عددهُ ، ويُهْلِكُ ثروتهُ ، وينفردُ من ناصرهِ ، ويُعْطِبُ مَنْ يدعوهُ ويفزعُ إليه ، ويكثرُ بمكانهِ ، ويحرسُهُ من غفلتهِ عن الأعداءِ إذا غفل ، ويكونُ عيناً له من خلفهِ فلا يزالُ بالمعصيةِ منهم والاختلافِ دمٌ يُهراقُ بغيرِ حقِّه ، وطفلٌ من أبناءِ المسلمين قد يُتِّمُّ من أبيهِ ، ومَدَلَّةٌ قد دخلتْ عليه ، ونعمةٌ قد زالتْ عنه ، ووحشةٌ حدثتْ ، وضغائنٌ في القلوبِ قد نشيتْ ، وشحناءٌ قد ظهرتْ ، وأوتارٌ

٦٩٠ أدرجت هذه الرسالة في كتاب عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله (رقم : ١٦ ص : ٢٠٩) نقلاً عن التذكرة ، وانظر أمراء البيان ١ : ٦٥ .

١ حفظ : قراءة بحسب المعنى ، وفي م ر : حريم .

٢ ر : غنية .

قد بقيت، وعداوة في الأنفس قد استقرت، وخوف قد ظهر، وسبيل قد قُطعت، وامرأة قد أُرملت، وصبيّة قد يُتّمت، وبلاذ عامرة قد خربت، وعدد قد نقص، وبلايا قد عمّت وشملت، وعدو قد شمت، ومنافق قد رفع إلى ما كان يُؤملُ رأسه، وعدو من المشركين قد طمع، وقوي بعد ضعف، وعز بعد مذلة، ورعيّة قد ضاعت، وناعبة قد ولّوت، وحميم قد قتل حميمه، ومودة قد صارت عداوة، واجتماع من الأهواء قد عاد إلى فرقة، وأرحام قد تقطعت. فانظروا يا معشر المسلمين ماذا تفعلُ الفتنة والمعصية، وكيف يدبُّ الشيطان لها، ويسعى فيها، ويحتالُ بخديعته ومكره ولطيف مسالكة، حتى يلهبها ويشعلها، ويرفعها من قَلْبها إلى الكثرة، ومن صغرِها إلى كبرِها، فإنه إنما يبدأ بالظن على الولاية، ثم يترامى إلى الشكاة والسخط والغضب، وزين لهم القتال، فبلغ الهلاك الأعظم والشراً الأكبر، بطرف أمرٍ صغيرٍ الخطر في الظاهر عظيم البلية في الباطن، فلا يزال الرجل ينظرُ منهم إلى قاتل أبيه وأخيه وحميمه وذوي قرابته وأهل مودته، والنافع - كان - له، ثم يحملُ العداوة في قلبه، والحقّد في نفسه، والضغينة العظيمة عليه، ويستعدُّ للنقمة منه، وطلب الدّخل عنده، فثبتت تلك الضغائن في الأبناء بعد الآباء. فانظروا يا أهل الإسلام من أين دبَّ الشيطان بلطيف مسالكة، وعلى أيّ شيء ورد، وإلى أيّ أمرٍ ترامى حتى عمَّ بالمعصية أهل الإسلام عامة.

٦٩١ - ومن كلامه - يعني عبد الحميد - في الطاعة: أما بعد، فإن الله تباركت أسماؤه، وجلّ ثناؤه، وتعالى ذكره، اختار لنفسه من الأديان والمِلل كلها الإسلام، ثم جعل أهله الذين أكرمهم به، واصطفاهم له، خيرته من عباده

٦٩١ أدرجت في كتاب عبد الحميد (رقم ١٧ ص: ٢١٠) نقلاً عن التذكرة الحمدونية.

١ ر: ولطف.

٢ ر: قلها.

وأهل صفوته ، وبعث به إليهم نبيّه ﷺ ، وسماهم المسلمين ، وهو الذي شرع لساكني سماواته من ملائكتيه ، ولأهل الأرض من أنبيائه ، ثم بعثهم به فقال : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴾ (الشورى : ١٣) إلى آخر الآية . فبلغ رسول الله ﷺ رسالات ربه ونصح لأمره ، ومضى لأمره ، وجاهد على حقه من خالفه وعاداه وابتغى سبيلاً غير سبيله ، ثم آمن به وصدقّه وعزّزه ونصره ، وأتبع النور الذي أنزل معه ، وهم يومئذ قليلٌ مُستضعفون في الأرض ، يخافون أن يتخطّفهم الناس كما وصفهم الله تبارك وتعالى في كتابه ، أمراً رضيّه لنفسه ونبيّه ، ابتعثه له حتى أتم الله الإسلام وكمّله وفضّله وجعله دينه ، وأعلم حقه من شاء من عباده وخلقّه ، وبين لهم أنه إلههم وربهم ، أمرهم بطاعته ، والاعتصام بحبله ، والتمسك بعهدده ، ثم توكل لهم بالحفظ والدفع والنصر والقهر ، والظهور على من خالفهم ، وابتغى غير سبيلهم ، ما حفظوا أمره ، وتمسكوا بطاعته ، ووفوا بعهدده ، والله ولي الإسلام ، والناصر له على عدوه ، وولي إعزازه وإظهاره على الذين كلّه ولو كره المشركون ، قضاء منه بتأ لا مردّ له ، وموعداً لا خلف له ، وسنة ماضية في الذين خلّوا من قبل ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (الأحزاب : ٦٢ ، الفتح : ٢٣) . فإن الله بعهدده ونعمته لم يزل يصنع لهذا الدين ، ويغلب له بالفئة القليلة من أهله الفئة الكثيرة من عدوه ، قضاء منه أوجبّه على نفسه ، لم يجعل فيه مثنوية ، تُصغي إليه أفئدة أهل الريبة والشك في أمره ، ولكن حتمه على نفسه ، وأوجبّه لهم في كتابه ، وأعلمهم فيه معالم طاعته ومسالك معصيته ، ليهلك من هلك عن بينة ، وإن الله لسميعٌ عليم . فدين الله الذي خصّ به أوليائه أولهم وآخرهم ، تامّ على ما بعث به نبيّه ﷺ ، فإن الله ختم به الأنبياء ، وقفى به الرسل ، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وجعل الله نظام الدين الذي اختاره لنفسه ، وشرعه لمن أكرم من خلقه ، فارتضى لتنزيل وحيه من ملائكتيه ، وتبليغ رسالاته من أنبيائه ، إلى عباده . وقوامه وعصمته الطاعة التي

جمع الله فيها شعبَ الخيرِ وأنواعَ البرِّ ومناقبَ الفضلِ ، وجعلها واصلةً بالإسلام سبباً إلى كلِّ هدىً وفضيلةٍ ، واختياراً لكلِّ سعادةٍ وكرامةٍ ، في عاجلٍ وآجلٍ ، مع ما توكلَ به من حفظِها ومنعِها ، والذبِّ عن حُرْمَتِها ، والنصرِ لمن جاهدَ عليها ، والإعلاءَ لمن أوجَبَها له من وُلاةِ الحقِّ وأنصارِ الدِّينِ ، والإظهارِ لهم على مَنْ خالفَهُمْ ونكَبَ عن سبيلِهِمْ ، وأرادَ المفارقةَ لحقِّهِمْ ، إلى ما كانَ أعدُّ لحزبِها وأوليائِها الذين نصرَهُم اللهُ وأحلَّهُمْ - بما لزموا منها وحذبوا عليها من التمسُّكِ بها - في رضوانِ اللهِ والنعيمِ المقيمِ لا تغييرَ له ولا انقطاعَ ولا زوالَ ، عطاءً من ربِّكَ غيرَ مجدودٍ . وجعلَ المعصيةَ شقاءً وخساراً وتباراً ، وسبباً لكلِّ نقصٍ وذُلٍّ وهوانٍ وحسرةٍ ، فَمَنْ اعتصَمَ بها ، وأقامَ عليها ، ودعا إليها ، كانَ من إخوانِها والغواةِ فيها ، مع ما يُريهِمُ اللهُ في عاجلِ أمرِهِمْ : من إِدْحاضِ حُجَّتِهِمْ ، وسوءِ مَصَارِعِهِمْ ، وَقَطْعِ مُدَدِهِمْ ، وتفريقِ نِظَامِهِمْ ، وإزهاقِ باطلِهِمْ ، وإظهارِ أهلِ الطاعةِ عليهم ، وإمكانِهِ مِنْهُمْ في كلِّ مجمعٍ يجمعُ اللهُ مِنْهُمْ جماعةً ، إلى ما أعدَّ اللهُ لَهُمْ من أليمِ العقابِ ، وسوءِ الحسابِ ، وشديدِ العذابِ ، لا يفتر عنهم ، ولا هم فيه مُبْتَلِسُونَ . فَمَنْ أَرَادَ اللهُ إِسْعَادَهُ وتوفيقَهُ وتبصيرَهُ حَظَّهُ لَزِمَ الطاعةَ وعرفَ حَقَّهَا ، وما جعلَ اللهُ فيها من السعةِ والعصمةِ والمخرجِ ، وآثرها وواظبَ عليها ، وكانَ مِنْ أَهْلِهَا ، وأدَّى الحقَّ الذي أوجَبَهُ اللهُ عليه لوليِّها إليه ، فأحرزَ بذلكَ نَفْسَهُ ، وسلَّمَ به دينَهُ ، واستكملَ به أفضلَ ما يرغبُ به من ثوابِ رَبِّهِ ، ولم يكنِ متخوفاً للغيرِ في دينِهِ ، متوقفاً للنَّقمِ ، متوكفاً للقوارِعِ أَجَلَتْ بأهلِ المعصيةِ والخلافِ والمفارقةِ للحقِّ وأهلِهِ ، وكانَ مِنْ ذَلِكَ في أَمْنٍ ونِجاةٍ وسلامةٍ وعافيةٍ . وَمَنْ أَرَادَ اللهُ به غيرَ ذَلِكَ ، لما يعلمُ مِنْ ضَمِيرِهِ ودَفِينِهِ ، تخلَّى مِنْهُ ، وأسلمَهُ إلى قَرِينِهِ وما يسوُّلُ له من غروره ، ويمنيهِ مِنْ أَباطيلِهِ ، فاستشعروا ركوبِها ودخلوا مع الغواةِ فيها ، ودعوا إليها ، فكانوا خائفين ، ولائذين مترقبين للدوائر التي يخافون أن تحلَّ بهم ، وتأتيَ عليهم . فَإِنَّ اللهُ تعالى يقولُ : ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ إِنَّ

اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ ﴿٣١﴾ (الرعد : ٣١) .

وأمر المؤمنين يسأله أن يُلهِمَهُ الرَّافَةَ والرحمةَ بِرعيتهِ ، والإصلاحَ إليهم ،
والمعدلةَ فيهم ، وأن يُلهِمَ رعيتهِ الطاعةَ والوفاءَ والمناصحةَ ، ويزيدَ المحسنَ منهم
إحساناً ، ويقبلَ توبةَ التائبِ ، ويراجعَ المسيءَ إلى محبتهِ ، وأن يُلهِمَهُ وإياكم خالصَ
الشكرِ وصالحِ العملِ .

٦٩٢ - أمر المأمونُ أحمدَ بنَ يوسفَ أن يكتبَ في الآفاقِ بتعليقِ المصاييحِ في
المساجدِ في شهرِ رمضانَ ، قال : فأخذتُ القرطاسَ لأكتبَ فاستعجم عليّ ،
ففكرتُ طويلاً ثم غشيتني نعسةٌ فرأيتُ في النومِ قائلاً يقولُ لي : اكتبَ فإنَّ في
كثرةِ المصاييحِ إضاءةً للمتجهدين ، وأنساً للسَّالِةِ ، ونفياً لمكامنِ الرِّيبِ ، وتنزيهاً
لبيوتِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ عن وحشةِ الظُّلمِ .

٦٩٣ - قال حمدونُ بنُ إسماعيلَ : دخلتُ على المأمونِ يوماً وهو في بعضِ
صحونِ بساتينهِ يمشي حافياً ، وفي يده كتابٌ يصعدُ بصره فيه ويصوبه ، فالتفت
إليَّ وقال : أحسبك راعك ما رأيته ، قلت : وأي شيءٍ أروع لي من نظري إلى
سيدي يمشي حافياً ويقرأ كتاباً قد شغله وأذهله ، فقال لي : إني سمعتُ الرشيدَ
يقولُ شيئاً لم أتوهَّمهُ ينسبكُ على حقيقتهِ ، وهو أنه قيلَ لبعضِ البُلغاءِ : ما
البلاغةُ ؟ قال : التقربُ من المعنى البعيدِ ، والتباعدُ من حشوِّ الكلامِ ، والدلالةُ
بالقليلِ على الكثيرِ ؛ وهذا كتابُ عمرو بنِ مسعدةٍ ، قد أتى في حرفينِ بما كان
يأتي به غيرهُ في طومارٍ ، وصفَ حالَ الجندِ وطاعتهم . ثم دفعه إليَّ ، فإذا فيه :
كتابي إلى أميرِ المؤمنينِ وَمَنْ قَبْلِي من قُوَّادِهِ وأجنادِهِ ، من الانقيادِ للطاعةِ على
أحسنِ ما تكونُ طاعةُ جندٍ تأخرتُ أرزاقُهُم واختلتُ أحوالُهُم ، والسلامُ .

٦٩٢ المحاسن والمساويء للبيهقي : ٤٤٣ ونثر الدر ٥ : ١٠١ وكتاب الأوراق (أخبار الشعراء
المحدثين) : ٢٣١ وأمرء البيان : ٢٠٠ .

٦٩٣ زهر الآداب : ٨٣٦-٨٣٧ ورسالة عمرو بن مسعدة في نهاية الأرب ٧ : ٢٦٠ .

ثم قال : أشهدُ أنني قد قضيتُ حقَّ هذا الكلامِ وكتبْتُ إلى جندي بأعطياتهم ، وتركتهم لا يتمنون موتي ، وأمرتُ بالزيادة في أرزاقهم .

٦٩٤ - كتب أحمد بن سعد الكاتب : وقدماً غرقتِ الفتنُ أبناءها ، وأسكنتهم ربعتها ، وأرضعتهم درها ، وأحفثهم ظلها ، وأسحبتهم ذيلها ، ونقلتهم في مراتع الغرور ، وأرتتهم الثقة بدوام السرور ، والأمن لعوارض المخدور وعواقب المقدور ، فتمادوا في منهج الضلال ، وتراموا في مسلك الفساد ، وتشعبوا في طريق الغني ، حتى إذا تمَّ الرضاع ، ونجمَ الطعام ، وأنَّ لحكم الله أن يمضي ، ولباسه أن ينزل ، سلط الله عليهم سيوف الحق ، فصاروا لأهله جزراً ، وللباطل وأهله غيراً ، وللمواعظ السالفة نتيجةً ، وللمواعد المحدودة حقيقةً ، ولبصيرة ذوي البصائر قوةً ، ولثقة أهل العصمة مادةً ، ولسوط العذاب منصياً ، ولنار الجحيم حطباً ، وما الله بظلامٍ للعبيد .

ب - فصل : من معقلٍ إلى عُقالٍ ، ومن أجلٍ إلى آجالٍ .

٦٩٥ - عبد الحميد في ذكر الفتنة : فإنَّ الفتنة تستشرفُ بأهلها ، متشوفةً بانقِ منظرٍ ، وأزين ملبسٍ ، تجرُّ لهم أذيالها ، وتضربهم وتعدُّهم تتابع دراتها حتى ترمي بهم في حدرات أمواجها مُسلمةً لهم ، تعدُّهم الكذب وتمنيهم الخدع ، فإذا لزمهم عِضاضُها ، ونفَرَّ بهم شِماسُها ، تخلَّتْ عنهم خاذلةً لهم ، وتبرأتْ منهم معرضةً عنهم ، قد سُلبوا أجملَ لباس دينهم ، واستنزوا عن حصن دنياهم ، الغني البهي منظره ، الجميل أثره ، حتى تطرحهم في فضائح أعمالهم إلى الإيلاج في التعب وسوء المنقلب ، فمن آثر دينه على دنياه ، تمسك بطاعة ولاته ، وتحزَّ بالدخول إلى مرضاته في الجماعة ، تاركاً لأثقل الأمرين وأوبل الحالين .

٦٩٥ هي الرسالة رقم : ١٨ في عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله ، ووردت في صبح الأعشى ٢٥٤ : ٨ وانظر أمراء البيان ١ : ٦١ ؛ ويبدو أن الفصلين التاليين (ب ، ج) من الرسالة نفسها ؛ إلا أن (ج) وردت في عبد الحميد برقم : ٣٤ أي بعيدة عن موضعها الصحيح ؛ وانظر سرح العيون : ٢٤٠ ورسائل البلغاء : ٢٢٠ وجمهرة رسائل العرب ٢ : ٥٥٥ .

ب - فصل : [فزرعوا] الضغائن في قلوبكم ، وغرسوا أشجار الإحن في صدوركم ، وأوقدوا نيران الأحقاد بينكم ، الله الله في ذكر الحمية وفخر الجاهلية ، وملاحح الشنان ، ومنافع الشيطان .

ج - فصل : حتى أعنقوا في حنادس ظلم جهالته ، ومهاوي سبل ضلالتة ، ذلاً على سياقه ، وسلساً في قياده ، إلى نزل من حميم ، وتصلية جحيم ، سوى ما ألقحت الحفيظة في نفسه من عوائد الحسد ، وقذحت الحمية في نفسه من نار الغضب ، ونفخ الشيطان في سحره من ريح الكبر ، مضادة لله تعالى بالمناسبة ، ومبارزة لأمر المؤمنين بالحاربة ، ومجاهرة للمسلمين بالمخالفة .

٦٩٦ - فصل من كتاب للمأمون ، وقد ولى عبدالله بن طاهر في فتنة : ممتدة إلى الفتن أعناقهم ، متطلعة إليها أنفسهم ، مرتاحة لها قلوبهم ، مصيخة إلى دعواها أسماعهم ، فلم تذك للفتنة ناراً إلا منهم ساعر يشب ضرامها ، إما موجفاً ركابه ، مبدياً صفحته في مباشرتها ، وإما مورياً عن نفسه يدب الخمر ، ويستتر تحت الشبه ، ليحسب أنه بمعزل عنها ، ونافذ كيد يسي في تسهلها .

٦٩٧ - أحمد بن سعد من كتاب فتح : الحمد لله العظيم شأنه ، العلي مكانه ، المنير برهانه ، القوي سلطانه ، الذي ابتدغ الخلق بحكمته ، وأنشأهم بقدرته ، وأجرى الأمور على مشيئته ، وصرفها على إرادته ، وحكم لأوليائه وأهل طاعته ، الذائدين عن حريمه ، المانعين لحوزته بالإعلاء والتمكن ، والنصر والتأييد ، وعلى أعدائه الغامطين لنعمته ، الناهكين لحرمته ، الساعين بالفساد في بلائه ، والعدوان على عبادِهِ ، بالخذلان والتشريد ، والنكال المبيد .

٦٩٨ - ومن رسالة له في السلم : فاكتفوا في المعرفة به جللاً جلاله بخبر

١ م : منخره .

٢ زاد في المصادر : إلى أن أصبح بفلاة قفر ، وتيه صفر ، بعيدة المناط ، يقطعونها النياط ، وكذلك يفعل الله بالظالمين ، ويستدرجهم من حيث لا يعلمون .

العقول وشهادة الأفهام ، ثم استظهر لهم في التبصرة ، وعليهم في الحجّة ، يرسل أرسلهم ، وآيات بيّنّها ، ومعالم أوضّحها ، ومنازل بمسالك الحقّ رفعها ، وشرع لهم الإسلام ديناً ، وارتضاه واصطفاه ، وفضّله وأسناه ، وشرّفه وأعلاه ، وجعله مهيمناً على الدين كلّه ولو كره المشركون ، وقرن العزّ بجزبه وأهله ، فقال عزّ من قائل : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة : ٣٣ ، الصف : ٩) ، وأيّده بأنبيائه الدّاعين إليه ، والنّهجين لطرفه ، والهادين لفرائضه ، والمخبرين عن شرائعه ، قرناً بعد قرن ، وأمة بعد أمة ، في فترة بعد فترة ، وفتية بعد فتية ، حتى انتهى بقدره جلّ ذكره إلى مبعث النبيّ الأميّ ، الفاضل الزكيّ ، الذي قفّى به على الرُّسل ، ونسخ بشريعته شرائع الملل ، وبدينه أديان الأمم ، على حين فترة وترامي حيرة ، فأباح به نيران الفتن ، بعد اضطرامها ، وأضاء به سبيل الرّشاد بعد إظلامها ، على علم منه تعالى ذكره ، بما وجد عنده من النهوض بأعباء الرسالة ، والقيام بأداء الأمانة ، فأزاح بذلك العلة وقطع المعذرة ، ولم يدع للشكّ موضع شبهة ، ولا للمعانيد دعوى مموّهة ، حتى مضى حميداً فقيداً ، تشهد له آثاره ، وخلف في أمته ما أضرّهم به إلى عطف الله ورحمته ، والنجاة من عقابه وسخطه ، إلا من شقيّ بسوء اختياره ، وحرّم الرُّشد بخذلانه ، صلّى الله عليه وعلى آله أفضل صلاةٍ وأعمّها ، وأوأها وأتمّها .

والحمد لله الذي خصّ سيّدنا الأمير بالتوفيق ، وتوجّه له بالإرشاد والتسديد ، في جميع أنحاء ومواقع آرائه ، وجعل همته - إذ كانت الهمم إلى خدع الدنيا صادقة ، وزخارفها التي تتجلى بها لأبنائها وتدعو إلى نفسها - مقصورةً إلى ما يجمع له رضى ربه ، وسلامة دينه ، واستقامة أمور مملكته ، وصلاح أحوال رعيته ، وأيّده في هذه الحال العارضة ، والشبهة الواقعة ، التي تحارّ في مثلها الآراء ، وتضطرب الأهواء ، وتتنازع خواطر النفوس ، وتعلج وسوس الصدور ، ويخفى موضع الصواب ، ويشكل منهج الصلاح ، بما

اختارَه له من السُّلمِ والمواذَعَةِ والصلحِ والموافقَةِ التي أخبر اللهُ عن فضلِه ، والخيرِ الذي في ضمَنِه يقولُه بقولِه : ﴿والصلحُ خيرٌ﴾ (النساء : ١٢٨) وقولِه : ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسُّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ (الأنفال : ٦١) . فأصبح السيفُ مغموداً ، ورواقُ الأُمْنِ ممدوداً ، والأهواءُ متَّفِقَةً ، والكلمَةُ مجتمعةً ، ونيرانُ الفِتَنِ والضَّلَالَةِ خامدَةً ، وظنونُ بغايتها الساعينَ لها كاذبَةً ، وطبقاتُ الأولياءِ والرعيَّةِ بما أعيد إليهم من الأُمْنَةِ بعقب الخيفة ، والأنسَةِ بعد الوحشةِ ، مستبشرين ، وإلى الله في إطالَةِ بقاءِ الأميرِ راغبين ، وفي مسألَتِهِ مخلصين . ولو لم يكن السُّلمُ في كتابِ الله مأموراً به ، والصلحُ مخبراً عن الخيرِ الذي فيه ، لكان فيما ينتظمُ من حَقْنِ الدِّماءِ وسكونِ الدِّهَماءِ ، ويجمعُ من الخلالِ المحمودَةِ والفضائلِ المعدودةِ المقدمِ ذكُرها ، ما حدا عليه ، ومثَّلَ للعقولِ السليمةِ والآراءِ الصحيحةِ موضعَ الخيرةِ فيه ، وَحَسَنَ العائِدَةِ على الخاصِّ والعامِّ ، فيما ينجلي للعيونِ من مشتبهاتِ الظنونِ ، إذ الريبُ واقعٌ ، والشكُّ خالِجٌ بين المُحِقِّ والمُبْطِلِ ، والحقُّ والباطلُ ، والجائرُ والمُقسِطُ ، وقد قال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿لَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّوهُمْ فَتَصِيَّبُكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بَعْضُهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الفتح : ٢٥) ، ناظرًا للمسلمين من مَعْرَةٍ أو مَضْرِبَةٍ تلحقُ بعضهم بغيرِ علمٍ ، ومؤثراً تطهيرهم من ظُننِ العدوانِ ، مع رَفَعِهِ عنهم فَرَطَاتِ النِّسيانِ ، وكافاً أيديَ المسلمين عن المشركين ، كما كَفَّ أيديهم عن المسلمين ، تحسُّناً على بَرِيَّتِهِ ، وإبقاءً على أهلِ معصِيَّتِهِ ، إلى أن تتمَّ لهم المحنة للذي ارتآه ، والأمرِ الذي ارتضاه ، وموقعِ الحمدِ في عاقبَتِهِ ، والسلامَةِ في خاتمَتِهِ ، وبلغَه من غاياتِ البقاءِ أمدَها ، ومن مواقعِ العيشِ أرغدَها ، مُقَصِّراً أيديِ النوائِبِ عما حوَّلَه ، ومُعْضِوْضياً أعينَ الحوادثِ عما نوَّلَه ، إنه جوادٌ ماجد .

٦٩٩ - وفي مثل ذلك : الحمدُ لله ذي النعمةِ السابغةِ ، والحكمةِ البالغةِ ، والبلاءِ الجميلِ ، والعطاءِ الجزيلِ ، الذي جعل بعد عسرٍ يسراً ، وبعد ضنكٍ رحباً ،

وبعد تَناءٍ تَدانِيًّا ، وبعد تَعادٍ تَصافِيًّا وَحُبًّا ، وأَعقَبَ افْتِراقًا مِنَ الْمُتَشاحِنِينَ اعْتِرافًا ، واختِلافًا ائْتِلافًا ، وتَدابِرًا تَناصِرًا ، وتَخادُلًا تَظاهِرًا ، نَظَرًا لِخَلقِهِ وَعائِدَةً عَلِيهِمْ ، واعْتِمادًا لِمَا فِيهِ مِصالِحُ آخِرَتِهِمْ وَدُنْيائِهِمْ ، وَمَدَحَ الصُّلحِ وَحِدا عَلِيهِ ، وَحَمْدَ السَّلْمِ إِذا جَنَحَ الخِصْمُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قائلٍ : ﴿ وَالصُّلحُ خَيْرٌ ﴾ (النِّساءُ : ١٢٨) وَقَالَ : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ (الأنفال : ٦١) وَاللَّفَّ بَيْنَ القُلُوبِ فِي سَبِيلِهِ ، وَالأَمَها فِي نُصْرَةِ رِسالِهِ ، وَقَالَ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنُصْرِهِ بِالمُؤْمِنِينَ ، وَاللَّفَّ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ما أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ ، إِنَّه عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال : ٦٢-٦٣) وَصانِ المُسْلِمِينَ - عِنْدَ الفَتْحِ العَامِّ لِلبَلَدِ الحَرَامِ ، وإِظْهارِ الإِسلامِ عَلى الدِّينِ كَلِّهِ ، وإِدادِةً مِنَ الكُفْرِ وَأَهْلِهِ - عَمَّا يَلْحَقُ مِنَ فِي دارِهِمْ مِنَ مُسْلِمٍ أَوْ مُسْلِمَةٍ - غَمَرَتِها الجَمَلَةُ وَأَخَفَتْ مِنَ مَوْضِعِها الشَّبَهَةُ - مِنَ مَضْرُوءَةٍ ، وَسَمَّاهَا لِلْمُسْلِمِينَ مَعْرَةً ، وَجَعَلِها وَاصِلَةً إِلَيْهِمْ إِذا وَصَلَتْ إِلى أَوْلئِكَ مِنْهُمْ ، فَقَالَ جَلَّ ذِكرُهُ : ﴿ وَلَوْلَا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِساءٌ مُؤْمِناتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطوؤُهُمْ فَتُصِيبِكُمْ مِنْهُم مَعْرَةٌ بَغيرَ عِلْمٍ ﴾ (الفتح : ٢٥) فَحَمَاهُمْ مِنَ السَّوْأبِ فِي سَبِيلِ الإِثْمِ ، وَإِنْ كانَ ساقِطًا بَعدَ العِلْمِ ؛ وَاخْتارَ لَهُمُ الخُلُوصَ مِنَ السَّوْأبِ فِي الدِّينِ ، وَجَعَلَ هَذِهِ الخِلالَ الرَضِيَّةَ وَالخِصالَ الحَميدَةَ لَهُمُ أَدبًا ، وَلِصالِحِهِمْ سَبَبًا ، فَندَبَهُمُ لَها ، وَأرْشَدَهُمُ إِلى سَوابِقِ نِعْمِهِ ، وَنِفاثِيسِ قِسمِهِ ، الَّتِي بَدَأَ بِها قَبْلَ الاستِجابِ ، وَأَوْجَبَ عَلى شُكْرِها حُسنَ الثَّوابِ ، حَمْدًا يَرْتَفِعُ إِلَيْهِ ، وَيَزكو لَدِيهِ ، وَيُضْطَرِّفُ ما فَرَضَ فِي تَحْمِيدِهِ ، وَيُوجِبُ ما يَأذُنُ بِهِ مِنَ مَزِيدِهِ ، وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ عِبدِهِ وَأَمينِهِ عَلى وَجْهِهِ ، وَخَيرَتِهِ مِنَ خَلْقِهِ ، وَالمَبْعوثِ لِإِحياءِ دِينِهِ وَنُصْرَةِ حَقِّهِ ، وَعَلى الطَّيِّبِينَ مِنَ آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا .

٧٠٠ - وفي مثل ذلك . . . الحمدُ لله مُقَلِّبِ القُلُوبِ وَعالمِ العُيوبِ ، الجاعِلِ بَعدَ عُسْرِ يُسْرًا ، وَبَعدَ عِداوَةٍ وَدادًا ، وَبَعدَ تَحارُبٍ اجْتِماعًا ، وَبَعدَ تَبايُنٍ

١ م : كدر .

٢ م ر : ودًا .

اقترباً ، رَأْفَةً مِنْهُ بِعِبَادِهِ وَلَطْفًا ، وَتَحَنُّنًا عَلَيْهِمْ وَعَظْفًا ، لئلا يَسْتَمِرَّ بِهِمُ التَّائِبُ فِي التَّدَابُرِ وَالتَّقَاتُعِ ، وَلِيَكُونُوا بَرَّةً إِخْوَانًا ، وَعَلَى الْحَقِّ أَعْوَانًا ، لَا يَتَنَكَّبُونَ لَهُ مِنْهَجًا ، وَلَا يَرِكُونَ مِنَ الشَّبْهَةِ تَبَجًّا ، بَغَيْرِ دَلِيلٍ يَهْدِيهِمْ قَصْدَ الْمَسَالِكِ ، وَلَا مُرْشِدٍ يَدُوذُهُمْ عَنْ وُرُودِ الْمَهَالِكِ ؛ أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي لَا يُحْصِي الْوَاصِفُونَ إِحْصَاءَهَا ، وَمِنْهَا^١ الَّتِي لَا يُؤَدِّي الشَّاكِرُونَ جَزَاءَهَا ، وَأَيَادِيهِ الَّتِي لَا يَحْمِلُ الْخَلْقُ أَعْبَاءَهَا ، حَمْدًا يَتَجَدَّدُ عَلَى مَرِّ الْأَزْمَانِ وَالذُّهُورِ ، وَيَزِيدُ عَلَى فَنَاءِ الْأَحْقَابِ وَالْعُصُورِ ، وَيَقَعُ بِمَحَابِّهِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ أَحَقَّ مَا اسْتَعْمَلَهُ الْغَالُونَ ، وَنَطَقَ^٢ بِهِ التَّالُونَ ، وَآثَرَهُ الْمُؤْمِنُونَ ، وَتَعَاطَاهُ بَيْنَهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، فِيمَا سَاءَ وَسَرَّ ، وَنَفَعَ وَضَرَّ ، مَا أَصْبَحَ بِهِ الشَّمْلُ مُلْتَمِمًا ، وَالْأَمْرُ مُنْتَظِمًا ، وَالْفَتْقُ مُرْتَبِقًا ، وَالصَّلْحُ مُتَسَقًّا ، وَالسَيْفُ مَغْمُودًا ، وَرِوَاقُ الْأَمْنِ مَمْدُودًا ، فَحَقَّقَتْ بِهِ الدَّمَاءُ ، وَسَكَّنَتْ بِهِ الدَّهْمَاءُ ، وَانْقَمَعَ لَهُ الْأَعْدَاءُ ، وَاتَّصَلَ بِهِ السَّرُورُ ، وَأُمِنَتْ مَعَهُ الشُّرُورُ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ بِذَلِكَ أَوْلَى ، وَإِلَى إِحْرَازِ الثَّوَابِ بِهِ أَدْنَى ، مِنَ الصَّلْحِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ ، وَرَغَبَ فِيهِ وَنَدَبَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ : ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ (فصلت : ٤٢) ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ﴾ (الحجرات : ١٠) .

٧٠١ - كتب سهل بن هارون إلى ذي الرياستين : إِنَّ لِلْأَزْمَةِ فَرْجًا ، فَكُنْ مِنْ وِلَاةِ فَرْجِهَا ، وَلَا يَأْمَاهَا دَوْلًا ، فَخُذْ بِحِظِّكَ مِنْ دَوْلَتِكَ مِنْهَا ، وَلِدَوْلَهَا امْتِدَادًا فَتَرَوُدَ قَبْلَ أَوَانِ تَصَرُّمِهَا ، فَإِنْ تَعَاظَمَكَ مَا أَنْبَأْتُكَ عَنْهُ فَانظُرْ فِي جَوَانِبِهَا تَأْخُذُكَ الْمَوْعِظَةُ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيهَا ، وَاعْتَبِرْ بِذَلِكَ الْإِعْتِبَارَ عَلَى أَنَّكَ مُسْلِمٌ مَا سَلَّمَ إِلَيْكَ مِنْهَا . فَكُتِبَ عَهْدُهُ عَلَى فَارِسٍ .

٧٠١ نثر الدر ٥ : ١١٣ .

١ التي لا يحصى . . . ومنته : سقط من م .

٢ م ر : ولحق .

٧٠٢ - كتب عمرو بن مسعدة : وأنا أحبُّ أن يتقرَّرَ عندك أن أُمليَ فيك
أبعدُ من أن أُختلِسَ الأمورَ اختلاسَ مَنْ يرى في عاجلكَ عَوْضاً من آجلكَ ، وفي
الذَّهَبِ من يَوْمِكَ بَدَلاً من المأمولِ في غَدِكَ .

٧٠٣ - قال المبرد : كانت في الحسن بن رجاء شِراسَةً ، وفي كَفِّهِ ضيقٌ ،
فكُتِبَتْ إليه : النَّاسُ - أَعَزَّ اللهُ الأَمِيرَ - رجُلانَ : حرٌّ وعبْدٌ ، فثمنُ الحرِّ الإكرامَ ،
وثنَمُ العبدِ الإنعامَ ، فأصلحَهُ هذا القولُ لي ولغيري مدَّةً ثم رجع إلى طبعه .

٧٠٤ - كاتب : الحمدُ لله الذي جعلَ محنتَهُ عطفاً وأدباً ، ولم يجعلها هَلَكَةً
ولا عطباً ، وجعلَ أوائلها ناطقةً على صوابٍ وأواخرها ، وبوادئها مخبرةً عن حميدِ
عواقبها ، ومواردها مُبَشِّرةٌ بالسلامةِ في مصادرها .

٧٠٥ - إبراهيم بن العباس في ذكر خليفة :

الحمد لله الذي يحيي إليه مَنْ يشاءُ باصطفائه ، ويهدي إليه مَنْ يُنِيبُ باجتبائه ،
ويرفعُ درجاتٍ مَنْ يشاءُ بقُدْرته ، ويختارُ لهم بلطفه ، وهو أعلمُ حيث يجعلُ
رسالته ، ويودعُ منائحَ نِعْمَتِهِ ، ويولي مقاسِمَ فضله ، ويكسو عِزَّ سُلْطَانِهِ ، مُصْطَفِي
آلِ إبراهيم بالكتاب والحكمة ، ومُختَصِّمهم بالملك والعظمة ، ومُؤْتِيهم الحكمةَ في
الذِّكْرِ القديم ، فقال تعالى : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ، فَقَدْ
آتَيْنَا آلَ إِبراهيمَ الكتابَ والحِكمةَ وآتَيْنَاهُمْ مُلكاً عَظِيماً﴾ (النساء ٥٤) .

والحمد لله الذي جعلَ الخِلافةَ عَقِيبَ الرِّسالةِ ، فأحيا بها أَيَّامها ، ووطَّدَ بها
أعلامها ، وأنفَذَ فيها أحكامها ، وانتخبَ لها من أهلِ الوِراثةِ ولاةً راشدين ،
وهداةً مَهْدِيين ، أساةً للعالمين ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل
عمران : ٣٤) . فَأَنارَ بهم معالمَ دينِهِ الَّذِي اصْطَفاهُ ، وأوضَحَ دلائلَ الحقِّ الَّذِي
أَعلاه ، وظاهرَ بهم فضلهُ الَّذِي أَوْلاهُ ، وخصَّصَهم من إظهاره وإظهاره ، بما يأذنُ

٧٠٢ نثر الدر ٥ : ١٢١ .

٧٠٣ البصائر ٦ : ٥٠ (رقم : ١٣٥) وربع الأبرار ٢ : ٣٠٢ .

لأوليائه وأنصاره . والحمد لله الذي أكرم أمير المؤمنين بما قاد إليه من الخلافة ، وأصار إليه من الوراثة ، ووطأ له من الأمانة على مشارف بنيانه ، وأرسى قواعد أركانه ، وحمى حريم سلطانه ، وجعل أيامه أيام نضارة وغضارة ، وأمن وسلامية ، وهدوء واستقامة ، بما أسند إليه من مراعاة صلاح عباده ، وإضافة العدل في بلاده ، والاجتهاد في تلافي كل فاسد ، وضم كل ناشئ ، واستعادة كل نافر ، حتى اعتدلت قناة الملك في يده ، وشرف منار الحق في دولته ، وزهق الباطل في دعوته ، وسارعت الرفاهة في إيالته ، واتصلت السعادة بسياسته ، فأصبحت الدهماء ساكنة ، والثغور مُسددة .

٧٠٦ - فصل من كتاب عن أجنادٍ طرفٍ يذكر طاعتهم :

قد أعدَّ الله لنا لأمر المؤمنين في نصره الدولة ، وحماية البيضة ، ودفع الخطوب الملمة ، وكفاية الأمور المهمة ، عزائم ماضية ، وأيدياً على الحق متناصرة ، وأعواناً على الخير متوازرة ، لا يتخونهم وهن في الأيد ، ولا ضعف في الكيد ، ولا انتقاص في العدد ، ولا انقطاع في المدد ، باغين عند الله الحسنى بجميل بلائهم ، وعند أمير المؤمنين الزلفى بصادق ولائهم .

٧٠٧ - فصل في وصف والٍ :

نعمه عامة لجميع المسلمين ، عائدة بعمارة الدين ، منتظمة بعز الدولة ، وحماية البيضة ، وصيانة المملكة ، بعد شمول البلاء ، واضطراب الدهماء ، وتشعب الأهواء ، وتطلع أقاصي الأعداء ، وانتهاء الفساد إلى حيث يُعيب حسمه ، والفتق إلى حيث يُعجز رتقه . فإن سيدنا نهض من هذا الخطب العظيم الذي لم يمر بالإسلام مثله ، ولا حملت الكواهل بعض ثقله ، فساسه بصائب رائه ، وشفاه من مفضل دائه ، بما قد أعيأ قدماً أنصار الدولة والملوك الذين جملت السير بذكرهم ، وأثر ما بان من فضلهم .

٧٠٨ - فصل في ولاية خليفة :

ولم يزل الله منذ اضطرب جبل المملكة ، وظهر أعداء الدولة ، يُصرفُ
مَشِيئَتُهُ ، وينقلُ إِرَادَتَهُ ، مختاراً لموضع إمامته^٢ ، ومرتاداً لمحلِّ خلافته ، وإن
كان قد تقدّم علمه بمواقع الاختيار ، لكنه جلّ جلاله تجري عادته في الأناة
تأديباً للخليفة ، وزجراً لذوي العجلة عن تورّد الأمور المشكّلة ، وتقحّم أثابجها
قبل إعمال الرويّة ، حتى وقف اصطفاءه وقصر اجتهاده على أمير المؤمنين ، فأقرّها
منه في موطنها ، وثبّتها في معدنها ؛ ووجهه لِمَا اصطفاه بها ناهضاً ، وفيها قائماً
بحقّها ، راتقاً لفتنّها ، صادفاً عن الدنيا ورائعات زبرجها ، ومونقات زخرُفها ،
لا تشييه ذواعي لذاتها^٣ ، ولا تطييه عوارض شهواتها ، عن طلب ما عند الله ،
وابتغاء الزلفة بين يديه ، والقربة إليه ، في عمارة الدين ، وحياطة المسلمين ،
 وإقامة معالم الحق ، وإحياء سنن العدل ، طاوياً كَشْحَهُ على صفاء نيّته ، ونقاء
سريّته ، وصارفاً همّه إلى ما فيه المزيّة والمعدّلة في البريّة ، وسامياً بهمّته إلى
تأييد المملكة وتأكيد أسبابها ، وتعديل أحوالها ، بعد مشارفتها الإصفار من
بهجتها ، والإخفاق من زينتها ، والإخلاق من جديدها ، والتشعث من
نضرتها ، حتى استقامت على أفضل سبيلها ، وخلصت من شوائب الآفات
المكتنفة لها ، وثاب إلى الدين عزّه ، وإلى الإسلام نُورُهُ ، واستودعت الأمانة من
أدائها ، وسيقت الإيالة إلى من يقوم بحكم الله فيها ، وحاط من الزبغ حواشيها ،
ونهد للأعداء المتدّة أعناقهم ، المنطلقة أطماعهم ، برأي يفلّ السيف الحسام ،
وعزم يكلّ الجحفل اللّهام ، فثنى من غربهم ، وهون من خطبهم ، وأصبح
بنعمة من الله لزمانه قريعاً ، وللخلق غياثاً وريعاً ، وللمسلمين وزراً وحِصناً
معيّاً ، وقام فيما ناطه الله به ، وطوّقه إِيّاه ، مقام السالفين من آبائه الطاهرين ،

١ م ر : وتظاهر .

٢ ر : أمانته .

٣ ر : لذتها .

٤ م ر : وتوكيد .

والأئمة الراشدين ، سابقاً لشأوهم بمهله ، وموفياً عليهم بصالح عمله ، وإن كانوا في الفضل على تشابه في المقاييس ، وتصاقب في المنازل ، غير أن الله تعالى فاوت بين الأنبياء في الدرجات ، وإن كان قد انتظمهم في مجامع الخيرات .

٧٠٩ - كتب المعتصم إلى المأمون في كتاب فتح تولاه له : وكتابي هذا كتاب منه لخبر ، لا معتدّاً بآثر .

٧١٠ - كتب أبو الفضل ابن العميد - وهو محمد بن الحسين بن محمد ، وأبوه أبو عبدالله الحسين ، وكان وزيراً كاتباً بخراسان وأصله من قم - إلى ملكان ونداد خرشيد^١ عند استعصائه على ركن الدولة أبي علي : كتابي وأنا مترجّح بين طمع فيك ، ويأس^٢ منك ، وإقبال عليك ، وإعراض عنك ، فإنك تدلّ بسابق حرمة ، وتمتّ بسالف خدمة ، أسرهما يوجب رعاية ، ويقتضي محافظة وعناية ، ثم تشفعهما بحادث غلول وخيانة ، وتتبعهما بأنفٍ خلافٍ ومعصية ، وأدنى ذلك يُحيط أعمالك ، ويمحق كل ما يرعى لك . لا جرم أني وقفت بين ميل إليك ، وميل عنك ، أقدم رجلاً لصمدك ، وأؤخر أخرى عن قصدك ، وأسطُ يداً لاصطلامك واجتياحك ، وأثني ثانية نحو استبقائك واستصلاحك ، وأتوقف عن امتثال بعض المأمور فيك ، ضناً بالنعمة عندك ، ومنافسة في الصنيعة لديك ، وتأميلاً لفيتتك وانصرافك ، ورجاء لمراجعتك وانعطافك ، فقد يغرب العقل ثم يؤول ، ويعزب اللب ثم يثوب ، ويذهب الحزم ثم يعود ، ويفسد العزم ثم يصلح ، ويضع الرأي ثم يستدرك ، ويسكر المرء ثم يصحو ، ويكدر الماء ثم يصفو ؛ وكل ضيقة فإلى رخاء ، وكل غمرة فإلى انجلاء . وكما أنك أتيت من

٧١٠ يتيمة الدهر ٣ : ١٦٧ ونهاية الأرب ٧ : ٢٦٥ وانظر أمراء البيان : ٥١٧ .

١ اليتيمة : ابن بلكا ونداد خورشيد .

٢ نهاية الأرب : وإياس .

إساءتك بما لم تحتسبه أولياؤك ، فلا تدع^١ أن تأتي من إحسانك بما لا يرتقبه أعداؤك . وكما استمرت بك الغفلة حتى ركبت ما ركبت ، واخترت ما اخترت ، فلا عجب أن تنبأ انتباهة^٢ تبصر فيها قبح ما صنعت ، وسوء ما آثرت ، وسأقيم على رسمي في الإبقاء والمماطلة ما صلح ، وعلى الاستيناء والمطاولة ما أمكن ، طمعا في إيناسك^٣ ، وتحكيما لحسن الظن بك . فلست أعدم فيما أظهره من إغذار ، وأرادفه من إنذار^٤ ، احتجاجا عليك ، واستدراجا لك ، فإن يشأ الله يرشدك ، ويأخذ بك إلى حظك ويسدّدك ، فإنه على كل شيء قدير .

فصل منها : وزعمت أنك في طرف من الطاعة بعد أن كنت متوسّطها ، فإذا كنت كذلك فقد عرفت حالها ، وحلبت شطريها ، فنشدت^٥ك الله لما صدقت عما سألتك عنه : كيف وجدت ما زلت عنه ؟ وكيف وجدت^٦ ما صرت إليه ؟ ألم تكن من الأولين^٧ في ظلّ ظليل ، ونسيم عليل ، وريح لليل ، وهواء عذي ، وماء روي ، ومهاد وطي ، وكن كنين ، ومكان مكين ، وحصن حصين ، يقيك المتالف ، ويؤمنك المخاوف ، ويكفيك من نوائب الزمان ، ويحفظك من طوارق الحدّثان ، عززت به بعد الذلّة ، وكثرت بعد القلّة ، وارتفعت بعد الضعّة ، وأيسرت بعد العسرة ، وأثريت بعد المتربة ، واتسعت بعد الضيقة ، وأطافت بك الولاة^٨ وخفقت فوقك الرّيات ، ووطئ عقبك الرّجال ، وتعلقت بك الآمال ، وصيرت تكائر^٩ ويكائر^{١٠} بك ، وتشير^{١١} ويشار^{١٢} إليك ، ويذكر^{١٣} على المنابر اسمك ، وفي المحاضر ذكر^{١٤}ك ؟ فقيم الآن أنت من الأمر وما

١ اليتيمة : فلا بدع .

٢ اليتيمة ونهاية الأرب : إنابتك .

٣ نهاية الأرب : اعذارك . . . اندارك .

٤ م ر : تجد .

٥ اليتيمة ونهاية الأرب : الأول .

٦ اليتيمة : وظفرت بالولايات .

العض مما عددتُ؟ والخُلفُ مما وصفتُ؟ وما استعددتُ^١ حين أُخرجتَ من الطاعةِ نفسك ، ونفَضتَ منها كُفكُ^٢ ، وغمست في خلافها يدك؟ وما الذي أظللُّك بعد انحسار ظلها عنك؟ أظلُّ ذو ثلاثِ شَعَبٍ ، لا ظليلٌ ولا يُغني من اللهبِ؟ .

ومنها : تأملْ حالَكَ ، وقد بلغتَ هذا الفصلَ من كتابي^٣ مستكراً ، والمسَّ جسديكَ ، وانظرْ هل يُحسُّ؟ وأجسَسْ عرقك هل ينبضُ؟ وفتشْ ما حَيَّيتَ عليه أضلاعَكَ ، هل تجدُ في عرضها قلبَكَ؟ وهل حلا بصدرك أن تظفرَ بموتٍ سريعٍ ، أو بفوتٍ مريحٍ؟ ثم قسْ غائبَ أمرِكَ بشاهده ، وآخرَ شأنِكَ بأولِهِ .

حُكي عن ملكان - وكان آدبَ أمثاله - أنه كان يقول : والله ما كانت حالي° عند قراءة هذا الفصل إلا كما أشار إليه الأستاذُ الرئيس ، ولقد نابَ كتابُهُ عن الكتائبِ في عَرِكِ أديمي واستصلاحِي ، وردِّي إلى طاعةِ صاحبه .

٧١١ - ومن كتابِ إلى عضد الدولة : وقد يُعدُّ أهلُ التحصيلِ في أسبابِ انقراضِ العلومِ وانتقاصِ مُدِّها ، وانتقاضِ مَرِّها ، والأحوالِ الداعيةِ إلى ارتفاعِ جُلِّ الموجودِ منها ، وعدمِ الزيادةِ فيها : الطوفانُ بالماءِ والنارُ ، والموتانِ العارضِ من عمومِ الأوبئِ ، وتسَلَطُ المخالفينِ في المذاهبِ والآراءِ ، فإنَّ كلَّ ذلكِ يخترِمُ العلومَ اختِراماً ، ويتهكِّمُ انتهاكاً ، ويجتثُّ أصولها اجثثاً . وليس - عندي -

٧١١ يتيمة الدهر ٣ : ١٦٩ وانظر أمراء البيان : ٥٤٩ .

١ اليتيمة ونهاية الأرب : استفدت .

٢ اليتيمة ونهاية الأرب : كفك .

٣ نهاية : كلامي .

٤ اليتيمة ونهاية الأرب : فستكراها .

٥ اليتيمة ونسخة ر : لي حال .

الخطبُ في جميع ذلك يقارب ما يولده [تسلط ملك جاهل تطول مدته ،
وتتسع قدرته ، فإن] البلاء به لا يعدلُه بلاء . وبحسب عِظَمِ الخنةِ بمنَ هذه
صِفَتُهُ ، والبلوى بمنَ هذه صُورَتُهُ ، تعظُمُ النعمةُ في تملكِ سلطانِ عالمٍ عاملٍ
كالأميرِ الجليلِ الذي أحلَّهُ اللهُ من الفضائلِ بِمِلْتَمَى طُرُقِهَا ، ومُجْتَمِعِ فِرْقِهَا ،
فهي نورٌ نوافِرٌ ممن لاقَتْ حتى تصيرَ إليه ، وشَرْدٌ نوازِعٌ حيث حَلَّتْ حتى تفَعَّ
عليه ، تَتَلَفَّتْ إليه تَلَفَّتَ الواثق ، وتتشَوَّفُ نحوه تشوَّفَ الصبُّ العاشق ، قد
ملكتهَا وَحِشَّةُ المَضَاعِ ، وَحَيْرَةُ المِرْتَاعِ : [من الطويل]

فإن غَشَّ قوماً بعدَهُمُ أو تزورهم فكالوحشِ يُدنيها من الأتسِ المحلِّ

٧١٢ - فصلٌ من كلام الصابي في تقليدِ المطيعِ ابنه الطائع ما كان إليه من

الخلافة :

ولما صار في السنِّ العليا والعلَّةِ العظمى ، بحيث يَحْرَجُ أن يقيمَ معه على إماميةٍ
قد كلَّ عن تحمُّلِ كلِّها ، وضعفَ عن النهوضِ بعبئِها ، خلَعَ ذلك السُّرْبَالَ على
أميرِ المؤمنين الطائعِ لله خلَعَ الناصِّ عليه ، المسلمِ إليه ، خارجاً إلى ربِّ العالمين
وجماعةِ المسلمين من الحقِّ في حسنِ إيالَتِهِمْ وسياسَتِهِمْ ، مما استقلَّ واضطلع ،
وفي حسنِ الاختيارِ والارتياحِ لهم ، حين حسر وظلَع .

٧١٣ - ومن كلامه : للنعمِ شرطٌ^٢ من الشُّكْرِ لا تريم ما وجدتهُ ، ولا

تُقيمُ إذا فقدتهُ^٣ ، وكثيراً ما تُسكِرُ الواردينَ حياضُها ، ويُغشي عيونَ المقتبسين

٧١٢ بعض هذا الفصل في بيتمة الدهر ٢ : ٢٥١ .

٧١٣ بيتمة الدهر ٢ : ٢٥٢ .

١ البيتمة : عادل ؛ ومن ر .

٢ البيتمة : شروط .

٣ البيتمة : لا تريم ما وجد ولا تقيم ما قعد .

إيماضها ، فيذهلون عن امتراءِ دَرَّتِهَا^١ ، ويعمهون^٢ عن الاستمتاعِ بِنُضْرَتِهَا ، ويكونون كَمَنْ أَطَارَ طَائِرُهَا لما وقع ، وَنَفَرَ وحشيها حينَ إِنْسَ ، فلا يلبثون أن يَتَعَرَّوْا من جِلْبَابِهَا ، وَيَتَسَلَخُوا من إِهَابِهَا ، ويتعوَّضوا منها الحسرةَ والغليلَ ، والأسفَ الطويلَ .

٧١٤ - ولما نقل بختيار ابنته المزوَّجةَ بأبي تغلب ابن حمدان كتب عنه الصابي في معناها فصلاً ، وهو : قد توجهَ أبو النجم بدر الحرمي - وهو الأمينُ على ما يلحظُهُ ، والوفايُ بما يحفظُهُ - نحوك يا سيدي ومولاي بالوديعة ، وإنما نُقِلَتْ من وطنٍ إلى سَكَنِ ، ومن مغرِسٍ إلى مُعْرَسٍ ، ومن مأوىٍ برٍّ وانعطافٍ ، إلى مثوى كرامةٍ وألطفٍ ، ومن منبتٍ دَرَّتْ لها نَعْمَاوُهُ ، إلى منشأٍ تَجوَدُ عليها سَمَاوُهُ ، وهي بِضَعَةٌ مني انفصلتُ إليك ، وثمرَةٌ من جنِّي قلبي حصلتُ لديك ، وما بان عني مَنْ وَصَلَتْ جِبَلُهُ بِجِبْلِكَ ، وتخيَّرتُ له باهرَ فضلك ، وبوأتُهُ المنزِلَ الرَّحْبَ من جميل خلائقِكَ ، وأسكنتُهُ الكَنَفَ الفسيحَ من كريمِ شيمتك وطرائقِكَ ، ولا ضياعَ على ما تضمَّنَتْهُ أمانتُكَ ، ويشتمل عليه حفظُكَ ورعايتُكَ .

وأرجو أن يَقْرِنَ اللهُ مَوْرَدَهَا بالطائرِ السعيد ، والأمرِ الرَّشيد ، والعزِّ الزائدِ والجدِّ الصاعد ، والنماءِ في الائتلافِ ، والعصمةِ من الفرقةِ والخلافِ ، حتى تكونَ عوائدُ البركةِ بأحوالها منوطةً ، ومن عوادي الأيامِ وغيرها محوطةً .

٧١٤ ب - ولما قرىء هذا الفصل بحضرةِ أبي تغلب ، اعتمدَ للجوابِ عنه أبو الفرج الببغا فأجاب عنه بما نسخته :

وأما أبو النجم بدر الحرمي المستوجبُ للارتضاءِ والإحماذ ، الموفي بمُنَاصِحَتِهِ

٧١٤ نثر الدر ٥ : ١١٢ إلى قوله : «ورعايتك» .

١ اليتيمة : الامتراء لدرتها .

٢ م : فيعمهون . . . ويذهلون .

على كلِّ مُراد ، فقد أدَّى الأمانةَ إلى مُتحمِّلِها ، وسلَّم الذخيرةَ الجليلةَ إلى مُتقبِّلِها ، فحلَّت من محلِّ العزِّ في وَطَنِها ، وأوت من جِمَى السُّودِّ إلى مُستقرِّها وسكِّنيها ، منتقلةً عن عطفِ الفضلِ والكمالِ ، إلى كَنَفِ السعادةِ والإقبالِ ، وصادرةً عن أنبلِ ولادةٍ ونسبِ ، إلى أشرفِ اتِّصالٍ وأنبهِ سَبَبِ ، وفي اليسيرِ من لوازمِ فروضها وواجباتِ حقوقها ، ما صانَ رعايتي عن الوصاةِ بها ، ونزَّهَ وفائِي عن الاستزادةِ لها . وكيف يُوصى الناظر بنوره ؟ أم كيف يُحصُّ القلبُ على حفظِ سروره ؟ وإنَّ سبباً قرَنَ بإحمادِ أميرِ المؤمنينِ ذكرِي ، ووصلَ بجبلِ السيِّدِ العمِّ ركنَ الدولةِ حَبلي ، ومنحَ عزَّ الدولةِ مكنونَ وُدِّي ، واختصَّ الإخوةَ من وُلْدِ أبيه السعيدِ - رحمه الله وأيدَّهم - بوثيقِ عهدي ، إلى أن صيرتُ بفضلِ الجماعةِ قائلاً ، ودونها بالنيةِ والفعلِ مناضلاً ، وبمحاسنها المجموعةِ لي ناطقاً ، وبما لي عندها من المساهمةِ والمشاركةِ واثقاً ، لحقيقٍ بالتباهي في الإعظامِ ، وخليقٍ بالمبالغةِ في الإيجابِ والإكرامِ . والله تعالى يُعينُ على ما أعتدُّه من ذلك وأنويه ، ويوفِّقني لما يُوفي على المحبةِ والبُغيةِ فيه ، بمنه وقُدْرته ، وحوْلِهِ وقُوَّتِهِ .

٧١٤ ج - وإنما السَّمُ الصابي في تسميته إياها بالوديعة بما كتبه جعفرُ بنُ ثوابَةَ عن المعتضدِ إلى ابنِ طولون في ذكرِ ابنته قطرِ الندى المنقولةِ إليه . وهو :
وأماً الوديعةُ - أعزَّكَ اللهُ - فهي بمنزلةِ ما انتقلَ من شماليك إلى يمينك ، عنايةً بها ، وحياطةً لها ، ورعايةً لولائِك فيها .

فلما عرضه على الوزيرِ أبي القاسمِ عبيدالله بن سليمان استحسنته جداً وقال له : تسميتك إياها الوديعة نصف البلاغة ، ووقَّعَ له بالزيادة في إقطاعه ومشاهرتة .
٧١٥ - من كتاب لأبي القاسم عبد العزيز بن يوسف الى اهل الشام : قد

٧١٥ يتيمة الدهر ٢ : ٣١٤ .

١ م : بالزيادة في أرزاقه .

علمتم بشهادة الآثار ، وتظاهر الأخبار ، ما أعدَّ اللهُ لأمير المؤمنين بطاعةٍ وليِّهِ المنصور ، وصفيِّهِ المبرور ، عضد الدولة - أيدهِ اللهُ - من حامِ حقيقتهُ ، سادَّ حَلَّتَهُ ، راعِ سدَّته ورعيته ، لا يَنْبِيهِ عن غاياته عارضُ السأم ولا يلهيه عن همَّاته راحة الجمام : [من الطويل]

مضاميرُهُ أُعِيَتْ على مَنْ يَرُومُهَا فكلُّ مديٍّ عن غايتهِ قصيرُ

وهو عينُ أمير المؤمنين إذا نظر ، ولسانُهُ إذا نطق ، ويده إذا لمس ، ألانت أم أمضت ، ووطأت أم أقضت .

٧١٦ - ومن كتاب في ذكر أبي تغلب : وقد كان الغضنفر بن حمدان حين نفضته المذاهب ، ولَفَطْتُهُ المهارب ، وأجَهَضْتُهُ عن مكانه^١ المكاييد والكتائب ، تَطَوَّحَ في بلادِ الشَّامِ ، يَتَنَقَّلُ بين مصارعٍ يحسبُها مراعٍ^٢ ، ومجاهلٍ يَعُدُّها معالم ، يرومُ انتعاشاً والجدُّ حاذِلُهُ ، ويتغيغي انتياشاً والبَغْيُ طالِبُهُ .

٧١٧ - وكتب إلى الصاحب ابن عباد :

وقفَ مولانا على ما كتبَ مولاي مُعَرِّضاً بخدمته ، ومُجَلِّياً عن نبيِّهِ ، فصدَّقَهُ وحَقَّقَهُ ، وقال أدامَ اللهُ سلطانه : إنَّ لسانَ أثرِهِ في الفصاحَةِ كلسانِ قلميهِ ، يتجاربان كفرسي رِهان ، وناهيك بالأوَّلِ اشتهاراً ووضوحاً ، وبالثاني غرراً وحجولاً . وكنا لمثل هذه الحال نُعِدُّهُ ونَعْتَدُّهُ ، ونتنجزُّ عِداتِ الفضلِ منه ، وحسبنا ما أفادتنا التجاربُ فيه ، كافلاً بالسعادة ودركِ الإرادة ، وما زالتْ مخايِلُهُ وليداً وناشياً ، وشمائلُهُ صغيراً ويافعاً ، نواطقُ بالحسنى عنه ، ضوامنَ للنُّجْحِ

٧١٦ يتيمة الدهر ٢ : ٣١٦ .

٧١٧ يتيمة الدهر ٢ : ٣١٩-٣٢٠ .

١ يتيمة : وأقلقتَه عن مجامته .

٢ يتيمة : مراتع .

منه ، فقد أصبح الظنُّ إيقاناً ، والضُّمارُ عياناً ، والتقديرُ بياناً ، والاستدراكُ برهاناً .

٧١٨ - كتب أبو إسحق الصايبي مقاطعة :

هذا كتابٌ من عبدالله الفضل ، الإمامِ المطيعِ لله أميرِ المؤمنين ، لفلان بن فلان .

إنك رفعتَ قصَّتكَ تذكرُ حالَ ضيَعَتِكَ المعروفةِ بكذا وكذا ، من رُستاقِ كذا وكذا ، من طَسُوجِ كذا وكذا ، وأنها أرضٌ رقيقةٌ قد توالى عليها الخرابُ وانغلقَ أكثرُها [بالسدِّ والدَّغْل] ، وإنَّ أميرَ المؤمنين أمرَ بمقاطعتِكَ عن هذه الضَّيعةِ على كذا من الورقِ المرسل [في كل سنة] على استقبالِ سنةِ كذا وكذا الخراجيةِ ، مقاطعةٌ مؤبَّدةٌ ، ماضيةٌ مقرَّرةٌ نافذةٌ ، يُستخرجُ مالُها في أوَّلِ الحرمِ من كلِّ سنة ، ولا تُتبعُ بنقضٍ ولا بتأوُّلٍ متأوُّلٍ فيها ، ولا يعترضُ معترضٌ في مُستأنفِ الأيامِ [إن] اجتهدتَ في عمارتها ، وتكلَّفتَ الإنفاقَ عليها ، واستخراجَ سدودها ، وقفلَ أراضيها ، واحتفازَ سواقيها ، واجتلابَ الأكرَّةِ إليها ، وإطلاقَ البُذورِ والتقاويِّ فيها ، وإرغابَ المزارعين بتخفيفِ طَسُوجِها بحقِّ الرِّقبةِ ومقاسماتها ، وكان في ذلك توفيرٌ لحقِّ بيتِ المالِ ، وصلاحٌ ظاهرٌ لا يختلُّ .

وسألتَ أميرَ المؤمنين الأمرَ والتقدُّمَ بالإسجالِ لك به ، وإثباته في ديوانِ السَّوادِ ودَواوينِ الحضرةِ وديوانِ الناحيةِ ، وتصويره ماضياً لك ولعقبِكَ وأعقابِهِمْ ، ولن لعلَّ هذه الضَّيعةُ أو شيئاً منها ينتقلُ إليه ببيعٍ أو ميراثٍ أو صدقةٍ أو غير ذلك من ضروبِ الانتقالِ : وإنَّ أميرَ المؤمنين بإيثاره الصلاحَ ، واعتمادهِ أسبابه ، ورغبتهِ فيما عادَ بالتَّوفيرِ على بيتِ المالِ والعمارةِ للبلادِ والترفيهِ للرعيةِ ، أمرَ بالنظرِ فيما ذكرتهُ ، واستقصاءِ البحثِ عنه ، ومعرفةِ وجهِ التدبيرِ ، وسبيلِ الحظِّ فيه ، والعملِ بما يوافقُ الرُّشدَ في جميعِهِ . فرُجِعَ إلى الديوانِ في تعرُّفِ ما

٧١٨ صبح الأعشى ١٣ : ١٢٤ (مع اختلاف) .

حَكَيْتَهُ من أحوالِ هذه الضَّيِّعَةِ ، فأنفَذَ منه رجلٌ مختارٌ ثقةٌ مأمونٌ من أهلِ الخبرةِ بأُمورِ السَّوادِ وأعمالِ الخراجِ ، قد عرفَ أميرُ المؤمنينَ أمانتَهُ وديانتَهُ ، وعلمَهُ ومعرفتَهُ ؛ وأمَرَ بالمصيرِ إلى هذه الناحيةِ ، وجَمَعَ أهلَها من الأدلِّاءِ والأكرَّةِ والمزارعينَ وثقاتِ التَّنَاءِ والمجاورينَ ، والوقوفِ على هذه الأقرحةِ ، وإيقاعِ المساحةِ عليها ، وكشفِ أحوالِ عَامِرِها وغَامِرِها ، والمسيرِ على حدودِها ، وأخذِ أقوالهم وآرائهم في وَجْهِ صلاحِ وعمارةِ كلِّ قَرَّاحٍ منها ، وما يُوجِبُهُ صوابُ التدبيرِ فيما التمسته من المقاطعةِ بالمبلغِ الذي بذلتَهُ ، وذكرتَ أَنَّهُ زائدٌ على الارتفاعِ ، والكتابِ بجميعِ ذلكِ إلى الديوانِ ليوقفَ عليه ، ورَسَمَ ما يعملُ عليه ، ويُنَهَى إلى أميرِ المؤمنينَ فينظرُ فيه : فما صحَّ عنده منه أمضاهُ ، وما رأى الاستظهارَ على نَظَرِ الناظرِ فيه استظهرَ فيما يرى منه ، حتى يقفَ على حقيقتهِ ، ويرسُمَ على ما يعملُ عليه .

فذكرَ ذلكِ الناظرُ أَنَّهُ وقفَ على هذه الضَّيِّعَةِ وعلى سائرِ أقرحِها وحدودِها ، وطافَها بمشهدٍ من أهلِ الخبرةِ بأحوالِها من ثقاتِ الأدلِّاءِ والمجاورينَ والأكرَّةِ والمزارعينَ والتَّنَاءِ الذين يُرجَعُ إلى أقوالهم ويُعملُ عليها ؛ فوجدَ مساحةَ بطنِ الأقرحةِ المزروعةِ من جميعِها ، دونِ سواقيها ومروزها^٢ وتلالها وجاريتها^٣ ومستنقعاتها ، وما لا يُعتمَلُ^٤ من أراضيها ، بالجريبِ الهاشميِ الذي تمسحُ به الأرضُ في هذه الناحيةِ كذا وكذا جريباً ، منها [جميع] القَرَّاحِ المعروفِ بكذا وكذا ، ومنها مَوْضِعُ الحصنِ والبيوتِ والساحاتِ والراحاتِ^٥ والبراحاتِ^٦ والخراباتِ^٧ ، ووجدَ حالَها في الخرابِ

١ صحیح : ونطاقها .

٢ صحیح : وپوروا .

٣ م : وجباينها ؛ صحیح : وجنائبها (و ر دون إعجام) .

٤ صحیح : يعتمد .

٥ والراحات : سقطت من ر ؛ صحیح : والقراحت .

٦ صحیح : والخزانات .

والانسداد وتعذر العمارة والحاجة إلى عظيم المؤونة ومفطر النفقة على ما حكيتُه وشكوتُه . ونظر في مقدار أصل هذه الجربان من هذه الضيعة ، وما يجب عليها ، وكشَفَ الحال في ذلك .

ونظر أمير المؤمنين في ما رفعه هذا المؤمنُ المنفذُ من الديوان ، واستظهر فيه بما رآه من الاستظهار ، ووجبَ عنده من الاحتياط ، فوجد ما رفعه صحيحاً صحةً عرفها أمير المؤمنين وعلمها ، وقامت في نفسه وثبتت عنده ، ورأى إيقاع المقاطعة التي التمسها^١ على حق بيت المال في هذه الضيعة ، فقاطعك عنه في كل سنة هلالية ، على استقبال سنة كذا وكذا الخراجية ، على كذا وكذا درهماً براسم^٢ صحاحاً مرسله بغير كسر ولا كفاية ولا حق جزر ولا جهبذة ، ولا محاسية ولا زيادة ، ولا شيء من جميع المؤن وسائر التوابع^٣ والرسوم ، تؤدي في أول المحرم من كل سنة حسب ما تؤدي المقاطعات ، مقاطعة ماضية مؤبدة نافذة ثابتة على مضي الأيام وكروار الأعوام ، لا تنقض ولا تفسخ ولا تتبع ولا يتأول فيها ولا تغير ، على أن يكون هذا المال ، وهو من الورق المرسل ، كذا وكذا في كل سنة مؤدّى إلى بيت المال ، ومصححاً عند من يوردُ عليه إلينا في هذه الناحية أموال خراجهم ومقاطعاتهم وجباياتهم ، لا يعتل فيها بأفة تلحق الغلات ، سماوية ولا أرضية ، ولا بتعطيل أرض ، ولا نقصان ربيع ، ولا بانحطاط سير ، ولا بتأخر قطر ، ولا بشوب غلة ، ولا بحرق ولا سرقة ، ولا بغير ذلك من الآفات ، بوجه [من الوجوه] ولا سبب من الأسباب ؛ ولا يحتج في ذلك بحجة يحتج بها التناء والمزارعون وأرباب الخراج في الالتواء بما عليهم ، وعلى أن لا تدخل عليك في

١ صبح : الخزانات .

٢ صبح : التمسها .

٣ براسم : سقطت من م ر و صبح الأعشى .

٤ صبح : كعامه (؟) .

٥ م ر : خزن ؛ صبح : حرب .

٦ صبح : التواقيع .

هذه المقاطعة يدُ ماسحٍ ولا مُخَمَّنٍ ولا حازِرٍ ، ولا مقدِّرٍ ولا أمينٍ ولا خاطرٍ^١ ولا ناظرٍ ، ولا مُتَّبِعٍ^٢ ولا متعرِّفٍ لحال زراعيةٍ وِعمارةٍ ، ولا كاشفٍ لأمر زرعٍ وغلّةٍ ، ماضياً ذلك لك ولعقبك من بعدك وأعقابهم ، وورثتك وورثتهم ، أبداً ما تناسلوا ، ولمن عسى أن تنتقلَ هذه الأقرحةُ أو شيءٌ منها إليه يرثُ أو يبيعُ أو هبةً أو نُحْلٍ أو صدقةً أو وقفٍ أو مُنَاقلةً أو إجارةً أو مهياةً ، أو تملكٍ أو إقرارٍ أو بغير ذلك من الأسبابِ التي تنتقلُ بها الأملاكُ من يدٍ إلى يدٍ ، ولا يُنقَضُ ذلك ولا شيءٌ منه ولا يُغيَّرُ ولا يُفَسَّخُ ، ولا يُزالُ ولا يُبدَلُ ولا يُتَعَقَّبُ ، ولا يعترضُ فيه مُعترضٌ بسببِ زيادةِ عمارةٍ ، ولا ارتفاعِ سعرٍ ، ولا وفورِ غلّةٍ ، ولا زكاءِ ربيعٍ ، ولا إحياءِ مَوَاتٍ ، ولا اعتمادِ مُعطلٍ ، ولا عمارةِ خرابٍ ، ولا استخراجِ غامرٍ ، ولا إصلاحِ شربٍ ، ولا استحداثِ غَلَاتٍ لم يجزِ الرسمُ باستحداثها وزراعتها ، ولا يُعدُّ ولا يُمسَحُ ما عسى أن يُغرسَ في هذه الأقرحةِ من النخلِ وأصنافِ الشجرِ المحدودِ والكرومِ ، ولا يُتَأَوَّلُ عليك بما لعلَّ أصنافُ^٣ المساحةِ أن يزيدَ به فيما يُعمِّره ويستخرجهُ من الجبايين والمستنقعاتِ ، ومواقعِ المشاربِ المستغنى عنها ، إذ كان أميرُ المؤمنين قد عرفَ ذلك ، وجعلَ كل ما يجب على كلِّ شيءٍ منه عند وجوبه داخلاً في هذه المقاطعة وجارياً معها . وعلى أنَّك إن فضلتَ شيئاً من مالِ هذه المقاطعةِ على بعضِ هذه الأقرحةِ من جميعِ الضيعةِ ، وأفردتَ باقي مالِ المقاطعةِ بباقيها عند ملكٍ ينتقلُ منها عن يدك ، أو فعلَ ذلك غيرك ، ممن جعلَ له في هذه المقاطعةِ ما جعلَ لك ، من ورثتك وورثتهم ، وعقبك وأعقابهم ، ومن لعلَّ هذه الضيعةُ أو شيئاً من هذه الأقرحةِ ينتقلُ إليه بضربٍ من ضروبِ الانتقالِ قَبْلَ ذلك التفضيلِ منكم عند الرضا ، والاعترافِ ممن تُفضّلون باسمه ، وتُحيلون عليه ، وغوِمتُم على ذلك ، ولم يُتَأَوَّلْ عليكم في شيءٍ منه . وعلى أنَّك إن

١ م ر : حاضر .

٢ م : شفيح .

٣ ر وصبح : أصل .

التمست أو التمس من يقوم مقامك ضرب منار على هذه الضيعة تعرف به رسومها وطسوقها وحدودها ، ضرب ذلك المنار أي وقت التمسومه ، ولم تمنعوا منه ، وإن تأخر ضرب المنار لم يتأول عليكم به ، ولم يجعل علة في هذه المقاطعة ، إذ كانت شهرة هذه الضيعة وأقرحتها في أماكنها ، ومعرفة مجاوريتها بما ذكر من تسميتها ومساحتها ، يُغني عن تحديدها أو تحديد شيء منها ، ويقوم مقام المنار في إيضاح معالمها ، والدلالة على حدودها وحقوقها ورسومها .

وقد سوغك يا فلان بن فلان أمير المؤمنين وعقبك من بعدك وأعقابهم وورثك وورثتهم أبدا ما تناسلوا ، ومن تنتقل هذه الأقرحة أو شيء منها إليه ، جميع الفضل بين ما كان يلزم هذه الضيعة أو أقرحتها من حق بيت المال وتوابعه ، على الوضعية التامة وعلى الشروط القديمة ، وبين ما يلزمها على هذه المقاطعة ، وجعل ذلك خارجاً عن حاصل طسوج كذا وكذا ، وعمما يرفعه المؤمنون ، ويوافق عليه المتضمنون ، على غابر الدهور ومر السنين وتعاقب الأيام والشهور ، فلا يقبل في ذلك سعاية ساع ، ولا قدح قاذح ، ولا قرف قارف ، ولا إغراء مغر ، ولا قول معتب ، ولا يرجع عليك فيما سوغته ونظر إليك به بحال من الأحوال ، ولا يرجوع في التقديرات ، ولا بنقض للمعاملات وردّها إلى قديم أصولها ، ولا ضرب من ضروب الحجاج والتأويلات ، التي يتكلم عليها أهل العدل على سبيل الحكم والنظر ، وأهل الجور على سبيل العدوان والظلم . ولم تكلف يا فلان بن فلان ، ولا عقبك من بعدك ولا ورثك وأعقابهم ، ولا أحد ممن تخرج هذه الضيعة أو هذه الأقرحة أو شيء منها إليه على الوجوه والأسباب كلها ، إخراج توقيع ولا كتاب مجرد ، ولا منشور بإنفاذ شيء من ذلك ، ولا إحضار سجل به ، ولا إقامة حجة فيه في وقت من الأوقات . وعلى ألا يلزمك ولا أحدا ممن يقوم في هذه المقاطعة مقامك مؤونة ولا كلفة ولا ضريبة ولا زيادة ولا بقسط كرمي ولا مصلحة ولا عمل بزني ، ولا نفقة ولا مؤونة حماية ولا خفارة ، ولا غير ذلك . ولا يلزم بوجه من الوجوه في هذه المقاطعة

زيادةً على المبلغ المذكور المحدود المؤدَّى في بيت المال في كلِّ سنةٍ خراجية ، وهو من الورق المرسل كذا وكذا ، ولا يمنع من روز جهنبد أو حجة كاتب أو عاملٍ بمال هذه المقاطعة إذا أدَّيته وأدَّيت شيئاً منه أولاً ، حتى يتكامل الأداة وتحصل في يدك البراءة كلِّ سنةٍ بالوفاء لجميع المال لهذه المقاطعة ، وعلى أن تُعاونوا على أحوال العمارة وصلاح الشرب ، وتوفَّر عليكم الصيانة والحماية والذَّب والرعاية .

ولا يتعقَّب ما أمرَ به أميرُ المؤمنين أحد من ولاة العهود والأمور والوزراء وأصحاب الدواوين ، والكتَّاب والعمَّال والموفين والضمناء والمؤمنين ، وأصحاب الخراج والمعاون وجميع طبقات المعاملين وسائر ضروب المتصرفين ، لشيء يطلُّه أو يزيلُه عن جهته ، أو ينقضه أو يفسخه أو يُغيِّره أو يُبدِّله ، أو يُوجبُ عليك أو على عقبك من بعدك وأعقابهم وورثتهم أبداً ما تناسلوا ، و[من] تخرج هذه الضيعة أو شيء منها إليه ، حجةً على سائر طرق التأويلات ، ولا يلزمكم شيئاً ولا يُكلِّفكم عوضاً من إرضائه ؛ ولا ينظرُ في ذلك أحدٌ منهم نظرَ تتبعٍ ولا كشفٍ ولا فحصٍ ولا بحثٍ . وإن خالف أحدٌ منهم ما أمرَ به أميرُ المؤمنين أو تعرَّضَ لكشفِ هذه المقاطعة أو مساحتها أو تخمينها ، أو اعتبارها أو الزيادة في مبلغ مالها ، أو ثبتَ في الدواوين في وقتٍ من الأوقات شيءٌ يخالف ما رسمه أميرُ المؤمنين فيها ، إما على طريق السهو والغلط أو العدوان والظلم والعناد والقصد ، فذلك كله مردودٌ باطلٌ مُنفسخٌ ، وغيرُ جائزٍ ولا سائغٍ ، ولا قادحٍ في صحة هذه المقاطعة وثبوتها ووجوبها ، ولا مُعطلاً لها ، ولا مانعاً من تلافي السهو واستدراك الغلط في ذلك ، ولا معيِّراً لشيءٍ من شرائط هذه المقاطعة ، ولا حجةً تقوم عليك يا فلان بن فلان ، ولا على كلِّ مَنْ يقوم مقامك في هذه المقاطعة بشيءٍ من ذلك ، إذ كان يأمرُ به أميرُ المؤمنين في ذلك على وجهٍ من وجوه الصلاح وسبيلٍ من سبله ، رأها وأمضاها ، وقطع بهما كلَّ اعتراضٍ ودعوى ،

واحتجاجٍ وَقَرَفٍ ، وَأَزَالَ مَعَهُمَا كُلَّ بَحْثٍ وَصَفْحٍ^١ ، وَتَبَعَهُ وَعِلَاقَةً . وَإِنْ كَانَ مِنَ الشَّرَائِطِ فِيمَا سَلَفَ مِنَ السَّنِينَ ، وَخِلَا مِنَ الْأَزْمَانِ ، مَا هُوَ أَوْ كَدُّ وَأَتَمُّ وَأَحْكَمُ ، وَأَحْوَطُ لَكَ ، وَلَعْقِبِكَ وَوَرَثَتِكَ وَأَعْقَابِهِمْ وَوَرَثَتِهِمْ ، وَمَنْ تَنْتَقِلُ هَذِهِ الْأَقْرَحَةَ أَوْ شَيْءًا مِنْهَا إِلَيْهِمْ ، مِمَّا شَرِطَ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، لِحَالِ أَوْجِبِهَا الْإِحْتِيَاطُ^٢ عَلَى اخْتِلَافِ مَذَاهِبِ الْفُقَهَاءِ وَالْكِتَابِ ، وَغَيْرِهِمْ مِمَّا لِلْخُلَفَاءِ أَنْ يَفْعَلُوهُ وَتَفْعُدَ فِيهِ أُمُورَهُمْ ، حُمِلَتْ وَحُمِلُوا عَلَيْهِ ، وَهُوَ لَكُمْ وَمُضَافٌ إِلَى شُرُوطِ هَذَا الْكِتَابِ الَّتِي قَدْ أَتَى عَلَيْهَا الذِّكْرُ ، وَدَخَلَتْ تَحْتَ الْحَصْرِ^٣ ، وَلَمْ يَكْلَفْ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِخْرَاجَ أَمْرٍ بِهِ . [وَإِنْ] التَّمَسَّتْ أَوْ أَحَدٌ مِنْ وَرَثَتِكَ وَأَعْقَابِكَ ، وَمَنْ عَسَى أَنْ تَنْتَقِلَ هَذِهِ الضَّبْعَةُ أَوْ هَذِهِ الْأَقْرَحَةُ أَوْ شَيْءًا مِنْهَا إِلَيْهِ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ ، تَجْدِيدًا بِذَلِكَ ، أَوْ مَكَاتِبَةً عَامِلٍ أَوْ مُشْرِفٍ ، أَوْ إِخْرَاجَ تَوْقِيعٍ أَوْ مَنْشُورٍ إِلَى الدِّيْوَانِ بِمِثْلِ مَا تَضَمَّنَهُ هَذَا الْكِتَابُ ، أُجِبْتُمْ إِلَيْهِ وَلَمْ تَمْنَعُوا مِنْهُ .

وَأَمْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِإِبْثَاتِ هَذَا الْكِتَابِ فِي الدَّوَاوِينِ ، وَإِقْرَارِهِ فِي يَدِكَ ، حُجَّةٌ لَكَ وَلَعْقِبِكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَعْقَابِهِمْ وَوَرَثَتِكَ وَوَرَثَتِهِمْ ، وَثَبْتَةٌ فِي أَيْدِيكُمْ ، وَفِي يَدِ مَنْ عَسَى أَنْ تَنْتَقِلَ هَذِهِ الضَّبْعَةُ إِلَيْهِ ، أَوْ الْأَقْرَحَةُ أَوْ شَيْءًا مِنْهَا ، بِضَرْبٍ مِنْ ضَرْبِ الْإِنْتِقَالِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي هَذَا الْكِتَابِ وَالَّتِي لَمْ تُذَكَّرْ فِيهِ ، وَأَنْ لَا تُكَلَّفُوا إِيرَادَ أَمْرٍ بَعْدَهُ ، وَلَا يَتَأَوَّلَ عَلَيْكُمْ مَتَأَوَّلٌ فِيهِ .

فَمَنْ وَقَفَ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ وَقَرَأَهُ أَوْ قُرِئَ عَلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَرَاءِ وَوُلَاةِ الْعُهُودِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْكَتَّابِ وَالْعَمَّالِ وَالْمُشْرِفِينَ وَالْمُتَصَرِّفِينَ وَالنَّاطِرِينَ فِي أُمُورِ الْخُرَاجِ ، وَأَصْحَابِ السِّيُوفِ عَلَى اخْتِلَافِ طَبَقَاتِهِمْ وَتَبَائِنِ مَنَازِلِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ ، فَلْيَمْتَثِلْ مَا أَمَرَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ وَلْيَنْفِذْ لِفُلَانِ بْنِ فُلَانٍ وَلِوَرَثَتِهِ وَلِوَرَثَتِهِمْ وَعَقْبِهِ

١ صبح : وفحص .

٢ م : الاحتيال .

٣ م : الحضرة .

وأعقابهم ، ولمن تنتقل هذه الأقرحة أو شيء منها إليه ، بهذه المقاطعة ، من غير مراجعة فيها ولا استثمار عليها ، ولا تكليف أحد ممن يقوم بأمرها إيراد حجة بعد هذا الكتاب ، وليعمل بمثل ذلك من وقف على نسخة من هذا الكتاب في ديوان من دواوين الحضرة وأعمالها والناحية ، وليقرر في يد فلان بن فلان ويد من يورده ويحتج به ممن يقوم مقامه ، إن شاء الله تعالى .
وكتب الوزير فلان في تاريخ كذا .

٧١٩ - فصل من كتاب لأحمد بن إسماعيل الكاتب ، المعروف بنطاحة :

البليغ من عرف السقيم من المعتل ، والمقيد من المطلق ، والمشارك من المنفرد ، والمنصوص من المتأول ، والإيماء من الإيحاء ، والفصل من الوصل ، والأصل من الفصل ، والتلويح من التصريح . ومن شروط البليغ أن يكون حاداً الفطنة ، صحيح القرينة ، صافي الذهن ، وأن يعرف في وجهه التحفظ وسجية المتحرز ، والخجل والوجل ، ويتبين في لحظه الرضى والغضب ، والسرور والحزن ، والأمن والخوف ، والأمر والنهي ، والذكاء والغباء ، والفكر والسهو .

٧٢٠ - وجدت كتاباً منسوباً إلى ابن العميد كتبه إلى صاحب أبي القاسم

ابن عباد - وفيه ما يشكك في قبوله - وفيه اذكار بسياسة مستفادة : مولاي وإن كان سيداً بهرتنا نفاسته ، وابن سيد تقدمت علينا رياسته ، فإننا نعتده سنداً ووالداً ، وأعدّه ولداً واحداً ، ومن حق ذلك أن يعضد رأبي رأيه ليزداد استحكاماً ، ويستمر عقداً وإبراماً ، وحضرة مجلس ركن الدولة تفاوضني ما جرى بينه وبين مولاي طويلاً ، ووصل به كلاماً بسيطاً ، وأطلعني على أن مولاي لم يزد بعد الاستقصاء والاستيفاء على التقضي والاستعفاء وألزم عبده أنا أن أكره مولاي إكراه المسألة وأجبره إجبار الطلبة ، علماً بأنه إن دافع المجلس المعمور طلباً للتحرز ، لم يزد وساطتي أخذاً بالتطول . وأقول بعد أن أقدم مقدمة : مولاي غني عن هذا بتصوّته وتقلله وعزوفه بهمته عن تكاثر المال وتحصيله ، ولكن العمل فقير إلى كفايته ، محتاج إلى كفائه . وما أقول ومرادي ما يعقد من

حساب ، وينشأ من كتاب ، ويستظهر به من جمع ، وعطاء ومنع . فكل ذلك وإن كان مقصوداً ، وفي آيات الوزارة معدوداً ، ففي كتاب مولاي من يفني به ويستوفيه ، ويوفي عليه بأيسر مساعيه ، ولكن ولي النعمة يريدته لتهديب من هو وليّ عهده ، والمأمول ليومه وغده ، أيد الله أيامه وبلغه فيه مرامه . فلا بدّ وإن كان الجوهر كريماً ، والمجد صميماً ، والسنخ عظيماً ، ومركبُ العقل سليماً ، من مناب مَنْ يعلمُ ما السياسةُ والرئاسة ، وكيف تُدبَّرُ العامَّةُ والخاصة ، وبماذا تُعقدُ المهابةُ ، ومن أين تُجتَلَبُ الأصالةُ والإصابةُ ، وكيف تُرتَّبُ ويُعالج الخطبُ إذا ضاقت المذاهب ، وتُعصى الشهوة لتحرس الحشمة ، وتهجر اللذة لتحصيل الإمرة . ولا بُدَّ من محتشمٍ يقوم في وجه صاحبه فيردّه إذا بدر منه الرأي المتقلبُ ، ويُراجِعُه إذا جمَحَ به اللجاجُ المُرتكبُ ، ويُعاوِذهُ إذا ملكه الغضبُ المنتشر . فلم يكن السبُّ في أن فسَدَت جهة وبلدانٌ عدّة ، إلا أن خفضت أقدارُ الوزارة فانقبضت أطرافُ الإمارة . ولن تفسدَ - على ما أرى - بقيةُ الأرض إلا إذا استُعِينَ بالأذنانِ على هذا الأمر . فلا يبخلنَّ مولاي على وليّ نعمته بفضل معرفته ، فمن هذه الدولة جرى ماء فضله وفضل شيخه من قبله . فإن كان مسموعاً كلامي ، وموثوقاً به اهتمامي ، فلا يقعنَّ انقباضٌ عني ، ولا إعراضٌ عما سبق مني . ومولاي محكّمٌ بعد الإجابة إلى العمل فيما يشترط ، غيرَ مراجعٍ فيما يقترحه . وهذا خطي به ، وهو على وليّ النعمة حجة ، لا يبقى معها شبهة ، وتتأصل المكاتبة بالمشافهة إما بحضوري لديه ، أو تجشّمه إلى هذا العليل الذي قد ألحَّ النقرسُ عليه ، والسلام .

٧٢١ - نسخة كتاب ورد من الصاحب إسماعيل بن عباد إلى أبي عبد الله

الحسين بن أحمد بن سعدان :

كتابي ، أطال الله بقاء الأستاذ مولاي ورئيسي ، أدام الله تأييده ونعماءه ،

١ م : يذكر أبا .

يومَ كذا ، ومولانا الأميرُ السَّيِّدُ فخر الدولة شاهنشاه ، أطال الله بقاءه ، وكتب أعداءه ، فيما يرفعُ اللهُ من قواعدِ ملكه ، ويعضدُ يَمَنَ سواعدِ عزه ، ويعمُّ من استظهاره ، ويفسحُ من أفنية استيلائه واقتداره ، على ما تقرُّ به عيون أولياء الدولة ، وأنصارِ البَيْضَةِ ، وحمَاةِ الحَوْزَةِ ، وثقات الدعوة . وأنا سالم والحمد لله رب العالمين ، وصلى اللهُ على سيدنا محمد وآله أجمعين ، وعندى للأستاذ مولاي كتب أنا رهينُ برِّها ، وعبداً شُكْرِها ، وما عن تقصيرٍ في حقِّها ذهبتُ عن الإجابة ، ولا لاقصار عن فرضها قبضتُ يدي عن الكتابة . وكيف وقد علم مَنْ له الخلقُ والأمرُ ، وسواءٌ عنده السرُّ والجهرُ ، أنِّي لم أستفد منذ دهر ، لا أضبط أطرافه امتداداً ، ولا أُحصيَ أيامه تعداداً ، موهبةً في نفسي أكرم منبتاً من وده ، وفي صدري أوكد موثقاً من عهده ، ولكن حوادثُ اعترضت وأجحفت ، وكوارثُ ألحَّتْ فألحبت ، وأتت الليالي بما لم يُحسبَ طروقه ، وهجمت الخطوبُ بما لم يُرتقبْ حدوثه ، ومضى أمير الأمراء وسعيد السعداء ، رضوانُ اللهُ عليه ، فعادَ النهارُ أسودَ ، والعيشُ أنكدَ ، والملكُ أغبرَ بل أرْبَدَ ، وأصبحتُ خصوماً والحياةُ خصمٌ يُمالُ عليه ، والموتُ سلَّمٌ نحنُ إليه . وقد كان قدسَ اللهُ مثواه وأكرمَ مأواه ، عند بلوغِ الأمرِ إلى حيث لا مطمعَ في العُمُرِ ، أشارَ إلى مولانا الأميرِ السَّيِّدِ فخرِ الدولة إشارةً الناصِّ ، وعيَّنَ على ذكرِهِ بالاسمِ الخاصِّ ، عالماً بأنَّه سدادُ الأمرِ ، وسِدادُ الثغرِ ، والكافلُ معه بالشملِ حتى يجتمع ، وبالخليلِ حتى يتصل ، وبالشعثِ حتى يُلمَّ ، وبالنشرِ حتى يُضمَّ . فحقَّق اللهُ مَخِيلَتَهُ في حياته ، وحفظ حقيقَتَهُ بعد وفاتِهِ . وقبل ذلك ما كان - سوَّغَهُ اللهُ تعالى رضوانه - كلَّفَنِي الاستمالةَ به - أدام اللهُ سلطانه - لتُمارَ تلك الأحقاد عن الصدور ، وتُقارَّ عواطف النفوس والقلوبِ ، ويتساهم إحسان اللهُ الموفور ، لاسيما وقد تخَوَّنَ الدهرُ الملكَ السعيدَ طَوَّدَ الأطوادَ ، وَعَصَّدَ الأعضادَ ، فوجب

أن يُزَادَ في التناصر، ويحصن الملك بالتظاهر. وبذلت جهده الناصح، وهديت بالأدب الصالح، إلى الطريق الواضح، فثنى الأمير السيّد فخر الدولة عينه عن نيسابور لإعادة الألفة، وجدّ على سمّت جرجان ماحياً للنبوة، إلا أن القضاء سبق فلم يلحق، وفرط فلم يدرك، وقبض أمير الأمراء - قدس الله روحه - إلى قبضة الرحمة، والصلوات الجمّة، بعد أن ذلّل الخصوم، وأدال القروم، واسترق الأعداء، وساس الدهماء، واستقلّ بالأعباء، وخلف أطيب الأبناء. فخدمت الدولة بالضبط بقدر ما استطعت، وتكلفت بقدر ما كفلت له واتسعت، إلى أن عاد مولانا فخر الدولة إلى منصبه الممهود، وسريه الموروث، ورواق عزه الممدود، ومستقر ملكه المنصور، فتجلّت الغمم، ونهضت الهمم، وقويت المنن، وانزاحت الظلم، وأصفت الكافة، ونزلت الرحمة والرأفة، وشفى الله صدور قوم مؤمنين، وقيل الحمد لله رب العالمين. ورأى أهل البصائر أن قد أعاد الله الدولة أجداً ما شوهدت، وأشب ما عوهدت، نافضة غبارها، رافعة منارها، خافقة بلوائها، مستعلية على أعدائها، مرسية بدعامتها عند من يوفّيها نذوراً، ومفوضة زعامتها إلى من يحميها محذوراً. فكان من أول ما فاتحته - حرس الله ملكه - فقرأت منه صحيفة السعادة، وأخذت منه بوثيق الإرادة، ما أعلمنيه من عكوف همته على عمارة ما أثله الأمراء السعداء بينهم قبل انخراطها في سلك الاتفاق، وانخطاطها في شعب الائتلاف، ودعا الأمراء السادة من أهله - بحق الكبر وفضل التجرب لأطوار الدهر - إلى التناصر والتناصر، والإعراض عن التباعد والتخالف، ورفض المنافسة التي تهيج كواين النفوس، وتثير سواكن القلوب، فقد آتى الله تعالى في التماسك فسحة، ولم يوجد في المشاحنة المبينة رخصة. هذا ولو كانت على أشد تضايقي وأتم تقارب، لوجب أن يتساهم عليها، فإن يسير الحظ مع التعاون والتأزر خير من كثيره مع التقاطع والتدابّر. فإن كان منهم من تأخذ العزة بالإثم، ويبغي تجاوز سابق الوصية والحكم، كانت الجماعة يداً عليه، إلى أن يفى للحسنى، ويعود طوعاً

أَوْ كَرَّهَا لِلطَّرِيقَةِ الْمَثَلِ . فَأَمَّا الَّذِي عِنْدَهُ - أَعْلَى اللَّهِ جَدَّهُ - لَمَوْلَانَا الْأَمِيرِ صَمَّصَامِ
الدَّوْلَةِ وَشَمْسِ الْمِلَّةِ ، فَالْإِنْصَابُ بِالْمَوْدَّةِ الَّتِي لَا مَطْلَعَ مِنْ بَعْدِهَا ، وَلَا مَنْرَعًا مِنْ
وَرَاءِ حَدِّهَا ، وَبِالِإِشْفَاقِ الْمُنْتَاهِي إِلَى حَيْثُ لَا اقْتِرَاحَ وَرَاءَهُ لِلْمُرِيدِ ، وَلَا اسْتِرَادَةَ
لِلْمَتَمَسِّ الْمَزِيدِ ، وَاللَّهُ يَمْنَعُ بَعْضًا بَعْضًا ، وَيَمُدُّ هَذِهِ الظَّلَالَ عَلَى بَسِيطِ الْأَرْضِ ،
حَتَّى لَا يُعْرَفَ لَهَا مِنْ سِوَاهُمْ مَلِكٌ يُطَاعَ ، وَلَا مَالِكٌ يَقَعُ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ ، إِنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ مُجِيبٌ .

وَأَرْجِعُ إِلَى مَا افْتَتَحْتُ لَهُ الْمَخَاطِبَةَ . كَانَ كِتَابُ الْأَسْتَاذِ الْأَوَّلِ قَدْ مَلَأَ الْيَدَيْنِ
فَضْلًا ، وَحَمَلَ الْكَاهِلَ ثِقْلًا ، وَأَيَقَنْتُ أَنَّ أَوْلَى الْمَوَدَّاتِ بِالثِّقَةِ الْوَكِيدَةِ ، وَأَحْرَاهَا
بِالِاسْتِقَامَةِ الشَّدِيدَةِ ، مَوَدَّتُهُ الَّتِي طَلَعَتْ مِنْ أَفْقِ فَضْلِ ، وَشَيْدَهَا كَرَمُ أَصْلٍ ،
فَأَتَتْ تَبْرُعًا مِنْ غَيْرِ اسْتِجْلَابِ ، وَتَطَوُّعًا مِنْ دُونَ اسْتِكْرَاهِ ، وَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ
نِعْمَ النَّاهِضُ بِحَقِّ الْمَقَاطِعَةِ ، وَإِنْ حَازَ بِالْمِرَّةِ الرَّتَبَةَ السَّابِقَةَ ، وَوَجَدْتُهُ قَدْ بَدَلَ مِنْ
نَفْسِهِ فِي الْمَشَارِكَةِ ، مَا لَوْ كَلَّفْتُهُ إِيَّاهُ لَكُنْتُ مُتَحَكِّمًا ، أَوْ مَائِلًا عَلَى جَانِبِهِ
مُتَسَحِّبًا ، فَغَدَوْتُ أَرَى الْحَالَ بَيْنَنَا أَوْلَى مَا أَصْرَفُ الْهَمَمَ إِلَى حِفْظِهِ مِنْ جِوَانِبِهِ ،
وَأُوْكَلُ الْفِكْرَ بِجِرَاسَتِهِ ، عَنِ الذَّهْرِ وَنَوَائِبِهِ . وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا نَتِيجَةُ مَا قَدَّمْتُهُ ،
وَتَمَرَّةُ مَا تَجَشَّمْتُهُ ، وَإِلَّا فَقَدْ عَلِمَ الْأَسْتَاذُ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ سَدَّ خِصَاصَ الْمَجْلِسِ
الَّذِي سَدَّهُ ، وَإِنْ لَمْ يَسُدَّ فِي الْكِفَايَةِ وَالْبِرَاعَةِ مَسَدَّهُ ، كَاثِرُنِي فَحَقَّقْتُ ، وَبِاسْطِنِي
فَتَقَبَضْتُ ، لَا تَقْصِيرًا بِالْوَاحِدِ ، وَلَكِنْ عِلْمًا بِالْمَصَادِرِ وَالْمَوَارِدِ .

فَلَمَّا وَجَدْتُ مَنْ جَمَعَ مَزِيَّةَ الْإِسْتِقْلَالِ إِلَى كَرَمِ الْخِلَالِ ، وَشَرَفِ النَّجَارِ إِلَى
مَنْ كَانَ أَهْلًا لِلْإِكْبَارِ ، وَمَنْ هَنَّتْ بِهِ الْأُمُورُ قَبْلَ أَنْ يَهْنَأَ ، وَأَوْلَاهُ اللَّهُ أَدَبَ
الْصُدُورِ قَبْلَ أَنْ يُؤَلَّى ، أَرْسَلْتُ نَفْسِي عَلَى سَجِيَّتِهَا ، وَأَعَدَّتْهَا لِفِطْرَةِ أَوْلِيَّتِهَا ،
وَظَنَنْتُ اللَّهَ قَدْ أَنْشَرَ الْفَضْلَاءَ الْأَعْيَانَ الَّذِينَ كُنْتُ أَتَجَمَّلُ بِوَدَادِهِمْ ، وَأَتَكَثَّرُ
بِاعْتِقَادِهِمْ ، وَأَنْسَتْ قَلَّةَ الصَّدِيقِ مِنْ بَعْدِهِمْ . وَالْآنَ حِينَ أَعْتَبَ الزَّمَانُ فَغَفَرْتُ لَهُ
أَكْثَرَ جَرَائِرِهِ ، وَسَحَبْتُ ذَيْلَ التَّجَاوِزِ عَلَى مُعْظَمِ جَرَائِمِهِ ، وَرَدَّ بَعْدَهُ كِتَابَانِ جَعَلَا
التَّفَضُّلَ مِنْهُ عَادَةً ، وَالْبِرَّ إِبْدَاءً وَإِعَادَةً . وَلَوْ قَدْ وَفَيْتُ بِمَا سَبَقَ ، لَوْفَيْتُ الْحَقَّ فِي

ما لحق ، إلا أني إلى الآن معذور أو معتذر ، ومقصر أو مقتصر . ولكن كانت محامد
 الأستاذ مولاي تسابق يقينَ العارف ، وتستغني عن لسان الواصف ، إني قد
 خطبت في مجلس مولانا الأمير السيد فخر الدولة فيها بخطبٍ إن لم تفتح
 بالتحميد فقد شحنت بالتعظيم ، وإن لم تكن قرئت على درج المنابر ، فقد تليت
 في أشرف المحاضر ، وحققتُ عنده أن الأستاذ مولاي يرى الخدمتين خدمةً
 واحدة ، ويعدُّ الغائبة شاهدة ، واعتدَّ لذلك أشدَّ اعتداد ، فأسلف عنه أتمَّ إجماد .
 وقد نفذ إليه عن حضرته العالية ما ليس بغاية يُوقف عندها ، حتى تُردفَ مع
 استقرار المخاطبات بما يجب بعدها ، بمشيئة الله . وإذ قد جمعنا الله على ما جمع
 فالانقباض هُجْنَةٌ ، والاحتشامُ وَصْمَةٌ . وكنت - أدامَ اللهُ تأييدَ الأستاذ - وقد
 يسَّرَ اللهُ مِن سدِّ الثُّلَمَةِ ما استدعت النفوس أن ينسَدَّ ، وسهَّلَ من ارتدادِ الظلمة ما
 استبعدت العقولُ أن يرتد ، آملُ ظفراً بما لم أزلُ أنازعُ إليه ، وأقارع الآمالَ
 عليه ، من اعتزالِ الأشغال التي كان يحسنُ الانقطاع إليها ، وفي الأيام بقية ،
 والعمرُ في إقباله ، والنشاطُ في استقباله ، والشبابُ بحاله ، والأشدُّ على استقلاله ؛
 إلا أن مولانا الأمير خاطبني في هذا الباب بمخاطباتٍ لم أستطعُ معها أن أبلغَ ما
 أردتُ ، وأيَّمتُ إلى حيثُ قصدتُ ، وأنتهي في التعظيم إلى ما لا يُقسَمُ للمشاركة
 القسيم ، فلم أطقُ شُكْرَ نعمته إلا بأن أتطوَّقَ فَرَضَ خدمته ، وأوردت هذا
 الفصلَ اعتذاراً إلى الوفاء وأهله ، من النظر بعدُ ما لا تُورِّخُ السيرُ بمثله ، وإن كان
 الله قد أدالَ من القنوط اللازم بالإحسان الفائض ، وانتضى للملك أكمل سائس
 وأشرف رائض . وقد خاطبتُ أبا العلاء في كلِّ باب بما يُودَى فيه حق المناب ،
 وعلى ذكره فإني أرعى له حقوقه التي لديّ ووسائله إليّ أن أدَى إليّ عن الأستاذ
 مولاي ما كتب بالإخلاص على سواد القلب ، وجعل المودة شريعة لا تُعقَبُ
 بالنسخ ؛ فإن رأى مولاي الأستاذ أن يخاطبني بما يخاطبُ الموثوقُ به ، المسكونُ
 إليه ، المعتمدُ منه ما لا استظهار عليه ، ويقرر عند مولانا الأمير صمصام الدولة
 وشمس الميلة ، أني وإن غبتُ فخادمٌ متصرفٌ بإخلاصٍ حاضر ، وعبدٌ قد ورثه

كبيراً عن كابر ، ويصرفني بين أمره ونهيه ، فعل ، إن شاء الله تعالى .

٧٢٢ - نسخة الجواب من إنشاء أبي إسحاق الصابي :

كتابي ، أطال الله بقاء سيّدنا صاحب ، وأدام عزّه وتأييده وعلوّه ، ونعمُ الله عند مولانا الملك السيّد صمصام الدولة وشمس الملة - أطال الله بقاءه ، وأدام نصره وعلاه - سابغة راهنة ، وأحوال مملكته - رعاها الله - مستقيمة منتظمة ، والله جلّ اسمه متكفّل له بحفظ الحوزة وحياطتها ، وإظهار الراية ونصرتها ، والتمكين في الأرض بأفضل ما مكنّ به للملوك المؤيدين ، وولاة الأمر المنتخبين المختارين ، تصاعداً وسموّاً وتزايداً ونموّاً ، وتوقلاً في هضبات الفخر والمجد ، وترقيّاً في درجات الحظّ والجدّ ، وهو - أدام الله أيامه - مقابلٌ لذلك بالشكر لوليه^٢ ، والاستمداد اللطيف صنعه فيه ، ومدّ الظلّ الظليل على كلّ عامٍّ وخاصٍّ ، وإفاضة الفعل الجميل في كلّ دانٍ وقاصٍّ ، فالأولياء على طاعته مُجمعون ، وفيها مُخلصون ، والرعايا في كنف سياسته وإياليته ساكنون وادعون . وأما ما خصّني الله به من تفويضه إليّ وتعويله عليّ ، وإنفاذه أمري في البسط عنه والقبض ، والإعلاء والخفض ، فلساني يقصر عن ذكره موجزاً مجملاً ، فكيف به مشروحاً مفصلاً . والحمد لله على ذلك حمداً ينتهي باتصاله وترادفه ، وتوافيه وتضاعفه ، إلى مجازاة هذه المنن كلّها ، وإن كانت استطاعتنا متخلّفة عنها وواقفة دونها ، وناقصة عن الوفاء بحقّها ، حتى يتممه عفوّه وفضله ، وإحسانه وطوّله . وفضل كتاب سيّدنا صاحب ، منصوراً بنظير ما صدر كتابي هذا ، من منائح الله الجليلة ، لما في نفسه ولي فيه ولنا جميعاً ، في سلامة مولانا الأمير الأجلّ فخر الدولة ، أطال الله بقاءه ، وأدام تمكينه ونعماءه ، وانتظام أحواله وأطراد شؤونه ونفاذ أمره ، في ما أحسن الله توفيقه له ، وإرشاده إليه من توفيقه حقّه ، وإنزاله

١ م ر : وتريداً .

٢ م ر : لموليه .

منزلته ، وإيفائه به إلى أعلى مراقبي الكمال والفضل ، ومفيضاً عليّ من صنوف البرِّ والإكرام ، وضروب المِنَّنِ الجسام ، ما يُستعَبَدُّ الأحرارُ بأقلِّه ، وتُسْتَرَقُّ الأعناقُ بأيسرِه ، ومفوضاً إليّ من جلائل الأمورِ ومعاظِمِ الشُّؤنِ ، ما يجب أن تكونَ المفاوضاتِ بيننا فيه متردِّدةً ، وسبلُ المواصلَةِ به وبأمثاله معمورة ، وفهمته .

فأما تدمُّمُ سيِّدنا الصاحبِ من تأخُّرِ الأجوبةِ عن كُتبي المتواترةِ إليه ، واعتذاره من ذلك بما اعتذر به ، فقد قامَ عندي إحضارُه إياها ، وحفظُه عددها ، وتوكُّلُ فكرِه ومراعاتُه بها ، وجمعهُ الجوابَ عنها في الكتاب الذي هذا جوابُه ، مقامَ المكاتبَةِ الجاريةِ على المواظبةِ ، المستمرَّةِ على المداومةِ ، لاسيما مع ما تناولني به من لفظِه الجميل ، وبرِّه الهني ، ومطاوئِتهِ البالغة ، ومناقشَتِه الشافيةِ ، وعلى حسبِ ظمأَي - كان - إلى ذلك والتيحاحي ، وسروري الآن به وارتياحي . وهذه حالٌ تخفَّفُ عنه كلفةُ الاعتذار ، وتوجبُ له مزيداً في الاعتداد ، لا أعدمني اللهُ تحمُّلَ عوارِفِه ، وتطولَ مِنِّه ، مع الإنهاضِ بها ، والمعونةِ على شكرها .

وأما ما ذكره سيِّدنا الصاحبُ من الأثقالِ الفادحةِ التي حمَلها ، والأمورِ المنتشرةِ التي نظَمها ، بين الرزيةِ في أميرِ الأمراءِ مؤيدِ الدولة ، رضي اللهُ عنه ، التي نكَّاتُ القلوبَ وأقرحتُ الأكبادَ ، وبين العطيةِ في مولانا الأميرِ الأجلِّ فخرِ الدولة التي أقرَّتْ العيونَ ، وأثلجتْ الصدورَ ، فلقد كنتُ لجميعِ ذلك متصوراً وبه محيطاً ، ولو لم أعلمه بالمراعاةِ ، وأضربُ فيه بسهمِ الموالاتِ ، لعلمتُه بالقياسِ والاستدلالِ ، لأنِّي كافحتُ الثانيةَ للأولى ، ولاقيتُ الداهيةَ الجلِّيَ في الملكِ الأعظمِ ، والسيِّدِ المقدَّمِ عضدِ الدولةِ وتاجِ المِلَّةِ ، لقاَهُ اللهُ رَوْحَه وريحانَه ، وبوَأَه جَنَّتُه ورضوانَه ، وقاسيتُ شدائدَ مُتعبَةٍ فيما خدَمْتُهُ به أيامَ عِلَّتِه المتطاولةِ ، وفيما نفَذْتُهُ بعده من وصاياهِ المؤكِّدةِ . ولما انتقل إلى جوارِ ربِّه وانقلبَ إلى كرامتِه

وَعَفْوِهِ ، ثَبِتُ وَجْهِي إِلَى احْتِدَاءِ مَراسِمِهِ ، وَامْتِثَالِ أَوامِرِهِ ، فِيمَا عَقَدَهُ مِنَ الْعَهْدِ لِلْمَلِكِ الْقائِمِ بَعْدَهُ ، السَّادِّ ثُلْمَةَ مَكَانِهِ ، الْوَارِثِ شَرَفَ مَنْزِلَتِهِ ، الْمُسْتَقَرِّ فِي عِلْيَاءِ رُتْبَتِهِ ، مَوْلَانَا صَمَمِصَامِ الدَّوْلَةِ وَشَمْسِ الْمِلَّةِ ، مُسْتَمِلِيًا فِيمَا أَخَذْتُ وَتَرَكْتُ ، وَأُورِدْتُ وَأُصْدِرْتُ ، مِنْ سَدِيدِ آرَائِهِ ، وَمُسْتَضِيًّا بِوَمِيضِ الْأَلَايَةِ ، وَضَارِبًا وَجْهَهُ النَّوَائِبِ بِيَمَنِ طَائِرِهِ ، وَسَعَادَةِ طَالِعِهِ ، إِلَى أَنْ تَجَلَّتْ غَمَاوُهَا ، وَأَسْمَحَ إِبَاوُهَا ، وَتَذَلَّتْ صَعَابُهَا ، وَتَفَلَّلَتْ أَنْبَابُهَا ، وَضُرِبَتْ الدَّوْلَةُ بِجِرَانِهَا ، وَاسْتَعَلَّتْ بِأَرْكَانِهَا ، وَاطْمَأَنَّتْ عَلَى مَهَادِهَا ، وَطَرَفَ اللَّهُ عَيْنَ شَنَائِهَا وَحَسَّادِهَا ؛ هَذَا عَلَى شَوَائِبَ كَانَتْ تَعْتَرِضُ ثُمَّ تُقْلِعُ ، وَتَطَلُّ ثُمَّ لَا تَقْشَعُ ، لَا تَخْلُو الدَّوْلَ الْمُتَجَدِّدَةَ مِنْ اعْتِنَانِ أَمْثَالِهَا وَأَشْكَالِهَا ، وَأَحْسِنَ بِهَا مَعَ حُسْنِ عُقْبَاهَا وَمَالِهَا . فَلَوْ وَصَفْتُ لَسَيِّدِنَا مَا مَرَّ بِي فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ مِنْ إِصْلَاحِ الْفَاسِدِ ، وَتَقْوِيمِ الْمَائِدِ ، وَقَبْضِ الْمُنْبَسِطِ ، وَإِرْضَاءِ الْمُنْسَخِطِ ، وَتَأْلُفِ الْمُخَالَفِ ، وَاسْتِقَادَةِ الْمُتَجَانِفِ ، وَمُقَابَلَةِ كُلِّ دَاءٍ بِدَوَائِهِ ، وَتَعْدِيلِ كُلِّ أَمْرٍ خَيفَ مِنْ اضْطِرَابِهِ وَالتَّوَاتُؤِ ، لِطَالِ الْخَطْبُ وَاتَّصَلَ الْقَوْلُ . وَأَنَا أَحْمَدُ اللَّهُ عَلَى أَنْ جَمَعَ بَيْنَنَا فِيمَا تَوَلَّأْنَا بِهِ مِنَ الْمَعُونَةِ الَّتِي قَضَيْنَا بِهَا حَقَّ مَوَالِينَا الْأَمْراءِ السَّادَةِ ، صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَى مَنْ مَضَى مِنْهُمْ وَسَلَفِ ، وَأَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ مَنْ قَامَ بَعْدَهُمْ وَخَلَفَ ، وَإِيَّاهُ أَسْأَلُ إِدَامَتَهُمْ وَالزِّيَادَةَ فِيهَا ، لِيُشَارَ إِلَيْنَا فِي الْمُسْتَقْلِينَ بِحَمْلِ أَيَادِيهِمْ ، كَمَا يُشَارُ إِلَيْهِمْ فِي الْإِنْعَامِ عَلَى مَوَالِيهِمْ ، بِمَنِّهِ وَطَوْلِهِ .

وَأَمَّا مَا أوردَهُ سَيِّدُنَا الصَّاحِبُ فِي الْحُضْرِ عَلَى التَّأْلِيفِ وَالتَّعَطُّفِ ، وَالنَّهْيِ عَنِ التَّقَاطُعِ وَالتَّذَابُرِ ، فَمِثْلُهُ - وَلَا مِثْلَ لَهُ - قَالَ ذَلِكَ وَأَرشَدَ إِلَيْهِ ، وَأشارَ بِهِ وَحَثَّ عَلَيْهِ . وَحَقِيقٌ عَلَيْنَا فِيمَا نَلْتزِمُهُ مِنْ شُكْرِ النِّعَمِ الَّتِي خَصَّصْنَا خِصَائِصُهَا ، وَتَظَاهَرَتْ عَلَيْنَا مَلَاسِيسُهَا ، أَنْ نَكْرُرَ عَلَى أَسْمَاعِ مَوَالِينَا مَا يَعُودُ عَلَيْهِمْ وَعَلَيْنَا فِي ظِلِّهِمْ ، بِاجْتِمَاعِ الشَّمْلِ ، وَاتِّصَالِ الْحَبْلِ ، وَالتَّعَاضُدِ الْكَاثِبِ لِأَعْدَائِهِمْ ، الرَّائِدِ فِي عِلْيَائِهِمْ . وَبِاللَّهِ مَا أَجْدُ عِنْدَ مَوْلَانَا صَمَمِصَامِ الدَّوْلَةِ مُسْتَزَادًا فِي ذَلِكَ ، وَلَا مَوْضِعًا لِبَعْثِ بَاعِثٍ عَلَيْهِ ، إِذْ كَانَ يَرْجِعُ إِلَى أَكْرَمِ طَبِيعَةٍ ، وَأَشْرَفِ غَرِيزَةٍ ، وَأَفْخَرِ نَجَارِ ، وَأَثْقَبِ رَأْيٍ وَأَصْحَحِ اخْتِيَارِ ، وَيَرَى

لمولانا وعمه وسيدنا الأمير الأجل فخر الدولة ما ينبغي أن يراه من الحق العظيم ، والفضل الكبير ، ويثق بما له عنده من مثل ذلك ، ويعتقد في سيّدنا صاحب ما يُعْتَقَدُ في أوّل الوزراء ، وأجلّ الكبراء ، والأوحد في الدولة ، والمتفرّد بكلّ فضيلة ، والمعوّل على رأيه ، والمرجوع إلى تدبيره في ما خصّ وعمّ ، وجلّ ودقّ ، وما أُخِلَّ برأب هذه الحال وعمارته وحراستها ، ونفي الأقداء والشوائب عنها ، وبلوغ كلّ غاية في تقريرها وتمهيدها ، وتثبيتها وتوطيدها ، غير موجبٍ لنفسه فيها من الحمد إلا ما يجب للعارف بالحق والمؤدّي للفرص .

وأما تمهيدُ سيّدنا صاحبِ عذر مولانا الأجلّ فخر الدولة ، وإصداره ما صدر إليّ عن حضرته ، ووعده بما وعد به من مستأنف زيادته ، فقد شكرتُ ذلك ، وتحملتُ المنّة فيه ، ووثقتُ من سيّدنا صاحبِ بآن كرمه وكيل لي عليه ، ونائبٌ عني عنده ، في توفيتي من جهتها جميعاً ، ما أستحقُّ بالموالاة المحبوسة غير المشبوبة ، والطاعة المصدوقة غير المكذوبة ، وبما وسمني به مولانا الملك السيّد صمصام الدولة وشمس الملة من نعمه وأثرته ، وفوضه إليّ من وزارته ومُظَاهَرَتِهِ ، مؤهلاً لي في ذلك التفرّد والاستبداد ، وذاهباً بي عما كان أمر الوزارة جارياً عليه من الشركاء والأنداد . ولستُ أخافُ وقد عرفتُ لسيّدنا صاحبِ حقّ السابق المُجَلِّي أن يَمْنَعَنِي حقّ التالي المُصَلِّي ، في ما تراه العيون ظاهراً ، أو تتناقله الأخبار سائراً ، ومن ورائه باطنٌ مني في التعبُد له ، والانحطاطِ عنه ، أشهدُ الله على سماحة نفسي به ، وانشراحِ صدري له ، وصَلَّ اللهُ ما تقرّر في قلبي من إعظامه ، وتحصّل في يدي من عهده وذمامه ، بأحسن ما اتّصلت به ذاتُ بينٍ ، والتأمّ عليه شملُ فريقين ، بطوّله ومنه ، ومشيتته وإذنه .

وقد سمعتُ من أبي العلاء ما أذاه ، وأجبت عنه بما اقتضاه ، واعتدتُ له

شَكَرَ مَا أَشْكُرُهُ ، وَإِنْ كُنْتُ لَا أَرْضَى حَدًّا أَقْفُ عِنْدَهُ فِي مِرَاعَةِ مِثْلِهِ مِمَّنْ
 انتسب إلى جُمْلته الجليلة ، وفتته الشريفة ، وكان مرسومًا منها بالسفارة ،
 موسومًا بتحمُّل الرسالة ، وقبل ذلك وبعده ، فإني أُرْغِبُ إلى سَيِّدِنَا الصَّاحِبِ فِي
 إِمْدَادِي بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، وَتَصْرِيْفِي فِي عَوَارِضِ خِدْمَتِهِ ، وَاخْتِصَاصِي بِمِفَاوِضَتِهِ
 وَمِبَاسِطَتِهِ ، وَاعْتِمَادِي بِحَاجَاتِهِ وَأَوْطَارِهِ ، وَإِطْلَاعِي عَلَى سَائِرِ أَحْوَالِهِ وَأَخْبَارِهِ ،
 وَمُتَجِدِّدِ نِعْمِ اللَّهِ عِنْدَهُ ، وَمَوَاهِبِهِ لَهُ ، فَإِنْ رَأَى أَنْ يَتَوَخَّأَنِي بِالْمِنَّةِ فِي ذَلِكَ ، مُحَقَّقًا
 سَالَفَ ظَنِّي بِهِ ، وَمَنْجَزًا آئِفَ وَعْدِهِ ، فَعَلَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

٧٢٣ - كتب كاتب إلى خارجي :

اسْتَزَلَّ الشَّيْطَانُ بِمَكْرِهِ وَخَدِيعَتِهِ فَطَاعَتَهُ ، وَدَعَاكَ بَعْدَاوَتِهِ إِلَى مَا فِيهِ فَسَادُ
 دُنْيَاكَ فَاجْتَبْتَهُ ، وَخَرَجْتَ إِلَى الْمَعْصِيَةِ وَقَدْ عَرَفْتَ وُغُورَةَ مَرْكَبِهَا ، وَصُعُوبَةَ
 مَسْلِكِهَا ، وَخَشُونَةَ مَصْحَبِهَا ، وَسُوءَ مَصْرَعِهَا ، ثُمَّ فَعَلْتَ ذَلِكَ حِينَ اسْتَبَصَّرَ
 الْمُسْتَبْصِرُونَ ، وَأَتَابَ الْمُتَّبِعُونَ ، وَنَزَعَ الْعَارِفُونَ^١ ، لَمَّا أَظْهَرَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِ إِمَامِهِمْ
 وَنَشَرَ مِنْ عَدْلِهِ ، وَغَمَّرَ^٢ بِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ وَفَضْلِهِ .

٧٢٤ - كتب^٣ بعض الكتاب القدماء :

لَيْسَ لِمَنْ^٤ قَدْ عَرَفَ مِثْلَ الَّذِي عَرَفْتُ مِنْ فَضْلِكَ عَذْرٌ فِي إِضَاعَةِ حَظِّهِ
 مِنْكَ ، وَلَا حِجَّةٌ فِي الْإِمْسَاكِ عَنْ إِذْكَارِكَ بِالْحَقُوقِ^٥ الَّتِي تَرَبُّهَا بِرِعَايَتِكَ . وَإِذَا
 تَأَمَّلْتَ أَمْرِي وَتَصَفَّحْتَ أَحْوَالَ أَهْلِ دَهْرِي ، عَلِمْتَ أَنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ بِضَاعَةً يَنْفُقُ
 بِهَا ، وَوَسِيلَةً بِهَا يَتَوَسَّلُ ، وَسَوْقًا يَجْلِبُ إِلَيْهَا تِلْكَ الْبِضَاعَةُ ، وَأَمَلًا يَقْصِدُهُ بِتِلْكَ
 الْوَسِيلَةِ . وَإِنَّكَ أَوْلَى النَّاسِ وَأَحَقُّهُمْ بِالْإِمْسَاكِ عَلَيَّ ، لِأَنَّ سَوْقِي لَيْسَتْ بِنَافِقَةٍ عِنْدَ

١ : النازعون .

٢ : وعم .

٣ : م : كتاب .

٤ : ر : من .

٥ : الحقوق .

أحدٍ نَفَقَهَا عندك ، وبضاعتي ليست زاكيةً عند أحدٍ كزكايتها في حيزك^١ . وأنا وإن كانت الأيامُ دخلت بيني وبينك ، وبين حظِّي منك ، وعارضتني في أملي فيك ، فليس إلى أن أقطع أسبابَ رجائي منك ، وأنصرفَ عن الأمور الداعية إليك سبيلٌ . وليس إمساكُ السماء عن طالبِ الغيثِ في حالٍ من الأحوال ، بمانعٍ من رجائها في مستقبلِ الأيامِ ، ولا داعٍ إلى اليأسِ منها في غابرِ الدهر . وما منعني من الكتابِ إليك منذ حدثت هذه الحوادثُ إلا الانتظارُ أن تسكنِ النائرة ، فإنَّ لكلِّ شيءٍ حمةً^٢ ، ولكلِّ مكروهٍ مُدَّةٌ ، ولكلِّ حادثٍ تناهياً ، فالزوالُ أولى به ، ولا خيرَ في مُساوَرَةِ النوائبِ وهي مقبلة ، ولا في معارضةِ الدهرِ في وقتِ حدِّتهِ وشدِّتهِ ، وربَّما تطأطأ المرءُ للمحنةِ فتحطَّتهِ ، وعدلَ عن سننِ الشرِّ فنجأ منه ، وفارقَ مدرجتهِ ، فأمنَ معرتهِ . وإنَّ هذه المحنةَ لمحنةٌ أَلَمَّتْ بي ، وما أعرفُ للزَّمانِ فيها عذراً ، ولا لما جنى عليَّ منها سبباً ، لأنه إن كان ذلك لحالٍ كانت بيني وبين مَنْ كنت أواصل ، فوالله ما ظنَّنتُ المودَّاتِ بين الناسِ ذنباً عند السلطانِ فأجتنبتُهُ ، ولا جرماً محتسباً فأتنكبُهُ .

فصل من هذه المكاتبة :

فأنتِ العُدَّةُ على الزمان ، والعونُ على الدهرِ المستنجدِ على الأيام . وقد قصدتُك بكتابي هذا لتُجددَ ما لعلَّ الغيبةَ أخلقتَهُ من الحال ، فإنها ربما أحدثتُ في القلوبِ النسيان ، وقد قيل في ذلك : [من الوافر]

إذا ما شئتَ أن تنسى خليلاً فأكثرِ دونه عدَّ الليالي
فما أسلى فؤادك مثلُ نأيٍ ولا أبلَى جديداً كابتدالِ

ولم يردَّ عليَّ وارِدٌ هو أبلغ من تقويةِ أملي واستحكامِ رجائي من العلمِ بدوامِ ما كنتُ أعهدُ منك ، وأنَّ هذه المحنةَ لم تؤثرَ عليَّ أثراً من رأيك .

١ ر : خيرك .

٢ ر : حمية .

٧٢٥ - وكتب أبو اسحاق الصابي إلى بعض إخوانه : وقد سألتني عن الفرق بين المترسل والشاعر ، وكنت سألتني - أدام الله عزك - عن السبب في أن أكثر المترسلين البلغاء لا يُفلقون في الشعر ، وأن أكثر الشعراء الفحول لا يجيدون في الترسل . فأجبتك بقول مجمل ، ووعدتك بشرح له مُفصّل ، وأنا فاعلٌ ذلك بمشيئة الله فأقول : إنَّ طريق الإحسان في منشور الكلام يخالف طريق الإحسان في منظومه ، لأنَّ أفخر الترسل هو ما وضع معناه ، وأعطاك غرضه في أول وهلة سماعه ، وأفخر الشعر ما غمض فلم يعطِ غرضه إلا بعد ملاحظة منه لك ، وعرض منك عليه . فلما صارت الإصابتان في الأمرين متراميتين على طريقتين متباينين بعد على الفراغ أن تجمعهما ، فشرقت إلى هذا فرقة ، وغربت إلى ذاك أخرى ، ومال كل من الجميع إلى الجانب الموافق لطبعه . ثم ترتبوا في المسافة بينهما ، فكان الأفضل من أهل كل مذهب مَنْ وقع في الغاية أو قريباً منها ، وجعل الوسط خالياً أو كالحالي لقلّة عدد الواقعين فيه . فليس يكاد يوجد جامع بين الإحسانين إلا على شرط يزيد به الأمر تعذراً والعدد تنزراً ، وهو أن يكون طبعه طائعاً له ، ممتداً معه ، فإذا دعاه إلى التطرّف به إلى أحد الجانبين أطاعه وانقاد إليه ، كإبراهيم بن العباس الصولي وأبي علي البصير ومَنْ جرى مجراهما ؛ فهذا جواب مسألتك . وتبقى فيها زيادات وانفصالات لا بأس بإيرادها ليكون القول قد استغرق مداها ، وتمت أولاه بأحراه ؛ ذلك أن للسائل أن يقول : فمن أية جهة صار الأحسن في معاني الترسل الوضع وفي معاني الشعر الغموض ؟

فالجواب أن الشعر بني على حدود مقرّرة وأوزانٍ مقدّرة ، وفُصّلَ أبياتاً كل واحد منها قائم بذاته وغير محتاج إلى غيره إلا ما يتفق أن يكون مضمناً بأخيه ، وهو عيب فيه . فلما كان النفس لا يمكنه أن يمتدّ في البيت الواحد بأكثر من مقدار عروضه وضربه ، وكلاهما قليل ، احتاج إلى أن يكون الفضل في المعنى ، فاعتمد أن يُلطف ويدق ، ليصير المفضي إليه والمطلّ عليه بمنزلة الفائز بذخيرة خافية استفادها ، والظافر بخبيئةٍ دفيئة استخرجها واستنبطها . ثم إنَّ للمتأمل

وقفاتٍ على أعجاز الأبيات ، وقد وضعت لإدراك المعنى والفظنة للمغزى ، وفي مثل ذلك تحسن خفايا الأثر وبعد المرمى . والترسل مبنيٌّ على مخالفة هذه الطريقة ومعاكستها ، إذ كان كلاماً واحداً لا يتجزأ ولا ينفصل إلا فصولاً طوالاً . وهو موضوع وضع ما يهدّ هذا أو يقرأ متصلاً ، ويمر على أسماعِ شتى الأحوال : من خاصّة ورعية ، وذوي أفهام ذكيةٍ وغيبيةٍ . فإذا كان متسهلاً ومتسلسلاً ساغَ فيها وقرب إذنه في أفهامها ، وتساوقت الألسن في تلاوته ، والألباب في درابته . فجميع ما يُستحبُّ في الأول يُستكره في الثاني ، وجميع ما يُستحبُّ في الثاني يُستكره في الأول ، حتى إن ما قدّمناه من عيب في التضمين في الشعر هو فضيلة في فصول الرسائل . ألا ترى أن حسنها ما كان متعلقاً بعبئه ببعض ، ومقتضياً تعطفاً من الهوادي على التوالي ، وردّاً من الأواخر على المبادي . فمتى خرج الشعر على سنن الابتداع والاختراع فكان ساذجاً مغسولاً ، فقاتله معيب غير مصيب ، والترك له أدلّ على العقل وأولى بذوي الفضل . ومتى خرج الترسل عن أن يكون جلياً سلساً تعثرت الأسماع في حزونه ، وتخيّرت الأفهام في مسالكه ، فأظلم مشرقه ، وتكدّر رونقه ، وكان صاحبه مُستكره الطريقة ، مستهجن الصناعة . وقد بقيت في الباب زيادة أخرى : وهي الإخبار عن سبب قلة المترسلين وكثرة الشعراء ، وعن العلة في نباهة أولئك وخمول هؤلاء . فالجواب عن ذلك أن الشاعر إنما يصوغُ قصيدته بيتاً [بيتاً] ، فهو يجمع قريحته وقدرته على كل بيتٍ منها ، فيقرّره ويبلغ إرادته منه ، وله من الوزن والقافية قائد وسائق يقومان له بأكثر حدود الشعر ، فكانه إنما يحذوه على مثال ، أو يفرغه في قالب مماثل . والمترسل يصوغُ رسالته متّحدة متجمّعة ، ويضمّها من أقطارٍ متراخية متسعة ، وربما أسهب حتى تستغرق الواحدة من رسائله أقدارَ القصائد الطوال الكثيرة . هذا إلى ما يتعاطاه من فخامة الألفاظ اللائقة بأن يصدرَ مثلها عن السلطانِ وإليه ، والتصرّف فيها على مصروبٍ ما تتصرّفُ عليه أحوالُ الزمانِ وعوارضُ الحدّثان . فلذلك صار وجودُ المضطلعين بجودة النثر أعزّ ، وعددهم أنزر . فأما ارتفاعُ

طبقتهم على تلك الطبقة ، فإنَّ المرسلين إنما يترسلونَ في جبايةِ خراجٍ ، أو سدِّ ثغرٍ ، أو عمارةِ بلادٍ ، أو إصلاحِ فسادٍ ، أو تحريضٍ على جهادٍ ، أو احتجاجٍ على فئةٍ ، أو مجادلةٍ لِمَلَّةٍ ، أو دعاءٍ إلى ألفةٍ ، أو نهْيٍ عن فُرقةٍ ، أو تهنئةٍ بغبطةٍ ، أو تعزيةٍ على رزيةٍ ، أو ما شاكل ذلك من جلائلِ الخطوبِ ومعظمِ الشؤون التي يحتاجون فيها أن يكونوا ذوي أدواتٍ كثيرةٍ ، ومعرفةٍ مُفَنَّنةٍ . وقد وسمتهم الكتابة بشرفها ، وبوأتهم منزلةَ رياستها ، فأخطارهم عاليةٌ بحسبِ علوِّ خطر ما يفيضون فيه ويذهبون إليه . والشعراء إنما أغراضهم التي يرمون نحوها ، وغاياتهم التي يجرون إليها ، وصفُ الدِّيارِ والآثارِ ، والحنينُ إلى الأهواءِ والأوطارِ ، والتشبيبُ بالنساءِ ، والطلبُ والاجتداءُ ، والمديحُ والهجاءُ . فليس يجرون مع أولئك في مضمارٍ ، ولا يقاربونهم في الاقتدار^١ . وهذا قول فيما أردناه إن شاء الله تعالى .

٧٢٦ - وكتب أبو اسحاق الصابي من كتاب إلى رعية خرجت عن

الطاعة :

أما بعد ، أحسن الله توفيقكم ؛ إنَّ الشيطانَ لا يزالُ يكسو الخِدَعِ والشبهاتِ سراويلَ الحججِ والبيِّناتِ ليشعل بها الأحلامَ ، ويستزِلَّ الأقدامَ ، وتتَّجه له المداخلُ على عقولٍ ربما استضعفها^٢ ، ومال بها إلى مواردٍ غواييتها ، وأزها عن سُننِ هدايتها ، وأراها الحقَّ مُحالاً ، والرُّشدَ ضلالاً ، والخطأَ إصابةً ، والخطلُ أصالةً . بذلك جرت منه العادة ، وقامت عليه الشهادةُ ، واستحقَّ أن تُعصَبَ به اللعنة ، وتتوقَّى منه الفتنة . وإذا كان ذلك كذلك ، فحقيق على كلِّ ناظرٍ لنفسه ، وحافظٍ لدينه ، أن يتحرَّزَ من الوقوعِ في أشراكه المبتوثة ، وحبايلهِ المنصوبة ،

٧٢٦ المختار من رسائل الصابي : ١٩٧ .

١ ر : الأقدار .

٢ ر و المختار : استركها .

وخطايطيفه الحجن التي تجتذب القلوب ، وتغتل الألباب ، وتورد الموارد التي لا صدرَ عنها، ولا انفكاك منها ، وأن يتهم هواجس فكره ، ووسوس صدره ، ويعرضها على نظره وفحصه ، وتأمله وبجته .

ومنه : وقد علمتم - رعاكم الله^١ - أن هذا الشيطان اللعين نازغ لكم منذ حين ، وأنكم على ثبج من خبطة فتنة قد برقت^٢ بوارقها ، وزمجرت رواعدها ، وجرت الفرقة التي لا شيء أضرَّ منها ، ولا أنفع من تجنبها ، والنزوع عنها . قال الله تعالى ، وهو أصدق القائلين ، وأكرم المنعمين : ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾ (آل عمران : ١٠٣) . ومن خالف آدابه وسننه فقد خسر ديناه وآخرته ، وأضاع عاجلته وآجلته ، وتبوا مقعده من النار ، واستحقها استحقاق الكفار الأشرار ، والله يهدي من يشاء ويضل من يشاء .

ومنه : وأمير المؤمنين يستعيد بالله لنفسه ولكم من زلة القدم ، وعاقبة الندم ، ويسأله أن يردكم إلى الأولى ويلهمكم التقوى ، ويصدف بكم عن المناهج الغوية والموارد المخزية ، بمنه وحوليه وطوليه .

٧٢٧ - وكتب عن نفسه إلى الصاحب ابن عباد : كتابي - أطل الله بقاء مولانا^٣ - عن حظ من السلامة وافر ، وظل من الكفاية ساتر ، والحمد لله رب العالمين . وقد كنت فيما قبل أقل من مكاتبه مولانا إقلال المخل بحق يجب ، والمقارِف للذنب يُنكر ، وأسكن مع ذاك إلى أن معرفته الثاقبة تستنبط عُذري وإن غمض ، ومعدلته الفائضة تمحص ذنبي وإن ظهر . ومع تقابل فطنته وإشارتي ، وتوارد صفحه ومعذرتي ، فلا بأس بأن أوضح الأمر لغيره ، ممن عسى أن يكون خفي عنه لأسلم عليه من التعجب ، سلامتي على مولانا الصاحب من التعتب ،

١ المختار : رحمكم الله .

٢ المختار : لعت .

٣ م : مولاي .

وهو أنني كنتُ منذ سنينَ كثيرةً مرمياً بعُظلة ، وموسوماً بعُرلة ، فتخوّفتُ أن يتطرَّقَ لبعضِ المنحرفين عني ، والباغين عليّ ، قولٌ ربما تطرَّقَ مثلهُ على مَنْ بنا به زمانُهُ ، وهرَّتُهُ أوطانهُ ، فأكونَ قد أبديتُ لمراصده عن مقاتلي ، ولمخاتله عن حرِّ مفاصلي ، فلزمتُ التقيَّةَ ، وكرهتُ الأذيةَ ، وانتظرتُ الإمكانَ ، وتوقَّعتُ دورةَ الزمانِ ، وعلى ذلكَ فواللهِ - أطالَ اللهُ بقاءَ مولانا^١ - ما فارقتُ منذَ عرُضتُ بيني وبينه الشُّقَّةَ ، وأبعدتني عنه الشُّقوةَ ، ذكره وشكره ، والثناءَ عليه والاعتدادَ به ؛ وإنَّ محاسنَ وجهه لُنُصِبَ عيني ، ومخارجَ لفظه حَشُوْ سَمْعِي ، ونوادِرَ فضله جُلُّ أدبي ، والإسنادَ عنه كُنُهُ فخري . هذا وإنما خدَمْتُهُ أَيَّامَ كانتَ رياستهُ سرّاً في ضميرِ الزمانِ ، ودينياً في ضمانِ الأيامِ ، فكيف لو رأيتُهُ أمراً ناهياً بين وسادتِيهِ ، ورأى خادماً ماثلاً بين يَدَيْهِ ؟ وما يمكنني أن أهجو دهرأً قَصَّرَ خطوتي عنه ، وقد أعطاه من استحقاقِهِ ما أعطى ، ولا أن أمدحَه وقد حرمني من جوارِهِ ما حرم . فإن أوجبتُ له شكراً فلِعُظْمِ بلائِهِ عنده ، وإن ألحقتُ به ذمّاً فلا تَصَالِ القواطعُ عنه ، ولا سيما وإنما حماني عن ورودِ بحرِ زاخر ، وحجبتني عن ضياءِ بدرِ زاهر ، ومنعني من بلالِ نَوْءِ ماطر ، وأخرجني عن غمرة غيثِ قاطر ، وحال بيني وبين مَنْ إليه الشكوى له ، ومنه العدوى عليه ، حتى خلا بي فأفرطَ ظلمُهُ ، وتحكَّم فيَّ فجار حُكْمَهُ .

٧٢٨ - وكتب إلى صديق له : وصل كتاب مولاي وفهمته . فأما ما شكاه من الشوق إليّ ، فأحلفُ بالله إنه صادقٌ فيه ، مستغنٍ عندي عن إقامةِ شاهدٍ بما أجدُه من مثله . كيف لا يكون كذلك وقد أوحشنا الزمانُ من الإخوان ، وأفردنا دون الأقران ، فصار كلُّ منّا بضاعةَ صاحبه المزجاة الواحدة ، وذخيرته الشاذة للشدة الفاردة . ومنذ فرق الدهر بين دارينا ، فقد دانى بين قلوبنا ، وعرفنا فضلَ صنيعه إلينا ، بأن أبقانا من بين مَنْ أفنى ، وأخرنا عمّن مضى وأودى . وحياة

١ م : مولاي .

مولاي - أطالها الله - ما تتعللُ عيني إلا بتصوره ، ولا قلبي إلا بتذكره ، ولا
قطعتُ كُتبي عنه إلا بنيةٍ واصلهٍ له ، ومودَّةٍ مواظبةٍ عليه ، ومخالصةٍ لا يُنقصُها
الإغبابُ ، ولا يزيدُ فيها الإدمان . وأرجو أن يزول بنا دَوْرانُ الزمان ، وكِرَاتُ
الليالي والأَيَّام ، إلى اتصالِ حبلٍ وانتظامِ شمل ، واستقرارِ دارٍ ، وتداني جوار .

٧٢٩ - وكتب عن قاضي القضاة محمد بن معروف إلى الوزير أبي منصور

محمد بن الحسين :

الدنيا - أطال الله بقاء سيدنا الوزير - مذمومةٌ ممَّنْ تساعد ، فضلاً عمَّنْ
تعاند . وقد علم الله أنني لم أزل زاهداً فيها ، ذاهباً عنها ، أيامَ الإقبالِ والشبيبةِ ،
فكيف عند وشكِّ الرحيلِ والمفارقةِ ؟ ! ولو سلم الأحرارُ فيها من دواعي الحاجةِ ،
وعوارضِ الخلةِ ، هانت عليهم مقاطعتها ومصارمتُها ، واستتبَّ طريقهم إلى
مُتارَكَيْها ومفارقتها ، وخاصةً مَنْ كان مثلي في تداني المدى ، وتقاصرِ الخطى ،
والتوجهِ إلى الدارِ الأخرى . لكنه لا بُدُّ فيها للمجتاز ، وإن كان لابناً على أوفاز
من مادةٍ تُسبِلُ سِتْرَ التجمُّلِ عليه ، وتمنعُ من ظهورِ الخصاصةِ به . ولمولانا الملكِ
عليّ نِعَمٌ سوابغ ، وأيادٍ سوابق ، وقد كان سبيلي أن أُشغَلَ بشكرها ، وأستمرَّ على
نشرها ، والحديثِ بها ، وأتوقَّفَ عن استضافةٍ غيرها إليها لولا المعذرةُ التي
قدَّمْتُها ، والضرورةُ التي أوَمَّتْ إليها ، ومن تمامِ هذه النعمِ أن يكونَ الوجهُ
مصوناً والقوتُ موجوداً .

٧٣٠ - وكتب عن ابن بقية إلى عضد الدولة : فأما اعتقاده - أطال الله بقاءه

- حفظَ الألفَةَ ، ودَحَضَ ما ألمَّ بها من الوحشةِ ، فمُشاكِلٌ لآرائهِ الصحيحةِ
وأخلاقهِ السجّيةِ ، ولما لم أزلُ أبعثُ وأحثُّ عليه ، وأدعو وأرشدُ إليه . وإذا
كان هذا رأيه ، وكان عند مولانا الأميرِ عزِّ الدولة مثله ، وكنتُ بينهما مُسدِّياً
مُلمِحاً فيه ، وبإذلاً وُسعي في تقريرِ أواخيه ، فما ينبغي أن تقعدَ بنا حالٌ عن
الجمعِ بين القولِ والفعلِ ، والمساواةِ بين الشاهدِ والغائبِ ، والمطابقةِ بين البادي
والخافي . وأمَّا الزومُ لسُننِ موالينا الماضين - رضي الله عنهم أجمعين - فمولانا

أَوْلَى مَنْ حَافِظٌ عَلَيْهَا ، وَتَمَسَّكَ بِهَا ، وَكُلُّ مَنْ بَعْدَهُ مِنْ مَوَالٍ - أَدَامَ اللَّهُ نِعْمَاءَهُمْ - فَبِهِمْ يُقْتَدَى ، وَبِأَدَابِهِمْ^١ يُهْتَدَى . وَمَا يَخَالِفُ فِي ذَلِكَ إِلَّا مَنْ الْحَقُّ خَصَّمُهُ ، وَالْحِجَّةُ عَلَيْهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى مِنْ وَرَاءِ مَعُونَتِهِ إِنْ انْتَشَى وَرَاجِعٌ ، أَوْ الْمَعُونَةُ عَلَيْهِ إِنْ أَصْرَّ وَتَنَاجَى . وَهَذَا هُنَا - أَيَّدَ اللَّهُ مَوْلَانَا - أَحْوَالَ أُخْرُ ، وَدَوَاعٍ إِلَى اعْتِقَادِ هَذِهِ الْأَلْفَةِ لَوْ لَمْ تَسْبِقِ الْوَصِيَّةُ بِهَا مِنَ الْقَرْنِ الْخَالِفِ : فَمِنْهَا أَنَّ الْأَدْوَاتِ الَّتِي أَدَّتِ الْمَاضِينَ إِلَى تِلْكَ الْآرَاءِ السَّدِيدَةِ الرَّشِيدَةِ ، هِيَ فِي الْغَايِرِينَ الْبَاقِينَ - مَدَّ اللَّهُ فِي أَعْمَارِهِمْ - أَوْجُدُ ، وَعَلَيْهِمْ أَحْسَنُ ، وَهُمْ بَانَ يَسْتَأْنِفُوهَا وَيَسْتَقْبِلُوهَا أَوْلَى مِنْ أَنْ يَتَعَلَّمُوهَا وَيَتَقَبَّلُوهَا ، لِارْتِفَاعِ الْعَصَابَةِ الَّتِي مَوْلَانَا وَسَيِّدُنَا زَعَمُوهَا ، وَاللَّحْمَةِ الَّتِي هُوَ كَبِيرُهَا وَعَظِيمُهَا ؛ وَمِنْهَا أَنَّ انْتِشَارَ التَّظْلَمِ^٢ إِنْ بَدَأَ - وَالْعِيَازَ بِاللَّهِ - لَمْ يَقِفْ عِنْدَ الْحَدِّ الَّذِي يُقَدَّرُ أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ ، وَلَمْ يَخْصُ الْجَانِبَ الَّذِي يُظَنُّ أَنَّهُ يَلْحَقُهُ وَحْدَهُ ، بَلْ يَدْبُ دَيْبُ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ ، وَيَسْرِي كَمَا يَسْرِي النَّعْلُ فِي الْأَدِيمِ . وَكَثِيرًا مَا يُعْذِي الصَّحَاخَ مَبَارِكُ الْجَرْبِ ، وَيَتَخَطَّى الْأَذَى إِلَى الْمَرْتَقَى الصَّعْبِ ، فِي مِثْلِ ذَلِكَ^٣ ، وَانْعِكَاسُ الْمُتَحَمَّلَاتِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ أَقْرَبُ مِنْ اسْتِتَابِهَا ، وَالتَّوَاوُّهُ أَسْرَعُ مِنْ اعْتِدَالِهَا .

٧٣١ - وَكَانَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي مَحْبُوسًا فِي دَارِ الْمُطَهَّرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَصُودِرَ عَلَى مَالٍ أَجْحَفَ بِهِ ، وَكَانَ الْمُطَهَّرُ يُرَاعِي حَالَهُ ، وَكَانَ مَعَهُ ابْنَاهُ مَحْبُوسَيْنِ ، وَيَخْرُجُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي نَوِيَّةٍ لَهُ . وَاتَّفَقَ أَنَّ الْمُطَهَّرَ تَفَقَّدَ حَالَ أَبِي إِسْحَاقَ فِي مَطْعَمِهِ وَمَشْرِيبِهِ ، فَأَنْكَرَ خَلَلًا رَأَاهُ ، وَضَرَبَ الطَّبَّاحَ وَمَنْعَ الْمُسْتَخْرِجَ مِنْ مَطَالِبَتِهِ بِبَقِيَّةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ ، وَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَخَاطَبَتِهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي نَوِيَّةِ ابْنِهِ الْأَصْغَرَ أَبِي عَلِيِّ الْمُحْسِنِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

١ م : وبرايتهم .

٢ ر : التظلم .

٣ في مثل ذلك : سقط من م .

يا أبا عليّ ، جعلني^١ الله فِدَاكَ ، عشنا بعدك ما شينا ، وشِعْنَا وروينا ،
وأرخت السماء عزالها ، واتعجرت بما فيها ، فَعَمَرَ الماءُ الزُّبى ، ونقع من
الصّدَى ، ولَبَسَتِ الأرضُ قنَاعَهَا الأخضرَ ، ونَصَتْ شِعَارَهَا الأَغْبَرُ ، وعاضنا
الغَضُّ العَمِيمُ من المَصْوَحِ المهشيم ، وجَزَّنا الرُّطْبُ المخضومُ من اليابس
المقْضوم ، فعاشت العاملةُ والماشيةُ ، وهاجتُ الآيَةُ الغاشيةُ ، وارتجعت روايا
المطايا ، ما أخذت منها المَخَارِمُ والثنايا ، مسترَدَّةً بمشافِرها ما جذب البُرى
بمناخِرها ، سائمةً بين الكثيفِ الكَثِّ ، من الطُّبَّاقِ والشث ، وسارحةً في المُنَاخِ
الفسيح ، من القَيْصُومِ والشَّيْحِ ، فنحن في سوابغِ من النِّعمِ ، نرتعُ فيها رِتْعَةَ
النِّعمِ ، قد عزَّ عندنا أن يستضاف [لدينا] ضيف كريم ، واستغنى أن يرتضع
لعيِمِ ، وأترعتِ الجفانُ وذمًّا ، واستحالَ القرمُ بشمًّا وحالتِ البِطْنَةُ دونَ الفِطْنَةِ ،
ومنعَ الطعامُ دونَ تراجُعِ الكلامِ ، فلو أن قَسًّا بيننا لخرِسَ ، أو دغفلاً لأبْلَسَ ،
وكانَّ الشاعرُ إنما أرادُ أحدنا بقوله : [من الطويل]

أَتَانَا ولم يَعْدِلْهُ سحبانٌ وائلٍ بياناً وعلماً بالذي هو قائلُ
فَمَا زَالَ عَنْهُ اللَّقْمُ حَتَّى كَانَهُ من العِيِّ لِمَا أَنْ تَكَلَّمَ بِأَقْلُ

فهزيلنا بحمدِ الله سامِن ، وضميّلنا بإذنِ الله بادن ، وأخلافنا دارَّةً ، وغلاتنا مترعة ،
ورياضنا مخصيبة ، وعرصاتنا مُعشِية ، ومشاربنا مُتآقة ، وأنهارنا متدفقة ،
وأشجارنا مورقة مرجحنة ، وأطيَارنا مُغرَّدة ، وريحنا رِخَاءً ، وعيشنا سراءً ،
وزماننا ربيعٌ كلُّه ، وليلنا سحرٌ من أوَّلِهِ ، ونهارنا ضحىٌ إلى آخرِهِ . وقد أخرجنا
الله من شِدَّةٍ إلى بُلْهِيَّةٍ ، ومن ضَغْطَةٍ إلى رفاهية ، ومن شِقْوَةٍ إلى سعادة ، نأكلُ
الطَّيِّبَ المستمرّاً بعد الخبيثِ^٢ المستوباً ، ونشربُ الباردَ العذبَ ، بعد الآجنِ
المِلْحِ . وأدركتنا هزةُ الرعاية ، وأطَّت بنا عند سلاطيننا - أطال الله بقاءهم -

١ م : جعلنا .

٢ ر : الخشن .

رَحِمُ الْوَالِيَةِ ، وَأُبْدِلْنَا مِنَ الْأَطْرَاحِ مَحَافِظَةً وَعِنَايَةً ، وَمِنَ الْإِدَالَةِ صَوْنًا وَوَقَايَةً ، وَحَصَلْنَا فِي ضِيَافَةِ سَيِّدِنَا الْأَسَاطِذِ الْكَرِيمَةِ ، وَاسْتَقْدْنَا مِنْ مَلَكَةِ الْمَسْتَخْرِجِ السَّيِّئَةِ اللَّثِيمَةِ ، فَهَا هُوَ ذَا يَكْذِبُ دُونَنَا إِذَا حَمَلَ ، وَيَغْنِي عَنَّا إِذَا نَظَرَ ، وَيَتَعَزَّلُ بَيْنَنَا تَعَزُّلَ الْأَحْوَصِ بَيْتِ عَاتِكَةِ ، يَرَانَا مِنْهُ بِنَجْوَةٍ ، وَكُنَّا لَهُ بِالْأَمْسِ طُعْمَةً ، وَيَصْرِفُ أُنْيَابَهُ حَسْرَةً ، وَكُنَّا لَهُ قَبْلَ الْيَوْمِ مُضْغَةً ، وَيَهْرُ عَلَى غَيْرِنَا مَعَ الْأَحْرَارِ هَرِيرًا ، وَيَمْلَأُ أَسْمَاعَنَا فِيهِمْ زَيْرًا ، قَدْ ذَلَّتْ لَنَا مِنْ بَيْنِهِمْ صَعْبَتُهُ ، وَلَانَتْ فِي أَيْدِينَا صَعْدَتُهُ ، وَجَارَ عَلَى عَجْمِنَا عَوْدُهُ ، وَمَالَ عَلَى غَمْرِنَا عَمُودُهُ ، فَطَرَفُهُ مَغْضُوضٌ ، وَإِبَاهُمُ مَعْضُوضٌ ، وَمَنَارُ عَظْمَتِهِ مَخْفُوضٌ ، وَمُبْرَمٌ هَيْبَتِهِ مَنْقُوضٌ . قَدْ سُكِلَ عَنَّا بِشِكَالٍ ، وَنَشَطْنَا عَلَى رُغْمِهِ مِنْ عَقَالٍ ، فَهُوَ بِالصَّغْرِ بَاشٌ بِنَا بَعْدَ اكْفَهَرَارٍ ، وَهَاشٌ لَنَا بَعْدَ اقْشَعَرَارٍ ، وَمَتَبَسَّمٌ فِي وَجْهِهَا بَعْدَ تَجْهِمٍ ، وَمَقِيدٌ الْفَاطَهَ عَنَا بَعْدَ تَهْجَمٍ ، وَمُتَّعَلِبٌ فِي مَخَاطِبَتِنَا بَعْدَ تَقْسُورٍ ، وَمُصَانِعٌ بَعْدَ تَغْشَمٍ ، وَذَلِكَ مَا أَلْبَسَنَاهُ اللَّهُ مِنْ عِزِّ الرُّضِيِّ وَصَلَاحِ الْمُنْقَلَبِ وَالْمُقْضَى . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَإِيَّاهُ نَسْأَلُ أَنْ يُبَلِّغَنَا مَتَهَى آمَالِنَا ، وَالغَايَةَ مِنْ اقْتِرَاحِنَا فِي هَذِهِ الدَّوْلَةِ الَّتِي تَقَادَمَتْ فِيهَا عَلَائِقُنَا ، وَاسْتَحْكَمَتْ وَثَائِقُنَا ، وَلَمْ تَزَلْ نِعْمَهَا مَتَوَقَّعَةً مَضمُونَةً ، وَنَقْمَهَا مُصْلِحَةً مَأْمُونَةً ، وَنَحْنُ الْآنَ طَلَائِحُ نَكْبَةِ ، وَطَرَائِحُ مَحْنَةٍ ، قَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَنَا فِيهَا الثَّوَابَ بَعْدَ الْعِقَابِ ، وَالْجَنَّةَ بَعْدَ الْحِسَابِ ، وَالتَّعْوِضَ بَعْدَ التَّمْحِيطِ ، وَالتَّنَائِبَ بَعْدَ التَّخْصِيسِ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ .

٧٣٢ - فَأَجَابَهُ أَبُو عَلِيٍّ : وَصَلَتْ رَقْعَةُ سَيِّدِي - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - مُبَشِّرَةً بِالْغَيْثِ الَّذِي غَمَّرَ الْوَرَى ، وَرَوَى الثَّرَى ، وَبَلَغَ الزَّبَى ، وَنَقَعَ الصَّدَى ، وَحَرَشَ الضَّبَابَ ، وَأَهَاجَ الذَّنَابَ ، وَأَسَالَ التَّلَاعَ ، وَمَلَأَ الْبِقَاعَ : [مِنْ الْبَسِيطِ]

فَمِنْ بِمَخْلَفِهِ كَمَنْ بِنَجْوَتِهِ وَالْمَسْتَكْنُ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْوَاحِ

قَدْ لَيْسَتْ الْأَرْضُ أَفْخَرَ حُلِّهَا ، وَتَحَلَّتْ بَعْدَ عَطْلِهَا ، وَابْتَسَمَتْ عَنْ نُوَارِهَا ، وَضَحَكَتْ عَنْ زَوَارِهَا ، وَثَقَلَتْ بَعْدَ خَفِّهَا ، وَتَضَوَّعَتْ عَنْ نَسِيمِ عَرْفِهَا ، بِالْكَلاَ

الذي طَبَّقَ البلاد ، وعلا الوهاد ، وعمَّ السُّهوبَ ، وشفى القلوب ، فالخاطِبُ بطيء الأوبة ، والقابسُ قرينُ الخيبة ، قد جُنَّ ذبابُه ، ونَعَبَ غُرَابُه ، وَسَمِنَتْ حواشيه ، وغَزُرَتْ مواشيه ، فكأنَّ الثلجَ في مواطنها ، والقطنَ المندوفَ بين معاطنها ، يتطرف ولا يتنحَّى ، ويتبع ولا يُستقصى . قد أَكَبَّهَا السُّعدان ، وأحسبها المَكْرَ والضَّيْمَران ، فما تبرح عن مأوى ولا تنزح عن طلب مرعى ، قد أَلَقَتْ رُعَاتُهَا عِصِيَّهَا ، واستوقفت مضاجِعِهَا ، وجعلت حبالها على غَوَارِيهَا ، وأهمَلَتْهَا في مسارجِهَا ، فانداحت بطونها ، وانبسطت غُضُونُهَا ، واستحشت أكرعها ، واستخنت أضلعها ، فكأنَّ القائلَ لها وصف ، وإياها عنى ، في قوله :

[من الخفيف]

إيلي الإبل لا يجوزها الرا عون مَجَّ النَّدى عَلَيْهَا الغمامُ^١
سمنت فاستحش أكرعها لا الند نبي نبي ولا السنام سنام

وما أَلْبَسَهُ - أدام الله تأييده - من سوايغِ النَّعمِ ، ومُنِحَهُ من مطايبِ الطَّعمِ ، وأترع له من الجفانِ الرُّذْمَ ، وشمله من أريجياتِ الكرم ، حتى كظَّ البَشَمَ ، وذهب القرم ، وأودتِ الفِطَنَ ، وعييت اللسن ، وصار قُسٌّ في خطابته كباقل ، إذ عيَّ عن حسابه ، ودغفل كبعض الأعراب وقد سُئِلَ عن النَّضْناضِ ففتح عن فيه ، وأدار لسانه فيه ، أو كأحمد بن هشام الذي استطرد القائل عليه بقوله^٢ : [من الطويل]

وصافية تُعشي العيونَ رقيقةً رهينة عامٍ في الدنانِ وعامٍ
أدزنا بها الكأسَ الرويَّةَ بيننا^٣ من الليل حتى انجاب كلُّ ظلامٍ

١ م ر : المدام .

٢ الشعر لاسحاق الموصلي في الزهرة ٢ : ٧٣٠ (وفيه تخريج كثير) .

٣ الزهرة : موهناً .

فما ذَرَقَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى كَانْنَا من العِي نَحْكِي أَحْمَدَ بْنَ هِشَامٍ

أَوْ كَانَا فِي إِجَابَتِهِ الَّتِي بَعُدَ مِنْهَا الْمَرَامُ ، وَتَقَاصَرَتْ دُونَهَا الْأَفْهَامُ ، فَهِيَ كَالسَّمَاكِ فِي عُلُوِّهِ ، وَالْعَيْوِقِ فِي سُمُوهِ ، تَحَرُّنٌ فِي يَدِ مَقْتَادِهَا ، وَتَعَزُّ عَلَى مَرْتَادِهَا ، مُحَاوَلُهَا مَقْهُورٌ ، وَالسَّالِكُ إِلَيْهَا حَسِيرٌ . وَضَرِبْتُ مَعَهُ - أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَهُ - بِالسَّهْمِ الْفَائِزِ ، وَأَخَذْتُ بِالنَّصِيبِ الْوَافِرِ ، فِي كُلِّ مَا عَدَّدَ وَوَصَفَ ، وَأَبَانَ وَعَرَّفَ ، مِنْ إِطْلَالِ السُّعُودِ ، وَكِبَتِ الْحَسُودِ ، وَانْحَسَارِ النَّوَائِبِ ، وَإِسْعَافِ الْمَطَالِبِ ، وَعَوْدِ السُّلْطَانِ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - إِلَى مَا يُوْجِبُهُ عُلَاةٌ ، وَيَقْتَضِيهِ إِيَاهُ ، مِنْ قَدِيمِ الْحُرْمَةِ ، وَسَالَفِ الْمُوَالَاةِ وَالخِدْمَةِ ، لَهُ ، مِنْ الْحَافِظَةِ عَلَى الْوَلِيِّ الْمَخْلُصِ ، وَالْعَبْدِ الْمُتَحَقِّقِ ، بَعْدَ التَّهْذِيبِ وَالتَّأْدِيبِ ، الَّذِينَ لَمْ يَعُدُّوا الْإِصْلَاحَ وَلَمْ يَتَجَاوَزَا الْإِرْشَادَ ؛ وَالْحَصُولِ فِي كَنْفِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْأُسْتَاذِ الْجَلِيلِ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - الَّذِي مِنْ تَبَوُّؤِهِ سَلِمَ وَنَجَا ، وَمِنْ تَنَكُّبِهِ هَلَكَ وَهَوَى ؛ وَضِيَافَتِهِ الَّتِي وَضَحَتْ سَبُلُهَا ، وَاسْتَهْرَتْ طُرُقُهَا ، وَجَوَارِهِ الْعَزِيزِ الَّذِي لَا تَسْتَطِيعُهُ النَّوَائِبُ ، وَلَا تَتَخَوَّنُهُ الْحَوَادِثُ ، وَالْإِنْقَادِ مِنْ مَلَكَةِ الْمُسْتَخْرَجِ ، الْقَصِيرِ النَّسَبِ ، الدَّقِيقِ الْحَسَبِ ، الَّذِي لَا يُرَاقِبُ ، وَلَا يَخَافُ الْعَوَاقِبَ ، وَلَا تَدْرِكُهُ هَزَّةٌ ، وَلَا تَعْطِفُهُ أَرْيَحِيَّةٌ ، وَالخُرُوجِ عَنْ يَدِهِ الْكَزَّةِ الْأَصْبَاعِ ، الْقَلِيلَةِ الْمَنَافِعِ ، اللَّيْمَةِ الظُّفْرِ ، الْكَثِيرَةِ الضَّرِّ ، الَّتِي لَا مُخْلَصَ لِمَنْ وَقَعَ بَيْنَ أُنَامِلِهَا ، وَلَا مُنْتَرَعَ لِمَنْ نَشِبَ فِي مَخَالِبِهَا .

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَفَّهَا عَنَّا بَعْدَ الْإِنْبِسَاطِ ، وَقَصَرَهَا بَعْدَ الْإِشْتِطَاطِ ، وَجَعَلَ مَقْلَهَا يَكْدُمُهَا دُونَهَا عَضًّا ، وَيُدْلُّهَا بِالْبَسْطِ عَلَيْنَا قَبْضًا ، قَدْ ذَلَّلَتْهُ الْهَيْبَةُ ، وَقَيَّدَتْهُ الطَّاعَةُ ، فَأَنَسَ بَعْدَ نِفَارِهِ ، وَعَدَّلَ عَنِ اِزْوَرَارِهِ ، حَمْدًا يَقْضِي لَهُ الْحَقُّ ، وَيُؤَدِّي الْفَرَضَ ، وَيُمْتَرِي الْمَزِيدَ مِنَ النِّعَمِ ، وَيُؤْمِنُ نَوَازِلَ النِّقَمِ ؛ وَإِيَّاهُ أَسْأَلُ أَنْ يَجْعَلَ سَيِّدِي فِي حِمَاهُ الَّذِي لَا يُرَامُ ، وَيَلْحِظُهُ بَعِينَهُ الَّتِي لَا تَنَامُ ، وَيُجْرِيَهُ عَلَى الْعَادَةِ ، وَلَا يَقْطَعُ عَنْهُ الْمَادَّةَ ، بِمَنْهُ وَقَدْرَتَهُ .

٧٣٣ - لما قبضَ هلال بن بدر بن حسنويه على أبيه بدرٍ ، وقال الناسُ في ذلك ما شاءوا^١ ، فمن مُنكرٍ لفعله مستفزع ، ومن مُصوبٍ له عاذر ، سُئل أبو الحسن علي بن نصرٍ الكاتبُ إنشاءً كتابٍ يُبينُ فيه عن عذرِ هلالٍ ويُحسِّنُ أثرَهُ ، فكتب :

إنَّ أولى ما أستمع ، وأحرى ما أفتني وأتبع ، كتابُ الله تعالى المنزَل على قلبِ نبيِّه صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلم ، وأزلفَ محلُّه لديه إذ يقول جلَّ جلاله وصدقَ مقالهُ ، مؤدِّباً للخلق ، وحاضراً على قولِ الحقِّ ، ومخوفاً من الإثمِ المكتسبِ ، ومحدراً من الوزرِ المحتقَبِ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ (الحجرات : ١٢) ويقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (الأحزاب : ٧٠) ، فجعلَ التقوى له منوطةً بالقولِ السَّدِيدِ ، والنطقِ الرَّشِيدِ . فلا يجبُ لأحدٍ من الخاصَّةِ والعامَّةِ ، وجدَّ الرِّياءِ في خليقتِهِ ، وشيئاً باينَ طبعُهُ وسليقتَهُ ، أن يُحكَّمَ التَّهَمَ عليه ، ويوجَّهَ الظنَّ إليه ، استنكاراً لظاهره المستهجن ، دون استشفافِ باطنه المستحسن ، لاسيما إن صدر من ذي رئاسة ، وبصيرِ سياسة ، قد لابسَ الخيرَ والشرَّ ، ومارسَ النفعَ والضَّرَّ ، وعلمَ كيف تُصرفُ الأمور ، وتُقلبُ الأيامُ والدهور . فإنَّ لكلِّ بدوٍ خاتمةً يوردُ عليها ، وعاقبةً يفرضُ إليها ، ولربُّ جميلٍ انكشفَ عن القبيحِ غطاؤه ، وقبيحٍ انحسرَ عن الجميلِ غشاؤه ، ولا يعلمُ الإنسانُ ما في المغيَّبِ . وإنَّ اللهَ جلَّ ثناؤه^٢ ، وتقدَّستْ أسماؤه ، جعلَ الإسلامَ ديناً قيماً يهدي إليه من الجهالةِ ، وطريقاً مستقيماً أوضحَ عليه الدلالة ، وسبباً مُبيناً استنقذَ به من الضلالة ، حتمَ به الأديانَ والمِللَ ، وحتمَ أتباعَهُ على كافَّةِ الشرائعِ والنحلِ ، وجعلَ العاجلةَ لمن جهلَ واضحاً^٣ حجَّتَهُ ، وعدَلَ عن لائحِ محجَّتِهِ ، وبغى الفسادَ فيه ، وخالفَ أوامِرَهُ

١ م : ما قالوا وشاءوا .

٢ ر : جل جلاله .

٣ ر : وأوضح .

ونواهيه ، واستحلَّ ما حَرَّمَ اللهُ تعالى من أهليه ، سفكاً للدماء المحقونة ، وهتكاً للمحارم المصنونة ، وقتكاً بالنفوس المحرمة ، ونهكاً للأموال المجتمعة ، سيفاً يحصدُ شوكته ، وحقاً يقصم شيرته ، وخوفاً يشردُّ طمأنينته ، وأصاره في الآجلة إلى نارٍ تُلظِّي ، لا يصلها إلا الأشقى ، الذي كذَّبَ وتولَّى . ثم وعد غير الراضي بفعله ، والجاري في مذهبِه وسُبلِه ، جزاء الأسف والنَّدَامَة ، وردَّاه برداء الخزي يوم القيامة ، قال اللهُ تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران : ٨٥) ، وقال : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء : ١١٥) . وخبر نبيه ﷺ بصورة المؤمنين وصفة المتقين ، فقال تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ (المجادلة : ٢٢) . فحق لمن عَقَّ في اللهِ أباهُ ، وهجرَ في مرضاته زوجه وأخاه ، وقطع في طاعته رحمه ، وحادَّ في ذاته عشيرته ولحمه ، أن يلحقه بعباده الذين ارتضى فعلهم ، وشكرَ سعيهم وعملهم ، وأعدَّ الجنة ثواباً لهم ، إذ كان ما يتكلفه من هذه الحال التي تاباها الطباع ، وتنفر منها القلوب والأسماع ، مبالغة في القرية إلى ربِّه ، وحرصاً على تحصيل ثوابه وأجره .

ومنها : وإنا لما وجدنا أبانا - هداه اللهُ إلى الهدى وعدل به إلى السبيل المثل - قد استمرَّ على مزلقية مُردية ، ومدرجية مُودية ، مع تخلُّق العمر ، ونزول الأمر ، ومشاركة حلولِ القبر ، رأينا له الكفَّ عن غربه أصلح ، والتخفيف عن ذنبه أريح ، وقصره عن استزادة السيئات أكمل في برِّه ، وحصره عن الاستكثار من الموبقات أفضل في شكره ، فقَبَضْنَا يدهُ المبسوطة بالشرِّ ، وكفَفْنَا سيَّامَهُ المبوثة بالضرِّ ، وأخفناهُ على نفسه خيفةً تردعه ، وتلجمهُ وتزعُّهُ ، عسى اللهُ أن يهديه لرُشدِه ، ويردِّه إلى سواءِ قصده ، فيطفو من غمِّرتِه ، ويصحو من سكرتِه ، ويرجع إلى ربِّه رجوعَ المضطر ، وينزعُ نزوعَ الذي مسَّهُ الضرُّ ، ومعه بقيةً من

عُمَرُه ، يتداركُ بها الفأيتَ من أمرِه ، بتوبةٍ مُتَحَنِّفٍ ضاحٍ ، ودعوةٍ متلهِّفٍ راجٍ ، فإنه تعالى يقول : ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالْيَهُ تَجَارُونَ﴾ (النحل : ٥٣) ، فنكونُ لحقَّ تربيتهِ قاضين ، ولحرمةِ أبوتِه حافظين ، باجتذابنا إياهُ إلى مصلحتِه ، واستلابنا له من ضلالتِه وفتنتِه ، قبل فَوْتِ وَقْتِه ومُدَّتِه . ونسألُ اللهَ تعالى توفيقاً لما قَرَّبَ منه ، وأزَلَّفَ عنده ولديه ، وله - جلَّ ثَنَاؤُه - الحمدُ الطويلُ ، والشُّكْرُ الجزيلُ ، على ما أنعمَ به علينا ، وأزَلَّه من مِنَحِه إلينا ، وسبَّبَه بتوفيقه لنا من إصلاحِ الفاسدِ ، وردِّ الخائدِ ، وتقويمِ الزائلِ ، وتعديلِ المائلِ ، ورمِّ الثلمِ وزمِّ الكلمِ ، وإمرارِ جبلِ الدينِ ، ونظْمِ شَمْلِ المسلمين ، حمدَ من قَدَرَ مِنَحَتَه بِقَدْرِهَا ، وعرفَ لها حقَّ شُكْرِهَا ، وإليه الرغبةُ في الإمتاعِ بِجميلِ الموهبةِ ، وإلهامِ الصبرِ على ما امتحنَّا به من مُكافحةِ شيخنا ، في أتباعِ دينِه وكتابه ، واجتنابِ جَوَالِبِ سُخْطِه وعقابه . فَلْيَعْلَمِ الخاصُّ والعامُّ ممَّن انتهى إليه هذا الأثرُ ، وقُرِئَ عليه هذا الخبرُ ، أنَّ النعمةَ إن لم تخصَّه في ما فعلناه ، فلم تُبعِدهُ بمشاركةِ الكافةِ في ما أرغناه ، ومساهمةِ الجماعةِ في ما آثرناه من مصالحهم وابتغيناه . فليُنصِفْ من نفسه ، وليُصْرِفْ عنها وسأوسَ هجسِه ، وما يخطر لها من تخيلِ أبنا خللَه ، وأوضحنا بطولُه وزللَه ، لِيُسِرَّ الطاعةَ في قلبه ، وليُظْهِرُهَا في فعلِه ونطقِه ، يجدُ من الله هادياً رؤوفاً ، ومن سائسِه راعياً عطوفاً ، ومن الرُّشْدِ طريقاً مهيباً ، ومن القصدِ سبيلاً متبعاً ، فإنَّ اللهَ مع المؤمنين ، ويهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم .

٧٣٤ - وعمل فصولاً على السنةِ جماعيةٍ من المتقدمين ، عُرضتْ على الوزير أبي العباس ، فلما قُبِلَتْ ومُدِّحَتْ كتب مقرأً بها فيما بعد :

الألفاظُ - أطل الله بقاء الوزير - نتائجُ الأفكارِ ، وحالةُ من القلوب محلَّ

الأولاد : يكون منهم القُرَّةُ والعُرَّةُ ، وبكليهما يقعُ الافتتانُ والمسرةُ ، وليس يصحُّ لأحدٍ عِلْمٌ جميلها من قبيحها ، ومعرفةٌ سقيمها من صحيحها ، إلاَّ بأنَّ يُسلَّطَ عليها ثواقبُ الأفهامِ ، وجهابذةُ الكلامِ ، ثم يتخلَّى عنها ، ويتبرأُ منها ، ليسلمَ ذامها من المراقبةِ والمحابةِ ، ويعدُّ مما اصطلحتُ عليه الطُّباعُ ، واتفقت عليه الأسماعُ ، من مقابلةٍ ما يُوردهُ المتأخَّرُ بالردِّ ، أمامَ التَّصْفُحِ له والنقدِ ، واستشعارِهِ تقصيره فيه ، قبل تأمُّلِ ألفاظِهِ ومعانيهِ . فإنَّ المُحدَثَ مظلومٌ ، والمُحدَثُ خاصةٌ مفهومٌ ، وفي ذلك أخبارٌ متعالمَةٌ ، وأحاديثُ متعارفةٌ متداوِلَةٌ . ولا عُذْرَ لِمَنْ شافَهُهُ من الوزيرِ - أطال اللهُ بقاءَهُ - لسانُ البلاغةِ ، وواجههُ إنسانٌ عينِ الفصاحةِ ، وقومُهُ شخصُ الكتابةِ ، واستخدمَهُ مَلِكُ الخطابةِ^١ ، ألاَّ يجريَ بالسِّدادِ قلمُهُ ، والصوابِ كَلِمُهُ ؛ كما لا حَرَجَ عليه مع تَشَبُّثِ الهمومِ بفكرهِ ، وتمكُّنِها من صدرهِ ، أن يكثرَ خطأُهُ وخطُّهُ ، ويتَّصِلَ عِثارُهُ وزَلُّهُ . وكنتُ خدمته بفصولٍ مختلفة المباني والأصولِ ، تقلِّبتُ فيها تقلُّبِي في إحسانهِ ، ونشرتُ مطويَّها نشرِي لِإنعامِهِ وامتنانِهِ ، وتَحَلَّتْ جَمِلاً منها مَنْ لا يتجَمَّلُ بمُلْكِهِ ، وإن تَحَمَّلْتُ^٢ بانخراطها في نظميهِ وسَلْكِهِ ، متعمداً بذلك ما قَدَّمْتُهُ ، معتقداً فيه ما قَرَّرْتُهُ ، وما أنشط الآن مع نفاقها في سُوقِ مجده ، ابتعائها شرارةً من زَنَدِهِ ، لتركها ، ومَنْ لم يعرقْ في استنباطها جبينُهُ ، ولا درَّ لاستخراجها وتينُهُ ، وأرجو أن لا يجلبَ هذا الإقرار تغييراً^٣ ، ولا يولِّدَ على السنَّةِ المألوفةِ نقيصةً ولا تقصيراً . وهذه ظلامَةٌ لا يسعُ العادلُ تركها ، ولا يسوغُ في النَّصْفَةِ العدولُ عنها ، وليس تجري المطالبةُ بها مجرى الرجوعِ في الهديةِ ، وإنما هو كاستردادِ القرضِ والعاريةِ . واللهُ يُحسِنُ توفيقِي لطاعتهِ ، ولا يسلبني حُسْنَ تَقْفِيهِ وهدايتهِ ، بمنه وقدرتهِ ، وهو حسبي ونعم الوكيلُ .

١ ر : الفصاحة .

٢ م : تحلت .

٣ ر : تفسيراً .

٧٣٥ - وكتب إلى صديقي له :

قد عرفت ، أيها الأخ ، الدهرَ وتبدُّله ، والزَّمانَ وتقلُّه ، وأنه غيرُ ملتزمٍ
لوتيرة ، ولا مُبرمِ القتلِ على مريرة ، بينا هو مقبلٌ حتى يُعرضَ ، ومُنسِطٌ حتى
يَنقِصَ ، ومُعطيٌ حتى يَحْرِمَ ، ومُعافٍ حتى يُسَقِمَ ، وعادلٌ حتى يَظلمَ ، وبانٍ
حتى يهدمَ ؛ الغدرُ سجيتهُ ودأبه ، والفتكُ بُغيتهُ وطلائه . فالعقلُ غيرُ ساكنٍ إلى
حبايته ، والحازمُ غيرُ واثقٍ بوفائه . لا يجدُ الإنسانُ عليه ظهيراً ، ولا من نوابه
نصيراً ، إلا أخواً ادَّخره في رخائه لشدِّته ، وذا ودَّ اعتقدَه بأصاله رأيه لفاقته ،
فعاها أن يَلطفَ لإزالةِ بلواه ، إذا غاضَ صبره على سكونٍ من النفسِ إليه ، وأمانٍ
من السماتِ بما يقفُ من حاله عليه . فكثيراً ما خرج الأحرارُ بأحزانهم
مستروحين بنفثها ، وبأحوا بأشجانهم بائحين بيثها ، إلى مستبشرين بما لحقهم ،
وإن كتمَ استبشاره وحرَّنه ، ومبتهجين بما طرَّقهم وإن ستر ابتهاجه وشجَّنه ، وما
أحسن وصية المتنبِّي ، سقى الله صداه ، في قوله : [من البسيط]

لا تشكُّ يوماً إلى خلقٍ فتشمتَهُ شكوى الجريحِ إلى العربانِ والرحمِ

فليس بقليلِ الحظِّ من ظفِرِ بخيلٍ أمينِ سيرةٍ وجهره ، وعلمِ خيرةٍ وشره ،
وطعمِ حلوهٍ ومرة . وما زلتُ على مرِّ الليالي والأزمان ، أنتقي الأخلاءَ والإخوان
لأضيفَ إليك آخرَ أعضدك ونفسي باختصاصه ، ويشدُّ عضدك ويدي
باستخلاصه ، حتى طلع في السنين المتطاولة ، وبعدَ لي الأيام المماثلة ، في أفقِ
المودةِ والإخاء ، وسماءِ المخيلةِ والرحاء ، السيِّدُ أبو فلان ، والفتيةُ متخلصاً من
شوائبِ القتام ، موفياً في رضاعِ سخيله على بدر التمام . فأولتُ رؤيتهُ أمراً
مقبلاً وسللتُ على عنقِ الأيامِ منه مُنصلاً ، وما زالت الخيرةُ توفني على الخبرِ ،
والتجربةُ تزيدُ في حُسنِ الأثر ، إلى أن استحكمتُ قواعدُ الوداد ، وضربتُ الثقةُ

١ ر : رونقه .

دونَ سدادهِ بالأَسَدادِ ، ثمَّ أراني الحظُّ الآنَ أمراً مخالفاً لما كنتُ به عارفاً ، وأسمعُ لفظاً منافياً ما كنتُ له آلفاً ، من إخلالِ بوصالِ أحوالٍ فيه على مُوجبِ الحالِ ، وقوةٍ من خطابٍ كانت لا تخطرُ قديماً له ببالٍ ، وتنزُّهٍ عن الاعتذارِ عند الفرطِ كان مبدولاً على مرِّ الساعاتِ ، وأماراتٍ بعد هذا وأماراتٍ ؛ وأنا لطبيِّ أطبُّ العلةَ بالصبرِ ، ولسوءِ ظنِّي أستجيبُ لما أسامه من أمره وفسادِ مثله ، حرسَهُ اللهُ ، غيرَ مسموحٍ به . وتغيُّرُ العادةِ على مثلي أبلغُ شيءٍ في أذى قلبه ، فأنا بين مصابرةٍ ومساترةٍ ، ومواربةٍ^١ ومساورةٍ : [من الطويل]

يقولوا تجنَّبَ عادةً ما عرَفَتْها شديدٌ على الإنسانِ ما لم يُعوِّدْ

فإن رأيتَ أن تقفَ على هذه الجملةِ سرّاً ، وتوسّعها تديباً وفكراً ، وتُسبِّلَ عليها من كتمانِكَ جناحاً وسِتراً ، وتهدي لرأيِ تعملُهُ لأعماله ، وتُمثِّلُهُ لأمثله ، فعلتَ ، إن شاء اللهُ تعالى .

٧٣٦ - ومن كلامٍ له :

ومثلهُ - أدامَ اللهُ تأييدهَ - ممَّنْ تُراعَى حسناته وتُلحَظُ ، وتُرَوَى زلَّاتُهُ وتُحَفَظُ ، ويُشَى عليه بصحَّةِ العهدِ والذِّمامِ ، ويُسرَعُ إليه قدحِ العيبِ^٢ والملامِ ، يجعلُ الأناةَ زمناً لأعماله ، والرَّويَّةَ رائداً لأفعاله ، فيسيءُ بالعجلةِ ظناً ، ويقلبُ الرأيَ ظهراً وبطناً ، حتى إذا صفا من الشوائبِ ، وشَفَّ^٣ له عن غيبِ العواقبِ ، أبداه عن يقينٍ لا يَطُورُ به الشكُّ ، وأمضاه على تحقيقٍ لا يسوغُ معه التركُ ، واللهُ - عزَّ اسمه - يهديه للأوفقِ ، ويرشِّدُهُ إلى الأحرى بفضله والأليقِ ، إنه على كلِّ شيءٍ قدير .

٧٣٧ - وكتب إلى دار الخلافة في معنى سقوطِ فرس :

١ ر : وموازنة .

٢ م : العتب .

٣ ر : وصف .

انتهى إلينا نبأ شغل القلب وروعه ، وقسم الفكر ووزعه ، وجلب الاهتمام ودعا ، وأوجب الإزعاج واقتضاه ، وتعقبه خبر دفع الكربة وصرفها ، ورفع الغمة وكشفها ، وطرده المساءة بالمسرة ، وأبدل الإشفاق بالحبرة ، من عثرة زلت لها يد الجواد ، وكبوة كانت والسلامة على ميعاد ، وإنما قرنها الله تعالى بها ملاحظة ، وأجراها معها محافظة ، لتصرف روعة باديها ، وتكفي عاقبة عواديتها ، وتحسم مادة الأذى والضّرر فيها . وإن كان ما يتخذ من المراكب للخدمة الشريفة كريماً نسبه وعرقه ، مهذباً مذهبه وخلقه ، أميناً خبيته وركضه ، وثيقة سماؤه وأرضه ، فإنه يتضائل عند أعباء المجد ، ويضعف عند امتطاء الشرف العبد ، ويرى أنّ عليه من عز الخلافة وفخارها ، وحكم الإمامة ووقارها ، ما تزل معه الأطواد الفارعة ، وتضيق به الأقطار الواسعة . فذنبه بعذره ممزوج ، وعثاره لاستقلاله موهوب . والحمد لله الذي كمل لدينا البرّ والإنعام ، وكفى المسلمين والإسلام ، وجعل المخافة بالنعمة مقرونة ، والسلامة مع الحذر مضمونة ، واليه الرغبة في حراسة الحضرة النبوية ، من عوارض الحذور ، وطوارق الدهور ، وأن يجعل أيامها موصولة بالأمن واليمن ، وسعادتها منظومة بين الإحسان والحسن ، فلا تتخللها شائبة ، إنه على كل شيء قدير .

أبناك هذه الجملة لتقوم بإنهاؤها على عادة منابتك ، وتشفي اختصارها بإسهابك وإطالتك ، وتجيعنا بما نسكن إليه . ونشكر الله الكريم عليه ، ونعتده منك ولك ، إن شاء الله تعالى .

٧٣٨ - كتب أبو القاسم الحسين بن علي المغربي إلى أبي القاسم سليمان بن فهد ، وقد أهدى إليه خمسة أقلام في يوم نيروز :

للناس - أطال الله بقاء الأستاذ الجليل - عادة في مثل هذا اليوم بتهادي الأقلام ، وقد كان يجب أن يكون هذا الفعل محظوراً إلا عليه ، وممنوعاً إلا منه ،

لأنَّ الأَقلامَ إذا أُهْدِيَتْ إليه قد أُعْطِيَتْ قوسُ البلاغَةِ باريها ، وأُعلِمَتْ أفراسُ
الكتابَةِ مجريها ، وأنصِفَتْ هذه الآلةَ ولم تُظَلِّمْ ، وأُكْرِمَتْ هذه الأداةَ الخطِيرةَ
ولم تُهْتَضَم . وإذا عُدِلَ عنه - حرسه اللهُ - فقد أنزلتْ دارَ غُربةٍ ، وأُحِلَّتْ منزلَ
هوانٍ وذَلَّةٍ ، وشَتَّتْ عن أوطانها ، وشُرِّدَتْ عن ميدانها ، وفُرِّقَ بينها وبين مَنْ
يستخدمها في تَوْشِيَةِ بُرودِ المجد ، وتَسْهِيمِ ملابسِ الحمد ، وتَأْنُقِ روضِ
الفصاحة ، واستثمارِ جَنَى البلاغَةِ ، وما أَحَقَّ هذا المعنى بما قيل : [من الكامل]

إقرأ على الوَشلِ السَّلَامَ وَقُلْ له كلُّ المشارِبِ مُدُّ هُجِرَتْ ذَمِيمُ
لو كنتُ أملكُ منعَ مائك لم يَدُقْ ما في قلاتك ما حِيَتْ لثِيمُ

ولكن لو ملكتُ إمارةَ هذه الصناعة ، لحَمَيْتُ منابِتَ اليراع ، وصنْتُ
مغارسَ الغياضِ ، ولمنعُها إلا من كلِّ صنِّعِ اللسانِ واليدِ ، كريمِ القولِ والفعلِ ،
ولخصصته - أدامَ اللهُ تَأْييدهَ - بأبياتِ ابنِ عنمةَ كلِّها : [من الخفيف]

أنتَ خيرَ من ألفِ ألفٍ من النا س إذا ما كَبَتْ وجوهُ الرجالِ
عِنْدَكَ البرِّ والتَّقَى وأسى النَّفِّ سِ وحملٌ لِمُضْلِعِ الأَثقالِ
وصلاتُ الأرحامِ قد علمَ الد سِ وفكَّ الأَسرى من الأغلالِ

وعلى هذه المقدمات التي طغى بها اللفظ ، ولم أعتمد فيها إلا ما بيَّن عن
القصد ، فقد نفذتُ خمسةَ أقلامٍ لا أصفُها بالجودة ولا الجود ، فأطعنَ على
فروسيَّةِ يده التي تمتطي الصعَبَ والدَّلُولَ ، وتمرُّ في الوَعَثِ والسهول ، وهو -
أدام اللهُ تَأْييدهَ - يُشْفَعُ في قَلْبِها نِيَّةَ مُنْفِذِها ، إن شاء اللهُ تعالى .

٧٣٩ - ومن كلامِ أخي أبي نصر الحسن بن الحسن بن حمدون :

وقد كان الاحتياطُ من طعنِ الغائبِ يقتضيني إخلاءَ هذا الجمعِ مما يَتَهَمُ
هوايَ فيه ، وحكمُ الإنصافِ عليَّ بأن أوفِيَه حَقَّه إذ كان لاحقاً بالقدماءِ في
صناعته ؛ تشهد له بذلك رسائله .

٧٤٠ - رسالة كتبها جواباً عن تاج الدولة أبي طالب بن الطاهر نقيب الطالبين إلى أبي عبدالله أحمد بن علي بن المعمر :

أَوْصَلَ إِلَيَّ فُلَانٌ - أَدَامَ اللَّهُ عُلُوَّ الْجَانِبِ الْفَلَانِي وَقَدْرَتَهُ ، وَرَفَعَ فِي الْآخِرَةِ كَمَا رَفَعَ فِي الدُّنْيَا دَرَجَتَهُ ، وَكَمَّلَ بِنَيْلِ الْأَمَانِي جَدْلَهُ وَمَسْرَتَهُ ، وَأَضَاءَ بِاتِّصَالِ الْبَشَائِرِ وَالتَّهَانِي لَدِيهِ أَسْرَتَهُ ، وَجَمَّلَ بِطَوْلِ بَقَائِهِ عَتْرَتَهُ الطَّاهِرَةَ وَأُسْرَتَهُ - كِتَابًا كَرِيمًا يَشْتَمَلُ عَلَى ضُرُوبٍ مِنَ الْبِرِّ وَفَنُونٍ ، وَأَبْكَارٍ مِنَ الطَّوْلِ الْمُتَتَابِعَةِ أَمْدَادُهُ الَّتِي وَعَوْنٌ ، وَفَضْلٍ يَدْعِي لَهُ بِالسَّبْقِ كُلِّ ذِي بَرَاعَةٍ وَخِطِّ ، يَهْرَأُ حَسَنًا بِمَا تَخَطَّهْ يَدُ كُلِّ ذِي بَرَاعَةٍ وَتَصَرَّفَ فِي الْعِبَارَةِ ، لَمْ يَكُنْ لِلصَّاحِبِ وَلَا ابْنِ الْعَمِيدِ ، وَتَمَكَّنَ فِي الْبَلَاغَةِ لَمْ يُعْطَهُ مَوْلَى الْعَلَاءِ بْنِ وَهَبٍ عَبْدُ الْحَمِيدِ ؛ وَيَقْسَمُ لِلْمَعَانِي الَّتِي رُكِّبَتْ فِي جَسَدِ الْكَلَامِ رُوحًا ، وَجَعَلَتْ صَدْرَ قَارِئِهَا وَسَامِعِهَا بِالِاتِّذَاعِ بِهَا مَشْرُوحًا . وَوَقَفْتُ عَلَيْهِ مَجِيلاً فِي مِيدَانِ الثَّنَاءِ بِأَيْدِيهِ الْمُتَتَالِيَةِ جَوَادِي ، وَشَاكِرًا لَمَّا نَزَلَهُ إِلَيَّ مِنْ عَوَارِفِهِ شُكْرَ الرِّيَاضِ الْمَجُودَةِ مِنْ الْعَوَادِي ، وَمَعْتَرِفًا بِآلَاءِ الْبَيْتِ الْكَرِيمِ الْمَعْضُودَةِ عَوَائِدُهَا عِنْدِي بِالْبُودِي ، السَّائِرَةَ أَحْبَابُهَا فِي الْحَوَاضِرِ وَالْبُودِي . وَعَرَفْتُ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَى غَزِيرِ فَضْلِهِ الَّذِي نَحْنِيهِ ، وَوَصْفِهِ الْجَمِيلِ الَّذِي أَعَارَنِيهِ ، وَعَلِمِهِ الَّذِي لَا يَسَاجِلُهُ فِيهِ مَسَاجِلٌ وَلَا يُدَانِيهِ ، وَالشَّهَادَةُ لِي مِنْ ذَلِكَ تَمْرِيهِ ، لَوْلَا جَلَالَةُ قَدْرِهِ ، وَشَرَفُ عُنْصُرِهِ الزَّاكِي وَنَجْوَاهُ ، لَقَلْتُ دَافِعًا مَا شَهِدَ لِي بِهِ ، وَكَسَانِي حُلُّ الْفَخْرِ : بِحَسْبِهِ أَنَّ الْفَضَائِلَ لَا يَسْعُهَا إِلَّا أَوْعِيَةٌ حَامِلِيهَا ، وَالْعُلُومَ تَفْضُحُ عِنْدَ الْإِحْتِبَارِ مُتَّحِلَهَا كَاذِبًا وَمُدَّعِيَهَا ، لَكِنْ إِذَا شَهِدَ لِي مِثْلُهُ مِنَ الْأَمَاجِدِ وَفِرْسَانِ الْأَدَبِ ، الَّذِينَ يُقَرُّ بِبِرَاعَتِهِمْ فِيهِ كُلُّ جَا حَادٍ ، فَلَيْسَ إِلَّا التَّلْقِي بِيَدِ الْقَابِلِ الشَّاكِرِ ، وَاسْتِخْدَامِ الْأَفْكَارِ فِي الثَّنَاءِ عَلَى مَعَالِيهِ وَالْحَوَاطِرِ .

فَأَمَّا مَا كَلَّفَ مُوَصِّلَ الْخُطَابِ حَمْلَهُ ، وَأَوْعَرَ إِلَيْهِ بِالْمَشَافَهَةِ بِهِ تَفْصِيلاً وَجَمَلَةً ، فَقَدْ أوردَ مَا عَزَاهُ إِلَى التَّقَدُّمِ التَّاجِي وَأَسْنَدَهُ ، وَحَقَّقَ الْقَوْلَ فِيهِ وَأَكَّدَهُ ، وَجَلَا وَجُودَ الْعَوَائِقِ لِلنَّفُوسِ عَنْ رَاحَتِهَا ، وَأَزَالَ الْمَكَارَةَ الْمُنَاسِبَةَ لِأَحْوَالِ الْوَقْتِ بِسَاحَتِهَا ، فَالْفُرْصَةُ فِي قَصْدِ تِلْكَ الْخِدْمَةِ مُنْتَهَزَةٌ ، وَالغَنِيمَةُ بِالْفَوْزِ بِهَا - إِنْ شَاءَ

الله - مع وجود السبيل مُحَرَّزَةً .

٧٤١ - وكتب إلى صديق له من البغداديين انتقل إلى الموصل وصار إليها ، وعرضَ فيها بذكر الجمال محمد بن علي الأصبهاني ، وزير الشام والموصل ، المشهور بالأفضال والجود :

سَيِّدُنَا - أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ ، وَأَدَامَ ارْتِفَاعَهُ إِلَى فَلَكَ الْمَعَالِي وَارْتِقَاءَهُ ، وَيَسِّرَ لَهُ كُلَّ أَرْبٍ تَسْمُو نَحْوَهُ هِمَّتَهُ - وَصَلَّ النُّجْحَ وَلِقَاءَهُ ، وَضَاعَفَ عِنَاءَ حَسْوَدِهِ الرَّاعِمِ وَشِقَاءَهُ - حُجَّةً بَغْدَادَ عَلَى مَنْ جَحَدَ فَضْلَهَا ، وَلِسَانَهَا الْمَجَادِلُ بِالْحَقِّ لَمَنْ عَانَدَ أَهْلَهَا ، وَعِنَاوَانُ مَا خَصَّهَا اللهُ بِهِ مِنَ الْحَاسِنِ الَّتِي لَا يَنْكُرُهَا إِلَّا ظَالِمٌ مُعْتَدٍ ، وَلَا يَخَالِفُ عَلَيْهَا إِلَّا كُلُّ جَائِرٍ عَنِ الْقَصْدِ غَيْرُ مُهْتَدٍ ، فَإِنَّهُ الْبَارِعُ فِي كَرَمِهِ ، الْفَارِعُ هَضَابَ الْإِنْفِرَادِ عَنِ الْأَقْرَانِ بِشَيْمِهِ ، الْحَاوِي قَصَبَ السَّبْقِ بِمَا اشْتَهَرَ مِنْ مَرْوِيَّتِهِ ، الْمَغْبَرِيُّ فِي أَوْجِهِ الْكَهُولُ فِي رِيْعَانِ شَبِيبَتِهِ ، الْجَامِعُ أَشْتَاتِ الْحَمَامِدِ بِأَخْلَاقِهِ الْمَدْمُوْحَةِ بِكُلِّ لِسَانٍ ، الْمَحْبُوبَةُ إِلَى كُلِّ إِنْسَانٍ ، فَقَدْ رَفَعَ عَنَا فِي الْمَحَاجَّةِ دُونَهَا كُفْلَةَ الْمَقَالِ ، وَوَضَعَ عَنَا وَزَرَ الْمِرَاءِ الْمُنْهِيَّ عَنِ الْمَبَاهَاةِ بِهِ وَائْتَمَّ الْجِدَالَ . وَصَارَتْ الْمَوْصِلُ تُزْهِى بِهِ وَتَدَّعِيهِ ، وَتَقُولُ لِنَفْسِهَا إِنْ هُمْ بِفِرَاقِكَ فَلَا تَدَّعِيهِ ، فَقَدْ اِزْدَانَتْ بِسَدَادِهِ عَرْضَتُكَ ، وَذَهَبَ كَمَدُكَ بِحُلُولِ مِنْ مِثْلِهِ وَغُصَّتُكَ ، وَاتَّسَعَ لَكَ فِي مَفَاخِرَةِ بَغْدَادَ بِأَدْعَائِكَ إِيَّاهُ ضَيْقُ الْمَجَالِ ، وَوَجَدْتَ بِهِ ضَالَتِكَ فِي زَمَانٍ أَضْحَى وَهُوَ مَحْطُّ الرِّحَالِ . هَذِهِ إِشَارَةٌ لَا يُنْكَرُ ذَوُو الْأَلْبَابِ ، الْعَالِمُونَ بِدَلِيلِ الْخَطَابِ ، أَنَّ لِسَانَ الْحَالِ بِهَا مِنْ لِسَانِ الْمَقَالِ أَفْصَحُ ، وَمِيدَانِ الْمُسْتَدَلِّ عَلَيْهَا أَفْسَحُ ، وَمِيزَانُهُ أَوْفَى عِنْدَ إِثْبَاتِ الْبَيِّنَاتِ وَأَرْجَحُ ، وَحُجَّتُهُ أَظْهَرُ يَوْمَئِذٍ وَأَوْضَحُ .

وعرض عليّ فلانٌ فصلاً كريماً من حضرته ، يتضمّن إهداء السلام إليّ وشكر ما تأدّى إليه من ثنائي لحاسنه التي لا منة لي في وصفها المتعِين عليّ ، فوقفْتُ منه مع اختصاره على بلاغة في إيجاز ، وعبارة تستدعي من متدبرها نشوة

طرب واهتزاز . وسرّختُ سوامَ طرفي من خطّه في رياضِ موفقة ، وحدائقِ
بالأزهارِ مشرقة : [من الكامل]

كفتّح النوار فتّقه الحيا أو كالصباحِ فرى الدجى بعموده^١

وما زلتُ قبل ورودِهِ أناجي نفسي بقرعِ بابِ المكاتبِ وأحدّثها ، وأحمّلها على
عمارةِ سبيلِ المواصلةِ وأبعثها ، وأهجنُ عندها المقاطعةَ المتصلةَ ، والمصارمةَ
المستعملةَ ، مهما تأكّد في سالفِ الأيامِ بين الأسلافِ ، من الودادِ الجميلِ
الأوصافِ ، وكونُ ذلك عند الأبناءِ قرابةً مرعيةً ونسباً ، وإلى تقارُضِ المودّةِ في
ذاتِ بينهم سبباً . فتقولُ لي : العاداتُ سننٌ متبوعة ، ومِللٌ مشروعة ، والذي
استمرَّ به العُرفُ أن يكون ابتداءُ المكاتبِ من المسافرِ ، والمفاتيحةُ بها من الظاعنِ
عن وطنه السائرِ ، فلا تثرِبَ عليك في الانقباضِ ولا ملام ، ولا مقالَ للزاري
عليك في تركِ المباشطةِ ولا كلام . لكن لما استمرتُ مدةُ الانقباضِ المستهجنِ
وطالتُ ، وأسهبَتِ المحافظةُ في توييخها على تراخي هذه الحالِ وأطالتُ ، ووصلني
الفصل الذي وفر حُبرتي واعتباطي ، وحركٌ لتلافي فارطِ التقصيرِ نشاطي ، رأيتُ
أنّ مثله - وإن عزَّ وجودُه - يُحتسَبُ له ولا يُحاسَبُ ، وتبدّلُ له العتبي ولا
يُعاتبُ . فنشطتُ قلمي من عقاله ، وعجتُ عن هجرِ الاسترسالِ إلى وصاله ،
مشعراً له - أدام اللهُ علوه - أنّ كثيراً من الأجانبِ ، ومن لم يرني من الجوانبِ ،
يقلّدني نجادَ المنّةِ بخيرِ ينبي عند ذكري ، وقولِ جميلِ أبناؤه نحوي تسري ، أو
كتابِ يصدره إليّ مفتتحاً ، أو يشكر به خدمةً رأى تقرُّبي بها متضحاً ، فكيف
لي أن يقتدي في حقي بالبعداءِ من يحلُّ مني محلَّ الأعزة والأقرباءِ ، إما بمواصلةِ
جميلةٍ ، أو نيايةٍ بتحسينِ الذكرِ كفيّلة . وهذا مقامٌ لا يُستغنى فيه عن الإفصاحِ
بالحقيقة التي يمنع الحزمُ من التصريحِ بها ، والمعيّتهُ كافيةٌ في لمحها ، والاستدلالِ
بجملتها على شرحها .

١ م ر : بعمود .

وبعد ، فأنا ممن ألهمه الله حب الفضائل وأهلها ، وأغراه بشناة من بليي
بجهلها ، فإذا رأيت الدهر قد سمح بما جدي كريم ، وعوض سوام الآمال بمرعى
مريع غير هشيم ، وجاد بعد ضنة بارعوائه وإعتابه ، وعدل بعد ظلم بإقرار حق في
نصابه ، وجدت في منتي قوة كنت عدمتها ، ومن همتي حركة منذ الأمد الطويل
ما علمتها ، واعتقدت أن بضائع الفضل البائرة قد نفقت ، وأيدي مشتريها على
أيدي مجهزيها بالريح قد أصفقت ، وأن النقص الذي استولى على الأرض من
أطرافها ، واشترك فيه الأعم الأغلب من مشروفي ساكنيها وأشرفها ، قد رفع
عاره عن الأمة ، وكشيف بإزالته عنها حجاب الغمة . وما برحت ، منذ أنشر الله
رميم الكرم الدائر الدارس ، وأعاد روح المعالي زاكية المنابت نامية المغارس ،
بالجانب الفلاني - جمع الله بدوام سعادته شمل المجد ، وبلغه الغاية القصوى من
علو الجد - أضوع المحافل بعطر مدحه والأندية ، وأوشى المطارف من الثناء على
مناقيه والأردية ، وأبالغ في ذلك مبالغته من ملك الشغف قلبه فما يراقب في المغلاة
خلقا ، ولا يخاف التكذيب من يقول حقا ، ما لم يكن لطمع عرضي ، ورب
مقام قمته ، وعذر في الاجتهاد أبلتته وأقمته ، وقد جرى ذكر هذا الجانب - أدام
الله علاه - فقلت :

* نفس عصام سودت عصاما *

وهل الفخر الأوفى ، وشرع المجد الأصفى ، وقدح الرياسة المعلى ، والسيادة
المجاورة رتبة الفرقدين محلا ، إلا من وفق الله له هذا الماجد الحلال ، والجواد
الذي ليس لبحر جوده ساحل ، والكريم الذي أضحت أمواله مفسمة بأيدي
عفاته منتهبة ، وأعينها لما منيت به من بغضائه منتحبة ، وهمته العلية مستغرقة
للأوقات في رسم عاف يعيده ، وبر واف للمجتدين يفيده ، ودين يقوم في حفظ
معالمه إذا قعد الجميع ، ويجيب داعية وقد تصامم عنه كل سميع ، ومصلحة
جامعة يحيي رفاتها ، ونفس مجدود يقضي من أوطارها ما فاتها ، وعلم تنشر

أعلامه بإرفادٍ حامله ، وصنع جميلٍ يتخذُه عند آلميه ، ومكرمةٌ يُصيبُ بها مواقعها ، وأحدوثه جميلة يكتسي وشائعها ، وذكر ملاً الآفاق نشره طيباً ، وأصبح كلُّ لسانٍ بمدحه خطيباً . وهل ما يتداوله الرواة ، وتتناقله في الكتب الأفواه ، من أخبار شيخ البرامك يحيى بن خالد ، ومآثر كلِّ كريم من قديم الزمان ماجد ، والنفوس تنكرُ بعضه استعظماً ، وتعتده سَمراً أو مناماً ، إلا دونَ ما نراه عياناً ، ونستوضحُ في كلِّ ساعةٍ دليلاً عليه وبرهاناً . لعلَّ وجوهاً كانت في هذا المقام حاضره ، وأعيناً رامقةً إليَّ ناظره ، فزويت عني تلك غيظاً وامتقعت ، وأغریت هذه بمسارقة النظر المريبِ نحوي وأولعت ، وأنا خالغ بالمضيِّ في شوطي للعذار ، غيرَ ملتفتٍ فيما يكمدُّ الحاسدين إلى الاعتذار . ورأيت في تصفُّحِ هذه المفاتحة متأملاً ، وقراءتها متلقياً بحسن القبول متقبلاً ، واستئناف المواصله بكتبه الكريمة التي تمهدُ مباني الوداد ، وتعمر سبيلَ المحافظة التي يعدُّها أمثاله من أولي البصائر أجمل مُكتسب ، وأعلى في مجاري أحواله - أجراها الله على إشاره ، وأمدها بجنود السعادة في ليله ونهاره - ما اشتبهت أرواح الإنس بمعرفته ، ولشكرُ صنع الله عنده في مقابلته أعلى .

* * * *

وما وضع صدورُ الأدباء رسائلَ أسماءٍ بغيرِ أجسام ، وألفاظاً بغيرِ معاني ، إلا ليدلوا على موضعهم من البراعة ، وينبئوا على محلهم من البلاغة . فمنهم الجاحظ وكان مسهباً يستقي من بحرٍ لا ينزحُ ماؤه ، ويمتري أثباحَ درٍّ لا تُقلعُ سماؤه ، ويهدر هديرَ الفنيقِ بلا نهاية ، ويومُّ نهجاً لا مقصدَ له ولا غاية ، والمعريُّ يحومُ ولا يعوم ، ويلوب ولا يرد ، ويلغز ولا يبرز ، كأنما عنده مُضمرٌ يخافُ من كشفه ، ومخللٌ إن أظهره آذن بحتفه . وله رسائل كثيرة لكنها موشيةٌ بوهامات الإلحاد ، ومبينةٌ على اختلاطه في الاعتقاد ، كأنه شاكٌّ مريبٌ أو هازيٌّ عابث ، وقد استكثر من روايتها فإن تركت معجمةً أهملت ، وإن فسرت خرجت عن معنى الرسائل ، وصارت بكتب اللغة أشبه ، مع أن الحرجَ يمنعُ من التعرض لتدوينها ، وقد اقتصرتُ منها على

رسالة هي من أسلمها . وللبديع والحريي مع تبريزهما أبداً صريحهما عن الرغبة ، وإعلانهما بالاختلاف والغربة ، فوضعا حكاياتٍ مفعولة ، عن أسماء مجهولة ، أبانا بها عن فضائل ليست بمفضولة . نسأل الله السلامة من موبق الضلال والمين ، وأن يكشف عن بصائرنا غياهب الهوى والرّين .

٧٤٢ - رسالة كتبها أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ إلى موسى بن عمران :
 زينك الله بالقوى ، وكفأك ما أهمك من أمر الآخرة والدنيا ، وأعزك بالقناعة ، وختم لك بالسعادة ، وجعلك من الشاكرين . من عاقب - أبقاك الله - على الصغير بعقوبة الكبير ، وعلى الهفوة بعقوبة الإصرار ، وعلى الخطأ بعقوبة العمد ، وعلى معصية المقلين ، فقد تناهى في الظلم . ومن لم يفرق بين الأعالي والأسافل ، وبين الأفاصي والأداني ، عاقب على الزنا بعقوبة السرقة ، وعلى القتل بعقوبة القذف . ومن خرج إلى ذلك في باب العقاب ، خرج إلى مثله في باب الثواب . ولا أعلم نارا أبلى في إحراق أهلها من نار الغيظ ، ولا حركة أنقض لقوى الأبدان من طلب الطوائل ، ولا أعظم خسراً ، ولا أخف ميئاناً ، من عداوة العاقل العالم ، وإطلاق لسان الجليس المداخل . والشعار دون الدثار ، والخاص دون العام . والطالب - جعلت فداك - بغرض ظفر ما لم يخرج المطلوب الجبان ، وما لم تقع المنازلة .

٧٤٢ موسى بن عمران : كان من اصحاب النظام ، ذكره الجاحظ في مؤلفاته فوصفه في البخلاء : ٦٣ بالبخلاء وقال في الحيوان (٥ : ٤٦٨) كان هو والكذب لا يأخذان في طريق ؛ وانظر أيضاً البخلاء : ٢٦٢ (فقيه تعريف به) ومواطن أخرى في الحيوان ، ورسائل الجاحظ ٢ : ٢٧٨ . وقد أورد التوحيدي في البصائر ٩ : ١٢٣ (رقم : ٣٩٤) رسالة وجهها موسى إلى الجاحظ يدعوه فيها الى طعام ، فكتب إليه الجاحظ : مجلسك المجلس الذي يمنع المصّر من التوبة ، وينقض عزمة الاواه الحليم ، وأنا علة من قرني إلى قدمي من حملي على نفسي ما ليس من عادتها ، فهب لي نفسي هذا الاسبوع ثم انا بين يديك تفتادني حيث شئت ، فعلت إن شاء الله .

ومن الحزم ألا تخرج إلى العدو إلا^١ ومعك من القوى ما يعمُّ الفضلة التي يتيحها لك^٢ الاخراج ، ولا بُدَّ أيضاً من حزمٍ يُحذِّركَ مصارعَ البغي ، ويخوفُكَ ناصرَ المظلوم .

وبعدُ ، فانت - أبقاك الله - تضرُّ من ألم الغيظِ نفسك ، والغيظُ عذابٌ أليمٌ ، وربما زاد التشفي في الغيظِ ولم ينقصْ منه^٣ . ولستُ على يقينٍ من أن يعودَ سهمك في ضرك ، كما أيقنتَ بموضع الغيظِ من صدرك . والحازمُ لا يلبسُ شفاءَ غيظه باجتلابِ ضغينه ، ولا يطفىءُ نارَ غصبيه بأحرَّ من غضبه ، ولا يسدُّ سهمه إلا والغرضُ ممكنٌ ، والغاية قريبة ، ولا يهربُ والهربُ معجز . إنَّ سلطانَ الغيظِ عُشومٌ ، وإنَّ حُكْمَ الغضبِ جائرٌ ، وأضعفُ ما يكونُ العزمُ عند التصرفِ ، وأضعفُ ما يكونُ العزمُ والغضبُ في طباعِ سلطانِ [الهوى] ، والهوى يتصوَّرُ في صورةِ امرأةٍ ، [و] لا يبصرُ مساقطَ العيبِ ومواقعِ السرفِ إلا كلُّ مُعتدِلٍ الطباعِ ، مستوي الأسبابِ . والله لقد كنتُ أكرهُ سرفَ الرضى مخافة جواذبه إلى سرفِ الهوى ، فما ظنُّكَ بسرفِ الغضبِ وبغلبة الغيظِ ، ولا سيما ممن تعودَ إهمالِ النفسِ ، ولم يعودَها الصبرَ ، ولم يُعرفها موضعَ الحظِّ في تجرُّعِ المرارة ، وأنَّ المرادَ من الأمورِ عواقبها عواجلها . ولقد كنتُ أشفقُ عليك من إفراطِ السرورِ ، فما ظنُّكَ بإفراطِ الغضبِ ؟ وقد قال الناسُ : لا خيرَ في طولِ الراحةِ إذا كان يورثُ الغفلةَ ، ولا في طولِ الكفايةِ إذا كان يؤدي إلى المعجزة ، ولا في كثرةِ العيِّ إذا كان يُخرجُ إلى البلادة .

جُعِلتُ فداك ، إنَّ داءَ الحزنِ ، وإنَّ كان قاتلاً ، فإنَّه داءٌ مماطلٌ ، وسقمه مُطاوِلٌ ، ومعه من التمهُّلِ بقدرِ قسطِهِ من أناةِ المرَّةِ السوداء ، وداءِ الغيظِ سفيهُ

١ إلا : سقطت من م .

٢ ر : كل .

٣ زاد هنا في م ر : ولست منه .

٤ السرف : سقطت من ر .

طِيَّاشٌ ، وَعَجُولٌ فَحَّاشٌ ، يُعْجِلُ عَنِ التَّوْبَةِ ، وَيَقْطَعُ دُونَ الوَصِيَّةِ ، وَمَعَهُ مِنَ الحَرَقِ بِقَدْرِ قِسْطِهِ مِنَ التَّهَابِ المِرَّةِ الحَمْرَاءِ . وَأَنْتَ رُوحٌ كَمَا أَنْتَ جِسْمٌ ، مِنْ قَرْنِكَ إِلَى قَدَمِكَ . وَعَمَلُ الآفَةِ فِي الدَّقَاقِ العِتَاقِ ١ أُسْرَعُ ، وَصَدُّهَا عَنِ العِلَاطِ الجُفَاةِ آكَدُ ، فَلذَلِكَ اشْتَدَّ جَزَعِي لَكَ مِنْ سُلْطَانِ الغَيْظِ وَغَلْبَةِ الغَضَبِ . فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مِقْدَارَ الذَّنْبِ إِلَيْكَ ، مِنْ مِقْدَارِ عِقَابِكَ عَلَيْهِ ، فَانظُرْ فِي عِلَّتِهِ وَفِي مُخْرَجِ سَبَبِهِ ، وَإِلَى مَعْلِنِهِ الَّذِي فِيهِ ٢ نَجْمٌ ، وَعَشِيُّهُ الَّذِي مِنْهُ دَرَجٌ ، وَمَغْرِسِيهِ الَّذِي فِيهِ نَبْتٌ ، وَإِلَى جِهَةِ صَاحِبِهِ فِي التَّابِعِ والنَّزْعِ ، وَفِي التَّسْرُعِ وَالثَّبَاتِ ، وَإِلَى حَالِهِ عِنْدَ التَّقْرِيعِ ٣ ، وَإِلَى حَيَاتِهِ عِنْدَ التَّعْرِيزِ ، وَإِلَى فِطْنَتِهِ عِنْدَ الرُّشْقِ وَالتَّوْرِيَةِ ، فَإِنَّ فَضْلَ الغَيْظِ رَبَّمَا دَلَّ عَلَى فِرْطِ الاكْتِرَاثِ بِكَوْنِ الاقْدَامِ وَالاِحْجَامِ ، فَكَلُّ ذَنْبٍ كَانَ سَبَبَهُ الرَّأْيُ ، أَوْ ضَيْقُ صَدْرٍ وَغَلَقُ طَبَاعٍ ، وَجِدَ مَرَاراً ، أَوْ مِنْ جِهَةِ تَأْوِيلٍ أَوْ مِنْ جِهَةِ الغَيْظِ فِي المَقَادِيرِ أَوْ مِنْ طَرِيقِ فِرْطِ الأَنْفَةِ ، وَغَلْبَةِ طَبَاعِ الحِمِيَةِ مِنْ بَعْضِ الجَفْوَةِ أَوْ لِبَعْضِ الأَثَرَةِ ، أَوْ مِنْ جِهَةِ اسْتِحْقَاقِهِ عِنْدَ نَفْسِهِ ، وَفِيمَا زَيْنَ لَهُ عَمَلُهُ أَنَّهُ مُقَصَّرٌ بِهِ ، مُؤَخَّرٌ عَنْ مَرْتَبَتِهِ ، أَوْ كَانَ مَبْلَغاً عَنْهُ ، أَوْ مَكْذُوباً عَلَيْهِ ، أَوْ كَانَ ذَلِكَ جَائِزاً فِيهِ غَيْرَ مَمْتَنِعٍ مِنْهُ ، فَإِذَا كَانَتْ ذَنْبُهُ مِنْ هَذَا الشَّكْلِ وَعَلَى هَذِهِ الأَسْبَابِ ، وَفِي هَذِهِ المَجَارِي ، فَلَيْسَ يَقِفُ عَلَيْهَا كَرِيمٌ ، وَلَا يَلْتَفِتُ لِفَتْهَا حَلِيمٌ ، وَلَسْتُ أُسَمِّيهِ بِكَبِيرٍ مَعْرُوفِهِ كَرِيماً ، حَتَّى يَكُونَ عَقْلُهُ غَامِراً لِعَلْمِهِ ، وَعَلْمُهُ غَالِباً لَطَبِيعِهِ ، كَمَا أَنِّي لَا أُسَمِّيهِ بِالَّذِي أَرَى مِنْ كَفِّهِ ٤ [عَنْ] القِصَاصِ حَلِيماً ، حَتَّى يَكُونَ عَالِماً بِمَا تَرَكَ ، وَعَارِفاً بِمَا اخْتَذَ . وَاسْمُ الحَلْمِ ٥ جَامِعٌ لِلظُّلْمِ وَالقُدْرَةِ وَالفَهْمِ ، فَإِذَا وَجَدْتَ الذَّنْبَ بَعْدَ ذَلِكَ لَا سَبَبَ لَهُ إِلَّا البِغْضَةَ وَإِلَّا تَشَفَّيْ

١ العتاق : سقطت من م ر .

٢ ر : إليه .

٣ وفي التسرع . . . التقريع : سقط من م .

٤ م : بالذي لكفيه من .

٥ م : حكيماً .

٦ م : الحكيم .

النفس^١ والعنادَ الغالبَ ، فلو لم تَرْضَ لصاحبهِ بعقابِ دونَ قَعْرِ جهنمِ لَعَدَلَك كثيرٌ من العقلاء ، ولصوبَ رأيك عالمٌ من الأشراف . ومتى كانت طبيعتهُ البذاء ، وخليقتهُ الشرارةُ والتسرُّع ، فاقْتَلَهُ قَتَلَ العقارب ، وادمغهُ دَمَغَ رؤوس الحيات . وإذا كان ممن لا يُسَىءُ فيك القول ، ولا يَرِضُكَ بالمكروه ، إلا لِيُعْطِيَهُ على الخوف ، وتمنعَ عِرْضَكَ من جهةِ التقية ، فامنعهُ من جميعِ رفدك ، واحتلْ في مَنَعِهِ من قِبَلِ غيرك . فإنك إن أعطيته على هذه الشريطة ، وأَعْظَمْتَهُ مع هذه الحكومة ، فقد شارَكَتَهُ في سبِ نفسك ، واستدعيتَ الألسنةَ البذيئةَ إلى عِرْضِكَ ، فكنتَ عيناً لهم عليك^٢ ، وباباً لهم إليك . وكيف تعاقبهُ على ذَنْبٍ لك شَطْرُهُ ، وأنت فيه قسيمُهُ ، إلا أنَّ عليك غُرْمَهُ وله غَنْمُهُ ؟ ومن العدلِ المحضِ والانصافِ الصريحِ أنَّ تَحُطَّ عن الحسودِ نصفَ عقابه ، وتقتصرَ به على مقدارِهِ ، لأنَّ أَلَمَ حَسَدِهِ لك قد كفاك مَوُونَةَ شَطْرِ غِيظِكَ عليه .

وأما الوادُّ فلا تَعْرِضْ له أَلْبَتَهُ ، ولا تلتفتْ لِفَتَهُ ، ولو أتى على الحرثِ والنسل ، وجنّاً على الروحِ والقلبِ . ولا تغتَرَّ بقوله إني أودّ ، ولا تحكّم له بدعواه أني جدُّ وامق ، وانظرْ أنت في حديثهِ وإلى مخارجِ لفظهِ ، وفي لَحْنِ قوله ، وإلى طريقهِ وطبعهِ ، وإلى خَلْقِهِ وخليقتهِ ، وإلى تصرُّفِهِ وتصميمهِ ، وإلى توقُّفِهِ وتهوُّرِهِ ؛ وتأمّلْ مقدارَ جَزَعِهِ من قَلَّةِ اكترائه ، وانظرْ إلى غضبِهِ فيك ولك ، وإلى انصرافِهِ عمّن انصرفَ عنك ، وميله إلى من مالَ إليك ، وإلى تسلُّمِهِ من الشرِّ ، وتعرُّضِهِ له ، وإلى مُدَاهَنَتِهِ وكَشْفِ قِنَاعِهِ ، بل لا تقص له بجميع ذلك ما كان ذلك في أيام دُولَتِكَ ، ومع إقبالِ إمرتك ، وإن طالت الأيامُ وكثرتِ الشهور ، حتى تنتظم له الحالاتُ وتستوي فيه الأزمان ؛ نعم ، ثم لا تحكّم له بذلك حتى يكون خَلْقُهُ حالةً مقصورةً على محبتك ، ومُحتويةً عليك وعلى نصيحتك ، بالعللِ التي تُوجِبُ الأفعالَ ، والأسبابِ التي تُسَخِّرُ القلوبَ للمودّات . فإن أنت لم تحكّم له بالعادة

١ م : أسف النفس .

٢ عليك : زيادة من م .

مع احتمال هذه العلة فيه ، ومع توافيها إليه ، ولم تقض له بأقصى النهاية ، مع ترادف هذه الأسباب ، وتكافل هذه الدلائل ، وتعاون هذه البرهانات ، فكلُّ بَيِّنَةٍ إذن زورٌ ، وكل دَلالةٌ فاسدة . وقد قال الأول : إن دلائل الأمور أشدُّ تبييناً من شهادات الرجال ، إلا أن يكون في الخبر دليلٌ ومع الشهادة برهانٌ ، لأن الدليل لا يكذب ولا يوافق ، ولا يزيد ولا يُبدل ، وشهادة الإنسان لا تمنع من ذلك ، وليس معها أمانٌ من فساد ما كان الإمكان قائماً .

فإن جهلت - أعزك الله - علة غضبك ، فتمثل جهل من لا علة له ؛ وإن عجزت عن احتمال عقابك ، فتمثل عجز ما لا يُطاق حمله ، ولا عار على جازع إلا فيما يُمكن في مثله الصبر ، ولا لوم على جاهل فيما لا ينجح في مثله الفكر . وليس هذا أول شرك نصبتُه ، ولا أول كيد أرغته ، وما هي بأول دينية عظمتها وسترتها ، وحيلة أكممتها^١ . وقد كانت التقية أحزم ، والاقتضاء أسلم ؛ بل كان العفو أرحم ، والتغافل أكرم . ولا خير في عقوبة تُشمت العدو القديم ، ويتنادى بها العدو الحادث . والأناة أبلغ من الحزم ، وأبعد من الذم ، وأحمد مغبة ، وأبعد من مخوف العجلة ، وقد قال الأول : عليك بالأناة فإنك على إيقاع ما أنت موقعه أقدر منك على ردِّ ما أوقعته ، وقد أخطأ من قال^٢ : [من البسيط]

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزللُ

بل لو كان قال : المتأني يدرك حاجته أحق ، والمستعجل يفوت حاجته أخلق ، كان قد وفى المعنى حقّه ، وأعطى اللفظ حظّه ، وإن كان القول الأول موزوناً والثاني منشوراً . وليس يُصارعُ الغضب أيام شبابه وغرب نابه شيء إلا

١ ر : أكمتها .

٢ م : ومقتها .

٣ هو القطامي ، انظر ديوانه : ٢٥ .

صَرَعه ، ولا يَنازعُهُ قبل انتهائه وإدباره شيءٌ إلا قَهَرَه ؛ وإنما يُحتالُ له قبل هَيْجِه ، ويُتوثقُ منه قبل حركته ، ويُتقدَّمُ في حَسَمِ أسبابه ، وفي قَطْعِ حِياله ، فإذا تَمَكَّن واستفحل وأذكى ناره واشتعل ، ثم لاقى ذلك من صاحبه قدرةً ، ومن أعوانه سماعاً وطاعةً ، فلو أَسْعَطَه بالتوراة وأوجرتُه بالانجيل ، ولَدَدَتْه^١ بالزبور ، وأفرغت على رأسه القرآن إفراغاً ، وأتيتُه بآدم عليه السلام شفيعاً ، لما قصر دون أقصى قُوَّتِه ، ولتَمَنَّى أن يُعارَ أصنافَ قدرته . وقد جاء في الأثر : إنَّ أقربَ ما يكونُ العبدُ من غضبِ ربِّه إذا غضِب . وقال قتادة : ليس يُسكَنُ غضبُ العبدِ إلا ذكرُهُ غضبَ الربِّ .

فلا تقفْ - حفظك الله - بعد مُضِيكِ في عتابي التماساً للعفو عني ، ولا تُقصرْ عن إفراطك من طريقِ الرحمة لي ، ولكن قِفْ وقفةً من يتَّهمُ الغضبَ على عقله ، والسلطانَ على دينه ، ويعلمُ أنَّ للعقلِ خصوماً ، وللكرمِ أعداءً ؛ وتمسكْ إمساكاً من لا يبرئُ نفسه من الهوى ، ولا يبرئُ الهوى من الخطأ ، ولا تُنكِرْ لنفسك أن تزلَّ ، ولعقلك أن يهفو ، فقد زلَّ آدمُ عليه السلام^٢ وهفاً ، وغرَّهُ عدوُّه ، وخدعَهُ خصمُهُ ، وعيَّبَ باخلافِ عزمه ، وسكونِ قلبه إلى خلافِ ثقته ؛ هذا وقد خلقه الله بيده وأسكنه في دار أمنه^٣ ، وأسجدَ له ملائكتَه ، ورفعَ فوقَ العالمين دَرَجَتَهُ . فلست أسألك إلا ريثما تسكنُ نفسك ، ويرتدُّ إليك ذهنك ، وترى الحلمَ وما يجلبُ من السلامة وطيبِ الأحداثِ .

إنَّ اللهَ ليعلمُ ، وكفى به عليمًا ، وليشهد وكفى به شهيداً ، وكفى بجزاء من يعلمه ما لا يعلم جزاءً وتعرضاً ، وكفى به عند الله بُعداً ومقتاً . لقد أردتُ أن أفديكَ بنفسِي في بعضِ كتبي ، وكنت عند نفسي في عدادِ الموتى وفي حيزِ الهلكى . فرأيتُ أنَّ من الخيانة لك ، ومن اللؤمِ في مُعاملتك ، أن أفديكَ بنفسِ

١ أسعط ، وأوجر ، ولدٌ : كلها أنواع من المداواة .

٢ م ر : صلى الله عليه .

٣ ر : في داره .

مَيْتَةٍ وَأَنْ أُرِيكَ أَنِي قَدْ جُدْتُ لَكَ بِأَنْفَسِ عِلْقِي وَالْعَلْقُ مُعْدُومٌ . وَأَنَا أَقُولُ لَكَ -
 أَبْقَاكَ اللَّهُ - كَمَا قَالَ أَخُو ثَقِيفٍ : مَوْدَةُ الْأَخِ النَّالِدِ وَإِنَّ أَخْلَقَ خَيْرٌ مِنْ مَوْدَةِ
 الطَّارِفِ ، وَإِنْ ظَهَرَتْ بِشَاشَتُهُ وَرَاعَتَكَ جِدَّتُهُ . سَلَّمَكَ اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْكَ ،
 وَحَفَظَكَ وَكَلَّاكَ ، وَكَانَ لَكَ وَمَعَكَ .

٧٤٣ - رسالة أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري تسمى

الإغريضية :

السلام عليك أيتها الحكمة المغربية ، والألفاظ العربية ، أيُّ هواٍ رَقَاكَ ، وأيُّ
 غَيْثٍ سَقَاكَ ، بَرَقُهُ كَالْإِحْرِيزِ^١ ، وَوَدَقُهُ مِثْلُ الْإِغْرِيزِ^٢ ، حَلَّتِ الرَّبْوَةَ ،
 وَجَلَّتِ عَنِ الْمَهْوَةِ^٣ ، أَقُولُ لَكَ مَا قَالَ أَخُو نَمِيرٍ^٤ لِفَتَاةِ بَنِي عُمَيْرٍ^٥ : [مِنَ الْوَاغِرِ]
 زَكَ لَكَ صَالِحٌ وَخَلَاكَ ذَمٌّ وَصَبِحَتْكَ الْإِيَامُنُ وَالسَّعُودُ

لَأَنَا آسَفُ عَلَى قُرْبِكَ مِنَ الْغُرَابِ الْحِجَازِيِّ ، عَلَى حُسْنِ الزِّيِّ ، لَمَّا أَقْفَرَ^٦ ، وَرَكِبَ
 السَّفَرَ ، فَقَدِمَ جِبَالَ الرُّومِ فِي نَوَى^٧ ، أَنْزَلَ الْبِرْسَ^٨ مِنَ الْجَوِّ ، فَالْتَفَتَ إِلَى عِطْفِهِ ،

٧٤٣ هي الرسالة العاشرة من رسائل أبي العلاء ، بتحقيق احسان عباس ، وقد اعتمد في تحقيقها على
 نسخة كوبريللي رقم : ١٣٩٦ والتيمورية رقم : ٢٢٧ وعلى شرح للرسالة لمحمد بن أحمد بن
 يحيى البكر باذي ، بمكتبة عاطف افندي رقم : ٢٧٧٧ وعلى التذكرة الحمدونية وصبح
 الأعشى للقلقشندي .

- ١ الاحريض : العصفر .
- ٢ الاغريض : الطلع .
- ٣ الهبوة : الغبار .
- ٤ أخو نمير : الراعي النميري الشاعر .
- ٥ فتاة بني عمير : امرأة كان الراعي يشبب بها واسمها هند .
- ٦ أقفر : صار في القفر .
- ٧ النو : النوء وهو سقوط النجم أو طلوعه ، والعرب تنسب إليه الامطار .
- ٨ البرس : القطن ، يعني به الثلج هنا .

وقد شمت فأسى ، وترك النعيب أو نسي ، وهبط الأرض فمشى في قيد وتمثل بيت ذرئيد^١ : [من الطويل]

صبًا ما صبًا حتى علا الشيب رأسه فلما علاه قال للباطل ابعده

واراد الإياب في ذلك الجلباب ، فكره الشمات فكمد حتى مات ؛ ورب ولي أغرق في الإكرام ، فوقع في الإبرام ، إبرام السأم ، لا إبرام السلم^٢ . فحرس الله سيدنا حتى تدغم الطاء في الهاء^٣ ، فتلك حراسة بغير انتهاء ، وذلك أن هذين ضيدان ، وعلى التضاد متباعدان ، رخو وشديد ، وهاو وذو تصعيد ، وهما في الجهر والهمس ، بمنزلة غد وأمس . وجعل الله رتبته التي هي كالفاعل والمبتدا ، نظير الفعل في أنها لا تنخفض أبداً . فقد جعلني إن حضرت عرف شاني ، وإن غبت لم يجهل مكاني ، ك «يا» في النداء ، والمخدوف من الابتداء ، إذا قلت زيد أقبل ، والإبل الإبل ، بعدما كنت كهاء الوقف إن ألغيت فواجب ، وإن ذكرت فغير لازب ، إني وإن غدوت في زمان كثير الدد ، كهاء العدد ، لزمت المذكر فأتت بالمنكر ، مع الف يراني في الأصل ، كالف الوصل ، يذكركني لغير الثناء ، ويطرحني عند الاستغناء ، وحال كاهمزة تبدل العين ، وتجعل بين بين ، وتكون تارة حرف لين ، وتارة مثل الصامت الرصين ، فهي لا تثبت على طريقة ، ولا تدرك لها صورة على الحقيقة ، ونوابب ألحقت الصغير بالكبير^٤ ، كأنها ترخيم التصغير ، وردت المستحلس إلى حليس ، وقابوس إلى قبيس ، لأمد صوتي بتلك

١ دريد بن الصمة ، والبيت من الاصمعية رقم : ٣٨ (ط . مصر) .

٢ أبرم السلم إذا ظهر برمه .

٣ الطاء من الحروف الشديدة وهي ثمانية يجمعها قولك (أجذك قطبت) والحروف المهموسة عشرة يجمعها قولك (سكت فحته شخص) .

٤ الرسائل : في .

٥ الرسائل : الكبير بالصغير .

الآلاء ، مَدَّ الكوفيُّ صَوْتَهُ في هَوْلَاءِ^١ ، وَأَخْفَفُ^٢ عن حَضْرَةِ^٣ سَيِّدِنَا الرَّئِيسِ
 الْحَبْرِيِّ^٤ ، تخفيفَ المدنيِّ ما قَدَّرَ عليه من النبر ، إنْ كَاتَبْتُ فلا ملتَمَسَ جواب ،
 وإنْ أَسْهَيْتُ في الشكر فلا طالبَ ثواب . حسبي ما لديَّ من أياديهِ ، وما غَمَرَ من
 فَضْلِ السَيِّدِ الأَكْبَرِ أبيهِ ، أدام اللهُ لهما القدرةَ ما دام الضَّرْبُ الأوَّلُ من الطويلِ
 صحيحاً^٥ ، والمنسرحُ خفيفاً سريحاً^٦ ، وقبضَ اللهُ يمينَ عدوِّها عن كلِّ مَعْنٍ ،
 قَبْضَ العروضِ من أوَّلِ وزنٍ^٧ ، وَجَمَعَ له المهانةَ إلى التقييدِ ، كما جُمِعَا في ثانيِ
 المديدِ^٨ وَقَلِمَ قَلَمَ الفَسِيطِ ، وَخُبِلَ كَسْبَاعِي البَسِيطِ^٩ ، وَعَصَبَ اللهُ الشَّرَّ بهامَةِ
 شانِيهما وهو مخزُوٌّ ، عَصَبَ الوافرِ الثالثِ وهو مجزُوٌّ^{١٠} ، بل أَضْمَرْتُهُ الأَرْضُ
 إِضْمَارَ ثالثِ الكاملِ^{١١} ، وَعَدَّاهُ أَمَلُ الأَمَلِ ، وسلمَ سَيِّدَانَا - أعزَّ اللهُ نصرهما ،

-
- ١ ر : هواء .
 - ٢ م : وأخفف من النيران .
 - ٣ حضرة : سقطت من الرسائل .
 - ٤ ر : الخبر .
 - ٥ الكوفي : حمزة بن حبيب ، والمدني : نافع ؛ والنبر : الهمز ، وكان نافع يتقل حركة الهمزة للحرف الذي قبلها .
 - ٦ ر : لهم .
 - ٧ آخر جزء من البيت يسمى ضرباً ، ويكون دائماً صحيحاً لا يدخله الزحاف .
 - ٨ المنسرح (مستفعلن فاعلات مفتعلن) وهو يسمى منسرحاً لخفته ، وسريح : سهل .
 - ٩ عروض البيت : آخر جزء من نصفه الأول ، وأول وزن هو الطويل ، وعروضه مقبوضة أي سقطت خامس جزء في (مفاعيلن) ؛ المعن : الشيء اليسير الهين .
 - ١٠ مثل قول الشاعر :
 إنما ذكرك ما قد مضى ضلة مثل حديث المنام
 فالقافية مقيدة ، وقبل الروي حرف لين .
 - ١١ قَلِمَ : قطع بسرعة ، الفسيط : ثفروق الثمرة (أي ما يلتزق به القمع من الثمرة) الخبل : سقوط حرفين من سببين مضطربين من جزء سباعي .
 - ١٢ مخزُوٌّ : مَسُوسٌ (من السياسة) والضرب الثالث من الوافر مجزوء ومعصوب .
 - ١٣ الاضمار : سكون الحرف الثاني من متفاعلين .

ومن أحباه وقباه - سلامة مُتَوَسِّطِ^١ المجموعات^٢ ، فإنه آمِنٌ من المُرُوعَاتِ ؛ فقد افتننتُ في نعمهما الرائعة ، كافتنان الدائرة الرَّابِعة ، وذلك أَنَّهَا أُمَّ سَتَّةٍ موجودين ، وثلاثة مفقودين^٣ . وأنا أَعِدُّ نفسي مُرَاسَلَةَ حَضرة سَيِّدنا الجلييلة ، عِدَّةً ثُرِيًّا الليل ، وَثُرِيًّا سهيل^٤ ، هذه القَمَر ، وتلك عُمَر ، وَأَعْظَمُهُ في كلِّ وقتٍ إعظاماً في مقَّة ، وبعض الإعظام في مقَّت ، فقد نصبَ لِلآدابِ قُبَّةً صار الشَّامُ فيها كشامة المعيب ، والعراقُ كعراقِ الشَّعِيبِ^٥ ، أَحسَبَ ظلالُهَا من البُرْدَيْنِ^٦ ، وأغنتِ العالمَ عن الهندين : هندِ الطَّيِّبِ ، وهندِ النَّسِيبِ ، رَبَّةِ الخِمَارِ ، وأربابِ قُمَارٍ^٧ ، أَخْدَانِ النَّجْرِ ، وَخَدِينَةِ الهَجْرِ .

ما حاملة طَوَّقٍ من الليل ، وَبُرْدٍ من المنتجع^٨ مكفوف الذيل ، أوفتِ الأَشْيَاءُ^٩ ، فقالت للكئيب ما شاء ، تُسْمِعُهُ غيرَ مفهوم ، لا بالرَّمَلِ ولا بالمزْمُوم ، كأنَّ سجَّعها قَرِيضٌ ، ومراسلها الغَرِيضُ^{١٠} ، فقد مادَ لشجوها العودُ ، وفقيدُهَا لا يعود ، تندبُ هَدِيلاً^{١١} فات ، وأُتِيحَ له بعضُ الآفاتِ ، بأشوقٍ إلى هديلها من

١ ر : متوسطة .

٢ المجموعات : يراد بها الأوتاد من الشعر . والوتد المجموع : حرفان متحركان بعدهما ساكن

مثل رمى - سعى . فإذا كان الوتد في الوسط سلم من العلل .

٣ تحتوي الدائرة الرابعة على : السريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجث . أما المفقودة فهي اختلاف في الأوزان يصيب الأجزاء والأعاريض والضروب .

٤ ثريا الليل : النجم المعروف ؛ ثريا سهيل : امرأة قرشية تزوجها سهيل بن عبد العزيز المرواني ، وكان عمر يذكرها في شعره .

٥ أي موقع الشام من تلك القبة كشامة المعيب ، وموقع العراق كالراوية أو المزادة ، وعراقها : جلدة تغطي بها عيون الخرز .

٦ أحسب : كفى ؛ البردان : الغداة والعشي .

٧ قمار : بلاد مشهورة بالمسك ، وأهلها مشهورون بتجارة العطور .

٨ م والرسائل : المرتجع .

٩ الأَشْيَاءُ : نوع من الشجر كالنخل .

١٠ الغريض : اسم مغن .

١١ الهديل : فرخ الحمام هلك في عهد نوح .

عَبْدِهِ إِلَى مُنَاسَمَةِ أَنْبَائِهِ ، وَلَا أَوْجَدَ عَلَى إِفْهَامِهَا مِنْهُ عَلَى زِيَارَةِ فِنَائِهِ ، وَلَيْسَ
 الْأَشْوَاقُ ، لِدَوَاتِ الْأَطْوَاقِ ، وَلَا عِنْدَ السَّاجِعَةِ ، عِبْرَةً مُتَرَاجِعَةً ، إِنَّمَا رَأَتْ
 الشَّرْطَيْنِ ، قَبْلَ الْبُطَيْنِ ، وَالرِّشَاءُ^١ بَعْدَ الْعِشَاءِ ، فَحَكَتْ صَوْتَ الْمَاءِ فِي الْخَرِيرِ ،
 وَأَتَتْ بِرَاءً دَائِمَةً التَّكْرِيرِ ، فَقَالَ جَاهِلٌ فَقَدَتْ حَمِيمًا ، وَثَكَلَتْ وَلَدًا قَدِيمًا ،
 وَهِيَهَاتِ يَا بَاكِيَةً أَصْبَحْتَ فَصَدَحْتَ ، وَأَمْسَيْتِ فَنَتَاسَيْتِ ، لَا هَمَامَ لَا هَمَامَ ، مَا
 رَأَيْتُ أَعْجَبَ مِنْ هَاتِفِ الْحَمَامِ ، سَلِمَ فَنَاحَ ، وَصَمَّتَ فَهُوَ مَكْسُورُ الْجَنَاحِ . إِنَّمَا
 الشُّوقُ لِمَنْ يَذْكُرُ^٢ فِي كُلِّ حِينٍ ، وَلَا يُذْهِلُهُ مُضِيُّ السِّنِينَ .

وسَيِّدُنَا - أَطَالَ اللَّهُ بِقَاهُ - الْقَائِلُ النُّظْمَ فِي الذِّكَاةِ مِثْلَ الزَّهْرِ ، وَفِي النِّقَاءِ مِثْلَ
 الْجَوْهَرِ ، تَحْسَبُ بَادِرَتَهُ النَّجَاحَ^٣ ارْتَفَعَ عَنِ الْحِجَاجِ^٤ ، وَغَابِرَتَهُ الْحِجْلَ^٥ فِي الرَّجْلِ
 يَجْمَعُ بَيْنَ اللَّفْظِ الْقَلِيلِ ، وَالْمَعْنَى الْجَلِيلِ ، جَمَعَ الْأَفْعُوَانَ فِي لِعَابِهِ بَيْنَ الْقَلَّةِ وَفَقْدِ
 الْبِلَّةِ^٦ ، حَشْنٌ وَلَا نَ وَفَمَا هَانَ ، لَيْنُ الشُّكْرِ يَدُلُّ عَلَى عُنُقِ الْمُحْضِيرِ^٧ ، وَحَرْشُ
 الدِّينَارِ^٨ ، آيَةٌ كَرَّمَ النَّجَارَ ، فَصَنَفَ الْأَشْعَارَ بَعْدَهُ كَأَلْفِ السَّلْمِ ، يُلْفِظُ بِهَا فِي
 الْكَلَامِ ، وَلَا تَثْبُتُ لَهَا هَيْئَةٌ بَعْدَ اللَّامِ ، خَلَّصَ مِنْ سَبْكَ النِّقْدِ خُلُوصَ الذَّهَبِ مِنْ
 اللَّهَبِ ، وَاللَّجِينَ مِنْ يَدِ الْقَيْنِ ، كَأَنَّهُ لَالٌ ، فِي أَعْنَاقِ حَوَالٍ ، وَسِوَاهُ لَطٌّ ، فِي عُنُقِ
 ثَطٍّ^٩ ، مَا خَانَتْهُ قُوَّةُ الْخَاطِرِ الْأَمِينِ ، وَلَا عَيْبَ بَسْنَادٍ^{١٠} وَلَا تَضْمِينَ ، وَأَيْنَ الثَّرَّةُ مِنْ

- ١ الشيطان : من منازل القمر ؛ من الكواكب الشامية وكذلك البطين ؛ والرشاء من منازل القمر وهو من الكواكب اليمانية .
- ٢ م : يذكر ؛ ر : يتذكر .
- ٣ البادرة : البديهة والسابقة ، التاج : الاكليل .
- ٤ الحجاج : العظم الذي ينبت عليها الحاجب .
- ٥ الغابرة : الباقية ، الحجل : الخللخال .
- ٦ البيلة : من قولهم بل المريض أو أبل لذا برىء .
- ٧ الشكير (هنا) : ما كان حول ناصية الفرس من الشعر ؛ المحضير : الفرس الشديد الجري .
- ٨ حرش الدينار : خشونته .
- ٩ اللط : قلادة من حنظل ؛ الثط : الذي لا شعر في وجهه .
- ١٠ السناد : عيب من عيوب الشعر ؛ والتضمين أن لا يتم معنى البيت إلا مع ثان له .

العثرة^١ ، والغَرْقَدُ من الفَرْقَدِ^٢ ، فالساعي في أثره فارسُ عصا بصير^٣ ، لا فارسُ عَصَا قصير^٤ ، وأنا ثابتٌ على هذه الطَوِيَّةِ^٥ ثباتَ حَرَكََةِ البناءِ^٦ ، مقيمٌ تلكَ الشهادةَ بلا استثناء ، غنيٌّ عن الأيمانِ فلا عدم ، مُقيمٌ على ما قُلْتُ فلا حَنْثَ ولا نَدَمَ ، وإنما تُحِبُّ الدُّرَّةُ للحسناءِ الحرةِ ، ويجاد باليمينِ ، في العلقِ الثمينِ ، ما أنفسه خاطراً اقترى الفِضَّةُ من القِضَّةِ ، والوصاةُ من مثلِ الحِصاةِ^٧ ، وربما نزعت الأَشْبَاهُ ، ولم يُشْبِهْ المرءُ أباه ، ولا غرو لذلك : الخضرة^٨ أمُّ اللهبِ ، والخمرةُ بنتُ الغريبِ^٩ . وكذلك سيدنا : وَلَدٌ من سِحْرِ المتقدِّمينِ ، حكمةٌ للحنفاءِ المتديِّنينِ . كم له من قافيةٍ تَبَيَّنِي السُّودُ^{١٠} ، وتثنى الحسودُ ، كالميتِ من شربِ العاتقةِ الكميتِ ، نُشورُهُ قريبٌ ، وحسابُهُ تَثريبٌ^{١١} . أين مُشْبَهُو الناقَةِ بالفدْلَمي^{١٢} ، والصحصحُ برداءُ الرَّدَنِ^{١٣} ، وجب الرَّحِيلُ ، عن الرَّبْعِ المحيلِ . نُشأُ بعدهم واصفٌ ، غودروا له كالمناصفِ^{١٤} ، إذا سمع الخافضُ صفته للسهبِ الفسيحِ ، والرَّهْبِ الطليحِ^{١٥} ، ودَّ أَنْ

-
- ١ النثرة : من منازل القمر .
 - ٢ الغرقد : ضرب من الشجر كثير الشوك .
 - ٣ عصا بصير : العصا التي يتوكأ عليها الأعمى .
 - ٤ عصا قصير : اسم فرس قصير الذي انتقم من الزباء لجذيمة وفيه جرى المثل «العاقل من يجري العصا في أول القوم» .
 - ٥ ر : الطويلة .
 - ٦ البناء يثبت على حال واحدة من فتح أو ضم أو كسر .
 - ٧ الفضة : الحصى الصغار ؛ الوصاة : اسم من الوصاية .
 - ٨ م : والخضرة .
 - ٩ الغريب : العنب الأسود .
 - ١٠ السود أراد السوُّود .
 - ١١ الثريت : التعبير والتبكيث .
 - ١٢ الفدن : القصر أو القنطرة .
 - ١٣ الصحصح : الأرض الواسعة . الردن : الخز .
 - ١٤ المناصف : الخدم .
 - ١٥ الخافض : الذي يعيش في دعة ، الرهب : الناقة الهزيلة ، الطليح : المعيبة .

حشيتُهُ بين الأحناء ، وخلوقُهُ عصيمُ الهناء^١ ، وحكمَ بالقودِ في الرُقودِ ، وصاغَ
بُرى ذواتِ الأرسانِ ، من بُرى البيضِ الحسانِ^٢ ، شنفًا لدُرِّ النحورِ وعيونِ الحُورِ ،
وشغفًا يدُرُّ بكِيٍّ وعينِ مثلِ الرُكيِّ^٣ ، وإعراضاً عن بُدُورِ ، سكنَ في الخُدُورِ ، إلى
حُولِ كأهليَّةِ المحولِ^٤ ، فهنَّ أشباهُ القسيِّ ونعامِ السِّيِّ . وإن أخذَ في نَعَتِ الخيلِ فيا
خَيْبَةً من سَبِّه الأوايدِ بالتقييدِ ، وشبَّه الحافرَ بقَعْبِ الوليدِ^٥ ، نعتاً عَبَطَ به المهجينُ
المنسوبَ ، والبازيُّ اليعسوبَ^٦ ، إذ رزقَ من الخيرِ ما ليس لكثيرٍ من سباعِ الطَّيرِ ،
وذلك أنَّه على الصَّغْرِ سَمِيٌّ بعضُ الغُرِّ . وقد مضى حَرَسٌ ، وخَفَتَ جَرَسٌ^٧ ،
وللقالِعِ أبغضُ طالعِ ، والأزرقُ يُجَنِّبُكَ عنه الفَرَقُ^٨ . فالآنَ سَلِمَتِ الجبهُةُ من
المعضِ ، وشملَ بعضُها بركاتُ بعضِ^٩ ، فأيقنَ النطيحُ أنَّ رَبَّهُ لا يَطِيحُ ،
والمهقوعُ نجا راكبُهُ من الوقوعِ^{١٠} ، فلن يُحَرَّبَ قائدُ المُعَرَّبِ^{١١} ، ولن
يرجَلُ سائِسُ الأَرَجَلِ^{١٢} . والعبابُ وإن لحق الكعابُ ، ناكبٌ عن ناقلاتِ

- ١ الحشية : الفراش ينام عليه ؛ الأحناء : خشب الرحل ؛ عصيم الهناء : بقية الفطران .
- ٢ القود : جمع أقود وهو الطويل العنق ؛ البرى : الحلقة في أنف البعير ، والسوار أو الخلخال .
- ٣ الشنف : البغض ؛ الدر : اللبن ؛ بكِيٍّ : قليل ؛ الركي : البئر .
- ٤ الحول : جمع حائل ، وهي التي لم تحمل ، وأهله المحول تكون أخفى من غيرها .
- ٥ سبه : أذهل ؛ الأوايد : الوحوش ، وحافر الفرس يشبه بالقعب ، قال الشاعر :
لها حافر مثل قعب الوليد تتخذ الفار فيه مغاراً
- ٦ المهجين : الذي أبوه عتيق والام ليست كذلك ؛ المنسوب : المذكور نسبه ، واليعسوب ذكر النحل أو نوع من الجعلان .
- ٧ أي سمي يعسوباً وهو الغرة تكون على قصبه الأنف ؛ الحرس : برهة من الدهر ؛ الجرس : الصوت .
- ٨ القالع : دائرة في ملبد الفرس .
- ٩ الجبهُة : اسم لجماعة الخيل ؛ المعض : من معضت الرجل إذا ذكرته بما يفضيه .
- ١٠ النطيح : الفرس له دائرة مائلة عن وجهه ، يطيح ؛ يهلك ؛ المهقوع : الفرس الذي به دائرة المقعة وهي في عرض الزور .
- ١١ يحرب : يصاب بالحرب أي الغضب ؛ المغرب : الذي شمل البياض وجهه وراسه .
- ١٢ يرجل : يترجل : الأرجل : الفرس في إحدى رجليه بياض .

المراكب^١ . وقالت خيْفَانَةٌ امرئ القيس الدَّبَاءَةَ ، لراعي المباءة ، والأثْفِيَةَ للقدر الكفِيَّةِ^٢ ، نَقْمًا على جاعلٍ عُدْرَهَا كقرونِ العروس ، وجبهتها كمحذَفِ التروس^٣ ، وأنى للكندي ، قواف كهجمة السعدي^٤ : [من الوافر]

إذا اصطكَّتْ بِضَيْقِ حَجْرَتَاهَا تَلَاقَى العسجدِيَّةُ واللطيمُ^٥

فالقسيب^٦ في تضاعيف النسيب ، والشبابُ في ذلك التشبيب ، ليس رَوِيُّهُ بمقلوب ، ولكنه من إرواء القلوب . قد جمع أَيْلَ ماء الصَّبَا ، وصليلَ ظِمَاءِ الطُّبَا^٧ ، فالمصراعُ كوذيلةِ الغريبة ، حَكَتِ الزِينَةَ والرِّيَّةَ ، وَأرَتِ الحسَنَاءَ سَنَاهَا والسَّمِجَةَ ما عناها^٨ . فأما الراح فلو ذكرها لشفت من الهرم ، وانتفتت من الكرم إلى الكرم ، ولم ترضَ دنانَ العقار ، بلباس القار ، ونسيجَ العناكبِ على المناكب ، ولكن تَكَسَّى من وَشِي ثياباً ، ويجعل طلاؤها زرياباً^٩ . ولقد سمعته ذَكَرَ خِيْمَةً يغط المسك أن يكون جَارَهَا من الشِّيَامِ ، ويود سعدُ الأَخْيِيَّةِ أنه سعدُ الخيام^{١٠} .

-
- ١ العاب : العيب ؛ الكعاب مثل الكعاب ؛ ناكب : حائذ .
 - ٢ الخيْفَانَةُ : صفة للجراد أي فيها لوان وقيل هي الضامرة ؛ الدبَاءَةُ : القرعة ، تشبه بها الفرس الأثْنَى؛ المباءة : المنزل ، القدر الكفِيَّةُ: الكافية أربابها بطبيخها وقد تكون المكفِيَّةُ التي كفتت.
 - ٣ العذر : خصل الشعر ، قرون العروس : ذوائبها ، التروس : جمع ترس ، والمقصود قول امرئ القيس :
- لها جبهة كسرة المجن حذفها الصانع المقتدر
- ٤ المهجمة : ما بين الستين الى المائة من الابل ، والسعدي من سعد بن زيد مناة .
 - ٥ حجرتاها : جانبها ، العسجدية : الابل المنسوبة الى فحل اسمه العسجد ، واللطيم : فحل آخر .
 - ٦ القسيب : صوت الماء الجاري .
 - ٧ الأيل : صوت الماء ؛ الصليل : صوت الحديد ، الطبا : السيوف .
 - ٨ الوذيلة : المرآة ، الغريبة : المرآة في غير موطنها وهي تعتمد على المرآة لأنها لا تكذبها ، فهي تري الحسناء حسننها ، والسَمِجَةُ سماجتها .
 - ٩ الزرياب : شيء يدخل في الصور والنقوش ويقال إنه ذهب .
 - ١٠ الشيام : التراب ، سعد الأَخْيِيَّةِ : أحد السعود الاربعة التي ينزلها القمر .

ووقفتُ على مختصر إصلاح المنطق الذي كاد بِسِمَاتِ الأبواب ، يغني عن سائر الكتاب ، فعجبتُ كلَّ العَجَبِ من تقييد الأجمال بطلاء الأجمال^١ ، وقلَّب البحرِ إلى قَلْتِ النحر^٢ ، وإجراء الفراتِ ، في مثل الأخرات^٣ ، شَرْفًا له تصنيفاً شفى الريبَ ، وكفى من ابن قُرَيْبٍ^٤ ، ودلَّ على جوامع اللغة بالإيماءِ ، كما دلَّ المضمُرُ على ما طال من الأسماءِ ، أقول في الإخبار ، أمرتُ أبا عبد الجبار ، فإذا أضرته عُرِفَ متى قُلْتُ أَمْرَتُهُ ، وأبلَّ من المرضِ والتمريضِ ، بما أسقَطَ من شهودِ القريضِ ، كأنهم في تلك الحال ، شهدوا بالمحال ، عند قاضٍ عَرَفَ أمانتهم بالانتقاض على حقٍّ عِلْمُهُ بالعيان ، فاستغنى فيه عن كلِّ بيان .

وقد تأملتُ شواهدَ «إصلاح المنطق» فوجدتها عشرة أنواع ، في عِدَّةِ إخوة الصديق ، لما تظاهروا على غير التحقيق^٥ ، وتزيد على العشرة بواحد ، كأخِ ليوسفَ لم يكن بالشاهد . والشعرُ الأوَّلُ ، وإن كان سببَ الأثرِ ، وصحيفةُ المأثرة^٦ فإنه كذوبُ القالةِ نموُّ الإطالة ، وإنَّ «قفا نبك» على حسنها وقدم سنِّها ، تُتَقَرُّ بما يُبطلُ شهادةَ القول الرضى ، فكيف بالبغى الأثنى ؟ قاتلها الله عجزاً لو كانت بشريَّة ، كانت من أغوى البرية . وقد تمادى بأبي يوسف^٧ - رحمه الله - الاجتهادُ ، في إقامة الأَشْهاد ، حتى أنشد رجلاً لضب^٨ ، وإنَّ معداً من ذلك لجدُّ مُغْضَب . أعلى فصاحته يستعان

١ الطلاء : خيط يشد به الحمل .

٢ القلت : كل نقرة في الجسد (شبهت بقلت الصخرة وهي نقرة) .

٣ الخرت : ثقب الابرة .

٤ ابن قريظ هو الأصمعي .

٥ م ر والرسائل : غير حقيق .

٦ الاثرة : إثارة الرجل بالشيء ؛ المأثرة : المكرمة .

٧ أبو يوسف : ابن السكيت صاحب إصلاح المنطق .

٨ رجز الضب :

أصبح قلبي صردا لا يشتهي ان يردا .

بالقرض^١ ، ويُستشهد بأحناش الأرض^٢ ؟ ما رؤبة^٣ عنده في نفي^٣ ، فما قولك في ضب^٤ دامي الأظفير ؟ ومن نظر في كتاب يعقوب وجده كالمهمل ، إلا باب ، فَعَلْ وَفَعَلْ ، فَإِنَّهُ مُؤَلَّفٌ عَلَى عَشْرِينَ حَرْفًا : سِتَّةٌ مُدْلَقَةٌ ، وَثَلَاثَةٌ مُطَبَّقَةٌ ، وَأَرْبَعَةٌ مِنَ الْحُرُوفِ الشَّدِيدَةِ^٥ ، وَوَاحِدٌ مِنَ الْمَزِيدَةِ^٦ ، وَنَفِثَيْنِ : النَّاءِ وَالذَّالِ^٧ ، وَآخِرُ مُتَعَالٍ^٨ ، وَالْأَخْتَيْنِ الْعَيْنِ وَالْحَاءِ ، وَالشَّيْنِ مُضَافَةً إِلَى حِيَّزِ الرَّاءِ ، فَرحم الله أبا يوسف لو عاش لفاظَ كمدًا ، أو احفاظَ^٩ حسدًا ، سبق ابنُ السكيتِ ثم صار كالسكيت^{١٠} ، وسمقَ ثم حارَ وتدا للبيت ، كان الكتابُ تبرأ في ترابِ معدن ، بين الحثِّ والمتدن^{١١} ، فاستخرجه سيّدنا واستوشاه ، وصقله فكرُهُ ووشاه^{١٢} ، فَعَبَطَهُ النَّيرَاتُ عَلَى التَّرْقِيشِ ، وَالْآلِ النَّقِيشِ ، فَهُوَ مَحْبُوبٌ لَيْسَ بِهَيِّنٍ ، عَلَى أَنَّهُ ذُو وَجْهَيْنِ ، وَمَا نَمَّ قَطُّ وَلَا هَمٌّ ، وَلَا نَطَقَ وَلَا أَرَمَ^{١٣} . قد ناب في كلام العرب الصميم ، منابَ مرآة المنجم في علم التنجيم ، شَخَّصُهَا ضَعِيلٌ مَلْمُومٌ ، وَفِيهَا الْقَمْرَانِ وَالنَّجُومِ .

وأقولُ بعدُ في إعادة اللفظ : إِنَّ حُكْمَ التَّأْلِيفِ فِي ذِكْرِ الْكَلِمَةِ مَرَّتَيْنِ كَالْجَمْعِ فِي النِّكَاحِ بَيْنَ أُخْتَيْنِ ، الْأُولَى جِلُّ يُرَامُ ، وَالثَّانِيَةُ بَسْلٌ حَرَامٌ . كَيْفَ يَكُونُ فِي

- ١ القرض : قول الشعر .
- ٢ أحناش الأرض : صغار دوابها .
- ٣ في نفي^٣ : في عدد ، أي أن معداً لا يعد رؤبة شيئاً .
- ٤ المدلقة : الراء واللام والنون والفاء والباء والميم ؛ والمطبقة الصاد والضاد والطاء .
- ٥ الحروف الشديدة : الميم والذال والكاف والطاء .
- ٦ هو حرف السين .
- ٧ النفثان : الذال والطاء لأنهما من حروف النفث ، يضاف إليهما الطاء .
- ٨ أي حرف القاف لأنه من حروف الاستعلاء .
- ٩ احفاظ : انتفخ .
- ١٠ السكيت : آخر فرس يجيء في الحلبة .
- ١١ الحث : التراب اليابس . المتدن : اللبن الذي يلصق بعضه ببعض .
- ١٢ استوشاه : استخرجه ، وشاه : نقشه .
- ١٣ أَرَمَ : سكت .

الهودج لميسان ، وفي الجمعة^١ خميسان؟ يا أمَّ الفتياتِ ، حسبك من الهنود ، ويا
أبا الفتيانِ شرَّعك^٢ من السعود ، عليك أنت بزینب ودَّعد ، وسمَّ أيها الرجلُ
بسوى سعد ، ما قلَّ أثيرٌ ، والأسماءُ كثير . مثلُ يعقوب مثلُ خوذٍ كثيرة الحُلبي ،
ضاعفتهُ على التراق ، وعطلت الخصرَ والساق .

كان يومِ قدومِ تلكِ النسخةِ يومَ ضريب^٣ ، حشر الوحوش^٤ مع الإنس ،
وأضاف الجنسَ إلى غير الجنس ، ولم يحكم على الظباء بالسباء ، ولا رمى
الآجالَ بالأوجال ، ولكنَّ الأضداد تجتمع فتسمع ، وتنصرف باللذات^٥ أذاة .
وإنَّ عبده موسى لقيني نقاباً^٦ ، فقال هلُمَّ كتاباً ، يكونُ لك شرفاً ،
ويموالتك في حضرة سيدنا معترفاً ، فتلوت عليه هاتين الآيتين ﴿إِنَّ لَكَ الْأَلَّ
تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَإِنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ (طه : ١١٨-١١٩)
وأحسبه رأى نورَ السوِّدِ فقال لمخلفيه ، ما قال موسى صلَّى اللهُ عليه لأهليه
﴿إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هَدًى﴾ (طه : ١٠) .
فليت شعري ما يطلب ، اقبسَ ذهبٌ أم قَبَسَ هَبٌ ؟ بل يتشرف بالأخلاق الباهرة
ويتبركُ بالأحساب الطاهرة : [من البسيط]

بَاتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلَى يَقْتَبِسْنَ^٨ لَهَا جَزَلَ الْجَذَا غَيْرَ حَوَارٍ وَلَا دَعِرٍ^٩

وقد آب من سَفَرَتِهِ الأولى ومعه جذوةٌ من نارٍ قديمة إن لَمِسَتْ فنارُ إبراهيم ،

-
- ١ الرسائل : السبة .
 - ٢ شرعك : حسبك .
 - ٣ الضريب : الثلج .
 - ٤ الرسائل : الانس .
 - ٥ الآجال : القطعان ، مفردها إجـل .
 - ٦ م ر و الرسائل : بلذات .
 - ٧ تقول : لقيته نقاباً إذا لم تعلم به حتى يلقاك .
 - ٨ م و الرسائل : يلتمسن .
 - ٩ الحواطب : الاماء اللواتي يحتطن ، والجزل : ما غلظ من الحطب ، والجذا : جمع جذوة ،
الحوار : الذي لا قوة له ، والدعر : الكثير الدخان .

وإن أُونِسَتْ فَنَارُ الكَلِيمِ ؛ واجتني بهاراً حَبَّتْ به المَرازِبُ كَسرى ، وَحُمِلَ في فَكَاكِ الأَسرى ، وأدرك نوحاً مع القوم ، وبقي غَضاً إلى اليوم ، وما انتجع موسى إلا الرُّوضَ العَمِيمِ ، ولا اتبع إلا أصدق مَغمِمْ^١ .

وورد عبده الزهيري^٢ من حضرته المطهرة كأنه زهرة نقيع^٣ ، أو وردة ربيع ، كثيرة الورق ، طيبة العرق ، ليس هو في نعمته كالرَّيمِ ، في ظلالِ الصَّرِيمِ^٤ ، والجباب في السحاب المنجاب^٥ ، لأنَّ الظلام يُسْفِرُ والغمامَ يَنسِفِرُ^٦ ، ولكنه مثل النون في اللُجَّةِ ، والأعقر تحت جَرَبَةٍ^٧ .

وقد كنتُ عَرَفْتُ سيدنا فيما سَلَفَ أَنَّ الأدبَ كعهود في إثرِ عهود ، أروت النجاد فما ظنك بالهود ؟ وأتيتُ نزلتُ من ذلك الغيثِ بيلدٍ طَسَمِ كَأَثْرِ الوَسْمِ^٨ ، مَنَعَهُ القراعُ من الإمراع^٩ ، يا بُوسَ بني سِدُوسَ ، العدو حازب ، والكلا عازب^{١٠} ؛ يا حِصْبَ بني عبد المدان ، ضان في الحُرَيْثِ وضأن في السَّعدان^{١١} ، فلما رأيتُ ذلك أتعبتُ الأظْلَ^{١٢} ، فلم أجد إلا الخنظل ، فليس في اللبيد إلا الهبيد^{١٣} ، جنيته من شجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ؛ لبِنُ الإبلِ عن المرارِ مُرٍّ ، وعن الأراكِ طيبٌ حُرٌّ .

١ مغميم : لبسه الغيم .

٢ الرسائل : الزهري .

٣ نقيع : موضع يستنقع فيه الماء ؛ وفي ر : بقيع .

٤ الصريم : الليل أو الرمل المنقطع من غيره .

٥ الجباب : حمار الوحش ، المنجاب : المنكشف .

٦ ينسفر : ينحسر .

٧ النون : السمكة ؛ الأعقر : ظبي يعلو بياضه حمرة ؛ وجربة : من أسماء السماء .

٨ البلد الطسم : الدارس ، الوسم : لا ينبت شيئاً .

٩ القراع : أحداث الوسم ؛ الإمراع : الإخصاب .

١٠ حازب : قريب . عازب : بعيد .

١١ ضأن ترعى الحريث ، فهي صغرى ، وضأن ترعى السعدان (وهي الإبل) فهي كبرى .

١٢ الأظْل : باطن الخف .

١٣ اللبيد : الجوالق أو الخرج ، الهبيد : حب الخنظل .

هذا مثلي في الأدب ، فأما في النَّشْب ، فلم يَزَلْ لي بحمد الله وبقاء سيدنا^١ بُلْغَتَانِ: بلغة صَيْرٍ وَبُلْغَةٌ وَفَرٌ ، أنا منهما بين الليلة المرعية ، واللُّقُوحِ الرَّبِيعِيَّةِ^٢ هذه عامٌ ، وتلك مالٌ وطعام ، والقليلُ سَلَّمَ إلى الجليل ، كالمصلي يُرِغُ الضُّوءَ بأسباغِ الوضوء ، والتكفيرِ بادامةِ التعفير ، وقاصدُ بيت الله يغسلُ الحُوبَ^٣ بطولِ الشُّحُوبِ .

وأنا في مكاتبِ حضرة سيدنا الجلييلة ، والميل عن حضرة سيدنا الأجلِّ والدِه - أعزَّ الله نصره - كسباً بن يَعْرُبٍ لما ابتهلَ في التقربِ إلى خالقِ النورِ ومصرفِ الأمورِ ، نظر فلم يَرِ أشرفَ من الشمسِ يداً ، فسجدَ لها تعبُّداً ، وغيرُ مَلُومٍ سيدنا لو أعرَضَ عن شقائقِ النعمانِ الرَّبِيعِيَّةِ ، ومدائحه اليربوعية^٤ ، مَللاً عن أهلِ البلدِ المضافِ إلى هذا الاسمِ ، فغيرِ معتذرٍ ، من أبغضَ لأجلهم بني المنذرِ ، وهم إلى حضرته السنويةِ رجالانِ : سائلٌ وقائلٌ ، فأما السائلُ فالحَّ ، وأما القائلُ فغيرِ مستمليح ، وقد سترتُ نفسي عنها سَتْرَ الخميصِ بالقميصِ ، وأخي الحِترِ بسجوفِ السِّترِ ، فظهر بي فضله الذي مثله مثلُ الصبحِ إذا تصرَّفَ الحيوانُ في شوؤنه ، فخرج من بيته اليربوعُ ، وبرز عن الملكِ من أجلِ الربوعِ . وقد يُولَعُ الهَجْرَسُ بأن يجرسَ في البلدِ الجَرْدُ قَدَامَ أَسَدٍ وَرَدٍ^٥ ، وإني خبِرتُ أن تلك الرسالة الأولى عرِضتُ بالموطنِ الكريمِ^٦ ، فأوجب ذلك رحيلَ أختها ، مُتَعَرِّضَةً لمثلِ بَحْتِهَا ، وكيف لا تنقع ، وفي اليمِ تقع ؟ وهي بمقصدِ سيدنا فاخرة ، ولو نُهِيتِ الأولى لانتهتِ الآخرة .

١ الرسائل : سيدي .

٢ اللقوح : التي تنتج ، الربعية : التي تنتج في الربيع .

٣ الحوب : الاثم .

٤ المدائح اليربوعية : قصائد النابغة ، لأنه من بني يربوع .

٥ م والرسائل : متعذر .

٦ الهجرس : ولد الثعلب ، يجرس : يصوت ، جرد : منجرد من الثبت ، الورد : الضارب الى الحمرة .

٧ الرسائل : الاكرم .

٧٤٤ - ومن رسائل أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمداني المعروف ببيديع

الزمان المسماة بالمقامات :

حدثنا عيسى بن هشام قال : كنتُ وأنا في عنقوان^١ سني ، أشدُّ رحلي لكلِّ عَمَايَةٍ^٢ ، وأُرِكِضُ طِرْفِي إلى كلِّ غَايَةٍ^٣ ، حتى شربت العَمَرَ سَائِعَةً ، ولبستُ للدهرِ^٤ سَابِغَةً . فلما صاحَ النهارُ بجانبِ ليلى ، وجمعتُ للمعادِ ذَيْبِي ، وَطُطْتُ ظهرَ المروضة^٥ ، لأداءِ المفروضة ، وصحبتني في الطريق رقيقٌ ما أنكره^٦ من سوء . فلما تجالينا ، خبرنا بحالينا ، أسفرت^٧ القصةُ عن أصلِ كوفيٍّ ، ومذهبِ صوفيٍّ . وسرنا فلما حللنا المدينة^٨ ملنا إلى دارِةٍ ودخلناها^٩ ، وقد بَقَلَ وَجْهُ النهارِ واخضرَّ جانبه ، فلما اغتمض جَفْنُ الليلِ وَطَرَ شارِبُهُ ، قُرِعَ علينا البابُ ، فقلنا من [القارِع] المنتاب ؟ فقال : وقدُ الليلِ وبُرَيْدِهِ ، وفلُّ الجوعِ وطريدُهُ ، وَحَرُّ قَادَهُ الضَّرُّ والزمنُ المرُّ ، وضيْفٌ وطوهُ خفيفٌ ، وضالَّتُهُ رَغيفٌ ، وجارٌّ يستعدي على الجوعِ ، والجيبُ المرقوعِ ، وغريبٌ أُوقِدَتِ النارُ في أثرِهِ^{١١} ، وأُنْبِحَ العواءُ على سفرِهِ^{١٢} ، ونبذت خلفَهُ الحِصَاةَ^{١٣} ، وكُنِسَتْ بعده العَرَصَاتُ ، نَضُوهُ طليحُ ،

١ المقامات : وأنا فتي السن .

٢ م : غاية .

٣ المقامات : غواية .

٤ المقامات : من الدهر .

٥ المقامات : انصاح .

٦ المروضة : الدابة التي تعرضت للرياضة .

٧ المقامات : لم أنكره .

٨ المقامات : سفرت .

٩ المقامات : أحلتنا الكوفة .

١٠ م : فدخلناها .

١١ المقامات : على سفرِهِ ، وإيقاد النارِ اثر المسافرِ ، ونبذ الحصى ، وكنس الفناء . . . كلها

كنايات عن الدعاء عليه بعدم العودة .

١٢ المقامات : على أثرِهِ .

١٣ المقامات : الحِصِيَّاتُ .

وعيشه تبريح ، ومن دون فَرَحِيهِ مهامُهُ فيح .

قال عيسى بن هشام : فقَبَضْتُ من كيسي قبضةً الليث ، وبعثت بها إليه ، وقلت : زدنا سؤالاً ، نزدك نوالاً . فقال : ما عَرَضَ عَرَفُ العُودِ على أحرَّ من نار الجود ، ولا لُقِيَّ وفدُ البرِّ بأحسنَ من بريدِ الشكر ، ومن ملك الفضل فليواس ، فلن يذهب العُرفُ بين الله والناس^٢ . وأما أنت فحَقَّقَ اللهُ آمالكَ ، وجعل اليد العُليا لك . قال عيسى بن هشام : ففتحنا له البابَ [وقلنا له ادخل] فدخل ، فإذا هو والله شيخنا أبو الفتح الإسكندري . فقلت : يا أبا الفتح شدُّ ما بَلَغَتْ بك الخِصاصةُ ، [وهذا الزي خاصة] . فتبسم ثم أنشأ يقول : [من مجزوء الخفيف]

لا يَغُرُّكَ الذي أنا فيه من الطَّلَبِ
أنا في ثروة يَشُقُّ قُ لها بُرْدَةُ الطَّرَبِ
أنا لو شئتُ لاتخذتُ شنوفاً من الذهب

٧٤٥ - ومما أنشأه عبدالله أبو القاسم ابن محمد الخوارزمي وسماه الرَّحَلُ :

وصيةٌ لكل لبيب ، متيقِظٌ أريب ، عالم أديب ، يكرهُ مواقفَ السقطات ، ويتحفَّظُ من مصادِفِ الغَلطات ، ويتلطف من مُخزِياتِ الفَرَطات ، أن يدَّعي

٧٤٥ صاحب هذه الرسالة (أو الرحلة) هو عبدالله بن محمد بن علي أبو القاسم الخوارزمي الملقب بالكامل ، وكان معاصراً للحريري صاحب المقامات وقد كتب ست عشرة رحلة هذه إحداها ، وقد سقطت ترجمته من معجم الأدياء ، وأوردها ابن الفوطي ٥ : ٨٨ (ط. لاهور) وانبأه الرواة ٢ : ١٣٦ والوافي ١٧ : ٥٤١ وقد أعدتها إلى موضعها من معجم الأدياء (ترجمة رقم : ٦٧٠) لأن الذين أوردوا ترجمته نقلوا عن ياقوت ، وأوردت هنالك رحلته هذه (ص : ١٥٥٢-١٥٥٩) .

١ المقامات : وبعثتها .

٢ هو من قول الخطيئة : لا يذهب العرف بين الله والناس .

دون مقامه ، ويقتصر من تمامه ، وَيَغُضُّ من سهامه ، ويظهر بعض شكيمته ،
 ويساوم بأيسر قيمته ، ويستتر كثيراً من بضاعته ، ويكتم دقيق صناعته ، ولا يبلغ
 غاية استطاعته ، وأن يعاشر الناس بأصدق المناصحة ، وجميل المسامحة ، وأن لا
 يحمّله الإعجاب بما يحسنه ، على الازدراء بمن يستقرنه ، والافتراء على من
 يعترضه ويلسنه ، ليكون خبره أكثر من خبره ، ونظرته أروع من منظره ،
 ويكون أقرب من الإعذار ، وأبعد من الخجلة والانكسار : [من الطويل]

فليس الفتى من قال إني أنا الفتى ولكنه من قيل أنت كذلك
 ومن مدع ملكاً بغير شهادة له خجلة إن قيل أن لست مالكا

ولقد نصرتُ بالانتضاع ، على ذي نباهة وارتفاع ، وذلك أني أصعدتُ في بعض
 الأيام ، مع جماعة من العوام ، بين ناجرٍ وزائرٍ وتاجرٍ وتامر^١ إلى الغريِّ والحائر^٢ ،
 حتى انتهينا إلى قريةٍ شارعة ، أهلةٍ زارعة ، وما منا إلا من أملتته السُميرية^٣
 فأغرضته ، وأسقمته فأمرضته ، وفترتُه فقبضته ، فكثرتُ منا الجوارُ ، واستولى علينا
 الدُّوارُ ، فخرجنا منها خروجَ المسجون ، وقد تقوَّسنا تقويسَ العرجون ،
 فاسترحنا بالصعود ، من طولِ القعود : [من الرجز]

كأننا الطيرُ من الأقفاصِ ناجيةً من أحبلِ القنَّاصِ
 طيبةُ الأنفسِ بالخلَّاصِ منفضَّاتِ الريشِ والعنَّاصي^٤

فما استتمتِ الراحةُ ، ولا استقرتُ بنا الساحة ، حتى وقف علينا واقفٌ
 وهتف بنا هاتِفٌ : أيكم ابن الخوارزمي ؟ فقالوا له : ذلك الغلام المنفرد ،

١ وثاجر وتامر : زيادة من ر .
 ٢ الغري والحائر : قبر الامام علي ومشهده .
 ٣ السميرية : نوع من السفن .
 ٤ العناصي : جمع عنصبة ، وهي الخصلة من الشعر بقدر القنزعة ، ياقوت : النواصي .

والشابُّ المستند ، فأقبلَ إليَّ وسلَّمَ عليَّ وقال : إنَّ الناظرَ يَستزيرُك ، فليَعبجَلْ إليهِ
مسيرُك . ففقتُ معهُ ، يتقدَّمُني وأتبعهُ ، حتى انتهى إلى جِلَّةٍ من الرجال ، ذوي
بهاءٍ وجلالٍ ، وزينةٍ وكَمالٍ ، من أشرفِ الأمصارِ ، وأعيانِ ذوي الأخطارِ ، من
أهلِ واسطِ وبغدادِ ، والبصرةِ والسوادِ : [من الطويل]

تري كلَّ مرهوبِ العمامةِ لآثها على وجهِ بدرٍ تحته قلبُ ضيغمِ

فقام إليَّ ذو المعرفةِ لإكرامهِ ، وساعده الباقون على قيامهِ ، وأطال في سؤالهِ
وسلامهِ ، وجذبوني إلى صدرِ المجلسِ فأبيتُ ، ولزمتُ ذُناباهِ واحتبيتُ ، وأخذوا
يستخبرونني عن الحالِ ، والمعيشةِ والمالِ ، وداعيةِ الارتحالِ ، وعن النيةِ والمقصدِ ،
والأهلِ والولدِ ، والجيرانِ والبلدِ : [من الطويل]

وما منهمُ إلاَّ حَقِيَّ مسائلٍ وواصفُ أشواقٍ ومُثْنٍ بصالحِ
ومستشفعٌ في أن أُقيمَ ليالياً أروحُ وأغدو عندهُ غيرِ بارحِ

ثم قال قائلهم : هل لقيتَ عينَ الزمانِ وقلبه ، ومالكَ الفضلِ وربَّه ، وقليبَ
الأدبِ وغرْبَه ، وإمامَ العراقِ ، وشمسَ الآفاقِ ؟ فقلت : ومن صاحبُ هذه
الصفةِ المهولةِ ، والكنايةِ المجهولةِ ؟ فقالوا : أو ما سمعتَ بكاملِ هيتِ ، ذي
الصوتِ والصيتِ ؟ : [من السريع]

ذاك الذي لو عاش قس إلى زمانِهِ ذا وابنُ صوحانِ
وابنِ دُرَيْدٍ وأبو حاتمِ وسيبويهِ وابنُ سعدانِ
وعامرُ الشعبيِّ وابنُ العلاِ وابنِ كُرَيْزِ وابنِ صفوانِ
قالوا فخاراً كلُّهمُ إنهُ سيدنا إذ قال غلماني

فقلت لهم : قلدتُم المِنَّةَ ، وهيَّجتمُ الحَنَّةَ ، إلى لقاءِ هذا العالمِ المذكورِ ، والسَيِّدِ
المشهورِ ، وقد كانت الرياحُ تأتيَنِي بنفحاتِ هذا الطيبِ ، وهَدَّرِ هذا الخطيبِ ،

فالآن لا أتر بعد عين ، سأصبح لأجله عن سرى القين ، اغتناماً للفائدة ، والنعمة
الباردة ، ووجداناً للضالة الشاردة : [من الخفيف]

أين أمضي وما الذي أنا أبغي بعد إدراكي المنى والطلابا
فإذا ما وجدت عندكم العد م قريباً فما أريد الثوابا
أذهبوا أنتم فزوروا علياً لأزور الهيئ والآدابا
لن أبالي إن قيل إن الخوارز مي أخطا في فعله أو أصابا

فقلت الجماعة : بل أصبت ، ووجدت ما طلبت ، وقديماً كنا ننشر أعلامك ،
ونتمنى اتفاقك ، وتداول أوصافك ، ونحب مضافك ، ونكثر لديه ذكرك ،
ونعظم لديه قدرك ، فيتحرك منه ساكنه ، ويتقلقل بك أمانه ، ونسأل الله
سبحانه أن يجمع بينك وبينه بمحضنا ، وتلاميح عينك عينه بمنظرنا ، فيلتف
غبارك بغباره ، ويمتزج تيارك بتياره ، ويختلط مضمامك بمضماره ، فنعرف
منكما السابق والسكيت ، والسودانق والكعيت^١ ، ويتبين من الذي يحوي
القصب ، ومن يشتكي العصب ، فانكما قال الشاعر : [من الوافر]

هما رُمحان خطيان كانا من السمر المتفقه الصعاد
تهال الأرض أن يطأ عليها بمثلهما نسالم أو نعادي

فقلت : لقد تنكبتم الانصاف ، وأخطأتم الاعتراف ، وأبعدتم القياس ، وأوقعتم
الالتباس ، أين ابن ثلاثين إلى ابن ثمانين ، وأين ابن اللبون من البازل الأمون ؟
والمهر الرازح ، من الجواد القارح ، والكودن المبروض ، من المجرب المروض ؟
[من البسيط]

١ السودانق : الصقر أو الشاهين ، والكعيت : البليل .

وابنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لُزَّ فِي قَرْنٍ لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبُرْلِ الْقِنَاعِيسِ

كيف لريب بطائحٍ وسباخ ، وساكنِ صرائفٍ وأكواخ ، بين سوادية أنباط ،
وعلوج أشراط ، ورعاع أخلاط ، وسفلٍ سقاط ، في بلدةٍ إن جاوزتُ سورها ،
وعبرتُ جسورها ، صحتُ واغربتا ! وإن رأيتُ وجهاً غريباً ناديتُ واأبتاه ، لا
أعرف غير النبطية كلاماً ، ولا ألقى سوى والذي إماماً ، في معشرٍ ما عرفوا الترحال ،
ولا ركبوا السروجَ والرِّحال ، ولا فارقوا الجدارَ والظلالَ والأطلال : [من الوافر]

أولئك معشرٌ كبناتِ نعشٍ خوالفٌ لا تغورُ مع النجوم

بمصالوة رجلٍ جوال ، رحالٍ حلال ، بهيتَ وضع ، وبالكوفةٍ أرضع ، وببغداد
أنغر ، وبواسط أجفر ، وبالحجاز وتهامة فطامه ، وبمصرَ والمغرب كان احتلامه ،
وبنجديّ والشّام بقلّ عارضه ، واشتدت عوارضه ، وباليمن وعمان قويت
نواهضه ، وبخراسان بلغ أشده ، وببخارى وسمرقندَ تناهى جدّه ، وبغزنة والهند
شابَ واكهل ، ومن سيحون وجيحون علّ ونهل ، وبميسان والبصرة عودَ
وقرح ، وبالجبال جلةً وجلح ، فهو يعدُّ المازني إمامه ، وابن جنيّ غلامه ، والمتنبي
من روايته ، والمعريّ حاملَ دواته ، والصابي باري قلمه ، والصاحب رافع علمه ،
وبني مقلّة ناقلِ غاشيته ، وبني أبي حفصة بعضَ حاشيته ، وقد قرأ الكتب
وتلاها ، وحفظ العلوم ورواها ، ودرس الآداب ووعاها ، ودونَ الدواوينَ
وألفها ، وأنشأ الحكمَ وصنّفها ، وفصلَ المشكلاتِ وشرحها ، وارتجلَ الخطبَ
ونقّحها ، فهو البحرُ المورودُ ، والإمامُ المقصودُ ، والعلمُ المصمودُ ، هذا بونٌ
بعيدٌ ، ومرتمى شديد : [من المتقارب]

أَتَلَقُونَ بِالْأَعْزَلِ الرَّاحِمَا وَيَالِ الْكَاشِفِ الْخَاسِرِ الدَّارِعَا

وبالكودن السابق السابجا وبالمنجل الصارم القاطعا

فما استتم كلامنا حتى مثل ، فإذا نحن به قد طلع مُهْرُولاً ، وأقبل مستعجلاً ،
فرايتُ رجلاً أجلح ، أهتم أفلح أفتح أروح ، طويلاً عنطنط ، يحكي ذنباً أمعط ،
أخمع أخبط ، فتلقوه مُعْظَمين ، وله مفخمين ، فقص في المجلس صدره ، وأسند
إلى المِخْدَةَ ظهره . فما استقر به المكان ، حتى قيل له : هذا فلان ، فقبض من
أنفه ، ونظر إليَّ بِشْطَرٍ من طرفه ، وقال ببعض فيه ، هَلُمُوا ما كتتم فيه ، تعساً
للسوءاء وجالبيها ، والقرعاء وقالبها : [من المنسرح]

جاء دريدٌ مجرراً رَسَنَه فحلُّ فلا تَمَنَعَنَه سَنَه
أحبه قومه على شَوِه إنَّ القرني لأُمِّها حسنه

فقال : كان لنا شيخٌ بالأخبار ، كثيرُ الأخبار ، قد بلغ من العمر أملاًه ، ومن السن
أعلاه ، قرأتُ عليه جميعَ الكتاب ، وعلمَ الأنساب ، وأدبَ الكتاب ، وشعر
الأعراب ، ومعاني الزجَّاج ، ومسائل ابن السراج ، وديوانَ العجاج ، وكتابَ
الإصلاح ، وشروحَ الايضاح ، وشعرَ الطرماح ، والعينَ للفرهودي ، والجمهرة
للأزدي ، وأكثرَ من المصنفات المجهولات والمعروفات . ينفخ في شفاشقه ،
ويزيد في بواقه ، ويتعاطم في مخارقه . وجعل القومُ يقسمون بيننا الألفاظ ،
ويحسنون الألفاظ ، وما منهم إلا من اغتاض ، لسكوتي وكلامه ، وتأخري
واقدامه ، ثم هَدَى الشيخ إذ وُصِفَ له رجلٌ على الغيب ثم رآه ، فاحتقره
وازدراه ، وأنشد متمثلاً : [من الوافر]

لعمر أبيك تسمع بالمعيدي بعيد الدار خير أن تراهُ

وقال : هذا المُعَيْدِيُّ هو ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم بن

١ ياقوت : إنَّ القرني في عين امها حسنة (اقرأ : بعين امها) .

مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرة بن أد بن طابخة بن الياس
ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، والمعيديُّ تصغير معدِّي وهو الذي قالت فيه
ناديته : [من الرجز]

أنعى الكريم النهشلي المصطفى أكرم من خندف أو تخندفاً

فقلت : ما بعد هذا المقال ، وجةً للاحتمال ، وما يجب لي بعد هذه الواقعة ، غير
المكافحة ، ولم يبق بعد المكاذبة من مراقبة : [من الرجز]

ما علتي وأنا جلد نابل والقوس فيه وتر عنابل
ترن من تحريكها المعابل
ما علتي وأنا [جلد] جلد والقوس فيه وتر عرد
مثل ذراع البكر أو أشد

فعطفت عليه عطفة الثائر العاسف ، والتفت إليه التفاتة الطائر الخائف ، فقلت
له : يا أبا هيت ، قد قلت ماشيت ، فأجب الآن إذ دُعيت ، والزم مكانك ،
وغض عنانك ، وقصر لسانك : إن نادبة ضمرة خندفته ، لما وصفته ، وما سمعتُ
في نسبتك إياه لخندف ذكراً ، فأبى عن ذلك عذراً ، فقال : إن خندف هي امرأة
إلياس بن مضر غلبت على بنيتها فنسبوا إليها كطهية ومزينة ، وبلعدوية وعرينة ،
والسلكة وجهينة ، وندبة وأذينة ، وكشيب بن البرصاء وبلعرجاء ، فقلت :
سئلت فأجبت ، وقلت فأصبت ، فأخبرني عن خندف ، هل هو اسم موضوع ،
أو لقب مصنوع ؟ فوقف عند ذلك حماره ، وخمدت ناره ، وركد جريانه ،
وسكن هديانه ، وقر غليانه ، وظهر حرانه ، وذلل وانقمع ، وانطوى واجتمع ،
فاضطره الحياء ، وألجأه الاستخفاء ، إلى أن قال وهو يخفي لفظه ، ويُطرق
لحظه ، أظنه لقباً . فقلت : هو كما ظننت فما معناه وما سببه ؟ وكيف كان
موجبه ؟ ولم يجد بداً من أن يقول : لا أدري ؛ فقال وقد أدفته مرّ الإماتة ،

وأحسّ من القوم بتظاهرِ الشماتة : [من الطويل]

وودّ بجذع الأنف لو أنّ صحبه تناذوا وقالوا في المتاح له قم

ثم أقبلوا إليّ ، وانعكفوا عليّ ، بأوجهٍ متهللة ، وألسن متوسّلة ، في شرح الحال ، والقيام بجوابِ السؤال ، فقلت : هذا بديعٌ عجيب ، أنا أسألُ وأنا أجيب ؟ إنَّ إلياس بن مضر تزوج ليلي ابنة تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاة بن معدّ (في بعض النسب) فولد له منها عمرو وعامرٌ وعمير ، ففقدهم ذات يوم فأنحى على ليلي باللوم ، فقال : أخرجني في أثرهم ، وأتيني بخبرهم . فمضت في طلبهم ، وعاتت بهم ، فقالت : ما زلت أُخندِفُ في ابتغائهم ، حتى ظفرتُ بلقائهم . فقال لها إلياس : أنت خندف ، والخندفة في الاتباع ، تقاربُ خطوٍ في إسراع . وقال عمرو : يا أبة ، أنا أدركت الصيدَ فلويته ، فقال له : أنت مدركة إذ حويته . وقال عامر : أنا طبخته وشويته ، فقال له : أنت طابخة إذ شويته ، فقال عمير : وأنا انقمعت في الخباء ، فقال له : فأنت قمعةٌ للاحتباء . فلصقت بها وبهم هذه الألقاب ، وجرت بها إليهم الأنساب . فقال حينئذ : هذا علمٌ استفدته ، وفضلٌ استفدته ، وقد قال الحكيم : مذاكرة ذوي الألباب ، نماء الآداب . فقلت له متمثلاً : [من الطويل]

أقولُ له والرمحُ يَاطِرُ مَتْنَهُ تأمل خفافاً إنني أنا ذلكا

ثم لم يحتبس إلا قليلاً ، ولم يمتسك طويلاً ، ولم يرَ من رأيٍ فتياً ، حتى عاد إلى هديره ، وأخذ في تهذيده ، طمعاً أن يأخذ بالثار ، ويعود الفصُّ له في القمار ، فعدل عن العلوم النَّسَبِيَّةِ ، وجال في ميدانِ العربية ، ولم يحسَّ أن باعَهُ فيها أقصر ، وطرْفَهُ دونَ حقائقها أَحْسَرُ ، فقال : حضرت يوماً حلبةً من حَلَبَاتِ العلوم ، وموسماً من مواسم المنثورِ والمنظوم ، وقد غصَّ بكلِّ خطيبٍ مصقع ، وحكيم مقنع ، وعالم مصدع ، ومليء من كلِّ عتيق صَهَّال ، وفنيق صَوَّال ،

ومنطبق جَوَّالٌ ؛ فأخذوا في فنونِ المعارضاتِ ، وصنوفِ المناقضاتِ ، وسلكوا في معاني القريض ، كلَّ طويلٍ وعريض ، حتى إذا أخذ السائلُ منهم بالمخنق ، بيت الفرزدق : [من الطويل]

وعضَّ زمانٌ يا ابنَ مروانَ لم يدعُ من المالِ إلاَّ مسحاً أو مُجَلَّفُ

ثم لم يحتبس فيه إلا قليلاً ، فكثُر فيه الجدال ، وطال المقال ، وما منهم أحدٌ أجاد القياسَ ، وأصاب القرطاس ، ووقع على الطريق ، وأتى بالتحقيق . فلما رأيتهم وهم في غمرتهم ساهون ، وفي ضلالتهم يعمهون ، ناديتهم إليَّ فأرعوا ، ومنِّي فاستمعوا ، فأني ابنُ بجدته ، وعالمٌ ما تحت جلدته ، ثم إني أبيتُ لهم أسرارَه ، وأثقتُ ناره ، وحللت عقده ، ومخضتُ زُبده ، واطرتُ لبده ، وبجستُ حَجَرَه ، وأبثثتهم عَجَرَه وُجَرَه . فقالوا : لله أبوك ، فإنك أسبقنا إلى غاية ، وأكشفنا لغاية ، وأجلانا لشبهة ، وأضوانا في بدْهة ، وما أعلمُ اليومَ على ظهرها من يقومُ بعلم ما فيه ، ويطلُّعُ على خافيه . فأذكري الامتعاظ ، وأخذني الانتفاض ، فأنشدته : [من البسيط]

من ظن أن عقول الناس ناقصة وعقله زائدٌ أزرى به الطمعُ

ثم قلت له : ادعيتَ فوق ما وَعَيْتَ ، فأخبرني عن أوَّلِ هذا البيت : يا مُجْرِي الكميت ، وكيف تنشده وعضَّ بالفتح أو وعَضُّ بالضم ؟ فقال : كلاهما مروِيٌّ ، فقلت : تبتديءُ بالفعل ثم تعود إلى الاسم إذا الاعجاب ، تهبياً للسائل في الجواب ، وأخبرني : لم فتحتَ آخِرَ الماضي ؟ فأسرَّعَ من غير التفاضي فقال : لأنه مبنيٌّ عليه ، لا يضافُ سواه إليه . فقلت : هذا الجواب نعلمه ، ومن صبيان المكتب لا نَعْدُمُه ، وإنما أَلْتَمَسُ منك الفائدةَ فيها ، وأطلبُ كشفَ خافيتها . فقال : ما جاء عن أئمة النحاة ، وسائر الرواة ، في هذا غير ما شرحته ، ولا زادوا على ما أوضحتُه . فقلت : دعُ عنك هذا ، وأخبرني عن هذا البناء : أَلِئَلَّةٌ أم لغيرها ؟ فأقبلَ يتردَّدُ ويتزحزحُ ، ويتشاءب تارةً ويتنحج ، فلما سدَّ عليه من طريقه ، وحصل في مضيقه ، وغصَّ بريقه ، قال : لا أعلم . فقالت الجماعة :

أَعَذَرَ إِلَيْكَ مِنْ أَلْقَى سِلَاحَهُ ، وَغَضَّ جَمَاحَهُ ، وَمَنْ أَدْبَرَ بَعْدَ إِقْبَالِهِ ، عُدِلَ عَنْ قِتَالِهِ : [من الكامل]

والحقُّ أبلجُ لا يخيَلُ سبيلُهُ والحقُّ يعرفُهُ ذُوو الألبابِ

والآن فقد فازتُ قِدَاحُكَ ، وبانتُ غُرُوكَ وأوضحاك ، وأجدتُ المصَالَ ، وأدركتُ الخصالَ ، فأوضحُ لنا عما سألتُ ، وأرشدنا إلى ما دللتُ لفلانِ يقالُ : هذا بهتٌ ، ومحالٌ بحت . فقلتُ : حباً وكرامةً ، اسمع أنت يا طغامةً : إنَّ الفعلَ من فاعله ، كالوليدِ من ناجِلِهِ ، لا يخلو الفعلُ من علامةِ فاعلٍ ، في لفظِ كلِّ قائلٍ ، وهي الفتحُ من ماضيه وواقعه ، والزوائد في مستقبله ومضارعه ، وبيان ذلك أنَّ الفتحَ من ماضيه لا تكون مع التاء والنون ، فنقول : اخرج فتثبتُ الفتحَ ، ثم تقولُ أخرجتُ وأخرجتُنا فيسقط ما ذكرنا ، وعلامتان لمعنى محالٍ ، لا يوجبهما الحالُ ، فإن كانت النون التي مع الألف ضميرَ المفعول ، عادت الفتحَةُ فتقولُ : أخرجنا الأميرُ ، فهذا بين منير . فصفتك الجماعة وشمختُ ، وحسنتُ وبخبختُ ، وجعل الأديب يضطربُ اضطرابَ العصفور ، ويتقلبُ تقلبُ المصغور ، متيقناً أنَّ أسدَهُ صار جُرذاً ، وأنَّ بازيه صار صرداً ، ودُرَّةُ انقلبتُ مَخشَلَباً ، وزيتونه تحولَ غَرَباً ، وقناه تَغَيَّرَ قصباً ، وأنَّ مستقيمهُ تعوَّجَ ، وجيده تبهرجَ ، وصحيحه تدرجُ ، وحديده تكرَّجُ ، فقال منشدهم : [من الوافر]

ترى الرجلَ النحيفَ فتزدريه وتحت ثيابه أسدٌ مزيرُ
ويعجبك الطيرُ فتبتليه فيخلفُ ظنُّكَ الرجلُ الطيرُ
فما عظمُ الرجالِ لهم بفخرٍ ولكنَّ فخرهمُ كرمٌ وخيرُ

فأخذه الإبلاسُ ، وضاقَت به الأنفاسُ ، وسكنت منه الحواسُّ ، ورفضه الناسُ ، وجعل ينكتُ الأرضَ ، ويواصلُ لكفِّهِ العَضَّ ، ويتشاءم بيومه ، ويعود على نفسه

١ هامش ر : من ماضيه وواقعه .

بلومه ، يمسح جبينه ، ويكثر أتينه . فقامت معي الجماعة وتركته ،
واستهانت به وفركته ، فلما بقي وحده ، تمنى لحده ، وأسبل دمعته ، وودَّ أن
الأرض بلعته : [من الطويل]

وكان كمثل البو ما بين روم يلوذ بحقويه السراة الأكبر
فأصبح مثل الأجر الجلد مفرداً طريداً فما تدنو إليه الأباغر

فقام فتبني ، ووقف وودعني ، وأطال الاعتذار ، وأظهر التوبة والاستغفار ،
وقال : مثلك من سد الخلل ، وأقال العثرة والزلل ، فقد اغتررت من سنك
بالحدائة ، ومن زيك بالراثاة ، ومن أخلاقك بالدماثة . فقلت : كل ذلك مفهوم
معلوم ، وأنت فيه معذور لا ملوم ، وما جرى بيننا منسي غير مذكور ، ومطوي
غير منشور ، ومخفي غير مشهور : [من الكامل]

وجدال أهل العلم ليس بقادح ما بين غالبهم إلى المغلوب

ثم سكت فما أعاد ، ونزلت وعاد ، وكان ذلك أول عهد به وآخره ، وباطن لقاء
وظاهره ، وكل اجتماع وسائره . (وبعد ذلك شعر ألغيت ذكره) .

٧٤٦ - ومما أنشأه أبو محمد القاسم بن علي الحريري من مقاماته :

حكى الحارث بن همام قال : ملت في ريق زمني^١ الذي غير ، إلى مجاورة
أهل الوبر ، لآخذ أخذ نفوسهم^٢ والسيتهم العريية ، فشمرت تشمير من لا يالو
جهداً ، وجعلت أضرب في الأرض غوراً ونجداً ، إلى أن اقتنيت هجمة من

٧٤٦ هذه هي المقامة الوبرية ، انظر شرح الشريشي على مقامات الحريري ٣ : ٢٩٧ (والرمز ش لهذا
الشرح) .

١ ريق الزمان : أوله ورائقه .

٢ آخذ أخذ نفوسهم : اقتدي بهم .

الراغية^١ ، وثلة^٢ من الثاغية^٣ ، ثم أويت إلى عرب أرداف أقيال^٤ ، وأبناء أقوال^٥ ، فأوطنوني أمتع جناب ، وفلوا عني حدّ كلّ ناب ، فما تأوّنني عندهم همّ ، ولا قرّع صفاتي سهم ، إلى أن أضللت في ليلة منيرة البدر لقمحة غزيرة الدرّ ، فلم أطب نفساً بالغاء طلبها ، وإلقاء جبلها على غاربها ، فتدثرتُ فرساً محضاراً^٦ ، واعتقلتُ لدناً خطّاراً ، وسريتُ ليلتي جمعاء أجوب البيداء ، وأقترتني كلّ شجراً ومرداء^٧ ، إلى أن نشر الصبح راياته ، وحيعلّ الداعي إلى صلاته ، فنزلتُ عن متن الركوبة لأداء المكتوبة . ثم جلتُ في صهوتها ، وفررتُ عن شحوتها ، وسرتُ لا أرى أثراً إلا قفوتها ، ولا نشراً إلا علوتها ، ولا وادياً إلا جزعته ، ولا راكباً إلا استطلعته ، وجدّي مع ذلك يذهب هدرّاً ، ولا يجدُ ورده صدرّاً ، إلى أن حانت صكة عمي^٨ ، ولفح هجير يذهل غيلان عن مي ، وكان يوماً أطول من ظلّ القناة ، وأحرّ من دمع المقلات^٩ ، فايقنت أنني إن لم أستكنّ من الوقدة وأستجمّ بالرقدة ، أدنفتني اللغوب ، وعلقتُ بي شعوب ، فعججتُ إلى سرحة كثيفة الأغصان وريقة الأفنان ، لأغورّ تحتها إلى المغيربان^٩ . فوالله ما استروح نفسي ، ولا استراح فرسي ، حتى نظرتُ إلى سانح ، في هيئة سائح ، وهو ينتجع نجعتي ويشتد إلى بقعتي ، فكرهت انعياجه إلى معاجي ، واستعدتُ بالله من شرّ كل مفاحي . ثم ترجّيتُ أن يتصدّي مُنشدّاً ، أو يتبدّي مرشداً ، فلما اقترب من

- ١ الهجمة : قطيع نحو مائة . الثلة : قطيع من الغنم ، الراغبة : الابل ، الثاغية : الشاة .
- ٢ أرداف أقيال : يخلفون الملوك اذا غابوا .
- ٣ قال الحريري : أي فصحاء ، والأقوال هم الملوك أيضاً .
- ٤ تدثر : وثب على ظهر الفرس ، المحضار : الشديد العدو .
- ٥ الاقتراء : التبع ، الشجاء : ذات الشجر ، المرءاء : الخالية من النبات .
- ٦ الشحوة : الخطوة .
- ٧ صكة عمي : قائم الظهيرة .
- ٨ المقلات : المرأة التي لا يعيش لها ولد .
- ٩ المغيربان : تصغير المغرب .

سَرَحْتِي وَكَادَ يَحُلُّ بِسَاحَتِي ، أَلْفَيْتَهُ شَيْخَنَا السَّرُوجِيَّ مَتَشَحًّا بِجِرَابِهِ ، وَمَضْطَغْنًا
 أَهْبَةً تَجَوَّابَهُ ١ ، فَانْسَنِي إِذْ وَرَدَ ، وَأَنْسَانِي مَا شَرَدَ ، ثُمَّ اسْتَوْضَحْتُهُ مِنْ أَيْنَ أَثَرُهُ ،
 وَكَيْفَ عَجْرُهُ وَبُجْرُهُ ٢ ، فَانْشُدْ بِدِيهَا ، وَلَمْ يَقُلْ إِيْهَا : [مِنْ الْخَفِيفِ]

قُلْ لِمَسْتَطَلَعِ دَخِيلَةَ أَمْرِي لَكَ عِنْدِي كَرَامَةٌ وَعِزَاةٌ

(وهي أبيات تركت إثباتها هاهنا حتى لا أكدر صفاء بلاغته في مثوره بتقصيره في منظومه). قال: ثم رفع إلي طرفه، فقال: لأمر ما جدع قصير أنفه. فأخبرته خبر ناقتي السارحة، وما عانيتُ في يومي والبارحة، فقال: دع الالتفات إلى ما فات، والطماح إلى ما طاح، ولا تأس على ما ذهب، ولو أتته وإد من ذهب، ولا تستمل من مال عن ربحك، وأضرم نار تباريحك، ولو كان ابن بوحك^٣ أو شقيق روجك، ثم قال: هل لك في أن تقيل، وتتحامى القال والقليل؟ فإن الأبدان أنضاء تعب، والهجرة ذات لب، ولن يصقل خاطر، ويُنشط الفاتر، كقائلة الهواجر، وخصوصاً في شهري ناجر، فقلت: ذاك إليك، وما أريد أن أشق عليك. فافترش التراب واضطجع، وأظهر أن قد هجع، وارتفتت على أن أحرس ولا أنعس، فأخذتني السنة حين زمت الألسنة، فلم أفق إلا والليل قد تولى، والنجم قد تبلج، ولا السروجي ولا المسرج. فبت ليلة نابغية، وأحزان يعقوبية، أساور الوجوم، وأساهر النجوم، تارة أفكر في رجلتني، وأخرى في رجعتني، إلى أن وضح لي عند افتراق ثغر الضو، في وجه الجو، راكب يخد في الدو؛ فألعت إليه بثوبي، رجاء أن يعرج إلى صوبي، فلم يعبأ بالماعي، ولا أوى لالتياعي، بل سار على هينته، وأصماني بسهم إهانتته، فأوفضت إليه لأستردفه، وأحتمل تغطره، فلما أدركته بعد الأين، وأجلت فيه مسرَح العين، وجدت ناقتي مطبته، وضالتي لقطته، فما

١ مضطغنا: حاملاً تحت حضنه.

٢ عجره وبجره: جميع أمره الظاهر والباطن.

٣ ابن بوحك: ولدك لصلبك.

كذبتُ أن أذريتُهُ عن سنامها ، وجاذبته طَرَفَ زمامها ، فقلت له : أنا صاحبُها ومُضِلُّها ، ولي رَسُلُها ونَسُلُها ، فلا تكن كَأشعب ، فَتُعَبَّ وتَتُعَبَّ . فجعل يلدغ ويصي^١ ويتَّقِحُ ولا يستحي ، وبيننا هو يَنزُو ويلين^٢ ، ويستأسد ويستكين ، إذ عَشِينَا أبو زيد لابساً جِلْدَ النمر^٣ ، وهاجماً هجوم السيل المنهمر ، فحفتُ والله أن يكون يومُهُ كأمسه ، وبدرُهُ مثلَ شمسهِ ، فألحق بالقارظين^٤ ، وأصيرَ خَبِراً بعد عَيْن . فلم أَرِ إِلَّا أن أذكرتُهُ مودتَهُ المنسيَّةَ ، وفعلتُهُ الأُمسيَّةَ ، وناشدتُهُ الله أوفى للتلافي ، أم لما فيه إتلافي ، فقال : معاذَ الله أن أجهز على مَكْلومي ، وأصلَ حروري بِسْمومي^٥ ، وإنما وافيتُكَ لأخْبِرَ كُنْهَ حالكِ ، وأكونَ يميناً لشمالك . فسكن عند ذلك جاشي ، وانجابَ استيحاشي ، فأطلعتُهُ طَلَعَ اللقحة ، وتبرَّقَعَ صاحبي بالِقِحَّةَ ، فنظر إليه نظر ليثِ العريسة إلى الفريسة ، ثم أشرع قِبَلَهُ الرمح ، وأقسم له بمن أنارَ الصبح ، لئن لم ينجُ مِنجَى الذُّباب ، ويقنعَ من الغنيمة بالإياب ، ليوردنَ سنانهُ وريده ، وليفجعنَّ به وليده ووديده . فنبد زمام النَّاقَةِ وحاص ، وأفلت وله حُصاص^٦ ، فقال لي أبو زيد : تسلَّمها وتسنَّمها ، فإنها إحدى الحُسْنَيْنِ ، وويلٌ أهونُ من ويلين .

قال الحارث بن همام : فحرتُ بين لَوْمِ أبي زيدٍ وشكرهِ ، وزنةٌ نفعهِ بِضْرُهُ ، فكأنَّه نُوجِي بِذاتِ صدري ، أو تكهَّنَ ما خامرَ سرِّي ، فقابلني بوجه طليق وأنشد بلسانٍ ذليق : [من مجزوء الرمل]

- ١ هذا مثل يضرب لمن يظلم ويشكو .
- ٢ ينزو ويلين : يتعزز ثم يندل (وهو مثل) .
- ٣ أي متمراً في جرأة .
- ٤ القارظان : مضرب المثل في الذي يذهب ولا يعود .
- ٥ ش : العهود .
- ٦ ش : والفعله .
- ٧ الحرور : الريح الحارة ليلاً ؛ والسموم الريح الحارة نهاراً .
- ٨ الحصاص : العدو ، والجملة مثل .

يا أخي الحاملَ ضيمي دونَ إخواني وقومي
إن يكن ساءك أمسي فلقد سرَّك يَوْمِي
فاغتفر ذاك لهذا واطَّرحُ شكري ولَوْمِي

ثم قال : أنا تَقَّ وأنت مَيَّق فكيف نتفق^١ ؟ ثم ولَّى يفري أديمَ الأرض ، ويركض
طرفه أيمًا ركض ، فما عدوت^٢ أن ارتكضت^٣ مطيتي ، وَعَدْتُ لِطَيْتِي ، حتى
انتهيت^٤ إلى حلتي ، بعد اللَّتْيَا وَالَّتِي .

-
- ١ التَّق : الممتلئ غيظاً ، المَيَّق : الباكي ، مثل يضرب لتباعدين في الخلق .
٢ ش : عدت .
٣ ش : اقتعدت .
٤ ش : وصلت .

نوادير من المكاتبات

٧٤٧ - كتب أبو الفضل ابن العميد : كتابي - جعلني الله فداك - وأنا في كدٍّ وتعب منذ فارقتُ شعبان ، وفي جهْدٍ ونَصَبٍ من شهرِ رمضان ، وفي العذاب الأذنى دونَ العذابِ الأكبر من ألمِ الجوعِ ووقوعِ الصومِ ومُرْتَهَنٍ بتضاعيف : [من الطويل]

حرور لو إنَّ اللحمَ يصلِي ببعضها غريضاً أتى أصحابه وهو مُنْضَجٌ
وممتحنٌ بهواجر يكادُ أوارها يُذِيبُ دماغَ الضبِّ ، ويصرف وجّهَ الحرياءِ عن
التحنف ، ويَزْوِيهِ عن التنصّر ، ويقبضُ يدهُ عن إمساكِ ساقِ وإرسالِ ساقِ :
[من البسيط]

ويترك الجأبَ في شغلٍ عن الحقبِ ويقدحُ النارَ بين الجلدِ والعصبِ
ويغادرُ الوحشَ قد مالتَ هوادبها : [من الطويل]

سجوداً لدى الأرطى كأنَّ رؤوسها علاها صداعٌ أو فواقٌ يصورها
وكما قال الفرزدق : [من الطويل]

بيومٍ أتت فيه الظلالَ سَمومُهُ وظلَّ المها صُوراً جماجمها تغلي
وكما قال مسكين الدارمي : [من الطويل]

وهاجرةٌ ظلَّتْ كأنَّ ظباءها إذا ما اتقتها بالقرونِ سُجودُ

٧٤٧ وردت هذه الرسالة في بيتمة الدهر ٣ : ١٦٥ .

تلوذُ بشؤبوب من الشمس فوقها كما لاذ من حرِّ السَّنَنِ طريد

وَمَمْنُوْ بِأَيامٍ تَحَاكِي ظِلَّ الرَّحْمِ طَوْلًا ، وَلِيَالِ كَابِهَامِ الْقِطَاةِ قِصْرًا ، وَنَوْمِ كَلَا وَلَا قَلَّةً ، وَكَحْسُوِ الطَّائِرِ مِنْ مَاءِ الثَّمَادِ دِقَّةً ، وَكَتَصْفِيْقَةِ الطَّائِرِ [الْمُسْتَحْرَّ] خَفَّةً :
[من الطويل]

كما أبرقت يوماً عطاشاً غمامةً فلما رجوها أقشعت وتجلت

و: [من المنسرح]

كنقر العصفير وهي خائفة من النواطير يانع الرطب

وأحمده على كل حال ، وأسأله أن يعرفني [فضل] بركته ، ويلقيني الخير في باقي أيامه وخاتمته ، وارغبُ إليه في أن يقربَ على القمرِ دَوْرَهُ ، ويُقصرَ سيره ، ويخفف حركته ، ويُعجل نهضته ، ويتقص مسافة فلكه ودائرته ، ويزيلَ بركةَ الطُّولِ عن ساعاته ، ويردَّ عليَّ غرةَ شَوَّالٍ ، فهي أسرُ الغرِّ عندي وأقرها لعيني ، ويسمعي النعرةَ في قفا شهر رمضان ، ويعرضَ عليَّ هلالَهُ أخفى من السر ، وأظلم من الكفر ، وأنحف من مجنون بني عامر ، وأضنى من قيسِ بنِ ذَرِيحٍ ، وأبلى من أسيرِ الهجر ، ويُسلطَ عليه الحورَ بعد الكور ، ويرسلَ عليه كلفاً يغمُرُهُ وكُسوفاً يستره ، ويرينيهِ مغموراً النور ، مقهور الضوء ، قد جمعه والشمسُ برج واحد ودرجةٌ مشتركة ، ويتقصَّ من أطرافه [كما تنقص] النيراتُ من طرف الزند ، ويعثَ عليه الأَرْضَةَ ، ويُهدي إليه السوس ، ويُغري به الدود ، ويبلية بالفأر ، ويخترمه بالجراد ويبيده بالنمل ، ويجتحفه بالذر ، ويجعله من نجوم الرجم ، ويرمي به مسترقَّ السمع ، ويخلصنا من معاودته ، ويريجنا من دوره ، ويعذبه كما عذبَ عباده وخلقه ، ويفعل به فعله بالكثان ، ويصنع به صنعه بالألوان ، ويقابله

١ اليتيمة : مقمور الظهور .

بما تقتضيه دعوة السارق إذا افتضح بضوئه ، وتهتك بطلوعه :

* ويرحمُ الله عبداً قال آميناً *

وأستغفرُ الله جلَّ جلاله مما قلتهُ إن كرهه ، وأستغفیه من توفيقی لما يذمه ،
وأسألهُ صفحاً يُفيضهُ وعفواً يسيغه ، وحالي بعدما شكوته صالحة ، وعلى ما تحبُّ
وتهوى جارية ، والله الحمد - تقدَّستُ أسماؤه - والشكر .

٧٤٨ - ومن كلام أبي الحسن ابن نصر الكاتب إلى صديق له اشترى حماراً

يداعبه برسالةٍ من جملتها :

عرفت - أبقاك الله - حين وجدت من سكرة الأيام إفاقة ، وأنست من
وجهها العبوسِ طلاقة ، وتنسمت رياح المسرة ، واعتضت من ظلمة الضيق نور
السعة ، أجت داعي همتك ، وأطعت أمر مرؤوتك ، في التنزه عن الرحلة والانتزاع
بذوي الأخطارِ والهَيْئَةِ ، فسرت بكون هذه المنقبية التي أضمرها الإعدام ، ونم
على كرم سرِّها الإمكان ، واستدللت منها على خبايا فضل ، وتنبهت بها على مزايا
نبيل ، كانت مأسورةً في قبضة الإعسار ، وكانعة في سُدفَةِ الإقتار ، وقلت : أيُّ
قدمٍ أحقُّ بولوج الركبِ من قدميه ، وحاذِ أولى بيطنون القب من حاذيه ؟ وأيُّ
أناملٍ أبهى من أنامله إذا تصرَّفت في الأعنةِ يسراها ، وتختمت بالمخاصر يمناها ؟
وكيف يكونُ ذلك الخلقُ العميمُ والوجهُ الوسيمُ ، وقد بهر جالساً ، إذا طلع
فارساً ؟ ثم اتهمتُ آمالي بالغلوِّ فيك ، واستبعدتُ مغافصةَ الزمان بإنصاف
معاليك ، فقبضتُ ما انبسطَ من عنانها ، وأخذتُ ما اشتعل من نيرانها ، حتى
وقفت على مَحَجَّةِ الشك أرجو علوَّ همتك بحسن اختيارك ، وأخشى منافسة الأيام
في دركٍ أوطارك ، فإنها كالظانَّةِ في ولدها ، والمحادثة بالسوء في واحدتها ، يدني
الأمل مسارها ، ويزجي القلق حذارها ، حتى أتتني الأنبياءُ تنعى رأيك الفائل ،

وتبكي عَزَمَكَ الآفل ، بوقوع اختيارِكَ على فاضحِ صاحبه ، ومُسَلِّمِ راحبه ،
 الجامدِ في حَلْبَةِ الجياد ، والحاذقِ بالحرَنِ والكياد ، الشومُّ دَيْدُنُهُ ودابُّه ،
 والبلادَةُ طبيعتهُ وشأنه ، لا يُصْلِحُهُ التأديبُ ، ولا تُقَرِّعُ له الظَّنَّايِبُ ، إن لحظَّ
 غيراً نهق ، أو لمخَ أتاناً شَبِيق ، أو وجدَّ روثاً شَمَّ وانتشَق ، فكم هَتَمَ سِيناً لصاحبه ،
 وكم أَسْعَطَ أَنْفَ راحبه بأنفاسه ؟ وكم استردَّه خائفاً فلم يردده ، وكم رامه خاطباً
 فلم يُسْعِدْهُ ؟ يَعْجَلُ إن أحبَّ الأناةَ والإبطاءَ ، ويرسخُ إن حاولَ الحثَّ والنَّجاءَ ،
 مطبوعٌ على العكسِ والخلافِ ، موضوعٌ للضعفِ والاستخفافِ ، عزيزٌ حتى تُهينهُ
 السياطُ ، كسولٌ ولو أبطرهُ النَّشاطُ ، ما عَرَفَ في النجابةِ أباً ، ولا أفاد من الوغى
 أدباً ، الطالبُ به محصورٌ ، والهاربُ عليه مأسور ، الممتطيُّ له راجلٌ ، والمستعليُّ
 بذروته نازل ، له من الأخلاقِ أسواها ، ومن الأسماءِ أشناها ، ومن الأذهانِ
 أصداهها ، ومن القدودِ أَحقرُها ، ومن تجرده المراكب ، وتجهلُّه المواكب ،
 وتعرفه ظهورُ السوابل ، وتألَّفُهُ سَباطاتُ المنازل^١ .

ومنها :

جُعِلَتْ فداك ، لِمَ حيث شاورت لم تَسْتَشِرْ عَليماً إن عدمته نصيحاً ، وبصيراً
 إن لم تظفر به شقيقاً^٢ ، وذا مُنَّةٍ نافذة إن عدمت دينك بواحدة ؛ وإن وجدك
 بعزلة من العتاق ، وحُجْزَةٍ من ذوات الإعناق ، أملك^٣ إلى الهماليج التي زانها
 التصنيعُ ، وراضها التخليع ، فأصبحتْ مُنْسرِبَةً كالْحُبَابِ ، متدافِعَةً كالسحابِ ،
 وأمطاك المركبة البِدْعَ ، بين كرمِ الأصلِ وكَرَمِ الفرعِ ، سفواءِ روميَّة ، أو دهماءِ
 أعوجية ، لها طرفان من الحمدِ والذمِّ ، وخبران لنسبِ الأب من الأمِّ ، يُكْرَمُ
 راحبها ولا يهاب^٤ ، وينجو صاحبها فلا يُصَاب ، ذاتُ خطيِّ تَسْبِقُ الأوفازَ ،

١ في حاشية ر: المزابل .

٢ م: شقيقاً .

٣ ر: مالك .

٤ ر: يهان .

وَمَطَى يَشْتُ الإِعْجَازَ ، نَهَايَةَ فِي كَالِهَا ، زَاهِيَةً بِإِخْوَانِهَا ، تَطْرُدُ الطَّرْفَ وَقَدْ حَازَهَا ، وَتَسْتَرْجِعُ الطَّرْفَ وَقَدْ جَازَهَا ، فَأَنْتَ عَلَيْهَا كَالْبَدْرِ أَوْ أُنْبِهِ ، وَقَدْ يَجْنَحُ لَكَ الرَّأْيُ أَوْ نَهْيِهِ ، وَلَكِنْ بَقِيَتْ إِلَى ذَلِكَ دَقِيقَةٌ جَلِيلَةُ الْمَعْنَى ، وَقَرْيَةٌ بَعِيدَةُ الْمَرْمَى ، بِهَا شَرَفُ الْمَطَالِبِ ، وَلَيْسَتْ مِمَّا تَكْسِبُ يَدُ الْكَاسِبِ : كَرَمُ الطَّبِيعَةِ وَالنَّجَارِ ، وَاتِّسَاعُ هِمَّةِ الْمَشَاوِرِ وَالْمُسْتَشَارِ ، فَإِنْ وَجَدْتَ هَذَا يَا مَوْلَايَ بِالْغَالِي مِنَ الثَّمَنِ فَابْتَعْهُ ، أَوْ أَدْرِكْتَهُ بِالشَّاقِّ مِنَ السَّفَرِ فَاتَّبِعْهُ ، أَوْ وُصِفَ لَكَ دَوَاءٌ يَشْفِي مِنْ صَغْرِ الْمَنَةِ فَاشْرِبْهُ ، أَوْ عَرِضَ عَلَيْكَ هَوْلٌ مِنَ الْأَخْطَارِ كَرَهَا فَارْكَبْهُ . هِيَهَاتَ قَلَصَ الْمَرَامُ ، وَشَلَّتْ يَدُ الرَّامِ ، وَغَاضَ الْمَاءُ ، وَأَهْوَتْ سِنَّةُ الْحَالِمِ ، وَهَوَتْ شَفَةُ الْحَائِمِ ، وَنَفَقَتِ الْمَكَارِمُ وَحَضَرَ طَالِبُهَا ، وَنَتَجَتِ الْكِرَائِمُ ثُمَّ جَاءَ خَاطِبُهَا . وَعِنْدِي الْآنَ أَبْوَابُ حَيْلٍ أَفْتَحُهَا ، وَغَوَامِضُ خِدَعٍ أُوضِحُهَا ، تَطْفِيلًا بِالرَّأْيِ لَا تَسْتَوْجِبُهُ ، وَتَغْرِيبًا فِي الْمَكْرِ لَا تَسْتَغْرِبُهُ ، أَنْ تَسْتَحْدِثَ سَيْفًا فَيَكُونُ بَعْضَ آلَاتِ مَا تَسُوْمُهُ مِنَ الْخَيْلِ الْمَسُوْمَةِ ، وَتُرَوِّمُهُ مِنَ الْبِغَالِ الْمَخْزُومَةِ ، فَعَلِ النَّحْرِيْرَ مِنَ الْأَجْنَادِ ، الْمُسْتَظْهِرِ بِتَقْدِيمِ الْأَهْبَةِ وَالِاسْتِعْدَادِ ، فَإِنْ انْتَشَرَ عَنْكَ هَذَا الْخَبْرُ ، وَامْحَى ذَلِكَ الرَّقْمُ وَالْأَثْرَ ، عُذْتُ لِرِسْمِكَ مُسْتَسْعِيًّا قَدَمَكَ فِي مُهِمِّكَ ، وَمَاحِيًّا طَمَعَ الْجَلَالَةِ فِي وَهْمِكَ ، وَقَرْنَتَهُ بَاتَانَ ، وَجَمَعْتَ بَيْنَهُمَا فِي مَكَانٍ ، بَعْدَ أَنْ تُجَلِّهَا لَهُ نِكَاحًا أَوْ تَمْتَعًا ، وَتَمَهَّرَهَا عَنْهُ جَلًّا أَوْ بُرْقُعًا ، فَتَنْتَفِعَ بِالْجِحَاشِ ، وَيَكُونُ الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ . هَذَا فَنَانٌ مِنَ التَّوَصُّلِ ، وَنَوْعَانٌ مِنَ التَّغْلُغْلِ :

* فَاخْتَرِ وَمَا فِيهِمَا حِظًّا لِمَخْتَارِ *

ثُمَّ لَا أَعْلَمُ أَيَّ فِكْرٍ مِنَ الْأَفْكَارِ ، أَوْ هَمِّكَ النَّبَاهَةَ فِي رُكُوبِ الْحِمَارِ ، وَلَا مِنْ أَيْنَ وَقَعَ لَكَ هَذَا وَحَصَلَ ، وَدَعْنِي مِنَ التَّهَاقُوسِ بِأَخْبَارِ الْعَزِيرِ^١ وَجَنْدَلِ ، فَإِنِّي أَعْرِفُ مُنْتَكَّ ثَمَّ أَنْكَرَهَا ، وَالْوَمُّ هَمَّتْكَ ثُمَّ أَعْدَرُهَا ، فَلَيْسَ طَرِيقَ الْعِلَاءِ مَنْقُوضَةٌ لِكُلِّ دَائِسٍ ، وَلَا ظَهْرُهَا مُسْرَجًا لِكُلِّ فَارَسٍ ، وَلَا كُلُّ مَنْ رَامَ خَلِيقَةً مَا طَبَعَ لَهَا ،

١ ر : الغرين .

وعادةً ليس من أهلها ، ومنقبةً مذاق صرْفها ، وطبيعة ما اشتم عرْفها ، أتته منقاداً مجيبةً ، وأطاعته مختارةً مريدةً ، فلكلِّ درجةٍ قدّم ترقاها ، ولكل حَسَنَةٍ ناظرٌ يراها ، والإنسان بنفسه أعرفُّ ، ولشاكلته آلف . فإن يكن ما أتيت - أبقاك الله فكذلك تكون إن شاء الله - زلّة العالم وعثرة الحازم ، وغفلة المتحفظ ، وغفوة المتيقظ ، فأمط العارَ بجوادِ حصين الصّهوة محلّق الجبهة ، أمين الخوافر ، فسيح المناخر ، عريق المفاخر ، ربة الأفكار ، ومزلقة الأبصار ، أو بغلة تسطو تيهاً على أبيها ، وتبغض الأَرْض إلى ممتطيها ، كأنما تحطها في صَبَب ، أو تطأ بقوائمها على لب ، وإلا فترك الأبهة كما تركتك ، وافركها كما فركتك ، وتحنّ عن سنن الفارط ، وانسلّ انسلال المغالط ، وارجع لأول أمرك ، لا مخطئاً ولا مصيباً ، ولا نبيه القدر ولا معيباً .

٧٤٩ - ومن رسالة له إلى بعض إخوانه وقد ولي ولاية :

وأقول - أدام الله عز القاضي - إن الدهر كله كلٌّ ، ودأبه عقْد وحلٌّ ، يخلو مرةً ثم يُجرُّ ، وينفع تارةً ويضرُّ ، ويصفو يسيراً ثم يكدر ، وفي قليلاً ثم يغدر ، فالكيس من أبنائه من انتهاز فرصة عطفه وإيقائه ، تشاغلاً بهزله وطيبه ، وتغافلاً عن جدّه وتعذيبه ، صلة للذاتِ والمسارِّ ، وهجرةً للغثائِ والوقار . ففي هذه الحلبة جرينا ، ولأخلافِ هذه مرّينا ، فبنينا ترتيب القضاء والشهادة ، وتركنا كلفة الانحاء والسجادة ، ورأينا الرخص مأخوذاً بها ، والشبه مفتوحة أبوابها ، وأن اختلاف الأئمة رحمة الله^١ إلى الأمة^٢ . ولجأنا إلى كتاب الحيل عند ضيق الأمر ، ورأي ابن اللبان في طهارة الخمر ، وأن الإجماع ليس بحجة . والبصريون - أدام الله عز القاضي - يتبعون شيخاً من شيوخ ناعمة طاحية ، يزعم أن التوبة

١ هنا بهامش ر : بلغ مقابلة .
٢ م : من الله .
٣ م : للأمة .

بعد السبعين ماحية ، وأنها في الشبيبة كذابة تُردُّ على عقبها ، ويضربُ بها وَجْهٌ صاحبها ، وله في ذلك كلامٌ مفيد ، وقد أخذتُ عنه تعليقةً إذا فرغَ الإنسانُ منها فقد نبذَ كتابَ الله ظهراً ، وخرج من الدِّين بركبته صيفراً ، ولولا ضيقُ الصدر والوقت ، لطويْتُ هذه السطورَ على شيءٍ من كلامه لتدبَّرَ معانيه ، وترى حسن تصرفه فيه ، ولكن حال الجريضُ دون القريض ، وما أخوفني أن يُظنَّ هذه الفكاهةُ إنما هي انفساخُ الحالِ ، واتِّساعُ المجال ، وقوةُ الأُنس ، وانبساطُ النفس . وما هي الا سرورٌ بما تيسَّرَ من مفاوضته ، وتسنى من أسباب مناسمته التي نشرتُ بها على الهم جناحاً ، وجعلتها لِسُدْفَةِ فكري مصباحاً ، وإني إذا سألني الدهرُ بمحادثةِ فضله ، وأمكنتني من مباتةٍ مثله ، فضضتُ بناتِ صدري ، ونفضتُ بها أثقالَ ظهري : [من الطويل]

وَمَنْ لَكَ فِي الدُّنْيَا بَارِعٌ ماجِدٍ يُواسِيكَ فِي أهْوَها أَوْ يُشَارِكُ

والمرءُ بأخيه ، بَعُدَتْ دارُهُ أم قَرُبَتْ ، والمعرفةُ حُرْمَةٌ بين الأحرارِ قَوِيَتْ أم ضعفت ، فأما إذا ضَمَّهم ذِمَامُ الأدب ، فهم فيه بنو أب ، وما أبعدَ عهدي بيدي للأيام عندي ، إلى حين الاجتماع بالأستاذ أبي الفضل ، الذي علوتُ به من السرورِ مَرَقَباً ، وجعلته إلى هذه المفاوضةِ المؤنسةِ لي سبباً ، والله تعالى يُمتعني من القاضي بالفضلِ الراجح ، وَيَمُدُّني من ديارِهِ بالخبرِ الصالح ، فإن رأى مقابلةَ ما أصدرته بوجهٍ من القبولِ وَرَضِي ، وخلق بالترحيبِ مَضِي ، وإتحافٍ بمبهج أخباره ، وإيناسي بساخِرِ أوطاره ، فعل ، إن شاء الله تعالى .

٧٥٠ - من المقامات التي أنشأها أبو محمد القاسم بن علي الحريري :

أخبر الحارث بن همام قال : أزمعتُ التبريزَ من تبريز ، حين نبتَ بالدليل والعزير ، وَخَلَّتْ من المجير والمجيز ؛ فبينما أنا في إعدادِ الأُهبَةِ ، وارتياذِ الصُّحْبَةِ ،

٧٥٠ هي المقامة الأربعون ، شرح الشريشي (ش) ٤ : ٣٢٠ .

لقيت^١ أبا زيد السروجي ملتفاً بكساءٍ ومحتفياً بنساء ، فسألته عن خطبِهِ ، وأين^٢ يسرُّبُ مع سربه . فأوماً إلى امرأةٍ منهنَّ باهرةً^٣ السُّفور ، ظاهرة النفور ، وقال : تزوجتُ هذه لتؤتسبني في الغربة ، وترحضُ^٤ عني قَشْفَ^٥ العزبة ، فلقيتُ منها عَرَقَ^٦ القرية^٦ ، تمطُّلني بحمِّي وتكلفني فوقَ طوقِي ، فأنا منها نضو وجي^٧ ، وحلفُ شَجْوٍ وشَجِيٍّ ، وها نحن قد تساعينا إلى الحاكم ليضربَ على يدِ الظالم ، فإن انتظمتَ بيننا الوفاقُ ، وإلا فالطلاقُ والانطلاقُ .

قال : فملتُ إلى أن أُخبرَ لِمَن الغلبُ ، وكيف يكونُ المُتقلَّبُ ، فجعلتُ شغلي دبر أذني^٨ ، وصحبتُهُما وإن كنتُ لا أُغني^٩ .

فلما حضرا القاضي ، وكان ممَّن يَرى فَضَلَ الإمساك^{١٠} ، ويضنُّ بنفائتِهِ السواك ، جثا أبو زيد بين يديه وقال : أيدَ اللهُ القاضي وأحسنَ إليه ، إنَّ مطيتي هذه أئيبَةُ القيادِ ، كثيرة الشراد ؛ مع أنني أطوعُ لها من بنانها ، وأجنى عليها من جنانها ، فقال لها القاضي : ويحك ! أما علمتِ أنَّ الشوزَ يُغضبُ الربَّ ، ويوجب الضربَ ؟ فقالت : إنه من يدور خلفَ الدَّارِ ، ويأخذ الجارَ بالجار^{١١} .

١ ش : أُلقيت بها .

٢ ش : وإلى أين .

٣ باهرة : ظاهرة .

٤ ترحض : تغسل .

٥ القشف : سوء العيش .

٦ لقي منه عرق القرية : هذا مثل يضرب لمن يلقي شدة من الأمر كما أنَّ حامل القرية يلقي جهداً حتى يعرق .

٧ نضو وجي : هزيل من الجفاء .

٨ جعله دبر أذنه : طرحه وأهمله .

٩ لا أُغني : لا أنفع .

١٠ الامساك : الشح (والامساك أيضاً : الابقاء على العلاقة الزوجية) .

١١ هذا كناية عن اتيان المرأة في غير الفرج .

فقال له القاضي : تباً لك أتبذر في السباح ، وتستفرخ حيث لا إفراخ^١ ؟ اغرُبْ عني ، لا نعم عوفك^٢ ، ولا أمن خوفك . فقال له أبو زيد : إنها - ومرسل الرياح - لأكذبُ من سجاح ، فقالت : كلاً هو - ومن طَوَّقَ الحمامةَ وجنَحَ النعامة - لأكذب من أبي ثمامة^٣ حين مَخَرَقَ باليمامة .

فَزَفَرَ أبو زيدٍ زفيرَ الشُّواظِ ، واستشاطَ استشاطَةَ المغتاضِ ، وقال لها : ويليكَ يا دفار يا فجار ، يا غَصَّةَ البعلِ والجارِ ، أتعمدين في الخَلْوَةِ لتعذبيي ، وتبدين في الحفلة تكذيبي ؟ وقد علمتِ أني حين بنيتُ عليك ودنوتُ^٤ إليك ، ألفتك أقبحَ من قرده ، وأيس من قِدَّة^٥ ، وأخشن من ليفة ، وأتنن من جيفة ، وأثقل من هَيْضَةٍ^٦ ، واقدر من حَيْضَةٍ ، وأبرز من قشرة ، وأبرد من قره ، وأحمق من رجلة^٧ وأوسع من دجلة ، فسترتُ عِوَارِكِ ولم أبدأ عارِكِ ، على أنه لو حبتك شيرين بجماها ، وزبيدةً بماها ، وبلقيسُ بعرشها ، وبورانُ بفرشها ، والزبَاءُ بملكها ، ورابعةً بنسكها ، وخندفُ^٨ بفخرها ، والخنساءُ بشعرها في صخرها ، لأنفتُ أن تكوني قعيدهَ رحلي وطَرُوقَةَ فحلي .

قال : فتدمرتِ المرأةُ وتنمرت ، وحسرت عن ساعديها وشمَّرتُ ، وقالت : يا الأُمُّ من مادِر ، وأشأمُ من قَاشِر^٩ ، وأجبنَ من صافر ، وأطيشَ من طامر^{١٠} ، أترميني بشنارك ، وتفري عرضي بشفارك ؟ وأنت تعلمُ أنك أحقرُ من قُلامَةِ ،

١ يريد أنزرع نطفتك في موضع لا يقبل الولد .

٢ من معاني العوف : الحال والذكر .

٣ أبو ثمامة : كنية مسيلمة .

٤ ش م : ورنوت .

٥ القدة : ما يقد من الجلد وهو غير مدبوغ .

٦ الهیضة : الاسهال المصحوب بقيء .

٧ هي ما يسمي البقلة الحمقاء .

٨ انظر ما تقدم رقم : ٧٤٥ ص : ٤٠١ في قصة خندف ؛ الشريشي ٤ : ٣٤٧-٣٤٨ .

٩ قاشر : اسم فحل من الابل ، ما طرق إيلاً إلا ماتت .

١٠ أطيش : أخف ، والطامر : البرغوث .

وأعيبُ من بغلة أبي دُلَامَةَ ، وأفضح من حبةٍ في حلقة ، وأحيرُ من بقَّةٍ في حُقَّة ، وهبك الحسنُ في لفظه ووعظه ، والشعبي في علمه وحفظه ، والخليل في عروضه ونحوه ، وجريراً في غزله وهجوه ، وقُساً في فصاحته وخطابته ، وعبداً الحميد في بلاغته وكتابه ، وأبا عمرو في قراءته وإعرابه ، وابنَ قُرَيْبٍ في روايته عن أعرابه ؛ أتظنني أرضاك إماماً لخرابي وحُساماً لقرابي ؟ لا والله ولا بواباً لبابي ، ولا عصاً لجرابي .

فقال لهما القاضي : أراكما شناً وطَبَقَةً ، وَحِدَاءً وَبُنْدُقَةً ، فاترك أيها الرجل اللدداً واسلك في سيرك الجدد ، وأما أنت فكفي عن سبابه ، وقرى إذا أتى البيت من بابه .

فقال المرأة : والله ما أسجنُ عنه لساني ، إلا إذا كَسَانِي ، ولا أرفعُ له شراعي دون إشباعي ، فحلف أبو زيد بالمرجات الثلاث ، أنه لا يملك سوى اطماره الرثا .

فنظر القاضي في قصصهما نظرَ الألمي ، وأفكرَ فكرةَ اللودعي . ثم أقبل عليهما بوجهٍ قد قَطَبَهُ ، ومجنُّ قد قلبه ، وقال : ألم يكفكما التَّسَافَهُ في مجلس الحكم ، والإقدام على هذا الجرم ، حتى تراقبتما في فحش المقادعة إلى خبث المخادعة ؟ وإيمُ الله لقد أخطأت استكما الحفرة ، ولم يصب سهمكما الثغرة ، فإن أمير المؤمنين ، أعزَّ الله ببقائه الدين ، نصَّبني لأقضي بين الخصماء لا لأقضي دينَ الغرماء ، (وتمام هذه المقامة تركته اختصاراً) .

٧٥١ - ومن رسالة كتب بها الشريف أبو يعلى ابن الهبارية من كرمان إلى الشيخ الخطيب أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي جواباً : [من الطويل]

١ الحبة : الضرطة .

٢ يريد : الحسن البصري .

٣ اللدد : الخصومة .

٤ المرجات الثلاث هي الطلاق والعنق والمشى إلى مكة .

أفدي الكتاب بناظري فيياضه بياضيه وسواده بسواده

فلقد جدّد عهدي بالسرور والجذل ، وأعاد عليّ^١ عصرَ الطرب ، وأنا لني من الزمان ما يوفي على الأمل ، وأحيا ميّت نشاطي ، وأجرى الروح في رميم جدلي وانبساطي ، وردّ لي ما غاب^٢ من فرحي واغتباطي ، وفرج^٣ عن روحي المكروبة ، وأزاح عللَ عازبِ الهموم عن نفسي بما حقّقهُ من سلامة سيّدنا . نعم ، وصلني كتابه فالتقطتُ من نفائسِ دُرره ، ولقد كنتُ فقيراً إلى بدائعِ فقره ، وتعجبتُ من مُلح كلامه ، ونكّتِ نثاره ونظامه . وهو إن كان في العين كتاباً ، فقد وجدته في القلب كنيية ملكتُ طعناً وضرباً ، لأنه - حرس الله فضله - شحنه عتاباً ، وملاماً وسبباً ، ألمني وقعه وأحرقني لذّعه ، لكنه خلّق سيّدنا وطبعه . [من السريع]

* والشيخ لا يترك أخلاقه *^٤

زعم أني ذو ملة طَرف^٥ ، والملال - أطال الله بقاء سيّدنا - بثت الخلة كما عرف ، وفي المثل المقول : لا مودة لملول ، كلا والله لأنا له أوفى من الإفلاس والإعسار ، وأحفظ لعهد من الخمول والإقتار ، لأحوال الأدباء الأجرار ، بل من الكلف لوجه البدر ، والخمار لعاقبة الخمر . والله ما نسيتُ عهده ولا سلوتُ ودّه ولا تركت مكاتبته عمداً .

يقول فيها :

فسيّدنا معروفٌ في الآفاق ، غير مُفتقرٍ إلى المقام بالعراق ، لكني أظنُّ طباء الحريم قد عقلتُ عقله ، وأحسب آرام الصّراة لا الصّريم قد ربطتُ فضله ،

١ م : لي .

٢ م : غاب عني .

٣ م : وروح .

٤ صدر بيت لصالح بن عبد القدوس ، وعجزه : حتى يورى في ثرى رسمه .

٥ ر : الطرف .

وأنه صريعُ الكأسِ والحدقِ البُخلِ ، وإنَّ سخاءَ صبيانِ نهرِ المعلَى يغطّي على ما في رؤسائه من الشحِّ والبخلِ ، فهو - دام فضله - أسيرُ الغزلانِ ، وربيطُ الوجوهِ الحسانِ ؛ أعليُّ يتجالدُ سيدنا ويتدارى ؟ لقد تغلغل في النفاق وتناهى . هبْ أنَّ الخلافةَ المستظهريةَ - نصرَ اللهُ أعلامها - أذنتْ في مسيره ، والمكارمِ الرضويَّةِ سمحتْ بزادِهِ وبغيره ، أتأذنُ له الجفونُ المراضِ ، والقُدودُ الرُّشاقُ ، والخصورُ الدقاقُ ، والألفاظُ الرخيمةُ ، والألحاظُ السَّقيمةُ ، والقُدودُ الهيفُ ، والغنَجُ الذي يجلُّ عن التكييفِ ، والثغورُ المعسولةُ ، والخصورُ المظلومةُ ؟ :
[من المجتث]

كم قد أردت مسيراً عن بردشير البغيضة
فردّ عزمي عنه هوى الجفونِ المريضة

والله لجلسةً على صُدُورِ زنبرياتِ^١ الجسرِ ، بين العشاءِ والعصرِ ، مع غزالِ إنسيٍّ لا وحشيٍّ يُسمّى الزيتِ ، ويكنى مُخرَّبَ البيتِ ، وقد فرَّكتْ نَفحاتُ الأصيلِ بيدِ النسيمِ غلالةً دجلةَ الزرقاءِ ، وزرّقتْ يسائرُ السماريةَ^٢ الدهماءِ ، وفيها حورية حوراءِ ، بأعطافِ ولا اليزنيةِ السمرءِ ، وألحاظِ ولا المشرفيةِ البيضاءِ ، وألفاظِ لو سمعها ابنُ قُريبٍ ، لما روى شعرَ أبي ذؤيبِ . ويلاهُ لنقرِ الدَّفِّ ، وصريرِ الخُفِّ ، وتكسُّرِ الألحانِ ، على كان وكان ، في وكناتِ الجناتِ ، ومشاتماتِ الحماياتِ والكناتِ ، في المأمونيةِ ودربِ القِيَّارِ ، والقُرْبَةِ ودارِ دينارِ ، وقولها : وستغ الله وستغ الله ، إنك حقب البيتِ ، لأحلى من نبراتِ زلزلِ في الثقلِ الأولِ منها ويلاه
فما خطيت : [من المديد]

هاتِ باليسرى فقد ضعفت يدي اليمنى عن القدح

١ الزنبرية : ضرب من السفن .

٢ م : السميرية .

[من البسيط] :

ورد الخدود ورمان النهود وأغد صان القدود سبت عقلي فلا تلم
قد قيدت بالهوى عقلي وقد عقلت قلبي فما نفعي إن أطلقت قدمي

يا سيدي ، جُعلت فذاك ، هاهنا من التين التركي ، والموز الهندي في بساتين
الحضور ، وأقْرِحَةَ الأسافل ، وأزقة الأوساط ، ما لا يُدْكرُ معه الوزيريّ المشفى ،
فما في العوجاء ولا باقطينا ، ولا بالركة ولا الزلّافة منه شيء ولا واحدة . فديتهُ
يقطر عسلُهُ ، ويسيلُ دبسه ، وينثرُ قنده ، ويدوبُ شهبه ، ولكن السنون قد
كسرتِ الشرةَ وقنعتني بحر الحرة ؛ والنفاق النفاق ، فهو زمان ومكان يروج فيه
النفاق . اللهم غفراً ما لي وللهاء من الكلام ، وذكر الغلامِ والغلام ، بعدما
خوطبتُ بالشريف الإمام ، واستفتيت في الحلال والحرام . وكأني بسيدنا الشريف
الخطيب أبي البقاء عند بلوغه إلى هذا الفصل من مكتوبي يَعُدُّه من جملة ذنوبي ،
ويرفعُ عقيرتهُ بهتكِ ستر الله عن عيوبي ، ويقول : قد تصابى ابنُ عمي بعد
شبيهه ، ونادى على نفسه بعَيْبه ، وأمرَ بذنبه ورَيْبه ، ولعهدي به وهو في عنفوانِ
شبابه ، متميزاً بالنسك عن أضرابه ، ومنفرداً بالتبصم عن أتراه ، ولم يَقْرَعْ بابَ
اللهو ، ولم ييده بهراءٍ من قوله ولا لَعُو ، ولا غازل غزالاً ، ولا ناك إلا حلالاً ،
فما هذا الجهلُ بعد الشيب ؟ أصبأ بعدما شاب ، أم شاب الدهر وبرده كما شاب ؟
فعاد زيراً غزلاً بعد ما كان عزهاةً معتزلاً ، فنبذ كتابي من يده متبعضاً ،
ويعرض عن موصله بوجهه المليح صدوداً وتجهماً ، ويقول سيدنا البارِع ،
وشهادته السيف القاطع : والله لو بلغ أبو يَعْلَى إلى العرش ، لما كان إلا أسقط من
سنجة قيراطٍ في حُش .

ومنها :

فيعارضه الرئيس الأجلُّ الموقُّ أبو الفضل ابن عيشون دام جماله ، والسحر
مقاله ، والكرمُ خلاله ، والشرفُ خصاله ، فيقول : يا قوم لا تهتكوا سِترَ

أخيكُم ، ولا تعجلوا بقطع أسبابكم عن أسبابه ونزع أواخيه من أواخيكُم ، فعلى هذا عاشتموه ، وقديماً ياسرتموه ، أظننتموه يحولُ ، وحسبتم حُمقَهُ يزولُ ؟ !
ومنها :

فيقول سيدي أبو الفضائل المرُوزيُّ بعد أن يُحرِّكَ الدَّبَّةَ ويهزُّ المِذْبَةَ ، سلوا عنه صديقه القديم ، وحميمهُ الخبير به العليم حشَابُور ، فهو يعرف من مخازيه ما لا يعدله شيءٌ ولا يوازيه ، وكفاه قوله : [الكامل المجزوء]

وريبية زَيْنَتُها فَاتَتْ كجاريةٍ ريبية

وهي أبيات فيها سخفٌ^١ . يفتابونني وهم لا يعلمون ، كأنهم نسوا قول الله تعالى : ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ (الشعراء : ٢٢٦) . يا سيدنا أنا أقولُ وأفعل ولكن ما في قلبي شيء . وجملة الأمر وتفصيله أني كما قال أبو بصير ، وسيدنا به عينُ البصير^٢ : [من البسيط]

علقتها عرضاً وعلقت رجلاً غيري وعلق أخرى غيرها الرجلُ

[من المنسرح] :

قد عشقت محنتي فواحرَبَا عِلْجاً غليظَ القفا له عَضَلُ
وقد تبدلتُ واتخذت فتى كالبدر فيه من مثلها بدلُ
مُساعداً مسعفاً وجود بما أطلبُ ما في خلاله بَخَلُ
لكنني للعفاف يقنعني كما علمت الحديثُ والقُبَلُ
وواحدٌ واحدٌ على عجلٍ آخذه منه وهو مشغَلُ

(وهي طويلة وفيها هزل سخيف ألغي) .

١ م : وفيها أبيات عسيرة وفيها سخف .

٢ خ ش ر : الخبير .

٧٥٢ - وكتب علي بن نصر الكاتب إلى أمرد خرجت لحيته :

لكل حادثة يفجعُ بها الدهر - أحسن الله معونتك - حدٌ من القلق والالتياح ، ومبلغٌ من التحرق والارتياح ، يستوجبُ فناً من التعزية ، ويستحقُ نصيباً من العِظَةِ والتسلية ، والاختصارُ فيها لما قُربَ خطبُهُ وشانهُ ، والإكثارُ لما جَلَّ محلُّهُ ومكانهُ ، ومصائبُك هذا - أعزَّكَ اللهُ - في بياض عارضك لَمَّا اسوَدَّ كمصابك في سَوَادِهِ إذا ابيضَّ ، والألمُ بنباتِ روضِهِ جَميماً ، نظيرُ الألمِ به يومَ يعودُ هشيماً ، فليس أحدٌ يدفعُ عَظَمَ النازلِ بك ، ولا يستصغرُ جسيمَ الطارقِ لك ، وإن كان ما يتعقبهُ من المشيبِ أقْدَى للعيونِ وأذَلُّ ، بيد أنَّ الحاضرَ من النباتِ الذي تمنيتَ أن يكونَ معوزاً ، ووددتَ أرضكَ دونه جُرُزاً ، ألقى عنك النواظرَ وكانت ملتفتةً إليك ، ووقف عنك الخواطرَ وكانت موقوفةً عليك ، وصيرك قَدَى الأَجْفَانِ ، وكنت جلاها ، وجعلك كُرْبَةَ النفوسِ وكنت هواها ، وأبدلك من أنسِ التقبيلِ وَحْشَةَ التَّنْقُلِ ، وعوضك من رقة الترفرفِ كُلفَةَ التَأْفِفِ ، فصرتَ لا ترى إلا مُعْرِضاً ، بعد أن كنتَ لا ترى إلا مُتَعْرِضاً ، فتبارك الذي صرَّفَ عنك الأبصارَ ، ونقلَ منك الأوطارَ ، فكنتَ إرْبَةَ الناكحِ ، فصرتَ إربة المنكوحِ ، ولذة الناطحِ ، فغدوت لذة المنطوحِ ، فأنت أبلقُ السَّوْطَيْنِ إقبالاً وإدباراً ، وصاحبُ الوزرينِ مُلوْطاً به ولائطاً ، وكاسبُ الإثمينِ مَسوْطاً كَرَّةً وسائطاً ، فعويلاً دائماً وبكاءً ، وعزاءً عن الذكرِ الجميلِ عزاءً ، فلكلِّ أَجَلٍ كتابٌ ، وعن كلِّ جائحةٍ ثوابٌ . وقد استوفيت أمدَ الصِّبَا والصباية ، واستتبت الحسرةَ عليها والكآبةَ ، فرزيتك راتبَةً والرزايا سوائرَ ، ومصيبتُك ثابتةٌ والمصائبُ عوائرُ ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون ، لقد فُجِعَتْ بِعَلْقِ ما كان أحسنَ وأجملَ ، ثم لا حيلةَ فإنها الأيامُ لا تثبتُ على حالةٍ ، ولا تعرفُ غيرَ التَّنْقُلِ والاستحالةِ ، تسوءُ تارةً وتسرُّ ، وتحلو طوراً ثم تمرُّ ، سرائرها خبيثةٌ ، ومرائرها نكيثةٌ ، من طيَّبَتْ له اعتبطتهُ ، ومن لهَتْ عنه أحرمتهُ ، فأجرك اللهُ في وجهِ نضبِ ماؤه ، وذهب رُوأوه ، ومات

حياؤه، وفي ضيعة استأجم برُّها ، واستدغَلَ نَوْرُها ، واتسع^١ طريقها ،
 واتسعت بثوقها . . وفي جاهٍ كان عامراً فخرَب ، ودخَلَ كان وافراً فذهب ،
 وتذكار كان واصلاً إلى القلوب منك فحجب ، فأصبحت مسبوق السُّكيتِ ،
 وظلت حياً وأنت الميت ، قد نطقَ المُرْمُ بهجائك ، وحيّمتِ النحوسُ
 بفنائك، فأنت تمشي القهقري ، وكلُّ يومٍ حظُّك إلى ورا ، ولا قوة إلا بالله
 من مِحْنٍ دُفِعَتْ إليها، ولم تُعَنْ بحالٍ عليها ؛ قد يشغَلُ الإنسانَ عن نوائبه
 المشاركون فيها ، ويسلِّيه عنها المساهمون في معنى من معانيها ، وأنت من بين
 هذه المنزلة لا شريكَ لك ، فإنهم يعتاضون عنها ولست بمعتاض ،
 فيرتكضون للعيشِ ولست برِكاَضٍ ، والدهرُ يطوي محاسنك طيَّ السجَلِ
 كتابه ، وينشر مقابحك نشر اليماني ابراده ، ويقلي الطرفُ رؤيتك فلا يفتقُ
 عليك جَفْناً ، ويمجَّ السمعُ ذكرك فلا يجدُ عنده أذنًا ، وتتهم الأدباءُ طَرَقك
 فلا تفتحُ لك رتاجاً . فأنت الطريدُ الذي لا يجار ، والرَبْعُ الذي لا يزار ،
 والظانُّ المريب ، والظنين المعيب ، والعار الفاشي ، والمقبور الناشي . وقد
 أَعْنَتِكَ برقعتي هذه جامعةٌ بين البكاءِ عليك والأين ، وناظمةٌ بين العزاءِ لك
 والتأين ، لها حلاوةُ النثر ، وعليها طلاوةُ الشعر ، نَجَّتْهَا قريحَةٌ عليك ،
 ونسجتْها خواطرُ خَطَرَتْ إليك ، تخفف عزمك^٢ والناس مشاغيلُ بتثقله ،
 وتكرم مكانك والإجماع واقع على تهوينه . فإن عرفت لي ذاك وإلا عَرَفَهُ
 الصدق ، وإن شكرته وإلا شكره الحق ، والسلام عليك من أسيرٍ لا يُخلِّصُ
 بالفدية ، وقتيلٍ بسيفِ السبال واللحية .

٧٥٣ - أراد كاتب أن يكتب جوازاً لرجل وحش الصورة ، فلم يقدر على
 تَحْلِيَّتِهِ لِفَرَطِ دِمَامَتِهِ ، فكتب : يَأْتِيكَ بهذا الجواز آية من آيات الله ، فدعه يذهب
 إلى نار الله وسَقَرِهِ .

١ م : وأسع .

٢ ر : غرامك .

٧٥٤ - ذمَّ الجاحظ الكتاب فقال : ما قولك في قومٍ أوَّل من كتب لرسول الله ﷺ بالوحي خالفه في كتابه ، فأَنزل الله فيه آياتٍ بيناتٍ ، فهرب إلى جزيرة العرب فمات كافراً ؛ ثم استكتب معاويةً فكان أوَّل من غدر بإمامه ، وحاول نقض عرى الإسلام في أيامه ؛ ثم كتب عثمانُ لأبي بكرٍ مع طهارة أخلاقه ، فلم يَمُتْ حتى أذاه عرقُ الكتابةِ إلى ذمٍّ من ذمِّه من أوليائه ؛ ثم كتب لعمرَ زيادُ بن أبيه ، فانعكس لشِرِّ مولود ، وكتب لعثمانَ مروانُ بنُ الحكم ، فخانه في خاتمه وأشعل حرباً في مملكته .

٧٥٥ - كان لرافع بن الحسين بن حماد بن مقن كاتبٌ رقيقٌ نصرانيٌّ يقال له ابو الحسين بن طازاد ، فكتب إليه : أميرَ الأمراء الأجلَّ الرفيعُ المحلُّ ، الشاكرُ المراقبُ ، الناظرُ في العواقب ، مُظاهر الدولة والمناقب .

٧٥٦ - ذكِرَ بديعُ الزمان أبو الفضل الهمداني في مجلس أبي الحسين ابن فارس ، فقال ما معناه : إنَّ البديع قد نسيَ حقَّ تعليمنا إياه وعقَّنا ، وطمَحَ بأنفه عنا ، فالحمد لله على فسادِ الزمان وتغيُّرِ نوعِ الإنسان .

وبلغ ذلك البديع ، فكتب إلى أبي الحسين : نعم أطلَّ الله بقاءَ الشيخ الإمام ، إنه الحُما المَسنُون ، وإنَّ ظنَّتْ به الظنون ، والناسُ لآدَم ، وإن كان العهدُ قد تقادم ، وتركبتِ الأضدادُ ، وأخلطُ³ الميلاد ، والشيخُ الإمامُ يقول : فسَدَ الزمان ، أفلا يقولُ : متى كان صالحاً؟ أفي الدولة العباسية وقد رأينا آخرها ، وسمعنا أولها ، أم المدَّة الروانية وفي أخبارها ، لا تكسَعِ الشُّولَ

٧٥٦ رسائل بديع الزمان : ٤١٤ وبيمة الدهر : ٢٧٠ ونهاية الأرب ٧ : ٢٦٢ .

-
- ١ الرسائل : والناس ينسبون .
 - ٢ الرسائل : وارتبكت .
 - ٣ الرسائل : واختلط .

بأغبارها^١ ؛ أم السنين الحربية^٢ : [الكامل المجزوء]

والسيفُ يغمدُ في الطُّلا والرمح يركز في الكلى
ومبيت حُجْرٍ بالفلا والحرَّتَان وكربلا

أم البيعة الهاشمية والعشرة براسٍ من بني فراس ، أم الإمارة العَدَوِيَّة وصاحبها يقول : هل بعد القفول^٣ إلاَّ النزول ؛ أم الخلافة التَّيْمِيَّة وهو يقول : طوبى لمن مات في نأنة^٤ الإسلام ؛ أم على عهدِ الرسالة ويومِ قيل : اسكتي يا فلانة فقد ذهبتِ الأمانة ؛ أم في الجاهلية وليدٌ يقول : [من الكامل]

* وبقيتُ في خَلْفٍ كجلد الأَجْرَبِ*

أم قبل ذلك وأخو عاد يقول : [من الطويل]

بلاد بها كنا وكنا نجبها إذ الناسُ ناسٌ والزمانُ زمانُ

أم قبل ذلك ويروى عن آدم عليه السلام : [من الوافر]

تغيرت البلادُ ومن عليها فَوَجَّهُ الأرضِ مُغْبَرٌ قبيحُ

أم قبل ذلك والملائكة تقول لبارئها ﴿أتجعلُ فيها من يُفسدُ فيها وَيَسْفِكُ الدماءَ﴾ (البقرة : ٣٠) .

ما فَسَدَ الناسُ ، ولكن اطرَد القياس ، ولا أَظْلَمَتِ الأيامُ ، وإنما امتدَّ

- ١ صدر بيت للحارث بن حلزة ، وعجزه : انك لا تدري من الناتجُ ومعنى قوله : لا تكسع الشول بأغبارها : لا تبق في ضرعها بقية من اللبن ، بل احلبها لأضيافك .
- ٢ أي السنون التي حكم فيها بنو حرب (أي معاوية ومن خلفه) .
- ٣ الرسائل : البرول .
- ٤ نأنة الإسلام : قبل أن ينتشر ويقوى .
- ٥ صدر البيت : ذهب الدين يعاش في اكنافهم .

الظلام. وهل يفسد الشيء إلا عن صلاح ، ويُمسي المرءُ إلا عن صباح ؟
ولعمري لئن كان كرم العهد كتاباً يَرِدُ ، وجواباً يصدُرُ إنه لقريبُ المنال ، وإني
على توبيخه لي لفقيراً إلى لقاءه ، شفيقاً على بقاءه ، منتسباً إلى ولاءه ، شاكراً
لآلائه ، لا أحل حَرِيداً عن أمره ، ولا أقف بعيداً عن قلبه ، ولا نسيتهُ ولا أنساه ؛
إنَّ له على كلِّ نعمةٍ خولنيها ناراً ، وعلى كلِّ كلمةٍ علمنيها مناراً ؛ ولو عرفتُ
لكتابي موقِعاً من قلبه لا غنمتُ خدمته به ، ولرددتُ إليه سُورَ كاسه ، وفضلَ
أنفاسِهِ . ولكنني خشيتُ أن يقول : هذه بضاعتنا رُدَّتْ إلينا ، وله أيده الله العُتْبَى
والمودةُ في القربى ، والمرباع وما ناله الباع ، وما ضمَّه الجلد وضمَّنه المشط ،
وليست رضى ولكنها جُلُّ ما أملك . واثنان - أيد الله الشيخ الإمام - قلماً
يجتمعان ، الخراسانية والإنسانية ، فإن لم أكن خراساني الطينة فإني خراسانيُّ
المدينة ، والمرءُ من حيثُ يوجد ، لا من حيثُ يُولد ، والإنسانُ من حيثُ يثبت لا
من حيثُ ينبت . فإذا انضافَ إلى خراسان ولادةُ همدان ارتفع القلم ، وسقط
التكليف ، فالجرح جُبَّار ، والجاني حمار ، ولا جنةَ ولا نار . فليحتملني على
هناتي ، أليس صاحبنا الذي يقول : [من الخفيف]

لا تلمني على ركاكةِ عقلي أن تيقنتَ أنني همداني

محتويات الكتاب

الباب الثامن والعشرون

٥	في الشيب والخضاب
٧	خطبة الباب
٩	الفصل الأول : الفجعة بالشيب وحلوله
٢٢	الفصل الثاني : الرضى بالشيب والتسلي عن جدته
٢٨	الفصل الثالث : ما جاء في الخضاب
٣٢	الفصل الرابع : أخبار المعمرين
٣٢	الربيع بن ضبع
٣٢	رجل من جرهم
٣٣	المستوغر بن ربيعة
٣٣	دويد بن زيد
٣٥	زهير بن أبي سلمى
٣٦	زهير بن جناب
٣٧	ذو الأصبع العدواني
٣٨	معدى كرب
٣٨	أبو الطمحان القيني
٣٩	عبد المسيح بن ببيعة
٤٠	النايعة الجعدي
٤٢	أمانة بن قيس
٤٣	عمرو الجرهمي
٤٥	الفصل الخامس : نوادر هذا الباب

الباب التاسع والعشرون

٤٩	في النسيب والغزل
٥١	خطبة الباب
٥٢	عدة أنواعه
٥٣	النوع الأول : شدة الغرام والوجد
٦٣	النوع الثاني : في الإعراض والصدّ
٦٨	النوع الثالث : في الشوق والنزاع
٧٧	النوع الرابع : في ذكر الوداع
٨٣	النوع الخامس : في المسرة واللقاء عند الإياب
٨٤	النوع السادس : في ذكر الطيف والخيال
٨٨	النوع السابع : في الرقة والنحول
٩١	النوع الثامن : في البكاء والهموم
٩٦	النوع التاسع : في إحماد المواصلة والعناق
١٠٠	النوع العاشر : في شكوى الفراق واحتماله
١٠٧	النوع الحادي عشر : في الأرق والسهاد
١٠٨	النوع الثاني عشر : في تعاطي الصبر والتجلد
١١٣	النوع الثالث عشر : في ذكر العذول والرقيب
١١٧	النوع الرابع عشر : في وصف المحبوب
١٣٠	النوع الخامس عشر : في طيب الأفواه
١٣٤	النوع السادس عشر : في وصف الثغر
١٣٦	النوع السابع عشر : في إسرار الهوى وإعلانه
١٤١	النوع الثامن عشر : في عشق الحلائل
١٤٢	النوع التاسع عشر : في غزل العباد وتساؤلهم فيه
١٥٢	النوع العشرون : في أخبار من قتله الكمد
٢١٧	نوادير من هذا الباب

الباب الثلاثون

- ٢٣٣ في أنواع شتى من الخطب
- ٢٣٥ خطبة الباب
- ٢٣٦ خطبة عليه السلام في حجة الوداع
- ٢٣٨ خطبة لسهيل بن عمرو
- ٢٣٩ خطبة لسعد بن أبي وقاص
- ٢٤٠ خطب لعلي بن أبي طالب
- ٢٤٦ خطبة للحسن بن علي
- ٢٤٧ خطبتان للمعاوية
- ٢٤٨ خطبة زياد البتراء
- ٢٥١ خطبة قس بن ساعدة
- ٢٥٢ خطبة لجبلبة بن حريث العبدي
- ٢٥٢ خطبة للعملس
- ٢٥٣ خطبة لهاشم بن عبد مناف
- ٢٥٣ خطبة لأبي طالب في تزويج الرسول
- ٢٥٤ خطبة للرسول وخبر تزويج فاطمة
- ٢٥٥ خطبة علي حين تزوج فاطمة
- ٢٥٥ خطبة فاطمة حين منعت فداً
- ٢٥٩ خطبة لعائشة في أبي بكر
- ٢٦١ خطبة لها في مقتل عثمان
- ٢٦٢ خطبة لزينب بنت علي
- ٢٦٤ خطبة لأم كلثوم بنت علي
- ٢٦٦ خطبة لحفصة بنت عمر
- ٢٦٧ خطبة لعائشة بنت عثمان
- ٢٧٠ رأي الجاحظ في الخطابة عند العرب وغيرهم

- ٢٧٢ خطبة لعبد الملك بعد مقتل مصعب
- ٢٧٣ خطبة لعبدالله بن الزبير لما قتل مصعب
- ٢٧٤ خطبة للحجاج
- ٢٧٥ خطبة لخالد بن عبدالله القسري
- ٢٧٦ خطبة لأبي بكر ابن حزم
- ٢٧٩ خطبة محمد بن الوليد بن عتبة
- ٢٧٩ خطبة لداود بن علي
- ٢٧٩ خطب في الاستسقاء
- ٢٨٤ خطبة نكاح من إنشاء علي بن نصر
- ٢٨٥ خطبة لعبدالله بن الأهمم
- ٢٨٦ خطبة لأبي العباس بن السفاح
- ٢٨٧ خطبة لداود بن علي
- ٢٨٨ خطبة لسليمان بن علي
- ٢٨٩ خطبة لعبدالله بن علي
- ٢٨٩ خطبة لصالح بن علي
- ٢٩٠ خطبة لزيد بن علي
- ٢٩١ خطبة لابن طباطبا
- ٢٩٢ خطبة تنسب إلى يزيد
- ٢٩٣ خطبة لمحمد بن سليمان بن علي
- ٢٩٤ خطبة للمأمون
- ٢٩٤ خطب لابن نباتة
- ٣٠٠ خطبة لقطري بن الفجاءة
- ٣٠١ خطبة للحجاج
- ٣٠٢ خطبة منبرية من إنشاء علي بن نصر
- ٣٠٥ نوادر الخطب

الباب الحادي والثلاثون

٣١١	في المكاتبات والرسائل
٣١٣	خطبة الباب
٣١٤	مقدمة في المكاتبات والرسائل
٣١٥	نموذجان من رسائل النبي ﷺ
٣١٦	كتاب عبد الحميد إلى أبي مسلم
٣١٦	كتاب معاوية إلى أبي موسى بعد الحكومة
٣١٧	من رسالة لعبد الحميد في الفتنة
٣١٨	من رسالة لعبد الحميد في الطاعة
٣٢١	رسالة لأحمد بن يوسف في تعليق المصاييح
٣٢١	رسالة موجزة لعمر بن مسعدة
٣٢٢	رسالة لأحمد بن سعد
٣٢٢	رسالة لعبد الحميد في ذكر الفتنة
٣٢٣	رسالة للمأمون في فتنة
٣٢٣	رسالة لأحمد بن سعد في فتح
٣٢٣	رسالة له في السلم
٣٢٥	رسالة أخرى في السلم
٣٢٦	رسالة ثالثة في السلم
٣٢٧	رسالة لسهل بن هارون
٣٢٨	رسالة لعمر بن مسعدة
٣٢٨	رسالة من المبرد إلى الحسن بن رجاء
٣٢٨	رسالة لابراهيم بن العباس في ذكر خليفة
٣٢٩	فصل من كتاب عن أجناد الأطراف
٣٢٩	فصل في وصف وال
٣٢٩	فصل في ولاية خليفة

- ٣٣١ كتاب من المعتصم إلى المأمون
 ٣٣١ كتاب ابن العميد إلى ملكان
 ٣٣٣ كتاب إلى عضد الدولة
 ٣٣٤ فصل للصابي في تقليد المطيع
 ٣٣٤ فصول أخرى للصابي
 ٣٣٥ جواب عن كتاب البيغا
 ٣٣٦ فصول من الكتب لعبد العزيز بن يوسف
 ٣٣٨ مقاطعة للصابي
 ٣٤٥ فصل من كتاب لنطاحة
 ٣٤٦ كتاب من الصاحب إلى ابن سعدان
 ٣٥١ جواب من إنشاء الصابي
 ٣٥٥ كتاب إلى خارجي
 ٣٥٥ كتاب لبعض الكتاب القدماء
 ٣٥٧ كتاب في الفرق بين الشاعر والمرسل للصابي
 ٣٥٩ كتاب الصابي إلى رعية خرجت عن الطاعة
 ٣٦٠ كتاب الصابي إلى الصاحب ابن عباد
 ٣٦١ كتاب من الصابي إلى صديق له
 ٣٦٢ كتاب للصابي عن قاضي القضاة ابن معروف
 ٣٦٢ كتاب الصابي عن ابن بقية إلى عضد الدولة
 ٣٦٣ كتاب للصابي وهو محبوس
 ٣٦٥ جوابه من أبي علي ابنه
 ٣٦٨ كتاب من ابن نصر عن هلال بن بدر
 ٣٧٠ فصول لابن نصر على ألسنة جماعة من المتقدمين
 ٣٧٢ كتاب ابن نصر إلى صديق
 ٣٧٣ من كلام لابن نصر

- ٣٧٣ كتب ابن نصر إلى دار الخلافة
 ٣٧٤ كتاب الوزير المغربي إلى ابن فهد
 ٣٧٦ جواب للوزير المغربي عن تاج الدولة
 ٣٧٧ رسالة للوزير المغربي إلى صديق له
 ٣٨١ رسالة الجاحظ إلى موبس بن عمران
 ٣٨٧ الرسالة الإغريقية للمعري
 ٤٠٠ مقامة لبديع الزمان
 ٤٠١ رحلة لأبي القاسم الخوارزمي
 ٤١١ المقامة الوبرية للحريري
 ٤١٦ نواذر من المكاتبات
 ٤١٦ رسالة لابن العميد في رمضان
 ٤١٨ رسالة لابن نصر إلى من اشترى حمراً
 ٤٢١ رسالة لابن نصر إلى بعض إخوانه
 ٤٢٢ المقامة الأربعون للحريري
 ٤٢٥ رسالة أبي ليلى ابن الهبارية إلى التبريزي
 ٤٣٠ رسالة ابن نصر إلى أمرد خرجت لحيته
 ٤٣٢ ذم الجاحظ للكتاب
 ٤٣٢ رسالة بديع الزمان إلى ابن فارس

COPYRIGHT © 1996

DAR SADER Publishers
P.O.Box 10 - BEIRUT

All rights reserved. No part of this book may be reproduced or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording, or any information storage and retrieval system, without written permission from the publisher.

MOḤ. b. AL-ḤASAN b. ḤAMDŪN
- 562 / - 1168

AL-TADKIRAH AL-ḤAMDŪNIYYAH

EDITED BY

IHSAN ABBAS BAKR ABBAS

VOL. 6

DAR SADER *PUBLISHERS*
P.O.Box 10
BEIRUT

AL-TADKIRAH
AL-HAMDŪNIYYAH